

أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

تحققه وتقديمه

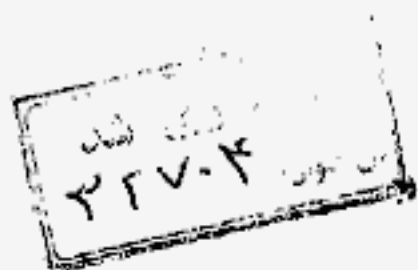
الدكتور أبو القاسم

البحر، الأول

دار نشر طهاتة ونشر
طهران - ۱۳۵۷ ش



تجارب الأمم



مرکز تحقیقات و کتب پویا در علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو علي مسكويه الرازي
(٤٢١-٣٢٠)

کتابخانه

مرکز تحقیقات کتابپوی علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۳۵۶۸

تاریخ ثبت:

تجارب الأمم

حقه و قدم له
الدكتور أبو القاسم إمامي

الجزء الأول

مرکز تحقیقات کتابپوی علوم اسلامی

دارسروش للطباعة والنشر

سروش

تهران ۱۳۷۹

ابن مسكويه، احمد بن محمد، ٢٢٢٠-٢٢٢١ ق.
تجارب الامم / ابو علي مسكويه الرازي، حقه و قدّم له ابو القاسم امامي - طهران:
دار سروش للطباعة والنشر، ١٩٨٧=١٤٠٧ ق. - ٢٢٢٢ ج.
ISBN 964-435-331-5 (دوره) - ISBN
964-435-327-7 (ج)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات قبلی.
پشت جلد به انگلیسی:
Miskawayh. Tajarib al-umam (experiences of nations):

عربی.
کتابنامه.

ISBN 964-435-328-5 ج. ٥ (چاپ اول: ١٣٧٧)

ISBN 964-435-551-2 ج. ٣ (چاپ اول: ١٣٧٩)

ISBN 964-435-552-0 ج. ٧ (چاپ اول: ١٣٧٩)

ج. ٢، ١، ٢ (چاپ دوم: ١٣٢١ ق. - ٢٠٠١ م. ١٣٨٠)

ISBN 964-435-592-x (با جلد شمعین: ١ ج.)

- ٣٧٠٠٠٠ ریال (با جلد گالینگور: ٣٧٠٠٠٠ ریال)

ISBN 964-435-493-8 (ج. ٨) (با جلد شمعین: ٨٣)

- ٣٣٠٠٠٠ ریال (با جلد گالینگور: ٣٩٠٠٠٠ ریال)

ISBN 964-435-551-2 (ج. ٢)

١. اسلام - تاریخ - متون قدیمی تا قرن ١٣. ٢. تاریخ جهان - متون قدیمی تا قرن ١٣.

ایران - تاریخ - متون قدیمی تا قرن ١٣. الف. امامی، ابوالقاسم، ١٣١٣ - مصحح، م.

مدا و صبا، جمهوری اسلامی ایران، انتشارات سروش، ج. عنوان.

٩٠٩/٠٩٢٦٧١ DSt ٥/٦٣/١٣٦٦

١٣٦٦ کتابخانه ملی ایران

محل نگهداری

٩٢٢-٣٣٦*



دار سروش للطباعة والنشر

طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتاح بنایة جام جم، رقم ٢٢٨
مرکز التوزيع: مجمع سروش الثقافي، المعاونة التجارية، رقم التليفون ٦٤٠٤٢٥٥

العنوان: تجارب الامم (المجلد الاول)

المؤلف: ابو علي مسكويه الرازي

تحقيق: الدكتور ابو القاسم امامي

تنفيذ الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية

الطبعة الثانية: ١٣٧٩ ش / ١٤٢٢ ق / ٢٠٠١ م.

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

طبع هذا الكتاب بجمع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للنشر.

شابک: X-٥٩٢-٤٣٥-٩٦٤ (جلد اول) ISBN: 964 - 435 - 592 - X (Vol. 1)

شابک: ٥-٣٣١-٢٣٥-٩٦٤ (دوره ٧ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)

تصدير التصدير

نشر الجزء الأول والثاني من كتاب تجارب الأمم عام ١٩٨٧ م. وحظي عملنا المتواضع بالقبول والتشجيع من قبل الباحثين من ذوي الاختصاص، سواء في إيران أو خارجها، ولكن تأخر - ولظروف طارئة - صدور الأجزاء المتبقية الجاهزة في المطبعة بحيث صدرت عام (١٩٩٧ - ٢٠٠١ م) في الوقت الذي نفذت فيه النسخ المنشورة من الجزأين الأولين. إذن وعندما عزم الأمر على إصدارها كاملة ومتزامنة، أعدنا النظر في تصديرنا الذي صدّرنا به عملنا يوم ذاك، وأدخلنا فيه بعض ما استجدّ لنا بعد ذلك.

والجدير بالذكر أنّ هذه الطبعة المحقّقة الكاملة الأجزاء من تجارب الأمم لا تقاس إطلاقاً بالطبعة السابقة الناقصة الأجزاء التي نشرها أمّد روز (ج ٥، ج ٦ + الذيل، مصر ١٩١٦ - ١٩١٤) وترجمها المستشرق مرجليوث إلى الإنجليزية (أكسفورد ٢١ - ١٩٢٠) والتي لم تشمل إلا أقلّ من نصف أجزاء الكتاب من آخره. حيث إن نشرتنا هذه تشمل ولأوّل مرّة في تاريخ النشر ومنذ عهد غوتمبرغ، كلّ أجزاء تجارب الأمم الستة مع ذيله وفهارسه، لتصبح في النهاية ثماني مجلدات.

هذا، وقد شاءت الأقدار أن لا يكون فراغنا من هذا العمل إلّا في عامنا هذا بالذات، الذي صادف السنة الألف من وفاة مسكويه من ناحية، والسنة الدولية لحوار الحضارات من ناحية أخرى. لقد سبق أن عمل مسكويه الكثير من أجل هذا الحوار، فإنّه حكيم إسلامي غنوصي برغماتي، فلسف التاريخ ونظر في تاريخ الأمم والشعوب المعتدّة بها في ذلك العصر وحسب مصادر كانت في متناوله، للتعرف على مناحي حياتهم ولاستخلاص

تجاربهم والتنبيه على مواضع الإعتبار منها، كما درس آداب العرب والفرس واليونان والهند وذلك لإكمال الـ «جاوذان خرد» أي الحكمة الخالدة التي وجد نواتها عند الفرس الأقدمين وألفاها تعم الإنسانية جمعاء؛ كما خدم الإنسان من حيث هو إنسان ومن دون أي انتماء، وذلك بمحاولته الرائدة المعترف بها لدى الجميع في فلسفة الأخلاق التي لم تكن مدونة قبله، الفلسفة التي لا تهدف إلا لسعادة الإنسان القصوى، ولا تنشد إلا رقيّه إلى كماله الأعلى، الخاص واللائق به والمتوقع منه، ولا يقصد إلا تقويم سلوكه وذلك لإتقاده ممّا اعتاد أن يعانيه طيلة حياته.

وفي الختام، نسأل الله تعالى شأنه، وذلك بعد شكره على هذا التوفيق، أن يوفّقنا في إكمال الترجمة الفارسية لهذا الكتاب أيضاً وفي إتمام ما تبقى من العمل لسائر مصنفات هذا العالم العَلم الإيراني الإسلامي نصّاً وترجمةً، وفي نشر دراستي المستقلة الشاملة، الخاصة بمسكويه ودوره العلمي في عصره، والتي أودّ أن تكون آخر حلقة من هذه السلسلة، وذلك لسدّ الفراغ المشهود على هذا الصعيد، في لغتنا الفارسية.

الدكتور أبو القاسم امامي

طهران - شتاء ١٣٧٩ ش. / ١٤٢١ ق. / ٢٠٠١ م.



مركز تحقیق کتاب‌پویر علوم اسلامی

تصدير عام حول مسكويه وتصنيفه تجارب الأمم

مناهل دراسته

لم يرد في المصادر القديمة التي وصلت إلينا حتى اليوم، ذكر بالتفصيل عن حياة مسكويه يجيب على الكثير من الأسئلة المطروحة أمام دارسيه. وكل ما لدينا هو نصوص مبعثرة في هذا المصدر أو ذاك، تناقلها أصحاب التراجم ومؤرخو الحكمة، وهي نزر قليل للغاية. ومن حسن الحظ أن نرى حكيماً من كبار الحكماء المعاصرين لمسكويه، ممن يعرف مسكويه عن كثب ويقدر القيم التي تنطوي عليها شخصيته، نراه ولم يقنعه ما كتبه عن مسكويه في كتابه والذي ليس إلا بقدر ما كتبه حول الحكماء الآخرين بالاختصار والتلخيص، بل يعدنا فيه أنه سيخصص رسالة بمسكويه يعالج فيها مزيداً من تفاصيل حياته. وهذا الحكيم هو أبو سليمان المنطقي السجستاني الذي يعد بدوره من أعظم الحكماء في تلك الحقبة. ثم نرى - وهذا من سوء الحظ - أن ما وعده أبو سليمان لم يصل إلينا، سواء كان لم يوفق في إنجاز ما وعد، أو لأنه أنجزه، ولكن صروف الدهر هي التي حرمتنا هذه الوثيقة القيمة التي كان من شأنها أن تغنينا مما هو مبعثر هنا وهناك، وليس إلا ترداداً لقليل من الكثير اللازم في التعرف على حياة مسكويه. أمّا ما وعده أبو سليمان، فهو ما قاله في كتابه صوان الحكمة :

«... أمّا ما سمعته من مجارى حياته، وشاهدته من سيره الحسنة، وأخلاقه الطاهرة، فسأفرد فيه رسالة أقصرها على ذلك، إذ ليس يحتمل هذا الموضع

أكثر ممّا ذكرته.»

وكان ظهور هذا الوعد الفريد فى الصوان، ومصيره المجهول بعد ذلك، بالنسبة للمعنيين بدراسة مسكويه «غمامة أبرقت - كما قال القائل - قوماً عطاشاً، فلمّا رأوها، أقشعت وتجلّت» ولم تمطر ما يشفى غليلهم.

وأما تصنيفه تجارب الأمم، الذى ضعّنه فى الجزأين الأخيرين منه حوادث عصره، ومن خلالها بعض حوادث حياته، فهذا المصدر أيضاً، يتوقّف عند سنة ٣٦٩ هـ، وهذا يعنى أنّ مسكويه عاش بعد ذلك حوالى نصف قرن، تاركاً كتابة الحوادث المتبقية من عصره، الحوادث التى كان من شأنها أن تلقى مزيداً من الضوء على النصف الثانى من حياته أيضاً، وذلك من خلال اتّصاله الوثيق بالشخصيات الدخيلة فى تلك الحوادث، حيث كان مسكويه من وجوه أوساطهم.

ومهما يكن من أمر المصادر، فإننا لا نعلم هنا الخوض فى تفاصيل حياة مسكويه، بل نكتفى بإيراد أهمّ المصادر التى فيها ترجمة أو ذكر لمسكويه، نثبتها فى أربع فئات :

أ. آثاره كسيرة ذاتية :

إنّ مسكويه قد يتحدّث فى مطاوى آثاره عن نفسه، بأحاديث لها دلالات مهمّة فى معرفة أحواله وبعض نواحي حياته، وأخصّ بالذكر كتابه: تهذيب الأخلاق، وكتابه الآخر: الهوامل والشوامل، والجزءين الخامس والسادس من تجارب الأمم.

ب. المصادر المعاصرة لمسكويه (٣٢٠ - ١٤٢١ هـ) :

١. أبو حيّان التوحيدى (٣٢٠ - ٤١٤ هـ) فى الإمتاع، والمقاسبات، ومثالب الوزيرين، والصداقة والصديق.

٢. أبو سليمان المنطقى (العقد الأوّل من القرن الرابع - ٣٩١ هـ) فى كتابه صوان الحكمة.

٣. أبو منصور الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) فى تنقّة اليتيمة. وأمّا ما ذكره عن مسكويه فى

اليتيمة نفسها فلا يتجاوز نقل بيّتين من شعر مسكويه قالهما فى ابن العميد.

٤. أبو بكر الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٢ هـ) في رسائله.
٥. بديع الزمان الهمذاني (... - ٣٨٩ هـ) أيضاً في رسائله.

ج. المصادر المتأخرة عن عصر مسكويه :

١. البيهقي (المتوفى سنة ٥٧٥ هـ) في مخطوط كتابه تاريخ حكماء الإسلام، عند كلامه عن الفيلسوف ابن الطيّب وتطاول ابن سينا على علماء عصره. وهو مخطوط يتشابه كما قال عزّت (ص ١٤٦) في هذا الموضوع وغيره مع كتاب آخر مطبوع هو تنمة صوان الحكمة، بل هما كتاب واحد بعنوانين مختلفين، نشر عزّت في كتابه (ص ١٤٦) النصّ الخاصّ بمسكويه، كما نشر الكتاب بكامله في دمشق سنة ١٩٤٣.
٢. ابن أبي أصيبعة (٥٧٩ - ٦١٦ هـ) في عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
٣. ياقوت (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) في معجم الأدباء أو إرشاد الأريب.
٤. القفطي (٥٦٤ - ٦٥٦ هـ) في إخبار العلماء بأخبار الحكماء.
٥. الشهرزوري (عاش شطرى القرنين السادس والسابع) في مخطوطة نزّهة الأرواح وروضة الأفراح. وتجدر النصّ منشوراً في عزّت (ص ١٤٤). وكلام الشهرزوري في هذا النصّ اقتضاب محرّف من كلام أبي سليمان المنطقي في نشرة بدوى (ص ٣٤٦). والعجيب من أمره أنّك تجد في نصّ الشهرزوري هذه العبارة : «إلى وقتنا هذا» دون إشارة إلى أنّ الكلام لأبي سليمان وأنّ الوقت وقته ووقت مسكويه.
٦. الصفدى (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات. ترجم له في هذا الكتاب بترجمة وافقت ترجمته في معجم ياقوت.
٧. حاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) في كشف الظنون.
٨. عبدالله أفندى التبريزى الاصفهاني (من أعلام القرن الثمانى عشر) في رياض العلماء.
٩. الخوانسارى (١٢٢٤ - ١٣١٣ هـ) في الروضات.
١٠. السيد حسن الصدر (١٢٧٢ - ١٣٥٤ هـ) في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، وفي الشيعة وفنون الإسلام.

١١. محمد علي مدرس (١٢٩٦ - ١٣٧٣ هـ) في ربحانة الأدب.

١٢. الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هـ) في الذريعة، وذلك عند ذكره لآثار مسكويه.

د. الدراسات الحديثة :

أما الدراسات الحديثة التي قام بها الباحثون في الشرق والغرب، فبالإضافة إلى ما نشر منها في دوائر المعارف، أو في تواريخ الفلسفة الإسلامية، أو في الفهارس، أو في المجلات العلمية، أو في معاجم الأعلام، أو في مقدمة النشرات لآثار مسكويه، وغيرها؛ فإن هناك دراسات أخرى مسهبة مستقلة، أنجزت أيضاً، حول مسكويه ونقد آثاره وتقييم أعماله العلمية. وهي حسب تاريخ النشر: الدكتور عزيز عزت: «ابن» مسكويه وفلسفته الأخلاقية ومصادرها (القاهرة ١٩٤٦ م)؛ والدكتور عبدالرحمن بدوي: مقدمته المسهبة على نشرته لجاويدان خرد (الحكمة الخالدة القاهرة ١٩٥٢ م.، طهران ١٣٥٨ هـ. ش.)؛ والدكتور عبدالحق أنصاري: فلسفة مسكويه الأخلاقية (بالإنجليزية عليه ١٩٦٤ م)؛ M.S.Khan: مسكويه، حياته وآثاره، بالإنجليزية. أخبرنا بذلك في نشرته لرسالة مسكويه في ماهية العدل (ليدن ١٩٦٤ م. ص ١ حاشية ١) ولكننا لم نجد أي إشارة إلى هذا الكتاب في الدراسات التي أنجزت بعد ذلك؛ والدكتور م. أركون (M. Arkoun): الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، مسكويه الفيلسوف والمؤرخ (باللغة الفرنسية، باريس ١٩٧٠ م؛ وباللغة العربية: نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيد، بيروت، دار الساقي ١٩٩٧ م.)؛ وأخيراً فإن لنا أيضاً دراسة شاملة عن مسكويه باللغة الفارسية حاولنا من خلالها سد الفراغ المشهود هنا في إيران، مع العلم بأنه رازي، أي إيراني. هذا علاوة على هذا التصدير الذي بين يدي القارئ، والذي نُقل بتمامه وعن طبعته الأولى، في مستدركات أعيان الشيعة في مادة «أحمد مسكويه»؛ ومقدمتنا لترجمتنا الفارسية لهذا الكتاب؛ وما كتبناه في مادة «أبو علي مسكويه» في «دايرة المعارف بزرگ اسلامي» (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) المعاد نشره في «ذكرى ألفية أبي علي مسكويه» التي أقيمت في مدينة قم في هذا العام.

الفترة التي عاشها

عاش مسكويه حوالي مائة سنة، ووصل إلى أرذل العمر الذي امتد من سنة ٣٢٠ هـ على الأقوى، إلى التاسع من صفر سنة ٤٢١ هـ. بالتحديد على ما ذكره ياقوت نقلاً عن يحيى بن مَندة. ويبدو أن مرجليوث هو أول من حاول تحديد مولد مسكويه، وذلك في المقدمة التي قدّمها لترجمته الإنجليزية للجزأين الأخيرين من تجارب الأمم وذيل الروذراورى له (أنظر: Ecl., Pref., P. ii). فنراه وقد حدّد مولد مسكويه «مؤقتاً» سنة ٣٣٠ هـ، ثم يعود قائلاً: «أو أسبق بقليل». ثم يحاول الدكتور عزّت (ص ٧٩ - ٨٠) تقديم هذا التاريخ من ٣٣٠ إلى ٣٢٥ هـ. كما يقدّمه الدكتور عبدالرحمن بدوى (ص ٢٠ - ٢١) أكثر من ذلك ويجعله سنة ٣٢٠ هـ. قائلاً: «إن لم يكن قبل ذلك». وأمّا الدلائل أو الأمارات الموجودة لتحديد مولد مسكويه فهي:

١. ما قاله مسكويه نفسه في تجارب الأمم في مقدمة حوادث سنة ٣٤٠ هـ. فصاعداً، ذاكرًا مصادره في تقرير تلك الحوادث، قال:

«أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة، [أى بعد سنة ٣٤٠ هـ.] فهو عن مشاهدة وعيان، أو خبر محصل يجرى عندي خبره مجرى ما عاينته. وذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما دبره وما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة والسكون إلى صدقه، ومثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، وذلك بطول الصحبة وكثره المجالسة، وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة، وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره، وما شاهدته وجربته بنفسى فسأحكيه أيضاً بمشيئة الله.»

٢. ما قاله مسكويه فى تجارب الأمم أيضاً عن نفسه، (أنظر حوادث سنة ٣٤١)، وذلك

عند ذكر معز الدولة بالحدة والبذاءة، وموقف الوزير المهلبى من أخلاقه. قال مسكويه :
«وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذيء اللسان، يكثر سب وزرائه
والمحتشمين من حشمه، ويفترى عليهم، فكان يلحق المهلبى - رحمه الله -
من فحشه وشتمه عر ضه ما لا صبر لأحد عليه، فيحتمل ذلك احتمال من لا
يكترث له وينصرف إلى منزله، وكنت أناديه فى الوقت، فلا أرى لما يسمعه
فيه أثراً، ويجلس لأنسه نشيطاً مسروراً....»

أما فى الدليل الأول فيحدثنا مسكويه عن «طول الصحبة وكثرة المجالسة» التى كانت
بينه وبين الوزير المهلبى، وفى الدليل الثانى يقول: «وكنت أناديه فى الوقت»
والمعروف أن المهلبى قد تولّى الكتابة لمعز الدولة سنة ٣٣٩ هـ. وخطب بالوزارة سنة
٣٤٥ هـ. وتوفى فى شعبان سنة ٣٥٢ هـ. (أنظر التجارب، حوادث سنة ٣٣٩، ٣٤٥، ٣٥٢)،
والفترة الواقعة بين سنتى ٣٣٩ و٣٥٢ هـ التى كانت فيها تلك المناداة والصحبة والمجالسة
التى وصفها مسكويه بالكثرة والطول. نعم صحيح أنه «قد صحب الوزير المهلبى فى أيام
شبيبته» - كما صرح به أبو سليمان أيضاً فى الصوان (ص ٣٤٦ - ٣٤٧) - ولكن مسكويه فى
هذه الشبيبة، لا يمكن أن تكون سنه أقل من ٢٥ سنة، وخاصة بالنظر إلى أنه «كان من
خواصه ووجوه المختصين به» - كما أضاف أبو سليمان - وكان من الحنكة والبصيرة على
مستوى جعل المهلبى يتخذه نديماً له و«يخبره بأكثر ما جرى فى أيامه»، كما جعل مسكويه
بالذات يعد نفسه مصدراً من مصادر تاريخ سنة ٣٤٠ فصاعداً، وذلك فى قوله: «وأنا أذكر
جميع ما يحضرنى ذكره، وما شاهدته وجربته بنفسى، فسأحكيه بمشيئة الله». فبذلك لا يصح
أن يكون مولده بعد سنة ٣٢٠، كما تكون مناديته وصحبته الطويلة ومجالسته الكثيرة
للوزير المهلبى ابتداء من عام ٣٤٥ أى دون احتساب الخمس السنوات الأولى (٣٣٩ -
٣٤٤ هـ). من وزارة المهلبى وذلك لبعض الاحتمالات السلبية التى قد تعترى هذا
الافتراض.

٣. وهناك دليل آخر، وهو دليل على طول عمره أكثر من كونه دليلاً على تحديد سنواته
أو تحديد ميلاده، وهو أن لمسكويه أبياتاً يشكو فيها «سوء أثر الهرم وبلوغه أرذل العمر»

(أنظر الثعالبي، التتمة ص ٩٦).

فبهذا لا نستبعد أن يكون مسكويه قد عمّر مائة سنة كاملة (٣٢٠ - ٤٢١) إن لم نقل أكثر من ذلك، وعاش قرناً كاملاً هو ألمع القرون الإسلامية حضارة، وهو عصر النهضة في الإسلام كما سمّاه آدم متز. وإذا عرفنا أن دولة البويهيين قد بدأت في سنة ٣٢٠ هـ، فيكون مسكويه والدولة البويهية، ترينين، أو، لذتين، تعاصرا قرناً كاملاً. والسنوات المائة هذه كانت قمة ازدهار تلك الدولة، وأما السنوات المتبقية من عمر الدولة (٢٧ = ٤٢١ - ٤٤٨ هـ) فهي سنوات تنحدر الأسرة البويهية فيها، إلى حضيض الضعف والاضمحلال. فبذلك، يصبح مسكويه وثيقة حيّة من أوثق وثائق تلك الحقبة التاريخية التي لها خصائص وميزات في تاريخ الفكر والعلم الإسلاميين، وإن كانت بالنسبة للخلافة العباسية عصر تفكك وتعدّد في مراكز الحكم، مع العلم بأن هذا بالذات، أدّى إلى تعدّد مراكز العلم أيضاً، كما أدّى إلى ازدهار تلك المراكز، ونبوغ العلماء المنتمين إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي آنذاك، وذلك لتنافس الأمراء وتفاخرهم فيما بينهم باجتذاب العلماء والأدباء إلى بلاطاتهم. فنبغ في غضون ذلك رجال علم وحكمة وأدب وسياسة عاصروهم مسكويه وعاصروه، وكان مسكويه على اتصال وثيق بكثير منهم.

مسكويه، لا ابن مسكويه

واختلفوا لاسيّما في القرون الإسلامية الأخيرة في أنّه: من هو الملقّب بمسكويه؟ هو، أي أحمد، أو أبوه محمد، أو جدّه يعقوب؟

والواقع أن مسكويه لقبه هو، أي لقب أحمد، وأما الاختلاف الموجود بهذا الصدد، فيرجع أولاً، إلى عدم الإنتباه إلى التسمية التي سمّاه بها معاصروه من أصدقائه وزملائه، وثانياً، لأنّ بعض المتأخرين رأوا مسكويه يسمّى نفسه بشكل لا يمكن معه البتّ، لو لم نستدلّ بما دعاه به معاصروه. فإنّنا نراه قد يسمّى نفسه «الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكويه» (أنظر التجارب، المخطوطة المصورة 6,182؛ 5,480 والمطبوعة من نشرتنا، ج ٥ : ١٧٠؛ ج ٦ : ٤١٠؛ جاويدان خرد [الحكمة الخالدة] : ٣٧٥)، كما قد يسمّى «أحمد بن محمد بن يعقوب

مسكويه» (أيضاً جاويدان خرد ص ٥؛ ورسالته إلى أبي حيّان في ماهيّة العدل، ص ١٢).
 فوقوع «مسكويه» تارة بعد اسمه أحمد، وتارة بعد اسم أبيه محمد، وتارة بعد اسم جدّه يعقوب، كان سبب الخطأ الذي شاع في ما بعد، في ضبط اسم مسكويه، فأوهم بعض الكتاب أنّ مسكويه لقب لأبيه، أو جدّه، فكتبوه: «أحمد بن مسكويه»، أو: «أحمد بن محمد بن مسكويه» أو بشكل أغرب: «أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه»، بمعنى أنّ «مسكويه» أصبح لقباً لأبي جدّه (أنظر الخوانساري، الروضات ١: ٢٥٤؛ والطهراني، الذريعة ٣: ٣٧٤).
 والحقيقة أنّه عندما يقال: «أحمد مسكويه» أو «أحمد بن محمد مسكويه»، أو «أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه»، فالقصد أن يجيء اللقب بعد أحمد أي بعد اسمه، فإذا ذكر الاسم وحده فاللقب يتلوه مباشرة. ولكن إذا ذكر الاسم مخصّصاً بذكر اسم الأب، فيجىء اللقب بعد ذكر الأب، وإذا كان هناك تخصيص آخر بذكر اسم الجدّ فيأتى اللقب بعد ذكر اسم الجدّ، وهكذا. لأنّ مسكويه ذاته لم يذكر اسمه متلوّاً باسم أبيه، أو جدّه دائماً، بل نراه أحياناً يذكر لقبه بعد كنيته (أبي علي) فقط، ونراه يفعل ذلك بتكرار مشهود يبدّد كلّ الشكوك بهذا الصدد.
 ففي شوامله على هوامل أبي حيّان التي يبلغ عددها ١٧٥ مسألة، نراه يذكر اسمه في مستهلّ كل جواب بقوله: «قال أبو علي مسكويه» اللهم إلّا في الإجابة الأولى، حيث يذكر اسمه متلوّاً باسم أبيه فيقول: «قال أبو علي أحمد بن محمد مسكويه»، أي لمرة واحدة فقط، وذلك لتخصيص اسمه باسم أبيه كما أشرنا إلى ذلك. فأحمد نفسه هو الملقّب بمسكويه، وهو ليس ابناً لمسكويه، أو سبطاً له.
 وأمّا المعاصرون لمسكويه (٣٢٠ - ٤٢١ هـ) الذين سمّوه في كتبهم «مسكويه» فهم: أبو سليمان المنطقي (٣١٠ - ٣٩١ هـ) في صوان الحكمة: ص ٣٢١، وأبو حيّان التوحيدي (٣٢٠ - ٤١٤ هـ) في الإمتاع: ١: ٣٥، ١٣٦، ٢٢٧، وفي الصداقة والصديق: ٦٧ - ٦٨، وفي مثالب الوزيرين: ١٨ - ١٩؛ وأبو منصور الثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) في تميّة اليتيمة ١: ٩٦؛ وأبو بكر الخوارزمي (٣٨٢ هـ...) في رسائله: ١٠٢. وأمّا بديع الزمان الهمذاني (٣٨٩ هـ) فنقل ضبطه ياقوت في معجم الأدباء حيث قال: «وللبديع الهمذاني إلى أبي علي مسكويه» على أنّ هناك طبعة غير محققة من رسائل البديع (ص ١٠٠، ٣٢٣) ورد فيها اسم

مسكويه بصورة خاطئة هكذا: «أبو علي بن مشكويه» فلو كان ضبط البديع كمصدر لياقوت مخالفاً لضبط ياقوت، أو ضبط أبي حيان، أو ضبط ابن مندة، من الذين ذكرهم ياقوت في معجمه؛ لكان ياقوت ذكر هذا الاختلاف.

وأما القدماء من غير معاصري مسكويه الذين سَمَوْه «مسكويه» فهم: الروذراوري (٤٣٧ - ٤٨٨ هـ) في مقدمته على الذيل؛ وابن أبي أصيبعة (٥٧٩ - ٦١٦ هـ) في عيون الأنباء (الطبعات الثلاث: ص ٢٤٥، ص ٢٣٦، ص ٣٣١)؛ وياقوت في معجم الأدباء (نشرة مرجوليوث ج ٥: ص ٦٠، ١٠، ١١)؛ والصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) نقل كلام ياقوت بتمامه (أنظر مرجوليوث في نشرته لياقوت ٥ : ٥ الحاشية). وقد صرح ياقوت بأن مسكويه لقب لأحمد حيث ذكره في عنوان كلامه بقوله: «أحمد بن محمد بن يعقوب الملقَّب مسكويه» (برفع «الملقَّب»). والحق مع مرجوليوث حيث ضبط «الملقَّب» بالرفع نعتاً لأحمد لا ليعقوب، وذلك لأن مرجوليوث شاهد بوضوح أن ياقوت نفسه يكرّر ذكر مسكويه في خمسة مواضع (ناقلًا عن معاصريه) بلفظ مسكويه، فلم يتردّد في ضبط «الملقَّب» بالرفع إذا كان الضبط منه وليس من مخطوطة معجم الأدباء؛ ونحن نعتبر ابن مندة أيضاً من الذين ذكروا مسكويه «مسكويه» حيث نرى ياقوت ينقل عنه بنفس الضبط. ومن هؤلاء القدماء القفطي (٥٦٤ - ٦٤٦ هـ) في تاريخ الحكماء (ص ٣٣١) ونصيرالدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ) في أخلاق ناصري (باللغة الفارسية ص ٣٦، ٣٥)؛ وحاجي خليفة (المتوفى ١٠٦٧ هـ) في كشف الظنون؛ والسخاوي (القرن التاسع) في التوبيخ (ص ٣٩).

وأما في الموسوعات ودوائر المعارف، فهو مسكويه أيضاً في: دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة ١٩٧١ م، الإنجليزية والفرنسية) انسحاباً من الموقف في الطبعة القديمة، ففي تلك الطبعة ورد «ابن مسكويه» كما في الطبعة العربية والطبعة الفارسية (دانشنامه ايران واسلام)؛ وهو مسكويه أيضاً عند دهخدا في لغتنامه؛ وكذلك في دائرة المعارف للبستاني؛ كما صرح العامل في الأعيان بقوله: «مسكويه لقب أحمد نفسه كما صرح به جماعة....» أما الدراسات المستقلة التي نشرت عن مسكويه، فهو في كلها مسكويه كما رأيت من عناوينها التي سبق أن ذكرناها.

ومن بين المستشرقين فإن مرجوليوث أيضاً صرح بقوله: «إن مسكويه لقب له بالذات لا لأبيه وهذا يظهر بجلاء كثير من كلام معاصريه...» (أنظر Ecl., Preface, ii) وكذلك برجستر أيسر الذي أورد مواضع جاء فيها «مسكويه» بدون «ابن» (أنظر: ZDMG, 65, p. 674)؛ كما أخبرنا الدكتور عزت عن مخطوطات رسائل مسكويه (مجموعة راغب باشا) جاء فيها ضبط «مسكويه» بالصورة الصحيحة.

أما ما ورد في مخطوطة كتاب تاريخ الحكماء للسيبهي (أنظر عزت: ١٤٦) أو في مخطوطة نزهة الأرواح للشهرزوري حيث جاء «ابن مسكويه» فهو اقتضاب محرف خاطئ من صوان الحكمة لأبي سليمان، ونحن عرفنا ضبط أبي سليمان سواء في ما نقله عنه ياقوت، أو في الصوان نفسه في نشرة بدوي (ص ٣٢١، ٣٤٦). فهاتان المخطوطتان لا يمكن الاعتماد عليهما، ولعل أخطاء المتأخرين في ضبط اسم مسكويه إنما نشأ عنهما.

وأما ما جاء في مخطوطة ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) الذي كتبه بخط يده (المتحف البريطاني، الإضافات، رقم ٢٥٧٣٥، ورقة ١٠ ب) والذي اعتمد عليه بروكلمن (GAL، الملحق ١: ٥٨٢ رقم ١) وقال «من المحتمل أن يكون مسكويه - وأصله مشكويه - لقب جدّه» كما فعل آمذ روز (Note on the Hist. P. XVI) فمردود مادام مسكويه ومعاصروه الكبار يشهدون بخلافه.

فبذلك كله، وفي نهاية المطاف، فهو: مسكويه، أي هو أبو علي أحمد مسكويه (ابن محمد بن يعقوب) أي اللقب له، لا لأبيه، ولا لجدّه.

مسكويه : مُشكويه

إن الأصل الفارسي لمسكويه هو «مُشكويه» كما جاء في بعض طبعات رسائل الهمداني، وعند دولتشاه السمرقندي (القرن التاسع الهجري) في تذكرة الشعراء، (ص ٢٤) وعند يوستي في الأسماء الإيرانية (بالألمانية، ص ٢١٨)، وعند بروكلمن (الملحق ١: ٥٨٢ الحاشية) وعند جب (Gibb) في دائرة المعارف الإسلامية، وكذلك عند لفيف من الكتاب الإيرانيين منهم سعيد نفيسي في ترجمته لابن سينا (ص ١٣١)؛ دانش پژوه على ظهر نشرته

لجاويدان خرد.

أما في تاريخ كمبردج فالشكل الفارسي للاسم هو بالسين: مسكويه: Muskuya (أنظر the Camb. Hist. of Iran, vol. 4, p. 429-30). وهذا غريب. لأن النطق الفارسي للكلمة منذ عصر مسكويه، أو أسبق من ذلك، لا يعترف بوجود حرف السين فيها، مهما يكن من أمر أصلها في اللغات الهندو إيرانية القديمة. فالسين هذه علامة وجود شكلين لتعريب هذا الاسم: مسكويه، مُسكويه. والأول أوفق للنطق العربي والثاني أقرب إلى الشكل الفارسي: مُشكويه.

إن كلمة مُشكويه تركبت من جزأين: مُشك + أويّه (moshk+uyeh) أما الجزء الأول فهو في الفارسية بضم الميم وكسر ها، وأصله في السنسكريتية muska (مصغر: mus بالفارسية موش: الفأرة)، وفي اليونانية moskos، وفي اللاتينية muskus، ومعنى الكلمة: المادة العطرية المعروفة المأخوذة من غزال المسك، ولا حاجة إلى القول إنه عرّب إلى «مسك». قال الجوهري: المسك من الطيب فارسيّ معرّب. قال: وكانت العرب تسميه «المشموم». أما الجزء الثاني (أويّه) فهو لاحقة تلحق بالكلمات لبيان الاتصاف، أو النسبة، أو التصغير، أو الاستعطف، وأما إذا قلنا «مشك» (mashk) بفتح الميم، فمعناه جلده الغنم مدبوغاً وغير مدبوغ، أو الوعاء الذي يصنع منه ويجعل السقاء فيه الماء. وتعريبه «مسك» بالسين المهملة وبنفس المعنى (أنظر اللسان، نفس المادة). وهذا الشكل بمعناه ربما يهم الذين ضبطوا «مسكويه» بفتح الميم، كما نجده عند مرجوليوث في نشرته لمعجم ياقوت (٥ : ٥ - ١٧) مع العلم بأنه ذكره بكسر الميم في مقدمته لترجمة تجارب الأمم.

أما المعاني التي أوردها أصحاب القواميس الفارسية لكلمة «مُشكويه» (= مُشكوى moshkuy = مُشكو moshku) فهي: بيت الأصنام. سرادق الملوك. القصر. الطابق فوقاني من البيت. كما أن مُشكوي Moshkuyi اسم لنغمة موسيقىّة. (أنظر معين: نفس المواد).

وهناك ملاحظة أخرى حول كلمة «مُشكويه»، وهي أنها اسم - كما قال المؤرخون الجغرافيون - لبليدة من أعمال الري بينها وبين الري مرحلتان على طريق ساوه (أنظر مرصد الاطلاع: نفس المادة؛ والمقدسي: ص ٤٠٠، وأشباههما من المصادر)، ولذلك اعتقد

بعضهم بأن مولد مسكويه هو بليدة مُسكويه هذه. (أنظر: رى باستان [الرى الأثرية]: ٦٢٥). وقال الدكتور عزّت بهذا الصدد: إنّ مسكويه لقّب بمسكويه ربما لأنّه كان يحبّ هذا العطر، ويفضّله، ويتطيّب به، وهو فى بعض أشعاره (أنظر التتمة: ٩٨) يستعمل كلمة المسك للمقارنة الحسنة، فهو يشبّه خيار الناس وفضلاءهم بالمسك فى قوله:

والناس فى العين أشباهٌ وبينهم ما بينَ عامرٍ بيتِ الله والخربِ
فى العود ما يُقرنُ المسكُ الذكىُّ به طيباً، وفيه لقى مُلقى مع الحطَبِ

وكم كان بودّنا أن نجد دليلاً نعتمد عليه على أن مسكويه من بليدة مشكويه من أعمال الرى - كما قيل - حتى يأتى دور التأمل فى كيفية استعمال النسبة بهذا الشكل فى اللغة العربية، لأنّها لو كانت نسبة فارسيّة بلا حقة «أويه»، لكان المنسوب هو «مُشك» ونحن نعلم أن البليدة اسمها «مشكويه»، فيلزم أن تكون النسبة إلى «مُشكويه» بأحد الأشكال التالية: مشكويجى (من الأصل الفارسى: مشكويكى، كخانجى وميانجى) أو: مسكويى بحذف ما يشبه تاء التانيث فى النسبة العربية: أو: مسكويهى، على وزن سيبويهى. ثم يأتى دور هذا السؤال: لماذا لم يقولوا: أبو على المسكويهى؟ أى لماذا لم يعرفوه بأل التعريف فى ضبطه العربى؟ إلا أن يقال: إنّ النسبة فى أصلها الفارسى كانت على شكل «مُشكويهى» وكانت تكتب بالصورة التقليدية: «مُشكويه» أى بأشياء صغيرة على شكل همزة على الهاء، ثم حذفت الهمزة استخفافاً بشأنها فى نهاية الكلمة، وعلى القاعدة القائلة: «تلك كلمة أعجميّة فاعبوا بها كيف شئتم» فقبل فى التعريب: مسكويه على وزن سيبويه ونسى أمر التعريب فأصبحت النسبة لقباً له، ثم ابتليت بمصير سائر الكلمات الفارسية المختومة بـ «ويه» التى تنوس بين ضبط «أويه» (uyah) و «ويه» (wayh)، ومادنا لم نتوصل إلى دليل مقنع يدلّ على صحّة أحد هذه الفروض، فلا يمكن الإطمئنان إلى أى شىء يقال بهذا الصدد.

أوصافه وألقابه الأخرى

لقد وصفه المترجمون له من القدماء والمتأخرين بقولهم: الحكيم، المتكلم، الفيلسوف، الأخلاقي، المؤرخ، الرياضي، المهندس، اللغوي، الأديب، الشاعر، الكاتب، الذكي، الناقد، النافذ الفهم، الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين ولغاتهم المتروكة. كما كان من ألقابه، علاوة على لقب مسكويه: الخازن، والنديم، كما لقّب بالمعلم الثالث، مع أن اللقب كان قد ترشح له ابن سينا أيضاً. ويقال إن مسكويه لقّب بالمعلم الثالث لدوره الفذ الذي لعبه في إعادة بناء الفلسفة اليونانية في فرعها العملي، أي في فلسفة الأخلاق، وجمع أشتاتها وتمحيصها وترخيص أركانها، بصورة لم يزد عليها أي مصنف صنف في فلسفة الأخلاق حتى زماننا هذا. أضف إلى ذلك أن أبرز كتاب في الأخلاق، ظهر في اللغة الفارسية، هو كتاب: أخلاق ناصري، الذي ليس إلا ترجمة لكتاب مسكويه: تهذيب الأخلاق، نقله إلى الفارسية نصيرالدين الطوسي وكان معجباً بمسكويه وكتابه إعجاباً كبيراً يعرب عنه بأبياته المعروفة التي نظمها في زمن سابق وقبل أن يقوم بترجمته، وأولها: «بنفسى كتاب حاز كل فضيلة...» (أنظر أخلاق ناصري: ٣٦).

إن هذه الألقاب والنعوت التي لقّب بها مسكويه ونعت، لهي دليل على تعدد عناصر شخصيته وسعة آفاقه في العلم والحكمة، تعزّزه أدلة أخرى تتمثل في تلك الآثار الكثيرة القيمة التي تركها لنا، والتي نوردها هنا باختصار:

آثاره في حقول المعرفة

١. ترتيب السعادات ومنازل العلوم (= الترتيب، ترتيب السعادات، ترتيب السعادات ومنازل العلوم. أنظر التهذيب: زريق: ١٥، ٣٩، ٤٩، ٩١، ١٢٤؛ = السعادة. طبعة الطوبجي؛ = ترتيب العادات. أنظر العامل: ٥ : ١٠)؛ = المسعدة. أنظر: مجلس، ف ٧٠٠١ وفي الصوان هو اسم لكتاب آخر لمسكويه. وقد حققنا ونشرنا هذا الكتاب الصغير الحجم تحت عنوان: ترتيب السعادات ومنازل العلوم، وذلك في «مجموعه گنجینه بهارستان»؛ خزانة بهارستان،

حكمت ١، صص ٩٧ - ١٢٧، التي صدرت عن مكتبة ومتحف ومركز وثائق مجلس الشورى الإسلامى (طهران ١٣٧٩ هـ. ش / ٢٠٠٠ م.) والكتاب شرح لمراتب السعادة الثلاث وتحديد دقيق لمراتب العلوم حسب مدرسة أرسطو وقيمتها فى الرقى بالإنسان نحو السعادة والكمال الإنسى (التهذيب: ١٥).

٢. الفوز الأصغر (= الفوز الصغير. أنظر الصوان، بدوى: ٣٤٧؛ والقفطى: ٣٣٢) وقد يسمّى الكتاب باسم آخر هو: كتاب الجواب عن المسائل الثلاث. اختصر إقبال اللاهورى نظام مسكويه الفلسفى من خلال الفوز الأصغر، وقال: «بأنى أ طرح الفلسفة الأولى لمسكويه التى لاشك أنّها أكثر انتظاماً من فلسفة الفارابى، كما استبدل الفلسفة الأفلاطونية الحديثة لابن سينا، بالخدمة الأصيلة التى أدّاها مسكويه تجاه فلسفة بلاده». (أنظر: سبر فلسفه در ايران: ٣٣).

٣. الهوامل والشوامل. وقد استعار أبو حيان التوحيدى كلمة الهوامل لأسئلته المبعثرة التى تنتظر الجواب (١٧٥ مسألة) واستعمل مسكويه كلمة الشوامل فى الإجابات التى أجابه بها، فضبط بها هوامل أبى حيان التى كانت كالإبل المسيبة، لأنّ الشوامل هى الحيوانات التى تضبط الإبل الهوامل فتجمعها (أنظر أمين، المقدمة ص «ج»).

٤. تهذيب الأخلاق (= كتاب الطهارة، كتاب طهارة النفس، طهارة الأعراق، أنظر نشرة زريق: ٩١، ١٠٤) أمّا تهذيب الأخلاق اسم أطلقه مسكويه أيضاً على هذا الكتاب فى كتابه الآخر: جاويدان خرد (أنظر نشرة دانش پژوه: ٢٤). وقد اتخذ اسم الكتاب أشكالاً مختلفة فى مخطوطات الكتاب. نقله نصير الدين الطوسى إلى الفارسية وسمّاه: أخلاق ناصرى؛ كما قال فيه وفى مؤلفه أبياته الأربعة المعروفة، إعجاباً بهما. ونقله أبو طالب الزنجانى أيضاً وبعده السيدة العالمة نصرت أمين إلى الفارسية، كما نقله زريق إلى الإنجليزية (بيروت ١٩٦٨ م) وأركون (M.Arkoun) إلى الفرنسية (دمشق، المعهد الفرنسى ١٩٦٩ م)، والكتاب يتألف من ستّ مقالات هى: الأولى فى مبادئ الأخلاق؛ والثانية فى الخلق وتهذيبه والكمال الإنسانى وسبيله؛ والثالثة فى الخير وأقسامه، والسعادة ومراتبها؛ والرابعة فى العدالة؛ والخامسة فى المحبة والصدقة؛ والسادسة فى صحّة النفس وحفظها.

٥. الفوز الأكبر (= الكبير) ليس للكتاب أثر في فهرس الكتب المطبوعة، بيد أن هناك رأياً قائلاً بكون الفوز الأكبر وتهذيب الأخلاق كتاباً واحداً، وليس كذلك، لدلائل أقمناها في بحثنا المستقل عن مسكويه. ونكتفى هنا بالقول: إن أبا سليمان أورد العنوانين لكتابين مختلفين (أنظر الصوان: ٣٤٧).

٦. فوز السعادة (= نور السعادة. أنظر العاملى ١٠: ١٤٦). نرجّح أن يكون الشبه القريب بين «فوز» و «نور» قد أدى إلى تصحيف جعل صاحب ربحانة الأدب (٨: ٢٠٨) يعدّهما عنوانين لكتابين مختلفين وهما كتاب واحد. كما أن موضوع الكتاب يظهر من عنوانه بجلاء.

٧. رسائل فلسفية. محفوظة في مجموعة راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣. وهذه الرسائل مختصرة تبلغ صفحاتها ٣٢ صفحة وتتراوح بين صفحة واحدة و١٦ صفحة وعناوينها هي: أ. رسالة في اللذات والآلام؛ ب. رسالة في الطبيعة؛ ج. رسالة في جوهر النفس والبحث عنها؛ د. رسالة في العقل والمعقول؛ هـ. رسالة في النفس والعقل؛ و. رسالة في إثبات الصور الروحانية التي لا هيولى لها؛ ز. ما الفصل بين الدهر والزمان.

٨. رسالة في ماهية العدل. العنوان الكامل لها كما جاء في مستهل المخطوطة الموجودة في مشهد (١: ٤٣، ٤٤ / ١٣٧) هو: رسالة الشيخ أبي على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه إلى على بن محمد أبي حيّان الصوفى، في ماهية العدل وبيان أقسامه.

٩. جاويدان خرد. قال مسكويه عنه:

«... فهذه جعلت نحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات، ولولا أنا قد أحكمنا لك الأصول كلّها في كتابنا الموسوم بتهذيب الأخلاق، لأوجبنا لك إيرادها هاهنا، ولكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كلّ أمة ونحلة، وتبعنا فيه صاحب كتاب جاويدان خرد [أحد ملوك الفرس الأقدمين] كما وعدنا به في أوله، ولأنّ موضوع الكتاب الأوّل كتاب فارسيّ، وجب أن نبدأ بآداب الفرس ومواعظهم، ثمّ نتبعها بآداب الأمم الآخرين.»

فإذن، القسم الأوّل للكتاب بُنى على جاويدان خرد من تأليف قدامى الفرس، والقسم الثانى هو آداب الأمم الأخرى، بدأها بآداب الفرس المتأخرين (إلى ما قبل الإسلام). وأمّا آداب الأمم الأخرى فهى: آداب الهند، آداب العرب، آداب الروم (منها لغز قابس)، حكم الإسلاميين.

١٠. آداب الدنيا والدين. ذكره العاملى (١٠: ١٤٥) وصاحب الذريعة (١: ٣٨٧) بفارق أن الأخير ضبطه «أدب الدنيا والدين» ومصدرهما صاحب الروضات الذى نقل بدوره عن النراقى فى الخزائن. كل ما نقله الخوانسارى بشأن هذا الكتاب هو ما أورده فى حاشية الروضات (١: ٢٥٥) وهذا نصّه:

«وقال المحقق النراقى فى كتابه الخزائن: قال (ابن) مسكويه فى كتاب آداب الدنيا والدين: الفرق بين السرف والتبذير، أن السرف هو الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق. انتهى.»

ثم قال صاحب الروضات: «وظنّى أن الغالب على كتابه هذا الذى لم نذكره فى المتن، متون اللغة، وأصول المعرفة مع شىء من مراسم الشريعة وأحاديث العلم والحكمة، فيلاحظ إن شاء الله منه ره.»

١١. أنس الفريد. هذا هو عنوانه عند أبى سليمان فى الصوان: (٢٤٧)، وياقوت (٥: ١٠) والقفطى (٣٣١) والشهرزورى (أنظر عزّت: ١٤٤)، وعنوانه: نديم الفريد، عند كل من الخوانسارى (١: ٢٥٥) والعاملى (١٠: ١٤٦). قال ياقوت: «وله كتاب أنس الفريد وهو مجموع يتضمّن أخباراً وأشعاراً وأمثالاً غير ميوّب.»

وقال القفطى: «فمن تصانيفه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنّف فى الحكايات القصار والفوائد اللطاف.»

قال آدم متر (١: ٤٦٨)، وذلك بعد أن تحدّث عن تطور القصص المسلية والأسمار الأجنبية الظاهرة فى فنّ القصة منذ القرن الثالث، قال: «وأخيراً جاء دور مسكويه، وكان أكبر مؤرّخى القرن الرابع، فألف كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنّف فى الحكايات القصار

والفوائد اللطاف. وهذه القصص الجديدة، هي من نوع يغاير كل المغايرة القصص القديمة التي ألفها ابن قتيبة وصاحب العقد، ففيها نجد ولأول مرة تمام الأسلوب القصصي الإسلامي، أعنى طريقة القصص التي ليست عربية خالصة.»

١٢. الخواطر (= أنس الخواطر؟). ذكره أبو سليمان في الصوان باسم الخواطر ونقل منه نصاً تدلّ على أن الكتاب في النفس، وأنها جوهر بجهة وعرض بجهة، وما إلى ذلك.

١٣. حقائق النفوس. هكذا ورد عند العاملي (١٠: ١٤٦) وتبعاً له في ريحانة الأدب (٨: ٢٠٨) وهو مجال آخر لدراسات مسكويه النفسية.

١٤. كتاب السياسة للملك (العاملي ١٠: ١٤٦؛ والخوانساري ١: ٢٥٥) ذكره مسكويه في التهذيب. ذكر السيد حسن الصدر في كتابه التأسيس (ص ٣٨٤) كتاباً لمسكويه بعنوان: كتاب السياسة السلطانية. ونحن نظنّ أنه ليس غير كتاب السياسة للملك.

١٥. المستوفى في الشعر. ذكر هذا الكتاب بنفس العنوان عند كل من أبي سليمان (ص ٢٤٧) وياقوت (٥: ١٠). وذكره الشهرزوري (ص ٧٦؛ عزّت: ١٤٤)، والعاملي (١٠: ١٤٥). ولكنّ الخوانساري ذكره بوصفه لا بعنوانه. فقال عند إحصاء آثار مسكويه «... كتاب في مختار الأشعار» فأصبح ذلك عنواناً للكتاب عند صاحب الريحانة (٨: ٢٠٨). ذكره أبو سليمان قائلاً: «المستوفى في الشعر المشتمل على حلّ المختار منه.»

١٦. الرسالة المسعدة. ذكره مسكويه في التهذيب بنفس العنوان كما ذكره أبو سليمان (ص ٢٤٧) بعنوان «رسالة المسعدة» دون أيّ شرح له ولكن عنوان الرسالة - لو فرضنا أنه لكتاب غير ترتيب السعادات، (أنظر رقم ١) - فإنه ينطق بكونها دراسة في مسألة السعادة، لا سيّما بالنظر إلى ما نعرفه عند مسكويه من الإهتمام بموضوع السعادة.

١٧. فوز النجاة. ذكر الكتاب عند بعض من درس مسكويه هامشياً بعنوان: فوز النجاة في الاختلاف (= الأخلاق). يمكن أن يكون عنواناً ثانياً لكتابه الآخر المسمى فوز السعادة. ولكننا لا نستبعد أن يكون عنواناً لكتاب على حدة، بالنظر إلى كثرة ما كتبه مسكويه خصيصاً في علم النفس والأخلاق.

١٨. كتاب السير. ذكره ياقوت (٥: ١٠) كما عرّفه باختصار قائلاً: «... وكتاب السير،

أجاده، ذكر فيه ما يسيّر به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر، والآية، والحكمة، والشعر.» هذا كل ما أورده ياقوت ونقل عنه العاملى بتمامه (العاملى ١٠ : ١٤٦).

١٩. كتاب الجامع. ورد بنفس العنوان عند كل من ياقوت (٥ : ١٠) والعاملى (١٠ : ١٤٦). رجّح عزّت (ص ١٤٠) أنّه فى الطبّ، إن كان هذا صحيحاً يمكن القول: إنّه أجمع من كتاب الرازى المسمّى بالحاوى، لأنّ مسكويه درس الرازى وأكّب على كتبه، ثم كتب هذا الكتاب فى ضوء إجهاداته بعد تلك الدراسة.

٢٠. كتاب فى تركيب الباجات من الأطعمة (= كتاب الطبيخ. أنظر ابن أبى أصيبعة ص ٢٤٥). قال القفطى (ص ٣٣٢) وذلك عند إحصائه لكتب مسكويه الطبيّة: «... وكتاب فى تركيب الباجات من الأطعمة، أحكمه غاية الإحكام، وأتى فيه من أصول علم الطبيخ وفروعه بكلّ غريب حسن.» وقد ذكر الكتاب عند البعض بعنوان: كتاب البسيطخا وهو تصحيف لا محالة.

٢١. كتاب الأشربة. ذكره ابن أبى أصيبعة (ص ٢٤٥) بنفس العنوان، كما ذكره العاملى (١٠ : ١٤٦) بقوله: «كتاب الأشربة وما يتعلق بها من الأحكام الطبيّة.» واختصره أمين الدولة ابن التلميذ (ابن أبى أصيبعة ١/ ٢٧٦).

٢٢. كتاب فى الأدوية المفردة. هذا الكتاب تفرّد بذكر اسمه القفطى (ص ٣٣٢) فلم يذكره غيره من المترجمين لمسكويه، من أمثال ابن أبى أصيبعة الذى ذكر بعض آثاره فى الطبّ والعلاج.

٢٣. مختصر النبض. كتاب فى الطب، كتب لعضد الدولة البويهى، وهو متنازع فيه بين ابن سينا وبين أبى على مسكويه، أو أبى على مندويه. أمّا انتساب الكتاب إلى ابن سينا فمردود، لأنّه كان طفلاً عمره سنتان عندما مات عضد الدولة، ولذلك ذهب فيلسوف الدولة صاحب كتاب مطرح الأنظار إلى أنّ الكتاب لأبى على مسكويه أو لأبى على مندويه (أنظر الكود، تاريخ پزشکی ایران ص ٢٨٠).

٢٤. رسالة فى المحرّك والمحرّك. ذكرها مسكويه فى كتاب العقل والمعقول.

٢٥. رسالة فى الحكمة النادرة. ذكرها دفاع فى كتاب اسهام العرب (ص ١٤٨).

٢٦. رسالة في ذكر الحجر الأعظم. في الكيمياء، ٤٧ آ - ٤٩ آ، دانشگاه طهران ٩٤١ (GAS, 4, 291).

٢٧. رسالة في الكيمياء. اصغر مهدوى ٢٨٠ نشریه ٢ (GAS, 4, 291). ويتحدث سزگین عن مقارنة تمت بين هذه الرسالة ورسالة في ذكر الحجر الأعظم، وأنتجت أن العنوانين لرسالة واحدة.

٢٨. الكنز الكبير. بشير آقا ٥٠٥، ١٢٦ آ - ١٥٨ آ (GAS, 4, 291).

٢٩. تنمّة كتاب كنز الحكمة. (= الكنز الكبير؟) آستان قدس ١٤١٤٨، مجموعة (١) صص ٢٣١ - ٢٧٥. هذه التنمّة قدّمتها في المؤتمر السنوي العشرين لتاريخ العلوم عند العرب (حلب، ٢٥ - ٢٧ سبتمبر ١٩٩٩).

٣٠. تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتین. قال في الذريعة: «ذكر هذا العنوان صاحب الريحانة ولم نجد عند غيره. قال صاحب الريحانة [عند ذكره لآثار مسكويه]: تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتین في الأخلاق، وللمراغب الاصفهاني أيضاً كتاب في معرفة النفس بهذا العنوان».

٣١. أحوال الحكماء وصفات الأنبياء السلف. هكذا ورد العنوان عند الخوانساري (١): (٢٥٦)، وهو عند العاملي: «أحوال الحكماء السلف وصفات بعض الأنبياء السالفين».

٣٢. المختصر في صناعة العدد. إن أبا سليمان المنطقي (ص ٢٤٧) وبعده الشهرزوري (عزّت: ١٤١) يشيران إلى أن له مصنفات «في جميع الرياضيات و... والحساب و... ممّا هو متداول في الأيدي يقرأ عليه في أيام مجالسه». دون ذكر لعنوان واحد من عناوين آثاره الرياضية. بيد أن مسكويه نفسه ذكر في التهذيب اسم أحدها وهو: المختصر في صناعة العدد.

٣٣. فقر أهل الكتب. ذكره الشهرزوري (ص ٧٦، أنظر عزّت: ١٤١)، وهو كتاب قد يكون طريفاً كما نبّه عليه عزّت. لأن مسكويه ربما يعرض فيه نتائج تجربته الخاصة مع هذه الفئة التي احتكّ بها، والتي ينتمى إليها بحكم كونه خازناً لمكتبات الأمراء والوزراء البويهيين.

٣٤. رسالة في دفع الغم من الموت. هكذا ورد عند سزكين (3,336) حَقَّقَهَا لُويس شيخو ونشرها تحت عنوان رسالة في الخوف من الموت (عام ١٩١١ م.)، ونسبها خطأ إلى ابن سينا وهي من مسكويه (أنظر أخلاق ناصري، نشرة مينوي ص ٦٠٦) ونسبت مرة أخرى إلى ابن سينا عندما نشرت ضمن رسائل ابن سينا في الحكمة المشرقية (ليدن ١٨٩٤ أنظر محقق ص ٢٠٩، ٤٣٠)، كما نقلها إلى الفارسية البرقعي القمي في ٧٣ صفحة تحت عنوان: چرا از مرگ بترسم: لماذا أخاف من الموت؟ (قم، ط ٢، ١٣٢٧ ش - أنظر مشار).

٣٥. تعاليق على الكتب المنطقية. ذكرها أبو سليمان المنطقي (ص ٢٤٧) بقوله: تعاليق حواشي الكتب المنطقية. كما ذكرها الشهرزوري والخوانساري والعاملی بتغيير طفيف في الاسم.

٣٦. وصية له. أوردها أبو سليمان في الصوان (ص ٣٤٧ - ٣٥٢) ومسكويه نفسه في جاویدان خرد (نشرة بدوی ص ٢٨٥ - ٢٩٢) أولها: «يا طالب الحكمة طهر لها قلبك...» وختامها: «بلا حاجة إلى تفكير وتمييز وتطلب.» كما أورد أبو سليمان فصلاً آخر من كلام مسكويه بعد إيراده الوصية.

٣٧. وصية أبي على مسكويه (عهده مع نفسه). أوردها ياقوت (٥: ١٧ - ١٩) ونقل عنه العاملی (١٠: ١٩٨ - ١٩٩)، أولها: «هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد وهو يومئذ آمن في سربه....» وختامها: «وصرف جميع البال إليه.» أعجب بها التوحيدى ونقلها في المقابلة ٩٤ (ص ٢٨٢) دون تصريح باسم صاحبها، مع الثناء الجميل الكثير عليه.

٣٨. مراسلة بينه وبين بديع الزمان الهمداني. للبديع رسالة اعتذار إلى مسكويه، أجاب عليها مسكويه. تجد الرسالة والجواب عند ياقوت (٥: ١١ - ١٧).

٣٩. شعر مسكويه. نقل الثعالبي (اللسان: ٩٦ - ١٠٠) ونقل عنه ياقوت (٥: ٧ - ١٧) نماذج من شعره. وأثنى عليه الثعالبي بقوله: «وكان في الذروة العليا من الفضل والأدب والبلاغة والشعر.»

٤٠. نزهت نامه علائي. ذكره العاملی (١٠: ١٤٥) وصاحب الريحانة (٨: ٢٠٨) ونسبها إلى مسكويه. كما ذكره صاحب الذريعة (٢٤: ١٣٠) ونسبه إلى شهردان بن أبي الخير

الرازي قائلاً: «وقد نسبه إسماعيل ياشا (هدية ١ : ٧٣) خطأ إلى «ابن» مسكويه وعنه أخذ في أعيان الشيعة وكذلك أخطأنا نحن في النابس - ص ٢٨ فإذن الكتاب ليس لمسكويه.

٤١. تجارب الأمم. وهو الكتاب الذي بين يدي القارئ. كتاب جليل في التاريخ، ومصدر لا يُستغنى عنه في الدراسات التاريخية، لم ينشر حتى الآن - مع الأسف - لا عندنا في إيران، ولا في غيرها من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، إلا بعض أجزائه. فأخذنا على عاتقنا تحقيق نصّه ونشره بكامل أجزائه، مشفوعاً بجزئي الذيل والفهارس، كما عزمنا على ترجمته إلى اللغة الفارسيّة، حتى لا يبقى مواطنونا الذين هم مواطنو مسكويه أيضاً، محرومين من قراءته، والتمتع بما يتضمنه هذا الأثر العظيم، من الفوائد في دراسة الماضي، والاعتبار به.

ولتجارب الأمم من حيث نظرة مسكويه التاريخية، أهميّة بالغة، كما له من حيث عرضه ونشره والاهتمام به، مصير ملتوٍ غريب، نحاول أن نتناوله هنا بقدر ما يتيح لنا المجال في هذا التصدير، فنقول:

التاريخ كما يراه مسكويه

بنظرة إلى مقدمة تجارب الأمم، يتضح أن التاريخ في رأى مسكويه، يشتمل على أحداث يمكن للانسان أن يستفيد منها تجربة في حياته الفردية والاجتماعية، في أمور لا تزال يتكرر مثلها، وينتظر حدوث أشباهها، وإذا عرف الانسان تلك الأحداث وقيمتها التجريبية ثم اتخذها إماماً لنفسه، يقتدى به، فهذا يجعله يحذر ممّا ابتلى به قوم، ويتمسك بما سعدوا به. والنظرة هذه تبنى على رأيه القائل: إن أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، فباستطاعة الانسان أن يقارن الحاضر بالماضي، ويهتدى بهدى التجارب التي حصلت فيه للأسلاف. ثم إن ما يحفظه الانسان من التاريخ، كأنه تجارب له، باشرها بنفسه، فأصبح خبيراً بالأمور التي لم يجربها فعلاً في حياته، حتى إنه يعرفها بعد ذلك قبل وقوعها، فيستقبلها استقبال الخبر، فيفعل في علاجها الأنسب والأجدي، فيحل مشاكله، وينجح في مشاريعه نجاح الخبر الواعي.

بيد أن مسكويه لاحظ أن تلك الأخبار التاريخية الحقّة مغمورة بالأسمار، متبدّدة في الخرافات والأساطير التي ليست لها فائدة إلاّ استجلاب النوم بها، والتأّنس بالمستطرف منها. فأخذها بالنقد واستخراج ذات القيمة منها، وضرب صفحاً عمّا لم يجد فيها قيمة تاريخيّة تجريبيّة وتركها وهو يرى أن للأحداث التاريخية الحقّة أيضاً أنس السمر الذي يوجد في الخرافات والأساطير. إن مسكويه لم يتق بروايات ما قبل الطوفان، لفقدانها القيمة التاريخية التي ينشدها هو، كما لم يجد في المعجزات تجربة إنسيّة يستطيع الجميع أن يمارسوا مثلها، أو يعتبروا بها، وهذا لا يعنى أنه ترك ما كان للأنبياء من تدابيرهم البشريّة التي ليست مقرونة بالإعجاز، لأنّ هذا النمط من أخبارهم وارد في صميم ما اهتمّ به مسكويه في كتابة التاريخ. مع العلم بأنّ لمسكويه كتاباً في صفات الأنبياء السالفين تحت عنوان: أحوال الحكماء وصفات الأنبياء السالفين (أنظر التصدير: الآثار). وهذا ردّ على المستشرق كراي فو (I:106) في ما اتهمه به من أنّه لم يحترم السنّة. وأخيراً، عمد مسكويه إلى أحداث تجرى على البخت والاتّفاق، ممّا هو خارج عن نطاق تدبير الانسان وقدرته، حتى تكون في حسبانته، ولا تسقط من ديوان الحوادث عنده، وما ينتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرّزاً من مكروهه.

إنّه لن ينسى ما ضمنه في مقدّمة الكتاب، بل نراه يؤكد هنا وهناك وبمناسبات شتى، على أغراضه ويصرّ على المضى في النهج الذي نهجه لنفسه في عمله. فحيناً نراه يبرّر تركه ذكر بعض الأشياء بقوله: «لخروجها عمّا بنينا عليه غرض هذا الكتاب (1,264)، وحيناً يؤكد على هذا الغرض حتى في عنوان حدث أراد ذكره. ففي عنوان الحديث عن الشورى يقول: «ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب». وكذلك، وبعد أن ينقل الحوار الذي جرى بين الإمام علي بن أبي طالب والزيبر: الحوار الذي أثر في الزيبر حتى أقسم لا يحارب عليّاً - لولا وسوسة ابنه له واقتراحه التكفير عن اليمين بعنق غلام له يقال له: مكحول - وبعد إيراد هذا الحدث نراه يقول: «وإنما حكينا هذه الحكاية لأنّ فيها تجربة تستفاد، وإن ذهب على قوم فإننا ننبتّه عليه، وذلك أنّ المحنق ربما سكن بالكلام الصحيح، والساكن ربما أحنق بالزور من الكلام، وذلك بحسب تأثّي من يريد ذلك، وإتيانه من وجهه».

(1,550). ولا يهتم في ذلك شخصية القائل أو الفاعل، ولا ينظر إلى من قال أو فعل، بل يهتم مغزى ما قال أو فعل، من حيث تلاؤمه وأغراضه في كتابه تجارب الأمم. فراه يستحسن موقفاً من مواقف الضحّاك الشهير بالسفك والقتل والظلم، وينقل كلاماً منه حيث قال في الإجابة على أمّه البذيئة: «فلما هممت بالسطوة بهم (أى: بكابى الاصبهاني وأصحابه عندما زاروه للتأني له واستعطافه - 1,14-15) وقف الحق بيني وبينهم كالجبل، فحال بيني وبين ما أردت.» ثم يعلّق مسكويه على هذا الكلام بقوله: «فهذا ما استحسن من فعل الضحّاك وقوله ولا يعرف له شيء مستحسن غيره.» إنّ هذا الالتزام الواعى الذى يبديه مسكويه تجاه منهجه، هو ما لا نراه عند كثير من المصنّفين. فمسكويه، كما قال روزنتال (١٩٦، ١٩٧) يمثل مستوىً عالياً فى الكتابة التاريخية، فهو قلما يهتم بالأمر التافه، بل يدرك كلّ ما له قيمة تاريخية جوهرية، ويعرض الأحداث الهامة بشكل معقول متماسك.

إنّ المؤرخين المسلمين - ومعظمهم ممّن تأخّر عن مسكويه وتأثّر به بالذات - نظروا إلى التاريخ من حيث هو درس وعظة وعبرة، ولكنّ مسكويه، السابق فى هذا المضمار، هو المؤرخ الوحيد الذى نهج منهج الاستدلال الفلسفى مع ما كان له من نظرة أخلاقية عملية برغمائية (Pragmatic) إلى حوادث التاريخ (زرياب: ١٨٠ - بتصرف). إنّك لا تجد بين المؤرخين المسلمين مؤرخاً عمداً إلى التاريخ عن وعى وجدّ، نشداناً للفوائد التى تنطوى عليها أحداثه، بالمستوى الذى عمد إليه مسكويه. إنّ حكيماً أخلاقياً، ومصنّف كتاب حكيم باسم تجارب الأمم. كما هو رائد فى الكتابة العلمية للتاريخ، وأوّل من شقّ الطريق إلى فلسفة التاريخ. ليكون أسوة حسنة فيما بعد، لأمثال رشيد الدين فضل الله (٦٤٥ - ٧١٨ هـ) فى جامع التواريخ، وابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٦ هـ) فى مقدمته، ثم الكافيجى (القرن التاسع) فى كتابه: المختصر فى علم التاريخ، والسخاوى (٨٣٠ - ٩٢٠ هـ) فى كتابه: الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ (زرين كوب: ٧١، ٧٤ - بتصرف). وهناك ميزة أخرى أشار إليها كيتانى فى مقدمته حيث قال: إنّ الأثر الذى بقى لنا من مسكويه، بنى على أساس منهج قريب جداً من المبادئ المتبعة عند مؤرخى العالم الغربى والمؤرخين المتأخرين، ومسكويه خلافاً لسلفه الشهير الطبرى الذى استهدف - أساساً - جمع المواد التاريخية،

وعرضها على ترتيب تاريخي لائق، عزم على أن يصنف تاريخه كبناء عضوي يكون الفكر الأساسي المحدد عنصراً بناءً في الكتاب بأسره، رابطاً كل أجزاء التصنيف بعضها ببعض. يرى القارئ على صفحات هذا الكتاب عنصراً شخصياً لا يجده في المصنّفات التاريخية الأخرى المؤلفة في تلك الحقبة.

إن تجارب الأمم - وبصورة جلية - عمل فكري نتج عن ذهن استدلالى بناء، يسوده انطباع سام من غرض المؤرخ وواجبه، وبهذا، يبدى مسكويه فضلاً كبيراً على من سبقه أو عاصره من المؤرخين الذين كتبوا آثارهم باللغة العربية. إنه لا يرضيه مجرد جمع المادة التاريخية وعرضها في ترتيب تاريخي، لأنه يعتقد أن أحداث الماضي تترايط في ما بينها بشبكة من المصالح الإنسانية. وفي الحقيقة، فإن التاريخ - كما يراه مسكويه - ليس غير هذا، كما يرى العاقل في رواية التاريخ الحقّة ينبوعاً من العلم الثمين (كيتاني، المقدمة: XI-XII). إن مسكويه لا يميل إلى أحد في كتابة التاريخ، ولا يحيد به عن المنهج القويم أي انتماء. «لقد كتب تاريخه - كما نبّه عليه مرجوليوت أيضاً - في حياد تام، مع أنه عاش في خدمة الأمراء والوزراء البويهيين، وكان من المتوقع أن يشيد بهم ويمدحهم، ولا يتعرض لنقدهم أبداً، في حين نراه لم يعمل إليهم في كتابة التاريخ». ولم يراع جانبهم في ما كتبه عنهم، بل نراه يؤاخذهم على أشياء في سلوكهم وتدابيرهم.

مصادر مسكويه في كتابة التاريخ

صرّح مسكويه بأنه لما قرأ أخبار الأمم، وسير الملوك، وأخبار البلدان، وكتب التواريخ (أنظر مقدمة المصنّف) وجد فيها ما تستفاد منه تجربة، وهذا دليل واضح على تعدّد مصادره، في كتابة التاريخ. بيد أنه اعتمد اعتماداً كلياً على الطبري (٢٢٤ - ٢١٠ هـ)، كما اعتمد على المصادر الأخرى التي تتنوع وتختلف، حسب الفترات التاريخية التي أرّخها في تصنيفه، وحسب مصادر كانت في متناوله، بحيث لا يمكن عدّها وحصرها إلا بعد المصريح منها في الكتاب، وحصر غير المصرّح منها بإرجاع نقول مسكويه المختلفة إلى أصولها وأصحابها، وهذا يتطلب دراسة مستقلة قد تأخذ وقتاً طويلاً. فمصادر مسكويه حسب هذه العجالة هي:

١. تاريخ الطبرى: عوّل مسكويه، أولاً وقبل كل شيء، على الطبرى. وذلك بحذف كثير من موادّ الطبرى، من مكرّره وما لم يدخل فى إطار منهج مسكويه فى كتابة تاريخه. فمسكويه يوازى الطبرى ابتداء من العصر الفيشداذى وذكر أوشهنج بالذات، أو ممّا بعد الطوفان حسب تصريحه؛ إلى سنة ٢٩٥ هـ، مع العلم بأنّ الطبرى استمرّ فى تاريخه حتى سنة ٣٠٢ هـ. ومسكويه ليس المؤرخ الوحيد الذى ينهل من مناهل الطبرى ويعوّل عليه فى تصنيفه. فمن هو الذى لم يعوّل على الطبرى؟ فيها هو ابن الأثير يصرّح فى مقدمته (ص ٣) قائلاً: «فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنّفه الإمام أبو جعفر الطبرى، إذ هو المعوّل عند العامة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه. فأخذت ما فيه من جميع تراجمه، لم أخلّ بترجمة واحدة منها، وقد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذات عدد، فقصدت أتمّ الروايات، وأضفت إليها من غيرها ما ليس منها... فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة [منها تجارب الأمم] فطالعتها، وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه...»

هذه هى الحالة عند جلّ المؤرخين منهم ابن خلدون أيضاً (العبر ٤ : ١١٤٠). إنهم وجدوا تاريخ الطبرى ينبوعاً ترواً يتدفّق منه ذلك الحجم الهائل من المواد التاريخية، والروايات المختلفة الكثيرة التى أوردّها فيه، دون نقد، أو تعليق، واعياً عامداً ما يفعله، كما صرّح به فى مقدمته. ولكن المؤرخين صاغوا ما أخذوه عن الطبرى فى قوالب ارتضوها لتصانيفهم، كلّ على شاكلته. ومن هؤلاء مسكويه، الذى أخذ بدوره عن الطبرى أخذ نقد واختيار وتمحيص وحذف وإضافة من مصادر أخرى، وفقاً لأغراضه التى تحدّث عنها فى مقدمة تجارب الأمم.

والجدير بالذكر أنّ هناك مناسبة خاصّة بين مسكويه والطبرى يمتاز بها مسكويه من بين سائر المؤرخين، حيث يعتبر مسكويه تلميذاً غير مباشر للطبرى فى استماع تاريخه عن صاحبه، وقراءة كتابه عليه، والحصول على الإجازة منه. قال مسكويه بهذا الصدد (تجارب الأمم ٦ : ٢٢٤): «وفيهما [أى فى سنة ٣٥٠ هـ] مات أبو بكر أحمد بن كامل القاضى، رحمه الله، ومنه سمعت كتاب التاريخ لأبى جعفر الطبرى، وكان صاحب أبى جعفر، قد سمع منه

شيئاً كثيراً، ولكنني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب، بعضه قراءة عليه، وبعضه إجازة لي، وكان ينزل في شارع عبدالصمد، ولي معه اجتماع كثير.»

٢. نفائس المكتبات: لم يكتف مسكويه بالطبري، حتى بالنسبة إلى القسم الذي قلنا إنه عول فيه عليه تعويلاً كلياً (العصر الفيشداذي إلى سنة ٢٩٥)، بل أورد في تاريخه نصوصاً إيرانية عديمة النظر لا نجدها لا عند الطبري ولا عند غيره من كبار المؤرخين من أمثال المسعودي وابن الأثير ومن إليهما، ونخص بالذكر عهد أردشير الذي يعتبر من أقدم النصوص الإيرانية المدونة التي وصلت إلينا، وكذلك السيرة الذاتية لأنوشروان، وخطبته المشحونة، اللتين نقلهما مسكويه عن كتاب كتبه أنوشروان نفسه في سيرته.

من أين أتى مسكويه بهذه النصوص وغيرها مما تفرّد بنقلها بين المؤرخين؟ إنه كان خازناً لمكتبات البويهيين من أمثال ابن العميد، وابنه أبي الفتح، وعضدالدولة. لقد دامت صحبته أو خزانته سبع سنين لابن العميد فقط (تجارب الأمم ٦: ٣١٥)، وكان لفهرس مكتبة ابن العميد ١٠٥٦ ورقة (= ٤٤ كراسة لكل منها ٢٤ ورقة - متر ١: ٢٩٧) ولم يثبت في هذا الفهرس إلا أسماء الكتب، وقد اجتمعت في تلك المكتبة كل أنواع العلوم والحكم والآداب، تحمل على مائة وقر وزيادة (تجارب الأمم ٦: ٢٦٢). وعن مكتبة عضدالدولة حكى لنا المقدسي (الذي كان يختلف إليها، فلا جرم أنه زار مسكويه أيضاً) حيث قال عند وصفه لدار عضدالدولة بشيراز وغرفها وعجائبها:

«... وخزانة الكتب، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وحصله فيها، وهي أزج طويل، في صفة كبيرة، فيه خزائن من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق، عليها أبواب تنحدر من فوق، والدفاتر منضّدة على الرفوف، لكل نوع بيوت وفهرسات، فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجهه...» (المقدسي: ٤٤٩).

فلا شك أن مسكويه استفاد من هذه المكتبات كثيراً من علمه والمواد التاريخية التي أوردتها في كتابه مما لا يوجد عند سائر المؤرخين سواء ما أضافه في تاريخ ما قبل الإسلام

مستمدًا من مصادر إيرانية قديمة موجودة في تلك الخزانات، أو ما أضافه إلى تاريخ ما بعد الإسلام آخذًا عن مصادر إسلامية كانت فيها.

٣. ثابت بن سنان: هناك فترة تاريخية تبدأ من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٤٠ هـ يعتمد مسكويه فيها على مصادر مستقلة عن الطبري، منها: تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنة ٣٦٣ هـ) ابن ثابت بن قرّة الصابي الحرّاني (٢٢١ - ٢٢٨ هـ) خال أبي إسحق هلال بن محسن الصابي. كتب ثابت بن سنان تاريخه ابتداءً من خلافة المقتدر (من سنة مائتين ونيّف - القفطى) إلى سنة ٣٦٠ هـ. فكتب أبو إسحق هلال بن محسن تنمة لتاريخ ثابت بن سنان وصلت إلى سنة ٤٤٧ (كلود كاهن، دانشنامه ايران واسلام). ومن دلائل كونه مصدرًا لمسكويه ما جاء في التجارب ٥: ٣١٣ حيث قال: «.. وحكى ثابت بن سنان في كتابه أن...» فهذا تصريح من مسكويه أنه أخذ في تاريخ هذه الفترة عن ثابت بن سنان أيضاً.

٤. أبو إسحاق الصابي، إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون (هارون): قال الروذراورى في ذيل تجارب الأمم (ص ٣٣):

«وعمل أبو إسحق الكتاب الذى سقاه: التاجى فى الدولة الديلمية وهو كتاب إذا عمل منه جزءًا حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه، ويزيد فيه وينقص منه. فلما كان تكامل ما أراده حرّر وحمل إلى خزائنه. وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف، فإنّ أبا إسحاق كان من فرسان البلاغة، الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم، ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب تجارب الأمم، حتى إنّ بعض الألفاظ تتشابه فى خاتمتها، وانتهى القولان فى التاريخ بهما إلى أمد واحد، والكتاب موجود يبنى تأمله عن الإخبار عنه.»

وللكتاب وصاحبه أبى إسحاق الصابى، وسبب تأليفه إيّاه بأمر من عضد الدولة البويهى حكاية طريفة تجدها عند الروذراورى فى ذيل تجارب الأمم (ص ٣٠ - ٣٣).

هذا، وقد التبس الأمر علينا فى الطبعة الأولى بين إبراهيم الصابى كاتب التاجى وبين حفيده هلال الصابى (٣٨٤ - ٣٥٩) الذى ذيل على تاريخ ثابت بن سنان (٢٨٨ - ٢٢١)

حيث أوردنا (ص 34) على الروذراورى صاحب الذيل فيما قاله بشأن الشبه بين آخر كتاب التاجى وبين آخر تجارب الأمم، الأمر الذى كان فى نيتنا، وذلك بعد صدور الطبعة الأولى ووقوفنا على هذا الالتباس، أن نشير إليه فى استدراكاتنا التى رجحنا أن نثبتها فى مجلد الفهارس، أى المجلد الثامن لتجارب الأمم من طبعتنا، غير متوقعين أنه سيعاد طبع هذا التصدير قبل أن يطبع مجلد الفهارس. وهنا نشكر زميلنا الدكتور ع. منزوى الذى نبه بدوره على ذلك فى مقدمته الممتعة (ص ٢١) التى وضعها لترجمته للجزئين الأخيرين من الكتاب اللذين نشرهما مع الذيل آمدُ روز (القاهرة ١٦ - ١٩١٤).

٥. مسكويه مصدراً: مهما يكن من أمر الفترة السابقة، أى التى تنتهى إلى سنة ٣٤٠ هـ، فإن مسكويه بشهوده وعيانه تارة، وبسماعه من الأصدقاء والزملاء الساسة المشايخ تارة أخرى، يعتبر مصدراً حياً لكتابة تاريخه. لقد صرح مسكويه بذلك فى بداية ذكر الحوادث لتلك السنة حيث قال:

«أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة (٣٤٠ هـ) فهو مشاهدة وعيان، أو خبر محصل، يجرى عندي خبره مجرى ما عاينته، وذلك أن مثل الأستاذ الرئيس أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد - رضى الله عنه - خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما دبره، وما اتفق له فيها، فلم يكن إخباره لى دون مشاهدتى فى الثقة به، والسكون إلى صدقه، ومثل أبى محمد المهلبى - رحمه الله - خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه، وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة، وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما بما يستفاد منه تجربة، وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته وجربته بنفسى، فسأحكيه أيضاً بمشيئة الله.»

وهكذا يصل تاريخه إلى سنة ٣٦٩ هـ. مع أنه عاش حتى سنة ٤٢١ هـ. أى لمدة نصف قرن، تاركاً كتابة تاريخ تلك المدة. وبالرغم من ذلك، فإن تجارب الأمم عرف كمصدر أساس لا يستغنى عنه لدراسة القرن الرابع الهجرى والعصر البويهى الذى يعتبر ألمع العصور الإسلامية علماً وحضارة.

تجارب الأمم : اسمه

اسم الكتاب هو: تجارب الأمم، كما سَمَّاه مسكويه نفسه في مقدمته حيث قال: «... فجمعت هذا الكتاب وسمَّيته: تجارب الأمم». وقد ذكره بضبط أمين كل من ياقوت ٥ : ١٠؛ وابن الأثير ٧ : ١١٨؛ ٨ : ٨٦؛ وكذلك القفطى: ٣٣١؛ والبيهقى: ١٨ - ١٩؛ وابن خلكان ٢ : ١٩؛ وابن خلدون ٣ : ٧٧٢؛ والخوانسارى ١ : ٢٥٥؛ وغيرهم. ولكنه ورد بزيادة «عواقب الهمم» عند كل من أبى سليمان فى الصوان: ٣٤٧؛ والروذراورى فى الذيل: ٥؛ والسخاوى نقلاً عن عمر بن الفهد الهاشمى المكى فى إتحاف الورى (روزنتال: ٤٤١). والزيادة عند العالمى ١٠ : ١٤٦ هى «تعاقب الهمم» وهى ضبطت عند كيتانى (Caetani) فى مقدمته Taáqib بكسر القاف وهو خطأ. والزيادة هذه إنما نشأت عن أسلوب السجع فى عنونة المصنفات، الأسلوب الذى طالما ساد أوساط الكتاب والنسّاخ طيلة القرون ممّن لم يرضوا بما سَمَّاه المصنفون تصانيفهم، فشفعوا أسماءها بما شاء لهم السجع والصنعة المتكلفة، بالرغم من تصريح المؤلفين فى ضبط أسماء آثارهم. ولذلك نرى الشطر الثانى: «عواقب الهمم أو: تعاقب الهمم» موضوعاً مختلفاً، لأنّ مسكويه وهو صاحب الكتاب، أثبت اسم كتابه فى مقدمته بقوله: «تجارب الأمم» لا أكثر ولا أقلّ، حيث قال: «فجمعت هذا الكتاب وسمَّيته تجارب الأمم». والغريب فى الأمر أنّ الناسخ الذى انتسخ هذه المقدمة وتصرّح المصنّف باسم كتابه، نراه فى عبارات الختام والفراغ، وقد أضاف على الاسم شطراً ثانياً تارة، وقدم الشطر الثانى على الشطر الأوّل تارة أخرى. أى كتب مرّة: «تجارب الأمم وعواقب الهمم»، ومرّة: «عواقب الهمم وتجارب الأمم»!

تجزئة تجارب الأمم

إنّ التجزئة الكاملة الوحيدة التى وصلت إلينا من تجارب الأمم هى تجزئة مخطوطة أياصوفيا وهى ستة أجزاء. أمّا مخطوطة ملك (مط) فهى فى مجلّد واحد كبير، وليس فيه تجزئة، اللهم إلا إشارة بسيطة فى الهامش تدل على أنّ المخطوطة انتسخت عن نسخة كانت

على ثلاثة أجزاء، دون أى إشارة إلى عبارات الافتتاح من البسملة والتحميد وغير ذلك. وهذا التثليث يبدو أيضاً ممّا بقى من مخطوطة ملك الثانية (مح)، أو مخطوطة آستانقدس (آ)، فهما أيضاً كانتا فى الأصل ثلاثة أجزاء.

أما تجزئة أياصوفيا فهى تجزئة كمّية، أى لم يعتبر فيها التقسيم التأليفى الذى يبتنى عادة على المواضيع الرئيسة، أو الفترات التاريخية المحددة خاصة فى أثر تاريخى مثل تجارب الأمم. لذلك يرى القارئ أننا نقلنا ٤٣ صفحة من بداية الجزء الثانى وأضفناها إلى نهاية الجزء الأول، أولاً لإكمال الفصل الأخير من الجزء الأول، ثانياً من أجل إكمال عصر ما قبل الأموى، وسنراعى هذا المبدأ فى الأجزاء الباقية أيضاً إذا اقتضى الحال.

ومن ناحية أخرى، قسمنا الجزء الأول إلى قسمين: قسم خاص بما قبل الإسلام وهو مفصل بدوره إلى فصول حسب عصور الأسر الحاكمة الإيرانية مثل: الفيشدازية، والكيانية، والأشغانية، والساسانية؛ وقسم آخر خاص بالعصر الراشدى، وفيه فصول حسب أيام الخلفاء. أما بالنسبة للعصر الأموى والعصر العباسى أيضاً سنراعى مبدأ التقسيم والتفصيل مهما أمكن.

أما العناوين الفرعية التى كانت فى أصل المخطوطة لم نجد لها كافية لإرشاد القارئ إلى مواد الكتاب ومواضيعه، ولذلك اخترنا لها عناوين جديدة مناسبة وضعناها فى أماكنها. ومما دفعنا إلى ذلك، أننا وجدنا بين مخطوطات الكتاب، ومن حيث العناوين الفرعية اختلافاً، سواء فى وجود عنوان ما، أم فى عدمه، أو فى صياغة عبارته، ممّا يرهن على أن غير المصنف من النسخ وغيرهم، هم الذين وضعوا قسماً من هذه العناوين الفرعية التى لا تؤثر دون شك على نظرة الباحث المدقق الذى ينظر فى نص الكتاب.

مخطوطات تجارب الأمم

لم يصل إلينا من مخطوطات هذا الكتاب إلا القليل، لاسيّما إذا كان المراد المخطوط الكامل المشتمل على كل أجزائه. وهذه المخطوطات بغض النظر عن كمّاتها ونقصها هى:

١. أياصوفيا (الأصل): مخطوط كامل فى ستة أجزاء محفوظ فى أياصوفيا بأسطنبول

برقم ٣١١٦ إلى رقم ٣١٢١. انتسخه محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي بكامل أجزائه، بحيث فرغ من انتساخ الجزء الأول في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة (٥٠٥) ومن انتساخ الجزء السادس والأخير منه في منتصف شهر ربيع الأول سنة ست وخمسمائة (٥٠٦). أي في مدة سنة واحدة. قطعه صغير، وفي الصفحة الواحدة منه ١٢ سطراً، وفي كل سطر ١٣ كلمة. أول هذه المخطوطة أي في فاتحة الجزء الأول وبعد البسملة والتحميد: «قد أنعم الله علينا...» وآخرها أي في نهاية الجزء السادس: «إلا أنه لم يظهر أمره لأحد. هذا آخر ما عمله الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه رضى الله عنه والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسينا الله ونعم الوكيل.»

أما تجزئة الكتاب في هذه المخطوطة فهي كما يلي:

الجزء الأول (أياصوفيا، رقم ٣١١٦، ورقة: ٢٩٦، ٥٩١ صفحة). تاريخ النسخ: ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة (٥٠٥). يشتمل هذا الجزء على الحوادث التاريخية منذ العصر الفيشدادي الإيراني حتى سنة ٣٧ هجرية.

الجزء الثاني (أياصوفيا، رقم ٣١١٧، ورقة: ٢٩٧، ٥٩٣ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٠، والصورة رقم ٢٩٠). ويشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٨ إلى سنة ١٠٣ هجرية.

الجزء الثالث (أياصوفيا، رقم ٣١١٨، ورقة: ٢٩٧، ٥٩٣ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢١، والصورة رقم ٢٤٤). يتضمن هذا الجزء على حوادث سنة ١٠٤ إلى سنة ١٩١ هجرية.

الجزء الرابع (أياصوفيا، رقم ٣١١٩، ورقة: ٢٩٠، ٥٨٠ صفحة؛ طهران، المكتبة المركزية، الميكروفيلم رقم ١٢٢، والصورة رقم ٢٩٣). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ١٩١ إلى سنة ٢٣٣ هجرية.

الجزء الخامس (أياصوفيا، رقم ٣١٢٠، ورقة: ٢٩٣، ٥٨٥ صفحة) تاريخ الانتساخ: شهر محرم سنة ست وخمسمائة (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٢٣٤ إلى ٣٢٦

هجريّة.

الجزء السادس (أياصوفيا، رقم ٣١٢١، ٢٦٠ ورقة: ٥٢٠ صفحة) تاريخ الانتساخ: منتصف شهر ربيع الأول سنة ست وخمسائة (٥٠٦). يشتمل هذا الجزء على حوادث سنة ٣٢٦ إلى سنة ٣٩٦ هجرية.

ما نشر من هذه المخطوطة: نشر كيتاني (L.Caetani) الجزء الأول، والجزء الخامس، والجزء السادس من المخطوطة (ليدن ١٩٠٩، ١٩١٣، ١٩١٧ م) عن مؤسسة جب (Gibb) التذكارية، طبعة فتوغرافية (facsimile edition). إنه قدّم الجزأين الخامس والسادس على الأجزاء الأخرى (الثاني والثالث والرابع) نظراً لكونهما مكملين لتاريخ الطبري. وكان مشروع المؤسسة يقضى بأن يعود كيتاني وأعوانه إلى العمل لنشر الأجزاء الوسطى (٢، ٣، ٤) بعد الفراغ من الجزأين الأخيرين (كيتاني، مقدمة الجزء الخامس: XIV) ولكنهم لم يوفقوا في إنجاز مشروعهم لأسباب قد تكون ظروف الحرب العالمية الأولى منها. فلم تنشر تلك الأجزاء وبقيت بعيدة عن متناول الباحثين.

أما الملاحق التي ألحقت بهذه الطبعة (طبعة كيتاني الفتوغرافية) فهي في الجزء الأول: مقدمة لكيتاني (٥ صفحات) وكلمة أمذروز (Amedroz) عن حياة مسكويه (١٣ صفحة) وملخص لمضمون الجزء الأول بقلم ملوني (G.Meloni) وفهرس أعلام لملوني أيضاً، كما ألقى لي سترنج (G. Le Strange) نظرة على الملخص والفهرس قبل إرسالهما إلى المطبعة. وفي الجزء الخامس، مقدمة لكيتاني أيضاً (٤ صفحات) مع ملخص وفهرس. أما الجزء السادس فليس معه غير مقدمة كتبها لي سترنج (صفحتان).

أما ما نشره أمذروز (مد) فهو الجزءان الخامس والسادس من هذه المخطوطة (القاهرة شركة التمدن ١٩١٤، ١٩١٥ م) بإسقاط ٥٦ صفحة من أول الجزء الخامس وضمّ ٢٨ صفحة من الجزء السادس إلى الجزء الخامس، كما نشر معهما جزءاً ثالثاً يتألف من ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين الروذراوري (من سنة ٣٦٩ إلى سنة ٣٨٩ هجرية)، وجزءاً رابعاً يتشكّل من الجزء الثامن من تاريخ أبي الحسين هلال

بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب (من سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣) وهذان الجزءان صدرا في مجلد واحد تحت عنوان: ذيل تجارب الأمم (القاهرة شركة التمدن ١٩١٦ م)، مع العلم بأنّ آمذ روز لم يوفق في إكمال تحقيق نصّ الذيل بسبب وفاته، فتابع عمله مرجوليوت، فحقّق النصف الباقي منه (مرجليوت، المقدمة: I). فكلّ ما نشره آمذ روز هو مجلدان (٥، ٦) من تجارب الأمم، ومجلد ثالث عرف بذيل تجارب الأمم (= ذيل الروذراورى + الجزء الثامن من تاريخ هلال الصابي). والأجزاء الثلاثة هذه (نشرة آمذ روز) نشرت بترجمة إنجليزية (ثلاثة أجزاء) ترجمها مرجوليوت بمقدّمة من ١١ صفحة وفهرس من ١٤٤ صفحة (جزء واحد) والمجموع من النصّ العربى والترجمة الإنجليزية والفهرس سبعة أجزاء، تحت عنوان: the Eclipse of Abbasid Caliphate (أكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١ م).

أما نشرتنا هذه، كما هى بين يدي القارئ، فتشمل أجزاء تجارب الأمم الستة مع الذيل: الجزء السابع، والفهارس: الجزء الثامن، لنكون قد نشرنا الكتاب ولأوّل مرّة بأجزائه الكاملة (طهران، سُروش ١٩٨٧ - ٢٠٠١ م) كما ستشمل ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسيّة التى نُشر الجزء الأوّل منها حتى الآن (طهران، سُروش ١٩٩٠)، وليكتمل العمل وفى نهاية المطاف، فى ١٦ جزءاً، فنكون بذلك قد أسهمنا فى سدّ الفراغ الذى طالما شغل بال الكثيرين من المعنّيين بالدراسات التاريخية الإسلامية الإيرانية.

٢. ملك (مط) برقم ٤١٤٥. نسخة كاملة من حيث الكميّة، فى مجلد واحد من القطع الكبير، عدد صفحاتها ١٠١٤، فى كلّ صفحة منها ٢٥ سطراً ولكل سطر ٢١ كلمة. هى مثل أياصوفيا فى أولها وآخرها. وعبارة الفراغ فى الختام هى: «قد تمّ الفراغ من هذه المسودّة فى عشر (= العشر) الأوّل من شهر ذى الحجة الحرام فى الليلة (= ليلة) الأضحى منه، من سنة أربع وتسعين ومائتين بعد الألف (١٢٩٤) من الهجرة المقدسة، على يد أقلّ الطلاب والسادات محمود الطباطبائى الأردستانى الإصفهانى». خط النسخة نسخى جميل مقروء، ولكنّ الهفوات والأخطاء الناتجة عن قلّة الثقافة لدى الناسخ، حطّت من قيمتها كنسخة. وسيأتى الكلام عنها فى مكانه.

٣. ملك الثانية: (مح) برقم ٤٣٢٤. عدد أوراقها ٢٣١ وعدد صفحاتها ٤٦٢، بالقطع المتوسط، في كل صفحة منها ٢١ سطراً. انتسخه محمد بن داود الحسيني المشهدي في سنة ١٣٠٧ هجرية. أولها: «ودخلت سنة إحدى ومائة وفيها ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة...» وآخرها: «.. واتصل خبر انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه في ذلك كتاباً (= كتباً) كثيرة، فلم يؤثر (= تؤثر) شيئاً. فلما نظر...، تمت...». تشمل المخطوطة هذه على حوادث سنة ١٠١ إلى سنة ٢٥٦ هجرية. فهي مخطوطة ناقصة.

٤. آستان قدس: (أ) برقم ٤٠٩٠؛ جامعة طهران، المكتبة المركزية، الميكرو فيلم رقم ١٦٣٨ والصورة رقم ٦١٨٨/٣ (ثلاثة أقسام) عدد الأوراق ٢٥٧. وعدد الصفحات في الأقسام الثلاثة ٥١٤ صفحة. أولها بعد البسملة والحمدلة: «ودخلت سنة إحدى ومائة» وآخرها: «وخرج واتصل خبر انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه كتاباً [= كتباً] كثيرة، فلم يؤثر (= تؤثر) شيئاً. فلما نظر...» تشبه في أولها وآخرها مخطوطة ملك الثانية (مح). يعود تاريخ انتساخ المخطوطة إلى شعبان سنة ١٢٩٧ وهذه المخطوطة ناقصة أيضاً كمخطوطة ملك الثانية.

٥. باريس: Paris, Bibl. Nat., Arab, 5838 (Shéfer, A. B1) نسخة ناقصة تشمل على حوادث سنوات ٢٤٩ - ٣١٥ هجرية فقط. (كيتاني، المقدمة: XIII).

٦. بودلي: (Marsh, 357; Uri I, No. 804). وهذه النسخة تشمل على حوادث ٣٤٠ -

٣٦٥ هجرية. (كيتاني المقدمة: XIII).

٧. أمستردام: مخطوطة ناقصة تشمل على حوادث سنة ١٩٦ إلى سنة ٢٥١ هجرية (Cat. de Jong, 101 كيتاني، المقدمة: XIII) أولها ناقص بأكثر من سطرين، ثم تبدأ هكذا: «.. أمر العراة باتخاذ ترأس من البواري، وبالرمي بالمقاليع ومحمد قد أقبل على اللّهُو والشرب، ووكل الأمر كله إلى محمد بن عيسى بن نهيك، وإلى الهرش...» وآخره: «.. ونزل الحسين بالقرب من دمعا. نجز الكتاب... ويتلوه في الجزء السادس: ذكر رأي أشير به عليه صواب. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على محمد النبي وآله الطاهرين وسلّم.»

نشر المخطوطة دي خويه (M.J. De Goeje) بترجمة لاتينية ومقدمة (بريل ٧١ - ١٨٦٩ م) تحت عنوان: *Fragmenta Historiarum* كما نشرت مرة ثانية بالأفست وبخذف الترجمة اللاتينية (بغداد، المثنى، دون تاريخ) تحت عنوان: العيون والحدائق، لمؤلف مجهول (من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم) ويليه مجلد من تجارب الأمم. والعنوان الخاص بقسم تجارب الأمم هو: تجارب الأمم، تأليف أبي على أحمد بن محمد بن يعقوب «بن» مسكويه، الجزء السادس، فالنشرة هذه هي من قسمين: القسم الأول هو الجزء الثالث المتبقى من كتاب «العيون والحدائق في أخبار الحقائق» (عج) اشترك (يونج P.De Jong) مع دي خويه في تحقيقه، والقسم الثانى وهو جزء صغير من تجارب الأمم (تد) حققه دي خويه وحده. (من صفحة ٤١١ إلى صفحة ٥٨٣، المجموع: ١٧٢ صفحة مطبوعة).

٨. أسكوريال: Escorial, No. 1704. Cat. 1709. نسخة ناقصة تشتمل على حوادث سنة ٣٦ إلى سنة ٦٧ هجرية (كايتانى، المقدمة، XIII).

تحقيق النص

وبمقارنة بسيطة بين هذه المخطوطات التى وصفناها، يتضح أن المخطوطة الكاملة الوحيدة التى عرفت فى العالم حتى الآن، هى مخطوطة أياصوفيا، وهى التى يؤهلها تاريخها المتقدم (٦٠٥ - ٦٠٦ هـ) وأصالتها وصحتها نسبياً لأن تكون أساساً لعملنا فى تحقيق نص الكتاب، وإخراجة بجميع أجزائه. لأن سائر المخطوطات، كما أشرنا إليه، ناقصة تشمل أجزاء متقطعة من الكتاب، وحتى لو سنع لنا جمع أشناتها من مكتبات العالم، وضم بعضها إلى بعض، لا تعطينا النصف من نص الكتاب. لأنها إما تكرار لبعض أجزاء الكتاب وإما متقطعة لا صلة بين بعضها والبعض الآخر (أنظر السنوات التى تشتمل عليها هذه الأجزاء).

وأما مخطوطة (مط) فهى برغم اشتغالها على كل الكتاب، فهى مخطوطة متأخرة (أنظر

تاريخ الانتساخ) من ناحية، ومليئة بأخطاء الاستساخ من ناحية أخرى. وأما كثرة الأخطاء والتصحيحات فيها فترجع في ما نظن، إلى أمرين: أولهما عدم وضوح الخط في الأصل الذي نقل عنه الكاتب، وثانيهما عدم الثقافة اللازمة لمثل هذا العمل عند هذا الكاتب. ولذلك بالذات، ظهرت في هذه المخطوطة أخطاء فادحة وتصحيحات عجيبية كثيرة تبلغ عشرين إلى ثلاثين خطأ في صفحة واحدة، وهي وصلت فعلاً حوالي الخمسين في الصفحة الأولى من الكتاب من خطأ وبياض.

وهنا لا بأس في أن نذكر نماذج من أخطاء هذه المخطوطة ليقف القارئ على نوعية الأخطاء، ومن ثم على قيمة هذه المخطوطة السلبية: لقد كتب الناسخ خطأ «عمر بن خان» بدل «غزا بُرجان»، و «عهته» بدل «عرضه»، و «على حاله مؤخرًا» بدل «على خاله سوخرًا» و «أبوال» بدل «أموال» و «يعرضوا السن» بدل «صغير السن» و «فطر بن» بدل «وضرار بن» و «ما قدر جمعاً إنك في هذا الأمر» بدل «ما قدر جعلتك في هذا الأمر»، و «قبالة بخطه» بدل «قبالة لحظه» و «ناش» بدل «باشر»، و «وكان سعد هذا تزوج أمة خدمة لجذيمة» بدل «تزوج أمة تخدم لجذيمة» و «خر شدن» بدل «خر شيدان»! وأخطاء كثيرة أخرى، لا جدوى لذكر جميعها.

وبالنظر إلى الحالة هذه، فإننا اعتمدنا أساساً على نسخة أياصوفيا (الأصل) ثم (مط) كما استعنا بالأصول التاريخية خاصة بالطبري، وبالمخطوطات الناقصة الموجودة في متناولنا مثل: مح، آ، تد، (والأخيرة عن طريق نشرة دي خويه) كما استعنا بصورة غير مباشرة بالمخطوطتين اللتين استفاد منهما الدكتور احسان عباس في نشرته لعهد أردشير التي رمز إليها: ر، غ، خصيصاً لتحقيق العهد (أنظر مقدمته لنشرته).

ونعني بالأصول التاريخية، تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والآثار الباقية للبيريوني، وسير الملوك للشعالي، والمروج للمسعودي، وحمزة والدينوري وغيرها. وهذه - ما خلا الطبري - استفدنا منها في قسم ما قبل الإسلام، أي ما يخص بالتاريخ الإيراني القديم، لاسيما في تحقيق الأعلام الإيرانية.

وأما بالنسبة للطبرى (طبعة أوروبا) فأننا استفدنا منه الكثير سواء بالنسبة للاعلام، أو بالنسبة لإزاحة الشكوك فى قراءة الكلمات والعبارات، وملأ الفراغ الناتج عن البياض والسقط والانمحاء والخرم وغيرها، ولاسيما من حواشى الطبرى فى نشرة دى خويه الملية باختلاف النسخ، حيث إن الطبرى منهل كبير ارتوى منه جلّ المؤرخين الآتين بعده ومنهم مسكويه. وهذا بالنسبة للفترة التاريخية الطويلة التى اشترك فيها الطبرى ومسكويه فى ذكر أحداثها، وأما بالنسبة للزمن الزائد عليها (العصر البويهى عند مسكويه) فرأينا أن نقارن النصّ مع أصول أخرى متأخرة عن الطبرى حسب إلحاح الحاجة لأنّ الطريق كان معبداً فى هذا القسم من العمل وإلى حدّ ما، بعد أن نشر آمذّ روز الجزأين الخاصّين بهذا العصر مع الذيل، فذلّل لنا بعض الصعاب مشكوراً.

والجدير بالذكر أننا ذكرنا صفحات الإرجاع فى كلّ مقارنة عملناها بين الأصل والطبرى، مع ما فى هذه المقارنة من صعوبات، لأنّ المقارنة بين نصّ ما، ونصّ يخالفه فى الحجم وترتيب المواد، تتطلّب أناة، ولكنها فى نفس الوقت عمل فيه نفع كبير للباحثين. وفى تاريخ ما قبل الإسلام، أى أوائل الجزء الأول، يوجد كثير من الأعلام الإيرانية القديمة ذات جذور فى اللغات الفهلوية والأفستائية وغيرها، ضُبِطت وصُحِّفت فى الأصول التاريخية ومنها تجارب الأمم، بصور شتى، أولاً: بسبب غرابة أشكالها فى أصلها القديم، ثانياً: اللعب الذى لعبته اللغة العربية فى تعريبها ثالثاً: عبث الكتاب والنساخ بها. وهذا هو ما أدّى إلى أشكال غريبة من التحريف والتصحيف. لذلك أرجعنا - قدر المستطاع - مثل هذه الأعلام إلى أصولها فى الحواشى، بعد إثبات اختلاف صور الضبط فيها، مستفيدين من عمل سابق قمنا به بهذا الصدد، معوّلين على قواميس اللغات الإيرانية القديمة ودراسات الإخصائيين فى هذا المجال. ومما هو جدير بالذكر هنا، أنّه، لمّا كانت الأعلام كثيرة متوالية فى الصفحات الأولى من الجزء الأول، وذلك لاختصار تقارير مسكويه لتلك الفترة، لذلك، نرى حواشى تلك الصفحات مكثّفة، مع أننا حاولنا - قدر المستطاع - تلخيص تعاليقنا وإثباتها بأوجز وجه. وكذلك حاولنا شرح الأعلام الجغرافية، أو بعض الكلمات، قدر ما

تيسر وسنحت لنا فرص البحث والتتبع، أو بدافع حاجتنا في تحقيق الكلمة وضبطها، دون أن نكون قد وفقنا في شرح كل تلك الأعلام أو المفردات. كما استعملنا لهذا الغرض الرموز الصوتية الدولية، ولكن بشيء من التغيير الذي دفعنا إليه الظروف المطبعية، فأصبحت الرموز كما يلي:

a = اَ	i = إ (الكسرة العربية)	h = هـ	v = (الفارسية)
á = آ	í = إى (بالمدة)	sh = ش	x = خ
ch = ج	j = ج	th = ث	y = ي
dh = ذ	o = أ	ú = أو	z = ز
g = گ	gh = غ	w = و	zh = ژ

وقد اتبعنا في رسم الكلمات وكذلك في إثبات الحوار الوارد في النص وما إلى ذلك، معدّل الطرق الحديثة المقترحة في تحقيق النصوص، ممّا يتلاءم وطبيعة نصّ تاريخي مثل تجارب الأمم، وبالنتيجة، فقد غيّرنا ضبط رهط من الكلمات نشبت هاهنا نماذج منها: أثبتنا: أثناها بدل أثناها؛ وبقاؤه، بقاءه، بقاءه بدل بقاءه؛ والحياة بدل الحيوية؛ وتدنو بدل تدنوا؛ وإساءة بدل إساءة؛ وجاءت بدل جأت؛ وإينة بدل ابنت؛ وثمانين بدل ثمنين؛ وحارث بدل حرث؛ ورؤوس بدل رؤس، وسبعة آلاف بدل سبعة ألف؛ وأربعة آلاف بدل أربعة ألف؛ وأيّة، بدل أيّة؛ وما إليها.. وأمّا، بشأن إثبات الحوار فقد اتبعنا المناهج المألوفة ليكون النصّ عند القراءة، أوضح وأنطق، ووضعنا العبارات المنقولة بين «»، كما جعلنا كل كلمة دخيلة مقحمة ممّا نقلناها عن الأصول الأخرى، أو اقترحناها نحن، جعلناها بين []، حفظاً للأمانة وحرصاً على أصالة النصّ، وأثبتنا رقم صفحات مصورة كيتاني، أي صفحات المخطوطة، بين []، أولاً: لتسهيل على القارئ المقارنة بين نشرتنا وبين الأصل إن شكّ في صحّة ما أثبتناه، ثانياً: لسهولة المراجعة حسب الإرجاعات الموجودة في دراسات الباحثين، ثالثاً: لسهولة

الإرجاعات الداخلية التي احتجنا نحن إليها، خصيصاً بالنظر إلى ثبوت مواضعها قبل الطبع وبعده. ثم يرى القارئ أننا أوردنا النصوص الطويلة الهامة بسطور أقصر تمييزاً بينها وبين النصّ العادي، وما إلى ذلك من القواعد المألوفة.

وفى الختام أشكر الله على أن وفقني لإتمام هذا العمل الملتوى المضني، الذي طالما فكرت في إنجازه، كما أقدر الجهود التي بذلتها دار سروش للنشر، بمن فيها من أصحاب القرار، والمباشرين، والمتعاملين معهم من خارجها، منذ بدء هذا العمل حتى الآن، أشكرها على تحملها أعباء مراحل طبع هذا السفر التراثي الكبير، علماً منها بأن جهدها هذا سينعكس في إثراء المكتبة العالمية، وذلك في حقل الدراسات الإسلامية الإيرانية، التاريخية، والحضارية.

وأشكر أخيراً - وهل يبرئ الشكر ذمة المدين؟ أشكر قرينتي الفاضلة التي وقفت بجانبى في أشد اللحظات واستظهرت بها وبدورها المشجع في آناء التواني والفتور، فلولا ذلك لما أمكنني إنجاز هذا العمل، كما أشكر ابني العزيزين آرش ومازيار، الذين حرموا وفي أغلب الأحيان من كامل حضوري بينهم، حيث طال ما انزويت في مكتبتى بسمناى عنهم وعن الإسهام معهم في تفاصيل الحياة العائلية. فلا أقل من أن أهديهم حصيلة هذا الجهد، رمزاً لأداء ما فاتنى من الواجب تجاههم، متمنياً أن يعوضهم الله حياة طويلة عريضة، ملؤها السلامة والسعادة والهناء. والله ولي التوفيق.

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

الدكتور ابوالقاسم امامي

شباط ١٣٧٩ ش. / ١٤٢١ ق. / ٢٠٠١ م.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين^(١) حمد الشاكرين، وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين^(٢). قد أنعم الله علينا، معاشر خدام مولانا الملك السيد الأجل، وليي النعم - أطال الله بقاءه، وأكبر أعداءه، وحرس ملكه، وأعز سلطانه - لما أخرجنا في زمانه، وأنشأنا في أيامه، وبوأنا ظله، وأنزلنا كنفه، وجعلنا من خاص خدمه. فنحن نتقلب^(٣) من نعمه فيما لا شكر له غير الدعاء، ولا ثمن له غير الثناء، فنسأل الله بأخلص نية وأصدق طوية، إدامة أيامه، والإمتاع بما خوّلناه من إنعامه، إنه جواد كريم.

وإني لما تصفحت أخبار الأمم، وسير الملوك، وقرأت أخبار البلدان، وكتب التواريخ، وجدت فيها ما تستفاد منه [2] تجربة لاتزال^(٤) يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبهها وشكلها: كذكر مبادئ الدول، ونشء^(٥) الممالك، وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافى من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال، وإغفال من أغفله وأطرجه إلى أن تأدى إلى الإضمحلال والزوال، وذكر ما يتصل

١. رب العالمين: سقطت من مط.

٢. التصلية في مط: وصلى الله على نبيه وآله أجمعين.

٣. تقلّب في الأمر: تصرف فيها كيف يشاء، يقال: فلان يتقلب في أعمال السلطان وفي نعماته.

٤. مط: لا يزال.

٥. مط: ونشر.

بذلك من السياسات فى عمارة البلدان، وجمع كلم الرعيّة، وإصلاح نيات^(١) الجند، والحروب ومكائد^(٢) الرجال، وما تمّ منها على العدو، وما رجع على صاحبه، وذكر الأسباب التى تقدّم بها قوم عند السلطان، والأحوال التى تأخّر لها آخرون، وما كان منها^(٣) محمود الأوائل مذموم العواقب، وما كان بضدّ ذلك، وما استمرّ أوّله وآخره على سنن^(٤) واحد؛ وذكر سياسات [3] الوزراء، وأصحاب الجيوش، ومن أسند إليه حرب وسياسة، أو تدبير أو إيالة، فوفى بذلك وتأتى له^(٥)، أو كان بخلاف ذلك.

ورأيت^(٦) هذا الضرب من الأحداث، إذا عُرِف له مثال مما تقدّم، وتجربة لمن سلف، فاتخذ إماماً يقتدى به، حذر مما ابتلى به قوم، وتمسك بما سعد به قوم. فإنّ أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وصار جميع ما يحفظه الانسان من هذا الضرب كأنه تجارب له، وقد دفع إليها، واحتك^(٧) بها، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه، واستقبل أموره استقبال الخير^(٨) وعرفها قبل وقوعها، فجعلها نصب عينه وقبالة لحظه^(٩)، فأعدّ لها أقرانها وقابلها بأشكالها. وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غرّاً^(١٠) غمراً^(١١) لا يتبيّن الأمر إلّا [4] بعد وقوعه، ولا يلاحظه إلّا بعين الغريب منه، يحيره^(١٢) كلّ

١. مط: يثاب. ٢. مط: ومكانة.

٣. مط: ومنها ما كان. ٤. السن: الطريقة والمثال.

٥. مط: وتأتى له.

٦. الكلمة غير واضحة فى الأصل. وما أثبتناه يؤيده ما فى مط.

٧. احتكتك السن الرجل: حنكته، أى: أحكمته التجارب وجعلته حكيماً.

٨. مط: بياض. يقال: أخبرنى بذلك الخير: العالم بالخبر. وفى ما نقله بعض الباحثين عن هذه المقدمة:

«الخير»، وما أثبتناه هو الصحيح نصاً. ٩. مط: «قبالة بخطه»! بدل «قبالة لحظه».

١٠. هو غرّ: غير مجرب. ١١. صبى غمر: لم يجرب الأمور.

١٢. مط: ويجبره.

خطب يستقبله، ويدهشه كل أمر يتجدد له.

ووجدت هذا النمط من الأخبار مغموراً بالأخبار التي تجري مجرى الأسرار والخرافات التي لا فائدة فيها غير استجلاب النوم بها، والاستمتاع بأنس المستطرف منها، حتى ضاع بينها، وتبدد في أثنائها، فبطل الانتفاع به، ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالاً يربط بعضه بعضاً، بل تنسى النكتة منها قبل أن تجيء أختها، وتتفقت^(١) من الذهن قبل أن تقيدها نظيرتها، ويشغل الفكر بسياقة خبرها دون تحصيل فائدتها.

فلذلك، جمعت هذا الكتاب، وسميته تجارب الأمم. وأكثر الناس انتفاعاً به وأكبرهم حظاً منه، أوفرهم قسطاً من الدنيا، كالوزراء، وأصحاب الجيوش، وسوأس المدن، ومدبري أمر [5] العامة والخاصة. ثم سائر طبقات الناس. وأقل الناس حظاً، لا يخلو^(٢) أن ينتفع به في سياسة المنزل، وعشرة الصديق، ومداخلة الغريب، ولا يعدم مع ذلك، أنس السمر الذي يوجد في القسم الآخر الذي أطرحناه.

وبعد، فلو كان الخادم لا يتقرب إلا بما يعزّ وجوده عند سلطانه، ولا يلفظ في الخدمة إلا بما لا يجد مثله، لانقطعت أسباب الهدايا والتحف، وارتفعت الملاطفات بالآداب والظرف^(٣)، ولا سيما عند من كان في علو الهمة، وتوقد القريحة، وحفظ الآداب، وسياسة الملك والرعية في الخير، على ما عليه الملك السيد، أدام الله سلطانه^(٤).

وأنا مبتدئ بذكر الله ومنته، بما نقل إلينا من الأخبار بعد الطوفان، لقلة الثقة بما كان منها قبله، ولأن ما نقل [إلينا]^(٥) أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره [6]

١. مط: وتثقلت. ٢. رسم الأصل: لا يخلوا.

٣. مط: والطرق. الطرف: كل شيء مستحدث عجيب.

٤. مط: ظلالة. ٥. إلينا: أضفناها عن مط.

وضمنناه^(١) في صدر الكتاب. ولهذا السبب بعينه، لم نتعرض لذكر معجزات الأنبياء - صلوات الله عليهم - وما تمّ لهم من السياسات بها، لأنّ أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم، اللهمّ إلا ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز.

وقد ذكرنا أشياء مما يجرى على الاتفاق والبخت^(٢) وإن لم يكن فيها تجربة، ولا تقصد بإرادة. وإنّما فعلنا ذلك لتكون هي وأمثالها في حساب الانسان وفي خَلْدِه^(٣) ووهمه، لئلا تسقط من ديوان الحوادث عنده وما ينتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرّزاً من مكروهه إلا بالاستعانة بالله، ولا توقّعاً لمحبوبه إلا بمسألته التوفيق، وهو - عزّ اسمه - خير موفق ومعين.



مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

١. هكذا ضبطت في الأصل.

٢. البخت: في اللسان عن الأزهري: لا أدري أهو عربي أم لا. في المعرّب عن ابن دُرَيْد: فارسي معرّب. بالفهلوية: baxt بالأفستائية: baxta بمعنى النصيب المقدّر (حب).

٣. الخَلْد: البال والنفس.

الفيشداذية ومن عاصرهم

أوشهنج

فأول من يحفظ اسمه وسيرته من الملوك أوشهنج^(١) [7] وأنا ذاكره^(٢) والملوك بعده على توالٍ ونسق. فإن كان لواحد منهم سيرة محمودة أو تدبير مرضى، ذكرته وذكرت سائر ما ضمنته في صدر الكتاب، ومن لم يحفظ له سيرة، ذكرت اسمه فقط، ليكون نظام التاريخ محفوظاً، فأقول:

إنَّ أوشهنج هذا هو الذي خلف جدّه جيومرت^(٣) وجمع الأقاليم السبعة، ورتّب الملك، ونظم الأعمال، ولقّب بـ «فيشداذ»^(٤)، وتفسيره بالعربية: أول سيرة العدل.^(٥) ويقال: إنّه كان بعد الطوفان بمائتي سنة. وهو أول من عُرف قسطه^(٦)

١. في الأصول: أوشهنج، أوشهنگ، أوشهنگ، هوشنگ. بالأفستائية: Haushyanha أى: واهب المنزلة الحسنة (يو: ١٢٦، حب). بالفهلوية: Hoshyang (ف).
٢. ذاكره: غير واضحة في الأصل وما أثبتناه هو من مط.
٣. في الأصول جيومرت، كيومرت. بالأفستائية: Gaya-Mareta أى: الحيّ الذي يموت، أو: الحياة الفانية. بالفهلوية: Gayo mard, Gayomart (حص: ٣٩٩-٤١١).
٤. في الأصول: فيشداذ، يشداذ، يشداذ. بالفهلوية: Peshdat (ف). بالأفستائية: Para - Dhata أى: من وضع القانون أمامه وحكم بالعدل (يد ١: ١٧٨).
٥. كذا ضبطت في الأصل: أول سيرة العدل.
٦. يشاهد مثل هذا التعبير عند مسكويه في مواضع أخرى أيضاً، قال مثلاً: أول من عُرف ذلّ الفيلة؛ أو: من

الشجر، وبنى به، واستخرج المعادن وبنى مدينتي بابل^(١) والسوس^(٢). وكان فاضلاً سائساً محموداً، ونزل الهند، ثم تنقل في البلاد، وعقد التاج، وجلس على السرير. وكان من حسن سياسته أن نفى أهل الفساد والذعارة^(٣) من البلدان [8] إلى البراري، وألجأهم إلى رؤوس الجبال وجزائر البحار، وطهر منهم الممالك، واستخدم من كان يستصلحه منهم، وسماهم الشياطين والعفاريت، وقرب أهل الصلاح وأحسن رعاية الأمور، إلى أن انتهى ملكه إلى طهومت^(٤) بعده.

طهومت

وهو من ولد أوشهنج، وبينهما عدة آباء، وسلك سيرة جده، وتنقل في البلدان، وبنى الموضع الذي جدده بعد ذلك سابور^(٥) من فارس، ونزله، وطلب الدعار ونفى الشياطين أعني الأشرار. وهو أول من كتب بالفارسية. وسلك سبيل جده، فاستمر نظام الملك على حال واحدة من عموم الصلاح، واستقامة أحوال الجند والرعية، إلى أن ملك بعده جم شيد^(٦).

→ عُرِف خندق الخنادق (أنظر ص ٥١، ٦١).

١. بابل: بالبابلية: Babilu أي: باب إيل، أي: باب الله. بالافستائية: Bavari. في نقش بيستون: Babirauv (حب).

٢. في المصادر الفارسية القديمة: Shusha, Shusa, Susa (حب).

٣. مط: الذعارة.

٤. كذا في الأصل ومط: طهومت، وهو تصحيف. وفي الأصول: طهمورت، طهمورث. بالفهلوية: Taxmurit (ف).

٥. سابور: مدينة منها إلى شيراز خمسة وعشرون فرسخاً، كما هو اسم لكورة بفارس بها مدن أكبر من مدينة سابور (يا).

٦. مط: جمشيد. في الأصول الأخرى: جم شيد، جم، جمشاسب، جمشيدون. بالافستائية: Yima-Xshaeta. بالفهلوية: Yimshet أي: جم المشرق (ف، حص، لد).

جم شيد

وهو أخو طهمورت، وتفسير «شيد» الشعاع. لأنه كان وضيئاً، جميلاً. وملك الأقاليم، وسلك [9] السيرة المتقدمة، وزاد عليها بأن صنّف الناس وطبّقهم ورّتب منازل الكتاب، وأمر أن يلزم كل أحد طبيقته. وعمل أربعة خواتيم: خاتماً للحروب والشُرط، وكتب عليه «الأناة»، وخاتماً للخراج، وجباية الأموال، وكتب عليه «العمارة»، وخاتماً للبريد^(١)، وكتب عليه «الوَحَا»^(٢) وخاتماً للمظالم، وكتب عليه «العدل». فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الاسلام، وألزم من غلبه من أهل الفساد والشرّاطين الأعمال الصعبة، وأذلّهم بقطع الحجارة والصخور من الجبال، وعمل الكلس والجصّ والبناء والطين، وعمل المعادن، وغير ذلك من الأمور الصعبة. فحسنت سيرته، وخافه أهل العيث^(٣) والفساد، بما ألزمهم من الأعمال الشاقّة. وأحدث النوروز^(٤)، وجعله عيداً وأمر الناس بالتنعم فيه. [10] ثم إنّه بعد ذلك، بدّل سيرته. فكان من نتيجة فعله وسوء عاقبته، أن دخل الوهن في الممالك، وتجاسر أهل الفساد عليه.

فما حكى من تبديل سيرته، إظهار الكبر والجبرية على وزرائه وكتّابه وقوّاده، وإيثار التخلّي والإغرام بالذّات، وترك مراعاة كثير من السياسيات التي

مركز تحقيق كتاب نوروز علوم اسلامی

١. البريد: عربي (ابن دُرَيْد)، فارسي معرّب من «دُم بُريد» [أي: «محذوف الذنب» حسب تعبير المؤرخين - أنظر ص ٩٣ وما علّقناه على تلك الصفحة]. أو معرّب من «بُردن» أي: الذهاب بالشيء (باللغة الفارسية). أو معرّب للكلمة اليونانية: veredus ومعناها: الحيوان ذو القوائم الأربع، ثم تحوّل إلى معنى «فرس البريد»، ثم إلى «البريد» بالذات (لد، حب).

٢. الوحا: السرعة. والمكتوب على الخواتم عند ابن الأثير: «الرفق والمدارة» * العمارة والعدل * الصدق والأمانة * السياسة والانتصاف (١: ٦٤). ٣. وفي مط: أهل العيث (بالياء الموحدة).

٤. في الطبري: نوروز (١: ١٨٠). الثعالبي: النوروز (ص ١٤). ابن الأثير: نوروز (١: ٤٩٧). أبو نؤاس في شعره: النوكروز. بالفهلوية: nok-róch أو noghróz (حب). مف: nik-róch.

كان يتولّاها بنفسه. فأحسّ بذلك بيوراسب^(١) - وهو الذى تسمّيه العرب الضحّاك^(٢) - وعلم استيحاك الناس منه، وتنكّر خواص أصحابه له، فدسّ إلى رجاله^(٣) من استصلحه^(٤) لنفسه، ودبّر عليه حتى قوى، ثم قصّده، فهرب منه جمّ وتبعه حتى ظفر به، فنكل به، وأشره بمشّار^(٥). وقد كان جمّ تنقل فى البلدان قبل ذلك، إلى أن جرى عليه ما جرى.

وكان الضحّاك هذا - على ما تزعم الفرس - من ولد جيومرت، وبينه وبين جيومرت من الآباء «تاج»^(٦) وإليه تنتسب العرب، فيقال لهم: «تاجى»^(٧) وهم

١. مط: هوراسب.

٢. الضحّاك: معرّب «ده آك» (حمزه: ٢٤).

٣. مط: رجاله.

٤. مط: من استخلصه.

٥. فى الطبرى: ونشره بمشّار (١: ١٨١). أشر الخشبة وغيرها: نشرها. المشّار: المنشار.

٦. فى الطبرى: تاز (١: ٢٠٢). البيرونى: غار (قار) وهو أبو العرب العاربة (ص ١٠٤). حمزة: تاج، ولذلك

قيل لهم: تاجيان (ص ٣٤). ابن الأثير: يارين (١: ٧٤).

٧. بالفهلوية Tazhik (فم)، Tazik, tajik (ف): المنسوب إلى قبيلة طىء أو العرب. تاجيك، تاجك، تازيك،

- وبأحد المعانى - تازيك: شىء واحد. باللغة التركية: تات (الرعيّة) + چيك (فى الأصل وبأحد المعانى: الولد، أو بمعنى التصغير): ١ - غير الترك عامة، ومن ليس بترك أو مغولى. ٢ - الايراني خاصة. ٣ - أهل

تاجيكستان (فم).

أما الوجوه التى ذكرها الباحثون فى تسمية العرب بـ «تازى» فهى: ١ - أن تكون الكلمة من المصدر

الفارسى: «تازیدن» أى: شنّ الإغارة لأن العرب كانت تكثر ذلك فى غابر الزمن. ٢ - لفظة «تاز» معناها

الخيمة، والعرب كانت تسكن الخيام فسماهم الإيرانيون بـ «تازيك» = تازى. ثم تبع الصينيون

الايرانيين فى هذه التسمية، فقالوا للعرب: «تاش» (لد). ٣ - كان الإيرانيون، فى عصر أنوشيروان، على

اتصال باليمن، وكانوا يسمون طيّاً بـ «تاز». فقالوا للمنسوب إلى هذه القبيلة «تازيك»، ثم أطلقوا الاسم

على كل العرب (حب). وهذا التعميم نراه أيضاً فى التلمود والموارد اليهودية السريانية الأخرى، حيث

أطلق على العرب: طيبعه، طيبه، طيايه؛ وأصلها: طىء (Obermeyer, s. 233, ff.) نقلاً عن المفصل ١:

٦٦٠. ٤ - أن لفظة «تازى» هى الشكل الفارسى للفظة: «طائى» العربية التى تطلق على المنسوب إلى

قبيلة «طىء» (لش). ٥ - كان الايرانيون منذ القديم يسمون غير الايرانيين بـ «تاجيك» أو «تازيك»، كما

سمّت الإغريق غيرهم «هبرراً»، وسمّت العرب غيرهم «أعجمياً»، فتحول هذا اللفظ إلى «تازى» فى

اللغة الفارسية الحديثة، ثم اختص بالعرب قليلاً قليلاً، بينما بقى فى بلاد الترك وماوراء النهر بشكله

←

يلقبون بيوراسب بـ «الأزدهاق»^(١). [11] وقوم منهم يزعمون أن جسم شيد زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته وملكه اليمن، فولدت له الضحّاك. وأما العرب فينسبون الضحّاك غير هذه النسبة. ورغم قوم أنه نمرود. وزعم آخرون أن نمرود كان عاملاً من قبله على كثير من أعماله، ولا ينبغي أن نذكر من أمره فيما قصدنا له، أكثر من هذا التّنبذ، لئلا ننقطع عن غرضنا.

بيوراسب

وما جرى بينه وبين كابي الإصبهاني

ولما ملك بيوراسب^(٢) ظهر منه خبث شديد وفجور كثير، وملك الأرض كلّها، فسار فيها بالجور والعسف، وبسط يده بالقتل والصلب، ليهايه الناس، وليمحو عن صدور الناس سياسة من تقدّمه وذكرهم وسنتهم. فسوّ العشور، واتخذ المغنّين والملهين. وكان على منكبه سلعتان^(٣) يحركهما^(٤) إذا شاء، كما يحرك يديه. فادّعى أنهما حيّتان، تهويلاً على [12] ضعفاء الناس، وأغبيائهم، وكان يسترهما بثيابه.

فلما طالت أيامه وعمّ الناس جوره، كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بإصبهان



مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

القديم وبمعناه العام (مطلق الأجانب)، ثم بعد أن اختلطت الترك الألتائيون والفرس في تلك التخوم، دخلت كلمة «تاجيك» في لغة الترك فسوّ الترك الإيرانيين «تاجيك» فليل: «ترك وتاجيك» (بس ٣: ٥٠ الحاشية).

١. في الأصول: أزدهاق، أزدهاك، ده آك. شا: أزدها، أزدهافش، بالأفستائية: Agi-dahaka. بالفهلوية: Azhi-dahak (ف).

٢. في سائر الأصول: بيوراسب، بيوراسف، بهراسب. بالفهلوية: Bevarasp (ف)؛ أي: من له عشرة آلاف حصان (فم).

٣. السلعة: زيادة تحدث في الجسد.

٤. مط: حركهما.

رجل يقال له: «كابي»^(١) من أثناء^(٢) العامة، وكان الضحّاك قتل له ابنين. فلما بلغ الجزع من كابي هذا على ولديه ما بلغ، أخذ عصاً، فعلق بطرفها^(٣) جراباً^(٤). - ويقال: إنّه كان حدّاداً وإنّ الذي علّقه نطع^(٥) كان يتوقّى به من النار - فجعله علماً ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب^(٦)، فأجابه خلق كثير، لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور. فاستفحل^(٧) أمره وقوى، وتقال الفرس بذلك العلم، وعظّموا أمره، وزادوه ورصّعوه بعد ذلك بالجوهر، حتى جعله ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبرّكون به، وسمّوه «دَرْقُس كايان». فكانوا لا يسيّرونه إلّا في الأمور العظام. ولما استعلى كابي الإصيهاني، وأشرف على بيوراسب، هرب [13] عن منزله. واجتمع أشراف الناس على كابي، وناظروه في الملك. فقال لهم كابي: إنّه لا يتعرّض للملك، لأنّه ليس من أهله. وأمرهم أن يملّكوا بعض ولد جمّ. وكان أفريدون^(٨) بن أنفيان^(٩) مستخفياً من الضحّاك في بعض النواحي، فوافى هو ومن معه إلى كابي، فاستبشر الناس به، لأنّه كان مرشحاً للملك. فصار كابي أحد أعوان أفريدون حتى احتوى^(١٠) على منازل بيوراسب^(١١)، وحتى تبعه وأسرّه

١. كذا في الطبري (١: ٢٠٧)، وابن الأثير (١: ٧٥)، الثعالبي (ص ٣٤). في الفارسية الحديثة: كاوّه.

٢. مط: من أبناء العامة. بالفهلوية: Kavagh (حب).

٣. في الأصل: بأطرافها، والتصحيح من مط. ٤. الجراب: الوعاء، أو: المزود من إهاب الشاء.

٥. النطع: بساط من الأدم أي من الجلود المدبوغة.

٦. مط: هوراسب. ٧. استفحل أمره: تفاقم واشتدّ.

٨. في سائر الأصول: أفريدون، أفريدون، في بندهش: Fréton. بالأفستانية: Thraetaon. في فيدا:

Traitana (يد ١: ١٨٨).

٩. مط: ايقبان. في سائر الأصول: أثقبان، أثقيان، أثقيال (حب). يد: آسپيان (١: ١٨٨) بالأفستانية:

Atawya. في فيدا Aptya (حص: ٦٥، يد ١: ١٩٩). بالفهلوية Asfián, Asvián (ف) Asviyán, Asfiyán

(وب: ٣١). بالفارسية الحديثة: آتين، ثم آتين.

١٠. احتوى الشيء، وعليه: حواه: استولى عليه وملكه.

١١. مط: هوراسب.

بذئباوند^(١)، فقتله.

ولم يُسمع من أمور الضحّاك بشيء يستحسن، ولا نُقل من أخباره ما يكتب غير شيء واحد. وهو أنّ بليّته^(٢) لما اشتدّت، وطالت أيامه وتراسل وجوه الناس في أمره، وأجمعوا على المصير إليه من البلدان، وافى بابَه العظماء والوجوه من النواحي والأقطار، وتناظروا في الدخول عليه والتأّتي له^(٣) واستعطافه، وأجمعوا على تقديم كابي الإصيهاني، وذلك لما رأوا من تحرّقه على ولديه، [14] وجراته على الكلام. فلما اجتمعوا ببابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا يقدمهم كابي. فمثل بين يديه، وأمسك عن السلام.

ثم قال:

«أسلّم عليك سلام من يملك الأقاليم كلّها، أم سلام من يملك هذا الإقليم؟»

فقال: «بل سلّم سلام من يملك الأقاليم كلّها، فإنّي ربّ الأرض.»

فقال له كابي: «فإن كنت مالك الأقاليم كلّها، فما بالك خصصت بتحاملك

ومؤنك^(٤) وإساءتك ناحية كذا؟ وهلا قسمت أمر كذا بين الأقاليم؟»

ثم عدّد أشياء، وجرد له الصّدق، حتى انخزل^(٥) له الضحّاك وأقرّ، ووعد

الناس بما يحبّون، وأمرهم بالانصراف ليتّبعوا^(٦)، ثم يعودوا إليه ليقضى حاجاتهم.

وكانت له أم فاحشة بذينة^(٧) جبّارة، وكانت تسمع كلامهم لما دخلوا عليه،

فاغتاظت منهم وأنكرت إقراره للقوم. فكلّمت بيوراسب^(٨) منكرة عليه وقالت:

«هلا دمّرت عليهم وأمرت بهم؟»

١. ذئباوند، دماوند، دباوند. دماوند: كورة من كور الرئ. جبل عال جدّاً، مستدير قرب الرئ. سجن

أفريزون بيوراسب في رأسه (مع). ٢. مط: نكتبته.

٣. تأتّى للأمر: ترفّق وأتاه من وجهه. ٤. المؤن: جمع مفردة: مؤنه: الشدة والثقل.

٥. انخزل: انقطع. وفي مط: «تحرّك» بدل «انخزل».

٦. ليتّبعوا: لا توجد في مط. اتّبع: سكن واستقرّ.

٧. بدأ: فحش في قوله. ٨. مط: هوراسب.

فقال لها [15] الضحّاك على عتوّه:

«إنك لم تفكرى فى أمر، إلّا وقد سُبِقَتْ إليه. إنّ القوم بدهونى^(١) بالحق. فلما هممت بالسطوة بهم، وقف الحقّ بينى وبينهم، واعترض كالجبل، فحال بينى وبين ما أردت.»

فهذا ما استحسن من فعل الضحّاك وقوله، ولا يعرف له شيء مستحسن غيره.

ثمّ ملك أفريزون

وهو من ولد جمّ. ويقال: إنّهُ كان التاسع من ولده. فردّ مظالم الناس، وأمر بالإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما غصب عليه الضحّاك من الأرضين وغيرها، فردّها كلّها على أهلها، إلّا ما لم يجد له أهلاً، فإنّه وقفه على المساكين ومصالح العامة. وكان موثراً للعلم وأهله، وكان صاحب طبّ ونجوم وفلسفة. وكان له ثلاثة أولاد: سَرم، وطوج، وإيرج^(٢). فخشى ألا يتفقوا بعده. وأن يبغى بعضهم [16] على بعض. فظنّ أنّه إذا قسم الملك بينهم أثلاثاً فى حياته، بقى الأمر بعده على انتظام وصلاح. فجعل الروم^(٣) وناحية المغرب لسرم، والترك والصين

١. بدهه: فجأة، بفتحه.

٢. فى الطبرى: سرم (سلم)، طوج، إيرج (١: ٢٢٢، ٢٣٠). المسعودى: سلم، اطوج، ایراج = ایران (١: ٢٤٧). الثعالبى: سلم، توز ایرج (ص ١٤). حمزة: سلم، طوج، ایرج (ص ٢٥). البيرونى: سلم (شرم)، طوج (توز)، إيرج (ص ١٠٤). شاه سلم، تور، ایرج (١: ٧٩). تور = تورج (بق) = توز (لد) = توز (اليحقوبى ٢: ١٢٤) = طوس (الدينورى ١: ٩). فى الفهلوية: Tutch, (Turch) Sarm, Eretch. بالافستائية: Sairimyana أى: بلاد سرم، أى: الروم. و Tuiryana أى: بلاد الترك. و: Airyana أى: بلاد الإيرانيين (حص: ٤٦٩ - ٤٧٤، يد ١: ١٩٤، يد ٢: ٥٢).

٣. لقد ذكر انقسام ملك فريدون بين أبنائه الثلاثة فى «چهردادنَسك» الذى هو من الأنساك المفقودة لأفستا، وهذا ما نفهمه من «دينکرد» الفصل الثالث الفقرتين التاسعة والعاشرية. وفى «فَرَوَزدين يَشْت» ذكرت خمسة أقوام، فأضيف على الثلاثة المذكورة قومان وهما: «سائىنى» و «داهى». وقد أخذت الفرس هذه القصة من الهندوأوروبين ولا يمكن إرجاع تاريخها إلى أبعد من عصر الأشكانيين الذين

لطوج، والعراق والهند لإيرج وهو صاحب التاج والسرير، فلما مات أفريدون، وثب طوج وسرم بإيرج، فقتلاه، وملك الأرض بينهما.

وأفريدون أول من تسمى بـ «كى»^(١). فكان يقال له: كى أفريدون^(٢)، وهى كلمة تعنى التنزيه، أى: روحانى، أى: هو منزّه متصل بالروحانية.^(٣) وكان جسيماً وسيماً حسن البهاء، محرباً^(٤) عظيم القوة.

ويقال: إن بيوراسب^(٥) قال له لما ظفر به:

«لا تقتلنى بهدك جَم».

فقال له أفريدون منكراً لقوله:

«لقد سمت بك نفسك وهمتك، وعظمت فى نفسك، حين قدرتها لهذا. جدى كان أعظم [17] قدراً من أن يكون مثلك كفوّاً له فى القود»^(٦)، ولكنى أقتلك بشور كان فى دار جدى».

وأفريدون أول من عُرف ذلّل^(٧) الفيلة، وقاتل بها الأعداء. ثم قسم الأرض كما ذكرنا بين أولاده. ولأجل ما صار بين أولاده من العداوة، بقيت الذحول^(٨) بين

ما كانوا يعرفون القومين Tura و Sairima اللذين ذكرا فى «فروردين يشت»، ولكنهم كانوا يطلقون الإسمين على أعدائهم القاطنين فى الشمال وشرقى الشمال والمغرب من بلادهم، فأطلقوا Sairima على اليونان، والروم، والآن، كما أطلقوا Tura على أقوام، عاشوا فى شرقي الشمالى أى قبائل «تخار» و«خيون»، ثم على الهياطلة، وأخيراً على قبائل الترك (حص: ٤٦٩ - ٤٧٤).

١. بالأفستائية: Kavi. بالفهلوية: Kay أى: المَلِك (قم) وبمعنى العزيز، والقهار، والجبار (لد).

٢. مط: أفريدون. ٣. مط: متصل الروحانية.

٤. مط والطبرى: مجرباً. المحرب: الخبير بالحرب، الشجاع.

٥. مط: هوراسب. ٦. القود: القصاص.

٧. مط: عرف تذليل الفيلة، والأصل هو الأصح نصاً، لأن أسلوب التعبير هذا معهود من مسكويه فى مواطن كثيرة من الكتاب. انظر مثلاً: ص ٥١، ٥٩، ٦١.

٨. الذحول جمع مفردة الذحل: الحقد والثأر.

الترك، وملوك إيران شهر^(١)، والروم، وطلب بعضهم بعضاً بالدماء والثروات^(٢). وكان إبراهيم النبي - صلى الله عليه - في أيام الضحّاك. ولذلك زعم قوم أنه نمرود وأن نمرود عامل من عمّاله. ولم ينقل من أخباره - عليه السلام^(٣) - شيء من النمط الذي هممنا بإيراده في هذا الكتاب، إلا أشياء حكّاها ماني^(٤)، وهي بعيدة من الحق، فلذلك لم أوردّها، ولم أتعرض لذكرها.

منوشهر

فكان من سوء عاقبة وثوب طوج وسرم بإيرج وقتلهما إيّاه، أن نشأ ابن لإيرج بن أفريدون^(٥) يقال له: منوشهر [18] حقد على طوج، فدبر عليه، إلى أن قاومه، وتغلّب على ملك أبيه إيرج، ثم نشأ ولد لطوج التركي، فنفي منوشهر^(٦) عن بلاده. وكانت بينهما حروب لم ينقل منها شيء يستفاد منه تجربة. ثم^(٧)

١. إيران = إيراج. شهر: الملك (المسعودي ١ : ٢٤٨). بالفهلوية: Érán Shatr أي: أرض إيران كما كان يستعمل في العصر الساساني (قم).
٢. مط: التراب، والثروات جمع مفردة الثروة: الظلم في الذحل عامة؛ الجناية على الغير من قتل ونهب وسبي.
٣. في مط: بدون «عليه السلام».
٤. ماني: بالأفستائية: Namanya. بالفهلوية: Mānik أي: المنسوب إلى البيت: (باروجا: ٣١٢). ماني: الفذ، عديم النظير (بق). ولد عام ٢١٥ م. في مردينو بابل (البيروني: ٢٠٨). ويقال: إنه ولد في همدان، ثم انتقل إلى بابل، وقتل ٢٧٤ م. وادّعى بأنه فارقليط، ومزج بين الزرادشتية والمسيحية (حب، لد، قم). له من الآثار: * سابورقان (شاپورگان) في المعاد. * كنز الأحياء. * سفر الأسفار. * فراقطابا (بنگاهيك). * سفر الجبابرة (كوان). * إنجيل زند (إنجيل ماني) مكتوباً ٢٢ حرفاً من حروف الهجاء التي أبدعها، ملحقة بمجموعة من الصور سميت باللغات الإيرانية: أردهنك، أرتنگ، أرتنگ، أرژنگ، أرجنگ، وبالبيوانية: أيقون، وبالقبطية: أيقونس (لد، حب، قم).
٥. مط: أفريدون.
٦. في سائر الأصول: منوشهر، منوشجر، منوجهر. مط: منوجهر، بالأفستائية Manush Chithra (يو

أدیل^(١) منه منوشهر، فنفاه عن بلاده، وعاد إلى ملكه.

وكان منوشهر موصوفاً بالعدل والإحسان. وهو أول من عُرف خندق الخنادق وجمع آلة الحروب، وأول من وضع الذهبنة، فجعل لكل قرية دهقاناً^(٢) وجعل أهلها عبيداً وخولاً^(٣)، وألبسهم لباس المذلة، وأمرهم بطاعته. ولما قوى سار نحو الترك وطالب دم جدّه إيرج بن أفریزون، فقتل طوج بن أفریزون وأخاه سرماً، وأدرك ثأره وانصرف.

ثم نشأ فراسياب^(٤) بن ترك الذي ينسب إليه الترك من ولد طوج بن أفریزون، فحارب [19] منوشهر، وحاصره بطبرستان. ثم إن منوشهر وفراسياب اصطلحا، وضرباً بينهما حدّاً لا يجاوزه واحد منهما، وهو نهر بلخ - والفرس تحكى في ذلك حكايات^(٥) لا فائدة في إيرادها - فانقطعت الحرب بين فراسياب ومنوشهر.

١. قال الحجاج: يوشك أن تدال الأرض متناً، أي: يجعل لها الكرة والدولة علينا، فتأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها، وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها (لم).
 ٢. بالفهلوية: dehkán: مالك الأرض ورئيس القرية (حب، فم).
 ٣. الخول: عطية الله من النعم، والعبيد، والإماء، والأتباع، والحشم.
 ٤. مط: أفراسياب. في سائر الأصول: فراسيات، فراسياب، أفراسياب (الطبري ١: ٤٣٤، ٥٢٨، البيروني: ١٩٤، ٢٢٢، حمزة: ٢٠، المسعودي ١: ٢٤٩)، بالفهلوية: Frasyák (برتلমে: ٩٨٦).
 ٥. منها أسطورة آرش شواتير المسمى في الأفستا بـ: Eroxsha Xshwivi-isu أي: آرش الصلب القوس، أو: صاحب السهم السريع (اليشت ٨، الفقرات ٦ - ٨)، بالفهلوية: Erexsha Shepák-Tir (حص: ٥٨٨ لد، حب). ورد اسمه في المصادر كما يلي: إيرش، ارششياطير، ارششياطير (الطبري ٢: ٤٣٥)، ارش (الثعالبي: ١٠٧، البيروني: ٢٢٠)، ارسناس (الدينوري ص ١١)، ارشي (ابن الأثير ١: ١٦٦).
- جاء في الأفستا: «نحمد تيشتر يا Tishtrya النجمة الساطعة الرائعة التي تسير إلى بحر فوروكش: Vouru Kasha [الفهلوية: فراخ كرت] بسرعة ينطلق بها سهم إرخش Erexsha الصلب القوس، ذلك الآرئ الذي كان أصلب الآرئين قوساً، ورمى من جبل خشوث Xshutha إلى جبل خَفَنْتْ Xvanvant، ومستته نفحة من أهورا مزدا، وشقّ له الماء والكلا والشمس صاحبة السهول الفسيحة، منهجاً عريضاً»، والمراد بجبل خشوث: جبال «البرز» وبجبل خَفَنْتْ: أحد جبال منطقة جيحون (حص: ٥٨٩، ٥٩٠، زند اوستا ٢: ٤١٦).

خطبة منوشهر

فمما حكى ونقل من تدابير منوشهر أنه لما مضى من ملكه نحو ثلاثين سنة، تناولت الأتراك أطراف أعماله، فجمع قومه، ووبّخهم، ثم خطب عليهم، وهذه أول خطبة^(١) عرفناها، ونقلت إلينا. قال:

«أيها الناس: إنكم لم تلدوا الناس كلهم. وإنما الناس ناس ما حفظوا أنفسهم^(٢)، ودفعوا العدو عنهم. وقد نالت الترك منكم^(٣)، ومن

→

وأما أبوريحان البيروني فيروى الأسطورة بقوله: «زعموا أن أفراسياب لما تغلب على إيران شهر، وحاصر منوشهر بطبرستان، طلب منه أمراً، فأنعم به عليه، على أن يرد إليه من إيران شهر رمية نشابة في مثلها. فحضر ملك من الملائكة اسمه إسفندارمذ، وأمر أن يتخذ قوساً ونشابة، على مقدار مثله لصانعها على ما بين في كتاب الأستا [= الأفستا، الأستاق، بالفهلوية: Avistak، Apistak، بالفارسية الحديثة: أوستا (بالواو الفارسية)]، وأحضر أرش، وكان شريفاً ديناً حكيماً، وأمر بأخذ القوس ورمي النشابة. فقام، وتمزى وقال: أيها الملك، وأيها الناس! أبصروا بدني، فأني برىء من كل جراحة وعلة، وإني موقن بأنني إذا رميت بهذه القوس والسهم، تقطعت قطعاً وتلفت نفسي وقد جعلتها فداءاً لكم. ثم تجرد، ومدّ القوس بما أعطاه الله من القوة، فرمى بها، وتقطع قطعاً، وأمر الله الريح حتى اختطفت النشابة من جبل الرويان، وبلغ بها إلى أقصى خراسان بين فرغانة وطبرستان، فأصابت أصل شجرة من شجرة الجوز كبيرة، لم يكن لها في الدنيا شبه من الأشجار كبراً. ويقال: إن من موضع الرمية إلى موقع النشابة ألف فرسخ. فاصطلحا على تلك الرمية، وكانت في هذا اليوم: التيركان. فاتخذة الناس عيداً...» (البيروني: ٢٢٠).

إن منطلق السهم كما جاء في الأفستا والمصادر الإسلامية هو أحد هذه الأمكنة: خشوث، قمّة دماوند، أمل، ساري، جرجان، رويان، طبرستان. وموقعه: خَفَفَنُت، ساحل جيحون، مرو، نهر بلخ (= جيحون = آمودريا).

١. هذه الخطبة تجدها كاملة عند الطبري أيضاً (١: ٤٣٧)، كما تجد ملخصها بنسبة أقل من النصف عند ابن الأثير (١: ١٦٦). وقد قارنا في تحقيق نصها بين الأصل ومط والطبري.
٢. أول الخطبة في مط: أيها الناس بنس ما حفظوا أنفسهم. وفي الطبري: ... ما عقلوا من أنفسهم.

أطرافكم، وليس ذلك إلا من ترككم جهاد عدوكم، وقلّة المبالاة، وإن الله تعالى أعطانا هذا الملك ليبلونا: أنشكر فيزيدنا^(٤)، أم نكفر فيعاقبنا؟ ونحن أهل بيت خير^(٥)، ومعدن [20] الملك^(٦). فإذا كان غداً، فاحضروا.»

فاعتذر الناس، وواعدوه الحضور. فلما كان من غد، أرسل إلى أهل بيت المملكة وأشرافهم، وإلى الأساورة^(٧) وكبارهم، فدعاهم، وأذن للرؤساء من الناس ودعا «موبدان موبد»^(٨)، وأقعدته على كرسي مقابل سريرته، ثم قام على سريرته خطيباً. فقام أشرف الناس، وأهل بيت المملكة والأساورة، فقال: اجلسوا. فإني إنما قمت لأسمعكم. فجلسوا، فقال:

«أيها الناس، إنما الخلق للخالق، والشكر للمنع، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو كائن، وإنه لا أضعف من مخلوق، طالباً كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممن طلبته^(٩) في يده، ولا أعجز ممن هو في يد طالبه.

«ألا وإن التفكر نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة. وقد ورد الأول، ولا بد للآخر من اللحق^(١٠) بالأول، وقد مضت قبلنا [21]

مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

٤. مط: فنريد.

٣. منكم: غير موجودة في الطبري.

٦. في الطبري: الملك لله.

٥. في الطبري: عزّ.

٧. الأساورة: جمع مفردة الإسوار: الرامي. وقيل: الفارس (المعرب)، القائد (لد)، الحر، العظيم (فاب ١:

٢٢٣). بالآفستائية: asbāray ركوب الفرس، بالفارسية القديمة: asa-bāra، بالفهلوية: aspāvar،

aspabārāk، الأسوار: الراكب مقابل الراجل (حب).

٨. = موبدان موبد: أعلى درجة في رتب رجال الدين الزرداشتي. (فم) بالفهلوية: magupat (= مغ بد).

١٠. في الطبري: اللحق.

٩. الطلبة والطلبة: المطلوب.

أصول نحن فروعها، فما بقاء^(١) فرع بعد^(٢) ذهاب أصله، وإن الله - عز وجل - أعطانا هذا الملك، فله الحمد، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين.

«ألا وإن للملك على أهل مملكة حقاً، ولأهل مملكته عليه حقاً^(٣). فحق الملك على أهل مملكته، أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه؛ وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها، إذ لا معتمد لهم على غيرها، وإنه تجارتهم^(٤) وحق الرعية على الملك، أن ينظر لهم، ويرفق بهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون. فإن أصابتهم مصيبة تنقص من ثمارهم، لآفة أو ضرر من السماء أو الأرض، أن يسقط عنهم خراج ما نقص وإن اجتاحتهم^(٥) مصيبة، أن يعوضهم ما يقوونهم على عمارتهم^(٦)، ثم يأخذ منهم بعد ذلك على قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتين. والجند للملك بمنزلة جناحي [22] الطير^(٧)، فهم أجنحة الملك، ومتى قص من الجناح ريشة، كان ذلك نقصاناً منه، وكذلك الملك، إنما هو بجناحه وريشه.

«وإن الملك ينبغي له أن يكون فيه ثلاث خلال^(٨) : أولها أن يكون صدوقاً فلا يكذب، وأن يكون سخيّاً فلا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب، فإنه مسلط^(٩)، ويده مبسوطة، والخراج يأتيه. فينبغي له أن لا يستأثر^(١٠) عن جنده ورعيته، بما هم أهل له، وأن

١. في الطبري: بقي. ٢. مط: مع ذهاب.

٣. سقطت من مط: «حقاً، ولأهل مملكته حقاً. فحق الملك على أهل مملكته».

٤. في الأصل ومط: وإنه تجارتهم. في الطبري: وإنها تجارتهم. ابن الأثير: إنه خازنهم.

٥. اجتاحتهم مصيبة أو جائحة: أهلك ما لهم. ٦. في الطبري: عماراتهم.

٧. كذا في الأصل ومط. وفي الطبري: الطائر. ٨. خلال: جمع الخلّة: الخلصة، الخلق.

٩. مط: سلط. ١٠. استأثر بالشيء: خص به نفسه.

يكثّر العفو. فإنّه لا مُلك أبقي من مُلك فيه العفو^(١)، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة. وإن المرء لأن^(٢) يخطئ في العفو، خير له من أن يخطئ في العقوبة. فينبغي له أن يتثبت^(٣) في الأمر الذي فيه قتل النفس وبوارها. وإذا رُفِع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة، فلا ينبغي له أن يحاييه^(٤)، وليجمع بينه وبين المتظلم، فإن صحّ عليه [23] للمظلوم حقّ خرج إليه منه، وإن عجز عنه أدّى^(٥) الملك عنه^(٦)، وردّه إلى موضعه، وأخذه بإصلاح ما أفسد. فهذا لكم علينا. ألا ومن سفك دمًا بغير حقّ، أو قطع يداً بغير حقّ، فإنّي لا أعفو عن ذلك إلّا أن يعفو عنه صاحبه. فخذوا هذا عني.

«ألا وإنّ الثُّرك قد طمعت فيكم فاكفونا^(٧)، فإنما تكفون أنفسكم. وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي. وإنما لي من هذا المُلْك اسمه مع الطاعة منكم. ألا وإنّ الملك ملك إذا أُطيع، فاذا خولف، فذلك مملوك وليس بملك. ومهما^(٨) بلغنا من الخلاف، فإنّا لا نقبله من المُبلغ، حتى نتيقّنه. فإذا صحّت معرفة ذلك، أنزلناه^(٩) منزلة المخالف.

«ألا وإنّ أكمل الأداة عند المصيبات، الأخذ بالصبر، والراحة إلى اليقين. فمن قُتل في مجاهدة العدو، رجوت له الفوز برضوان الله. وأفضل الأمور التسليم [24] لأمر الله، والراحة إلى اليقين، والرضا

٢. كذا في مط. في الطبري: أن يخطئ.

٤. حاياه محاباة: اختصه ومال إليه.

٦. مط: عند.

٩. في الطبري: وإلا أنزلناه.

١. العفو... العقوبة: سقطت من مط.

٣. تثبت في الأمر والرأي: تأتّى فيه ولم يعجل.

٥. مط: أدّى!

٧. في الأصل: «فاكفوها» والتصحيح من الطبري.

٨. مط: مما.

بقضائه. أين المهرب مما هو كائن، وإنما تتقلب^(١) في كف الطالب. وإنما هذه الدنيا سفر، أهلها لا يحلون عقد الرجال إلا في غيرها^(٢). إنما بلغتهم فيها بالعواري^(٣). فما أحسن الشكر للمنع، والتسليم لمر قضاء الحق^(٤)، ومن أحق بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه [ولا معولاً إلا عليه]^(٥). فتقوا^(٦) بالغلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من عند الله. وكونوا على ثقة من درك^(٧) الطلبة إذا صحت نياتكم. واعلموا أن هذا الأمر لا يقوم إلا^(٨) بالاستقامة، وحسن الطاعة، وقمع العدو، وسد الثغور، والعدل للرعية، وإنصاف المظلوم. فشفأؤكم عندكم، والدواء الذي لا داء فيه الاستقامة والأمر بالخير والنهي عن الشر، ولا قوة إلا بالله.

«أنظروا للرعية، فإنها مطعمكم ومشربكم، ومتى عدلتم فيهم، رغبوا في العمار، فزاد ذلك في خراجكم، وتبين في زيادة أرزاقكم. وإذا [25] حفت^(٩) على الرعية زهدوا في العمار وعطلوا أكثر الأرض، فنقص ذلك من خراجكم، وتبين في نقص أرزاقكم. فتعاهدوا الرعية بالإنصاف. وما كان من الأنهار، والبثوق^(١٠)، مما نفقته على السلطان، فأسرعوا فيه قبل أن يكبر^(١١). وما كان من ذلك على الرعية، فعجزوا عنه. فأقرضوهم من بيت مال الخراج،

١. في الطبري: يتقلب.

٢. مط: في غير بناء.

٣. جمع العارية.

٤. مط: لمن قضاء الحق. في الطبري: لمن القضاء له.

٥. زيادة من مط والطبري.

٦. مط: فتقوا.

٧. الدرك: اسم مصدر من الإدراك: الوصول، والبلوغ.

٨. لا: غير موجودة في مط.

٩. حاف عليه: جار وظلم. وفي مط: جنفت.

١٠. البثوق: جمع البثق: موضع انبثاق الماء.

١١. الطبري: يكثر.

فَإِذَا جَاءَتْ^(١) أَوْقَاتُ خُرَاجِهِمْ^(٢)، فَخَذُوا مِنْ خُرَاجِ غَلَّتِهِمْ عَلَى
قَدَرِ مَا لَا يُجْحَفُ بِهِمْ. ذَلِكَ رُبْعٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ، أَوْ ثُلُثٌ، أَوْ نِصْفٌ،
لِكَيْلَا يَتَبَيَّنَ^(٣) عَلَيْهِمْ.

هَذَا قَوْلِي وَأَمْرِي. يَا مُوَيْذُ مُوَيْذَانُ، إِلْزَمْ هَذَا الْقَوْلَ، وَجَدَّ^(٤) فِي
الَّذِي سَمِعْتَ فِي يَوْمِكَ. أَسَمِعْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ؟»

قَالُوا: «نَعَمْ.»

وَأَثْنُوا عَلَيْهِ، وَدَعَوْا لَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِالطَّعَامِ. فَوَضَعَ، وَأَكَلُوا وَشَرَبُوا، وَخَرَجُوا وَهُمْ لَهُ
شَاكِرُونَ. ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

مَنْوُشَهْرُ وَالرَّايِشُ بْنُ قَيْسٍ

وَفِي أَيَّامِهِ غَزَا الرَّايِشُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ صَيْفِي بْنِ يَشْجَبِ بْنِ يَعْزَبِ بْنِ قَحْطَانَ
[26] مِنْ مَلُوكِ^(٥) الْيَمَنِ. وَكَانَ اسْمُ الرَّايِشِ الْحَارِثِ. غَزَا الْهِنْدَ، فَغَنِمَ غَنَائِمَ
عَظِيمَةً، فَأَتَفَذَ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْرِفُ بِشَمْرِ بْنِ الْعَطَّافِ، فَدَخَلَ التَّرِكَ مِنْ أَرْضِ
آذَرِييجَانَ، وَهِيَ يَوْمُئِذٍ فِي أَيْدِيهِمْ، فَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ.

وَعَزَا بَعْدَهُ ذُو مَنَارِ بْنِ الرَّايِشِ بَعْدَ أَبِيهِ، وَأَتَمَّا سَمَّى ذَامِنَارَ لِأَنَّهُ غَزَا بِلَادَ
الْمَغْرِبِ، فَوَغَلَ فِيهَا بَرًّا وَبَحْرًا، وَخَافَ عَلَى جَيْشِهِ الْهَلَكَ عِنْدَ قَفُولِهِ^(٦)، فَبَنَى
الْمَنَارَ لِيَهْتَدُوا بِهَا. ثُمَّ وَجَّهَ ابْنَهُ إِلَى أَقَاصِي الْمَغْرِبِ، فَغَنِمَ، وَأَصَابَ مَالًا، وَقَدَّمَ
عَلَيْهِ بِسَبْيٍ لَهُمْ خُلُقَةٌ مَنَكْرَةٌ، فَذَعَرَ النَّاسَ مِنْهُمْ، فَسَمَّوْهُ ذَا الْأَذْعَارِ.

١. فِي الطَّبْرِي: حَانَ.

٢. فِي مَط: اخْرَاجِهِمْ.

٣. فِي مَط: يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

٤. كَذَا فِي مَط: جَدَّ. فِي الطَّبْرِي: خَذَ.

٥. مَلُوكُ الْيَمَنِ... بِشَمْرِ: سَقَطَتْ مِنْ مَط.

٦. الْقَفُولُ: الرَّجُوعُ.

وإنما ذكرتهم في هذا الموضع، لاتصال ذلك بذكر^(١) منوشهر، وأن الفرس تدعى أن ملوك اليمن كانت عملاً لملوك الفرس بها، وأن الرايش كان من قبيل منوشهر يغزو الترك وغيرهم. والعرب تنكر ذلك، وتزعم أن ملكهم لم يكن قط من قبيل أحد، وإنما كانوا برؤوسهم.

ظهور موسى في أيام منوشهر

وفي أيام منوشهر [27] ظهر موسى - صلى الله عليه - ويقال: إن عمره - عليه السلام - كان مائة وعشرين سنة، منها في أيام أفريزون عشرون سنة، وفي أيام منوشهر مائة سنة. وكان من حديث موسى مع فرعون وما أنزل من الآيات على يده، ما هو مشهور. وقد اعتذرنا من ذكر هذه الأخبار وتركها.

ثم كان من حديث التيه^(٢) ما كان، إلى أن أخرج بنى إسرائيل منه يوشع بن نون بعد موت موسى، وغزا الكنعانيين، ونفاهم إلى السواحل، وافتتح مدينة الجبارين. فيقال إن إفريقس بن قيس بن صيفى بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مرّ بهم متوجهاً إلى إفريقية^(٣)، فاحتملهم من سواحل الشام، حتى أتى بهم إفريقية، فافتتحها، وقتل ملكها جرجيراً^(٤)، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم من سواحل الشام، فهم البرابرة. وإنما سمّوا بذلك لأن إفريقس [28] قال لهم: «ما أكثر بربرتكم!» فسّموا بذلك «بربراً»^(٥).

وكان إفريقس هذا عاملاً لمنوشهر على ما تزعم الفرس. وكان تدبير يوشع أمر

١. مط: بذكر.

٢. التيه: حيث تاه بنو إسرائيل، أي حاروا، ولم يهتدوا للخروج منه.

٣. مط: إفريقية. ٤. مط: جرجيز. وفي الطبري: جرجير.

٥. بربر: ثرثر، فهو بربار، أي: ثرثار. وفي لغة الإغريق والرومان: barbares الأجنبي (حب).

بنى اسرائيل، من لدن مات موسى إلى أن توفي يوشع في زمان منوشهر، عشرين سنة، وفي زمان فراسياب سبع سنين. ولما هلك منوشهر، تغلب فراسياب على مملكة فارس، وطلب بالذحول. وصار إلى أرض بابل وأقام بمهرجاقدق^(١)، وأكثر الفساد، وخرب ما كان عامراً، ودفن الأنهار والقنى، فقحط الناس في سنة خمس من ملكه، إلى أن أخرج، وردّ إلى بلاد الترك. فغارت^(٢) المياه في تلك السنين، وحالت^(٣) الأشجار المثمرة.

زو بن طهماسب

ولم يزل الناس في أعظم بليّة إلى أن ظهر زو^(٤) بن طهماسب، ويقول بعضهم: زاغ، وبعضهم: زاب، وبعضهم: زاسب، وهو من أولاد منوشهر، وبينه وبينه عدّة آباء.

فلما ظهر زو طرد فراسياب عن مملكة فارس، حتى ردّه إلى الترك بعد حروب [29]^(٥) كثيرة جرت بينهما لم يذكر لنا منها ما نستفيد منه تجربة. وكانت غلبة فراسياب على إقليم بابل اثنى عشرة سنة من لدن توفي منوشهر إلى أن طرده زو بن طهماسب، إلى تركستان.

ثم ابتدأ زو في عمارة ما خربه فراسياب. فأمر ببناء ماهدم من الحصون وإعادة ما طمر^(٦) وعور^(٧) من الأنهار والقنى وكرى^(٨) ما كان اندفن من المياه

١. مهرجاقدق، مهرجاقدق: معرب من «مهرگان كذه (= كذك)». بالفهلوية: Mitrogan-Katak أي: بيت ميترا (حب). ولاية محيطة على صيمرة (لج: ٢١٨) وصيمرة بلدة بين ديار الجبال وديار خوزستان (يا).

٢. غار الماء: ذهب في الأرض وسفل فيها.

٣. حالت النخلة: حملت عاماً ولم تحمل آخر.

٤. بالافستائية: Uzava ابن Tumáspa (يد ٢: ٤٦)، بالفهلوية: Ozav, Uzav (ف).

٥. في الأصل (مصورة ليدن): حصل تقديم وتأخير بين صفحتي 29 و 30.

٦. طمره: بالغ في طمره، أي دفنه. ٧. مط: غور. عور عيون المياه: دفنها وسدّها.

٨. كرى النهر: حفر فيه حفرة جديدة.

حتى عاد جميع ذلك إلى أحسن ما كان، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين. فعمرت البلاد في أيامه، وكثرت المياه، ودرّت معائش الناس، واستخرج بالسواد^(١) نهراً، وسمّاه: الزاب، وبنى على حافته^(٢) مدينة، وهي التي تسمى: المدينة العتيقة، وكوّرها كورة^(٣)، وجعلها ثلاث طساسيج^(٤): الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل، ونقل إليها بذور الرياحين وأصول الأشجار من الجبال. وزوّ هذا أول من عُرف [30] اتّخذ^(٥) ألوان الطيب، وأصناف الأطعمة، وأعطى جنوده مما غنم بالخييل^(٦)، ومما أوجف عليه من أموال الترك، وكان وزيره «كرساسف» من أولاد طوج بن أفريدون. وقد حكى أن زوّاً وكرساسف^(٧)، اشتركا في الملك، والصحيح من أمره أنه كان وزيراً لزوّ ومعيناً له. فكان جميع ملك زوّ ثلاث سنين.



١. السواد: رُستاق من رستاق العراق. وحدّ السواد على قول أبي عبيد: من حديثة الموصل طولاً إلى عبّادان، ومن عذيب القادسية إلى حلوان عرضاً، فيكون طوله مائة وستين فرسخاً (يا).
٢. مط: حافته.
٣. الكورة: لفظ فارسي معرّب، وأصله: «خوره» (= خُرّه): الناحية. البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال (فم، مو).
٤. طساسيج: جمع مفردة: طسّوج، أي المحلّة والناحية، وطسّوج تعريب «تسو». وأصله في الفهلوية: Tasuk (يد ٢: ٣٣٠).
٥. مط: «أول من عرف اتّخاذ». أسلوب للكتابة عند مسكويه تجده في مواطن كثيرة من الكتاب، انظر مثلاً: ص ٥١، ٥٩، ٦١.
٦. مط: الجبل.
٧. مط: كركاسب، بالأفستائية keresaspa، بالفهلوية: Karshasp (حب).

الكيّة ومن عاصرهم

كيقباز بن زو

ثم ملك بعده كيقباز بن زو، وسلك سبيل أبيه. فكور الكور، ويّين حدودها وحريمها، وأمر الناس بالعمارات، وأخذ العُشر من الغلات لأرزاق الجند، وكان حريصاً على العمارة، ومائناً لحوزته. والملوك الكيّة من نسله. وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكان مقيماً في الحدّ الذي بين مملكة الفرس والترك بناحية بلخ، يمنع الترك من تطرف^(١) شيء من حدود فارس. فجميع هذه العداوات والحروب سببها سوء نظر من قسم الملك بين أولاده، ثم وثوب من وثب من الإخوة [31] بأخيه، واستمرار الشحناء بعد ذلك والعداوات.

وأما القيمّ بأمر بني إسرائيل بعد يوشع، فكان كالب بن توفيل^(٢)، ثم حزقيل الذي يقال له: ابن العجوز - وكانت لهما أخبار مشهورة تركنا ذكرها لأنها معجزات لا تستفاد منها تجربة^(٣) - وحزقيل هو صاحب القوم «الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا، ثم أحياهم»^(٤) لأنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا من بلاء كان أصابهم: إمّا طاعون، أو ما أشبهه، فخرجوا

١. مط والطبرى: تطرّق: ابتنى إليه طريقاً. تطرّف الشيء: أخذ من أطرافه.

٢. مط: يوقنا. ٣. أنظر الطبرى ٢: ٥٣٥.

٤. س ٢ البقرة: ٢٤٣.

فراراً من ذلك.

ثم إلياس، ثم اليسع، ثم إيلاف. وفي خلال هؤلاء، كان يتملك عليهم قوم من الكنعانيين وغيرهم، فيسومونهم البلايا والعظائم، وليس في ذكرهم فائدة. إلى أن جاءهم شمويل النبي. وكان من خبره مع جالوت وطالوت ما ذكره الله تعالى. ومملك داود^(١) لما كان منه من مبارزة جالوت. والخبر [32] مشهور مقرون بمعجزة الأنبياء. ثم ملك سليمان، وأخباره ومعجزاته مذكورة.

كيقابوس وما جرى على ابنه سياوخش

ثم ملك بعد كيقباز، كيقابوس^(٢) بن كيينة^(٣) بن كيقباز الملك. فشدد على أعدائه وقتل خلقاً من عظماء البلاد، ممن كان ينكر أمرهم وسكن بلخ. وولد له ابن لم ير مثله في عصره جمالاً وتمام خلقته، وسمّاه سياوخش^(٤) وضمّته إلى رستم^(٥) الشديد بن دستان من ولد كرساسف الذي ذكرناه قبيل، وكان إصبيذ سجستان وما يليه من قبله، وأمره بتربيته وأوصاه به. فأخذه رستم، ومضى به إلى سجستان وتخير له الحواضن والمرضعات، حتى أدرك^(٦)، فجمع له المعلمين، وأدبه، ثم علّمه الفروسة^(٧)، حتى فاق فيها، وقدم على والده رجلاً كاملاً.

من تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

١. سقط من مط: داود.
٢. البيروني ص ١٠٧ وحزمة ص ٣٠: كيكافوس. بالفهلوية: Kai Káyús (ف). في الأفيستا: Kaviusan الملك الثاني من الأسرة الكيية.
٣. مط: كييه. في الطبري وحواشيه: كسه (مهمل)، كتييه، كييه، كييه، وتصحيفات أخرى (٢: ٥٩٧). أصله حسب الروايات الإيرانية القديمة: أني پيفنگهو Aipivanghu (فم ٦: ١٦٤١ «كيكاوس»)، والشبه ظاهر بين الأصل وصورة التعريب خاصة إذا أدخلنا عليه: Kavi.
٤. بالأفستائية: Syavarshan. بالفهلوية: Siavaxsh (ف).
٥. بالأفستائية: Rosataxm (-tahm). بالفهلوية: Rostahm.
٦. أدرك الصبي: بلغ الحلم. ٧. مط: الفروسة.

فامتحنه كيقابوس والده، فوجده كاملاً نافذاً^(١) بارعاً.

وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال، يقال: إنها بنت [33] فراسياب ملك الترك، ويقال: إنها بنت ملك اليمن، فهويت سياوخش، وهويتها. والفرس تحكى أموراً طويلة، وتزعم أنها كانت ساحرة، وأنها سحرته، إلا أن آخر أمرها آل إلى أن عَلِمَ كيقابوس بما يجرى بينهما.

فكان من عاقبة ميلهما إلى الهوى، وظنهما أن ذلك ينكتم، أن تغيّر كيقابوس لابنه سياوخش، وأشفق سياوخش على نفسه. فسأل رستم أن يسأل أباه توجيهه لحرب فراسياب. وكان قد تجددت وحشة بين كيقابوس وفراسياب. وأراد سياوخش بذلك البعد من والده، والتنحى عما تكيده به امرأة أبيه^(٢). ففعل ذلك رستم وخاطب أباه فيه، واستأذن له في جند يضّمهم إليه. فأذن له، وضمّ إليه جنداً كثيفاً وأشخص^(٣) سياوخش إلى بلاد الترك. فلما التقى سياوخش وفراسياب، جرى بينهما صلح. وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يُعلمه ما جرى بينه وبين [34] فراسياب.

فكتب إليه أبوه بإنكار ذلك، وأمره بمناهضته ومناجزته الحرب. فرأى سياوخش أن في فعله ما كتب به أبوه من محاربة فراسياب - بعد الذي جرى بينهما من الصلح والهدنة، من غير نقض^(٤) فراسياب شيئاً من أسباب ذلك - عاراً ومنقصة. فامتنع من إنفاذ أمر أبيه في ذلك، ورأى أنه يؤتى في كل ذلك من زوجة أبيه^(٥). فمال إلى الهرب من أبيه، فراسل فراسياب في أخذ الأمان لنفسه منه، واللحاق به وفراق والده، فأجابه فراسياب إلى ذلك. وكان السفير بينهما رجلاً من

١. مط: ناقداً.

٢. في الطبري: كان يقال لها سودابه.

٣. أشخص فلاناً إليه: بعث به إليه.

٤. «الذي... نقض»: سقطت من مط.

٥. الطبري: من زوجة أبيه التي دعت إلى نفسها، فامتنع عليها (٢: ٥٢٩).

عظماء الترك يقال له: فيران^(١). فلما فعل ذلك سياوخش، انصرف عنه من كان^(٢) معه من جند أبيه، إلى أبيه. وأكرم فراسياب سياوخش، وزوجه ابنة له، وهي أم كيخسرو، ولم يزل على إكرامه^(٣)، إلى أن ظهر له من أدب سياوخش وإربه^(٤) وكماله، ونجدته ما أشفق منه، وضرب^(٥) بينهما أخ كان [35] لفراسياب وابن له حذراً على ملكتهم. وله خبر طويل في ذلك، إلى أن قُتل وامرأة سياوخش - وهي ابنة فراسياب - حامل منه، بابنه كيخسرو. فطلبوا له الحيلة، لاسقاطها ما^(٦) في بطنها، فلم تُسقط.

ثم إن فيران الذي توسط الصلح بين سياوخش وبين فراسياب، أنكر ما جرى من فعل فراسياب، وحذره عاقبة الغدر والطلب بالثأر، وأشار عليه أن يدفع ابنته إليه، يعني: زوجة سياوخش، لتكون عنده إلى أن تضع، ثم إن أراد قتله قتله^(٧). ففعل فراسياب ذلك. فلما وضعت، امتنع فيران من قتل الولد، وستر أمره حتى بلغ المولود، وهو كيخسرو.

ويحكى: أن كيقابوس بعث بيب^(٨) بن جودرز إلى بلاد الترك، وأمره بالبحث عن أمر المولود الذي لسياوخش، والتأني لإخراجه مع أمه. ففعل بيب ذلك، وبقي زماناً طويلاً يبحث عن أمره، إلى أن وقف على خبره، فاحتال [36] فيه وفي أمه، حتى أخرجهما من أرض الترك. فاستقبلهما رستم الشديد في جند عظيم من أولى البأس والنجدة، وطلب الترك أثر كيخسرو، فجرت بينهم وبين رستم حروب ظفر فيها رستم.

٢. «كان... سياوخش»: سقطت من مط.

١. بالفارسية: فيران.

٤. الإرب: الذهاء والفتنة.

٣. مط: الكرامة.

٥. ضرب بين القوم: سعى. أغرى بعضهم ببعض.

٧. قتله: سقطت من مط.

٨. الطبري: بَي بن جودرز. حمزة: ويو بن جودرز. بالفهلوية: Viv i Gutarzan. شا: گيو (Giv).

فللفرس هاهنا خرافات، وتزعم أن الشياطين كانت مسخرة لكيقابوس. وقوم يزعمون أن سليمان بن داود - عليهما السلام - أمرهم بذلك، في خرافات كثيرة ظاهرة الإحالة، من الصعود إلى السماء، وبناء مدينة كنكرز^(١) بأسوار ذهب وفضة وحديد ونحاس، وأنها بين السماء والأرض، وأشباه ذلك مما لا فائدة في ذكره.

إلا أن جملة أمره، أنه تجبر لما تم له أكثر ما كان يقصده. وسار من خراسان حتى نزل بابل، وترك ما كان يسوسه بنفسه، ويباشره برأيه. وأوحش الناس بالحجاب والتعظم، وآثر الخلوة. فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه مملكه، وكثرت الملوك في النواحي، حتى كان يغزوهم بعد ذلك ويغزونه، [37] فيظفر مرة وينكب أخرى، إلى أن غزا بلاد اليمن والملك يومئذ بها ذو الأذعار بن أبرهة بن ذى المنار بن الرايش. فلما أظله^(٢) كيقابوس، خرج إليه ذو الأذعار في جموع حمير وولد قحطان، فظفر بكيقابوس، وأسره واستباح عسكره، وحبسه في بئر وأطبق عليها طبقاً.

فخرج من سجستان رستم الشديد في من أطاعه من الناس. وأما الفرس فتحكى حكايات لا فائدة فيها عن شدة رستم وبأسه، وأنه غل في البلاد بلاد اليمن، واستخرج كيقابوس من محبسه^(٣). وأما اليمن فتزعم أنه لم يكن من ذلك شيء، وأن ذا الأذعار لما بلغه إقبال رستم، خرج إليه في جنود عظيمة، وخندق

١. مط: كندر. الطبري: كيكدر، قيقدور (٢: ٦٠٢). الثعالبي: كنكدر. التصحيقات والمترافات كما وردت في الأصول هي: كنكرز، كنگ دز، كنگ دز، كنگ ديز، كندر، بهشت كنگ، كنگهشت، كنگ دز هوخت (= هخت، هونغ)، دز هوخت: مدينة في الجبال الحدودية الشرقية لإيران القديمة (المصادر الفهلوية)، أو: في ماوراء بحر فراخكرت (بند هشت)، أو: في أرض الترك (شا)، أو: هي قهندز بخارا (تاريخ بخارا)، أو: مدينة في ماوراء بحر «فوروكش»، أو: هي بيت المقدس (فهرست شا)، أو اسم لقلعة بناها الضحّاك في بابل (بق)، انظر أيضاً: حب، لد، كيا: ١٢٣.

٢. أظّل فلاناً: دنا منه، وأقبل عليه. ٣. مط: من حبسه.

كل واحد منهما على نفسه وعسكره، وأنهما أشفقا من البوار على جنديهما، وتخوفاً - إن تزاخما - أن لا يكون لهما بقية. فاصطلحا على دفع كيقابوس إلى رستم ووضع [38] الحرب. فانصرف رستم بكيقابوس إلى بابل، فكتب له كيقابوس كتاباً بالعتق، وأقطعه^(١) سجستان وزابلستان. وكانت^(٢) الكتب يومئذٍ والرسائل يسيرة نزرة الكلام، لا يذكر فيها الأسباب والعلل. ونسخة الكتاب:

«من كيقابوس بن كيقباز، إلى رستم.

إنني قد أعتقتك من العبودة، وملكتك على بلاد سجستان. فلا تقرن لأحد بعبودة. واملِك سجستان كما أمرتك، واجلس على سرير من فضة ممّوّه بالذهب. والبس قلنسوة منسوجة بالذهب متوّجة^(٣)».

ومما يدلّ على صدق ما حكيناه من أمر كيقابوس، قول الحسن بن هانئ:

وقاظ^(٤) قابوس في سلاسلنا سنين سبعاً وفت^(٥) لحاسبها

ثم ملك كيخسرو^(٦) بن سياوخش^(٧) بن كيقابوس

فعقد التاج على رأسه، وخطب رعيته خطبة بليغة، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قبل فراسياب. ثم كتب إلى [39] جوذرز بإصبهان وكان

١. الإقطاع يكون تملكاً وغير تملك (لح).

٢. مط: كاتب.

٣. مط: ممّوّه.

٤. قاظ بالمكان: أقام فيه في زمن القبط أي الحرّ.

٥. وفت: تمت.

٦. بالفهلوية: Kai Husravé (حب).

٧. = سياوش. بالفهلوية: Siávaxsh.

إصفهذه^(١) على خراسان، يأمره بالمصير إليه، وأمره أن يعرض جنده وأن [ينتخب] ^(٢) ثلاثين ألف رجل، وضمهم إلى طوس، ^(٣) وكان في من أشخص معه برزافره ^(٤) عم كيخسرو، وابن لجودرز، وجماعة من إخوته، وتقدم ^(٥) كيخسرو إلى طوس أن يكون قصده لفراسياب وطراخنته ^(٦)، وحذره من ناحية بيلاد الترك فيها أخ له يقال له: فروذ بن سیاوخش، من بعض نساء الأتراك، كان سیاوخش تزوجها أيام صار إلى فراسياب، فولدت له فروذ، وأقام بموضعه إلى أن شب.

فكان من غلط طوس أن خالف كيخسرو، وذلك أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ، هاجت الحرب، وقتل فروذ. واتصل خبره بكيخسرو. فكتب إلى برزافره عمه كتاباً غليظاً يعلمه فيه ماورد عليه من خبر طوس، ومحاربه فروذ، وقتله إياه. وأمره بتوجيه طوس إليه مقيداً مغلولاً. وتقدم إليه في القيام بالعسكر، [40] والتوجه إليه لوجهه ^(٧). ففعل برزافره ذلك، وتولى أمر العسكر، وعبر النهر المعروف بـ «كاسرود» ^(٨)، وانتهى خبره إلى فراسياب. فوجه إلى برزافره جماعة من إخوته وطراخنته لمحاربه. فالتقوا وفيهم فيران وإخوته. فاقتتلوا قتالاً شديداً، وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشل لما اشتد الحرب، وكثر القتلى، فهرب وانحاز بالعلم إلى رؤوس الجبال، واضطرب على ولد لجودرز أمرهم، فقتل منهم في تلك الملحمة، في وقعة واحدة، سبعون رجلاً، وقتل بشر

مركز تحقيق كاتوير علوم اسلامی

١. الإصفهذه: لقب لملوك، جبال طبرستان (البيروني: ١٠٩).
٢. الأصل غير واضح، وما أثبتناه من مط.
٣. قال تولدكه: طوس (= توس) إن كان اسم شخص فأصله: Tus، وإن كان اسم مكان فأصله: Tos. ثم حصل الخلط بينهما في الكتابة، وهذا أدى إلى وحدة التلقظ بينهما، فقبل لكليهما: Tus (يد).
٤. شا: فريبرز.
٥. تقدم إلى فلان بكذا: أمره به، أو طلبه منه.
٦. الطراخنة: جمع مفردة طرخان (= ترخان: ملك الترك (لف)، اسم عام لأمراء سمرقند (لد). يقال لملوك سمرقند: طرخون (البيروني ١٠١١). ٧. مط: التوجه لوجهه.
٨. شا: كاسه رود. اسم قديم لنهر يسمى: «چرم»، أو: «لاتين» (حب ٥: ٢٥٥).

كثير.

وانصرف برزافره ومن أفلت معه إلى كيخسرو. فرثيت الكآبة في وجهه، وامتنع من الطعام والشراب، إلى أن مضت أيام. ثم راسل جوذرز. ولما دخل عليه شكا إليه برزافره، وأعلمه أنه كان سبب الهزيمة بالعلم وخذلانه ولده.

فقال كيخسرو:

«إِنَّ حَقَّكَ لَازِمٌ لَنَا لَخِدْمَتِكَ أَبَانَا^(١)، وهذه جنودنا وخزائننا^(٢) مبدولة لك. فاطلب تركك^(٣)، واستعد [41] وتهيأ للتوجه إلى فراسياب.

فنهض جوذرز، فقبل يده وقال:

«أيها الملك، نحن رعييتك وعبيدك. فإن كانت آفة، أو نازلة، فلتكن بالعبيد، دون الملوك. وأولادى المقتولون قداؤك، ونحن من وراء الإنتقام من فراسياب والاشتفاء من الترك.»

وكتب كيخسرو إلى رؤساء أجناده ووجوه عسكره يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه اسطون^(٤) من كورة بلخ، في وقت وقته لهم. فوافت رؤساء الأجناد في ذلك اليوم، وشخص إليه كيخسرو بإصهبهذيه وأصحابهم وفيهم برزافره عمه، وجوذرز وبقية ولده. فتولى كيخسرو بنفسه عرض الجند، حتى عرف مبلغهم، وفهم أحوالهم. ثم دعا بجوذرز وثلاثة نفر معه، فأعلمهم أنه يريد إدخال العساكر على الترك من أربعة وجوه، حتى يحيطوا بهم برأ وبحراً، وقود على تلك العساكر، وجعل أعظمها إلى جوذرز وجماعة من الإصهبهذين [42] كثيرة. ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي يسمونه: درفش كايان، ولم يكن يدفع قبل ذلك إلى أحد من القواد، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك^(٥)، وأمر أحد

٢. مط: وخزائننا.

٤. = شاهستون: كانت ناحية من أعمال بلخ (لد).

١. مط: إيانا.

٣. الترة: الثأر.

٥. وإنما... الملوك: سقطت من مط.

القواد^(١) بالدخول مما يلي الصين، وضمّ إليه جماعة كبيرة، وأمر آخر بالدخول من ناحية الخزر، وضمّ إلى آخر ثلاثين ألف رجل وأمرهم بالدخول من طريق بين^(٢) جودرز، وبين الذي دخل من طريق الصين.

ودخل جودرز من ناحية خراسان، وبدأ بفيران. فالتحمت بينهما حرب مذكورة، تحكى فيها الفرس عجائب، بارز فيها بيزن^(٣) بن بيب خمان وهو أخو فيران، فقتله مبارزة وقتل جودرز فيران مبارزة أيضاً. وقصد جودرز فراسياب، وألحّت عليه العساكر من كل وجه، واتبع القوم كيخسرو بنفسه، وجعل قصده للوجه الذي كان فيه جودرز، وصيّر مدخله منه. فوافى عسكر جودرز، وقد أثخن^(٤) [43] فى القتل. وقتل فيران إصهيد فراسياب والمرشح للملك بعده، وجماعة كبيرة من إخوته وأولاده، وأسر بروين^(٥) قاتل سياوخش، ووجد جودرز قد أحصى القتلى والأسرى وما غنم من الكراع^(٦) والأموال، فوجد مبلغ ما فى يده من الأسرى ثلاثين ألفاً ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفاً وستين ألفاً على ما تزعم الفرس، وحاز من الكراع والأموال ما لا يحصى كثرة، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه، أن يجعل أسيره أو قتيله عند علمه، لينظر إليه كيخسرو عند موافاته.

فلما وافى كيخسرو العسكر موضع الملحمة، إصطفّت الرجال له وتلقاه جودرز. فلما دخل العسكر، جعل يمرّ بعلم علم. فكان أول قتيل رآه جثة فيران. فنظر إليه، وخاطبه بما يجرى مجرى الإشتفاء، ولم يزل يفعل ذلك حتى وقف على علم بيب بن جودرز، ووجد تحته بروين حياً أسيراً، فسأل [44] عنه، فأخبر

١. مط: «وأمره» بدل «وأمر أحد القواد».

٢. مط: بنى جودرز.

٣. = بيزن، ويزن، ويجن. الطبرى: بيزن بن بى خمان (٢: ٦١٠). مط: بيزن بن كيب خمان.

٤. أثخن فى الأمر: بالغ فيه.

٥. مط: روين. الطبرى: بروا بن فشنجان (٢: ٦١١).

٦. الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح.

أنه قاتل سیاوخش الذي مثل به بعد قتله. فقرب منه كيخسرو، ثم طأطأ رأسه بالسجود، ثم قال: «الحمد لله الذي أمكنني منك.» وويّخه طويلاً. ثم أمر بقطع أعضائه حيّاً. فلمّا لم يبق له طابق^(١) ذبحه. ثم استقرّ في مضربه، وأجلس عمّه عن يمينه، ودعا بجوذرز^(٢)، فأحسن صلته ومخاطبته، وحمد ما كان منه، وفوّض إليه الوزارة التي يقال لها: بزرج فرمذار^(٣)، وهو مرتبة الوزارة، وجعل إليه مع ذلك إصيهان وجرجان، وفعل مثل ذلك من الحياء^(٤) والكرامة بكلّ من أبلى^(٥) من قوّاده ورجاله.

ثم أتته الأخبار من الوجوه الثلاثة الأخر: أنّهم قد أحاطوا بفراسياب، وبرز فراسياب، وما كان بقي من ولده إلا شيدّه^(٦) فتوجه نحو كيخسرو بعدّة وعتاد. فيقال: إنّ كيخسرو أشفق يومئذٍ، وهابه، وظنّ أن لا طاقة له به، وإنّ القتال بقي متّصلاً [45] بينهما أربعة أيام، إلى أن انهزم شيدّه واتبّعه كيخسرو، فلحقه وضربه بالعمود على رأسه فخرّ ميتاً، وغنم كيخسرو ماله.

وبلغ الخبر فراسياب، فأقبل في جمع عظيم. فلمّا التقى مع كيخسرو، نشبت بينهما حرب يقال: إنّّه لم يُرَ مثلها قطّ على وجه الأرض، حتى اختلط رجال إيران شهر برجال الترك. ثم انهزم فراسياب وكثر القتل. فتزعم الفرس أنّه بلغ عدد القتلى أمراً عظيماً، لم أستحسن ذكره لكثرتّه. وجدّ كيخسرو في طلبه، حتى لحقه بأذربيجان، فظفر به واستوثق منه بالحديد. ثم ويّخه، وسأله عن سبب قتله سیاوخش. فلم تكن^(٧) له حجة، فذبحه كما ذبح سیاوخش. ثم انصرف غانماً

١. الطابق والطابق: العضو، كاليد والرجل. ٢. مط: ودعا بحق جوذرز.

٣. بالفارسية: بزرگ فرماندار: الوزير الأعظم (لد). بالفهلوية: Vazurg Farmatar (ف).

٤. في الأصل: الحياء. مط: الحبي، الحياء: العطاء.

٥. أبلى في الأمر: اجتهد فيه وبالف. ٦. الطبري: شيدّه (٢: ٦١٥).

٧. فلم تكن... ذبح: سقطت من مط.

مسروراً.

وكان لفراسياب أخ يقال له: كي شواسف^(١)، صار إلى بلاد الترك بعد أخيه، وكان له ابن يقال له: خرزاسف^(٢)، فملك البلاد بعد أبيه كي شواسف، وهو ابن أخى فراسياب الذى حارب منوشهر.

ولما فرغ كيخسرو [46] من المطالبة بوتره^(٣)، واستقرّ فى ملكه، زهد فى الملك، وتنسك وأعلم الوجوه من أهل بيته ومملكته، أنه على التخلّى. فاشتدّ جزعهم، وتضرّعوا إليه، وراودوه^(٤) على المقام على تدبير ملكهم. فأبى عليهم، ولما يئسوا، قالوا:

«فاذا قمت^(٥) على ما أنت عليه، فسمّ من يقوم به.»

وكان لهراسف حاضراً، فأشار بيده إليه، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه. فقبل لهراسف الوصية، وأقبل الناس عليه، وفقد كيخسرو. فبعض الناس يقول: إنه غاب للتنسك، ولا يُدرى أين مات. وبعضهم يقول غير ذلك، وكان ملكه ستين سنة. ثم ملك بعده لهراسب^(٦).

لهراسب وما كان من أمر بُختنصر

ويقال: إنه ابن أخى كيقابوس. واتخذ سريراً من ذهب مكلّلاً بالجواهر، للجلوس عليه، وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ^(٧) وسماها: الحسناء. وهو أول من دوّن الدواوين، وقوى ملكه بانتخاب الجنود لنفسه [47] وعمر الأرض.

١. مط والطبرى: كي شراسف (٢: ٦١٧).

٢. فى الطبرى أيضاً: خرزاسف. بالفارسية: أرجاسپ. بالفهلوية: Arjasp أو: Archasp. بالأفستائية: Arjataspa أى: مالك الأفراس الثمينة (حص: ٦٢٦، يد: ١: ٢٨٥).

٣. الوتر والوتر: الذحل، النار، الانتقام. ٤. راوده على الأمر: طلب منه فعله.

٥. قام على الأمر: دام وثبت. مط: ماذا أقمت عليهم.

٦. بالفهلوية: Luhrasp. ٧. بالفهلوية: Baxl (ف).

وذلك أن الأتراك اشتدت شوكتهم في زمانه، فجعل منزله بلخ ليقاتل^(١) الأتراك. ووجه بُختنصر^(٢) إصبيهدا لما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة. ويقال: إن اسمه بالفارسية: بُخت نرسی. فشخص حتى أتى دمشق، فصالحه أهلها. ووجه قائداً له، فأتى بيت المقدس، فصالح ملك بني إسرائيل، وهو رجل من ولد داود، وأخذ منه رهائن وانصرف. فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل على ملكهم، فقتلوه وقالوا:

«داهنت^(٣) أهل بابل وخذلتنا»، واستعدوا للقتال.

فكان من عاقبة جنايتهم^(٤) على ملكهم أن كتب قائد بُختنصر إليه بما كان فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه، وسار بختنصر، حتى أتى بيت المقدس، فأخذ المدينة عنوة، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وهرب الباقون إلى مصر.

فكتب بختنصر إلى ملك مصر: [48]

«إن عبيداً لي هربوا مني إليك. فسرّحهم^(٥) إليّ، وإلا غزوتك وأوطأت بلادك الخيل.»

فكتب إليه ملك مصر:

«ماهم عبيدك، ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار.»

فغزاه بختنصر، فقتله، وسبى أهل مصر. ثم انصرف بسبى كثير من أهل فلسطين والأردن فيهم دانيال النبي وغيره من أبناء الأنبياء، وخرب بيت المقدس

١. مط: ليقابل.

٢. الطبري: اسمه بالفارسية: بخترشه، بخت نرسه، بخت سه (٢: ٦٤٥) بالبابلية: Nabukadurriusur أي:

نَبُو يَحْرُس التاج (حب) = بنوخذ نصر، بنوخذ راصر (المفصل ١: ٣٥٠).

٣. الطبري: راهنت (٢: ٢٤٦). ٤. مط: خيائتهم.

٥. فسرّحهم... مصر: سقطت من مط.

منذ ذاك.

وكان لهراسف بعيد الهمة، طويل الفكر، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شهر. وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة^(١) معلومة، ويقرّون له أنه ملك الملوك هيبة له. وكان بختنصر حمل إليه من بيت المقدس خزائن وأموالاً عظيمة. ثم كبرت سنّه، وأحسّ بالضعف. فملك ابنه بشتاسف^(٢)، واعتزل الملك، وكان عمره وملكه فيما ذكر مائة وعشرين سنة. [49]

وقد قيل: إنّ بختنصر كان في خدمة لهراسف، وتوجّه من قبله إلى الشام وبيت المقدس، ليُجلى اليهود عنها، ففعل، ثم انصرف. ثم كان في خدمة ابنه بُشتاسف، ثم في خدمة ابنه بهمن، وإنّ بهمن أقام ببلخ التي كانت تسمى: الحسناء، وأنفذ بختنصر إلى بيت المقدس لإجلاء اليهود، وإنّ السبب في ذلك كان وثوب صاحب بيت المقدس على رسل بهمن وقتله بعضهم. فمضى بختنصر، فسبى وهدم بيت المقدس. وانصرف إلى بابل، وملك «متنيا»^(٣) وسمّاه: «صدقيا»^(٤). فلمّا صار بختنصر ببابل، خالفه صدقيا. فغزاه بختنصر ثانياً، وظفر به. فأخرب المدينة والهيكل وأوثق صدقيا وحمله إلى بابل، بعد أن ذبح ولده وسمل عينيه، فمكت بنو إسرائيل ببابل، إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس. فكانت غلبة بختنصر - وهو بُخت نرسی - إلى أن مات، في هذا القول الذي حكيناه آنفاً، أربعين سنة. ثم قام بعده ابن له يقال له: نمرود، [50] ثم ابن له يقال له: بلتنصر^(٥)، فخلط،

١. الإتاوة: الجزية، الخراج، ما يؤخذ كرهاً.

٢. الطبري: بشتاسب (٢: ٦٤٧) = گشتاسپ، ويشناسب. بالفهلوية: Vishtāsp (ف).

٣. الأصل غير واضح. مط: سيبا وما أثبتناه من الطبري المطابق لقاموس الكتاب المقدس. في حواشي

الطبري: شيبا، منيثا، ميثنا (٢: ٦٤٢، لد).

٤. مط: صندقيا. الطبري صدقيا، صديقيا (٢: ٦٤٣).

٥. في الأصول الأخرى: بلتشر، بلطشاصر، Besazar, Belsharrasur (المفصل ١: ٦١١). جاء في الطبري

ولم يرتض بهمن أمره، فعزله، وملّك مكانه:

كيرش^(١)

وتقدّم إليه بهمن أن يرفق ببنى إسرائيل، ويطلق لهم النزول حيث أحبّوا، والرجوع إلى أرضهم وأن يولّى عليهم من يختارونه، فاختروا دانيال النبي - عليه السلام - فولاّ أمرهم. وكان ملّك كيرش ومدة سنيه معدودة من خراب بيت المقدس، منسوبة إلى بختنصر ومبلغها سبعون سنة. ثم ملك بابل وناحيتها من قبل بهمن^(٢) رجل من قرابته يقال له:

اخشوارس^(٣)

ابن كيرش بن جاماسب الملّقب بـ «العالم»،
وولد لإخشوارس ولد من امرأة من سبي بنى إسرائيل يقال لها: أشير^(٤)، صنعا
من الله لبنى إسرائيل، فسماه:

كيرش

فملك بعد أبيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وعلمه خاله التوراة، وفهم أمر دانيال

مركز تحقيق كتاب توير علوم

→

(٢: ٦٥٢): «فلما ملك بلتشر خلط في أمره، فعزله بهمن وملّك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش الماذوي... حين صار إلى المشرق، فقتل بلتشر وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين، ثم عزله بهمن وولى مكانه كيرش الغيلمي...».

١. بالفارسية القديمة: كوروش، كورو. بالعلامية: Ku-rash، بالبابلية: Ku-ra-ash. بالرومية Cyrus (پاب،

Kent) فترة الحكم: ٥٥٩ - ٥٢٩ ق م (فم). ٢. بالفهلوية: Vahman (ف).

٣. = اخشوارش، اخشويرش = خشايارشا. وفي النقش الخاص به: Xashi-arsha.

٤. الطبري: اشتر (٢: ٦٥٣).

ومن كان معه: مثل حننيا، وعازريا، وعزير^(١). وتأدب وعلم العلوم. وسأله [51] بنو إسرائيل أن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال: «لو كان معي منكم ألف نبي، ما فارقتي [ما فارقتي]^(٢) مادمت حيًا». وولى دانيال القضاء، وأمره أن يخرج كل شيء في الخزائن مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس، فبنى وعمر في أيام كيرش، ومات بهمن لثلاث عشرة سنة خلت من قيام كيرش ببابل.

وقد حكى أهل التوراة في أمر بختنصر أقوالاً مختلفة تركنا ذكرها. إلا أنهم ذكروا أن بختنصر لما خرب بيت المقدس، أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً، ثم يقذفه في بيت المقدس. فقفوا فيه من التراب ما ملأه. ولما انصرف إلى بابل، اجتمع معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم. فاجتمع عنده الكل، فاختر منهم سبعين ألف صبي. فلما خرجت غنائم جنده، سأله أن يقسم فيهم الصبيان. فقسم في الملوك [52] منهم، فأصاب كل رجل منهم أربعة. فكان من أولئك الغلبة: دانيال النبي، وحننيا، وميشايل، وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفاً من سبط آسر بن^(٣) يعقوب، وعلى ذلك سائر أولاد يعقوب الأسباط.

ثم غزا بختنصر العرب. وذلك في زمن معد بن عدنان. فوثب على كل من كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات، ويمتارون^(٤) من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها. فجمع من ظفر به منهم، وبنى لهم خيراً^(٥)

١. مط: حننيا، وعادنيا، وغريز. الطبري: حننيا وميشايل وعازريا (٢: ٦٥٤).

٢. التكملة من الطبري (٢: ٦٥٤). مط: كالأصل.

٣. الطبري: أشير، أشير (١: ٣٥٥، ٣٥٧).

٤. امتار لنفسه أو أهله: جمع الميرة. والميرة: الطعام ونحوه يجمع للسفر ونحوه.

٥. الحير: شبه الحظيرة أو الحمى. مدينة على الفرات غربي بغداد، كانت الفرس تسميها: فيروز سابور،

أول من عمرها سابور ذو الأكتاف (يا). بالفارسية: فيروز شاپور، باليونانية: Perisabor (لج: ٧٢).

على النجف، وحصّنه، وضمتهم فيه، ووكل بهم حرساً. ثم نادى فى الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك، وانتشر الخبر فى من يليهم من العرب، فخرجت إليهم طوائف منهم مسالمين فأحسن إليهم، وأنزلهم بختنصر شاطئ الفرات، فابتنوا موضع معسكرهم، وسمّوه: «الأنبار» وخلقى عن أهل الحيرة، فاتخذوها منزلاً مدة حياة بختنصر. فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار وبقي ذلك الحير خراباً. [53]

وملك كى بشتاسف بن كى نهراسف

فبنى مدينة فسّا، وهو أول من عُرف بسط دواوين الكتّاب، لاسيّما ديوان الرسائل، وأمر الكتّاب أن يطيلوا كتب الرسائل، ويذكروا فيها الأسباب والعلل. وكان له ديوانان: أحدهما ديوان الخراج، والآخر ديوان النفقات. فكان كلّ ما يرد، فإلى ديوان الخراج، وكل ما يخرج من جيش وغيره، فإلى ديوان النفقات. وكان من رسم الوزير - واسمه: «برزج فرمذار»^(١) - أن يكون له خليفة يسمى: «إيرانمارغر»^(٢)، يصل إلى الملك، ويعرض عليه وينوب عن الوزير. فأما المتقلّد لديوان الرسائل فيسمى: «ديپرفذ»^(٣)، وكان له كاتب موكل بدار المملكة، فان وقع على أحد تقصير فى منزلة، أو حطّ فى درجة، رجع إلى ذلك الكاتب حتى يبين حال مرتبته، فيجرى عليه رسمه.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

ظهور زردشت

وظهر فى أيامه زردشت^(٤)، وأراده على قبول دينه، فامتنع من [54] ذلك، ثم

١. مط: برزج فریدار.

٢. مط: ابدأ مار عن! بالفهلوية: eran-amargar: المحاسب، أو المحصى لإيران (حب).

٣. = ديپريد. بالفهلوية: Dipir-Pat (حب).

٤. الطبرى: زرادشت بن اسفيان (٢: ٦٧٥). بالأفستائية: Zarathushtra: صاحب البهران الصفراء. اسم

صدّقه، وقبل ما دعاه إليه وأتاه به، من كتاب يكتب في جلد اثني^(١) عشر ألف بقرة، حفرأ في الجلود، ونقشاً بالذهب. وصيّر بُشتاسف ذلك بإصطخر ووكل به الهرايدة^(٢)، ومنع تعليمه العامة، وبنى ببلاد الهند بيوتاً للنيران، وتنسك واشتغل بالعبادة. وهادن خرازاسف بن كي سواسف ابن أخى فراسياب وملك الترك على ضرب من الصلح. وفي شريطة الصلح أن يكون [بباب]^(٣) خرازاسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك، فأشار زردشت على بشتاسف، بنقض الهدنة^(٤)، ومفاسدة ملك الترك. فقبل منه، وبعث إلى الدابة، والموكل بها، أن ينصرف، وأظهر الغدر. فغضب خرازاسف، وكتب إليه كتاباً غليظاً، وأمره بتوجيه زردشت إليه، وأقسم - إن امتنع - أن يغزوه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته.

فلما ورد الرسول بالكتاب، كتب كتاباً أغلظ منه [55] جواباً عن كتابه، وأذنه

→

أسرته Spitama. (حب) بالفهلوية: Zaratusht Spitaman (ف). حول مكان الولادة، قيل: الري، وفي الأغلب يقال: الشمال الشرقي لإيران. زمان الولادة: هناك اختلاف أيضاً. دأب أتباعه وأغلب المستشرقين على تحديده بحوالى عام ٦٠٠ ق. م. قُتل زرادشت في الحملة الثانية التي شنّها أرجاسب التركي على إيران (حب).

١. في الأصل: اثنتي. وهو خطأ، في الطبري: في موضع من إصطخر يقال له: دريشت (٢: ٦٧٦). إن كور فارس خمسة، أكبرها وأصلها كورة إصطخر (مع).

٢. جمع هيربذ = هيربذ. بالأفستائية: Aethrapaiti : المعلم (الجزء الأول بمعنى التعليم، والجزء الثاني لاحقة تفيد معنى الاتصاف والملكية). واستعمل بمعنى التلميذ أيضاً، ثم استعمل بمعنى موبد، ثم بمعنى رجل الدين على الإطلاق (كسا: ٤١٧)، وبمعنى عميد الجامعة (دات: ٩٢). بالفهلوية: Ehrpat، وفي النقوش: Herpat أنظر أيضاً (حب).

٣. في الأصل ومط: ببلاد، في الطبري: أن يكون لبشتاسف «بباب» خرازاسف دابة موقوفة بمنزلة الدواب التي «تنوب» [وفي نسخة «تكون»] على أبواب الملوك (٢: ٦٧٦).

٤. الهدنة: المصالحة بعد الحرب، أو فترة تعقب الحرب يتهدأ فيها العدوان للصلح، ولها شروط خاصة (مر).

بالحرب، وأعلمه أنه غير ممسك [عنه] ^(١) إن أمسك، فسار بعضهما إلى بعض، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته. فقتل بينهما خلق كثير، وأحسن الغناء ^(٢) ابن بشتاسف اسفنديار، وقتل بيدرفش الساحر ^(٣) بيده مبارزة. فصارت الدبرة ^(٤) على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خزراسف هارباً على وجهه، ورجع بشتاسف إلى بلخ.

فلما مضت لتلك الحرب سنون، سعى على اسفنديار رجل يقال له: فروخ، ^(٥) فأفسد قلب بشتاسف عليه. وذاك أنه أعلمه: أنه ينتدب ^(٦) للملك، ويزعم أنه أحق به، وأن الناس مائلون إليه. فصَدَّق بشتاسف بذلك، وترك الرفق ومعالجة الأمور على تودة، وأخذ في أن يندبه لحرب دون حرب ^(٧). فكان ينجح فيها كلها، ثم أمر بتقييده، وصيّره في الحصن الذي فيه حبس النساء. وصار بشتاسف إلى جبل يقال له: «طميدر» ^(٨)، لدراسة دينه، والتنسك هناك، وخلف أباه لهراسف [56] في مدينة بلخ شيخاً هرمًا قد أبطله الكبر، وترك خزائنه وأمواله على ^(٩) امرأته.

فكان من عاقبة ذلك، أن حملت الجواسيس خبره إلى خزراسف، فجمع جنوداً لا يحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ. فلما انتهى إلى تخوم ^(١٠) ملك

١. عنه: تكملة من الطبري (٢: ٦٧٧).

٢. مط: وأحسن الغناء. في الطبري: وأحسن الغناء عنه ابنه اسفنديار (٢: ٦٧٧). بالفهلوية: Espandyaz, Spandat (يد ٢: ٢٨٨).

٣. بالفهلوية: Vedaratsh (ياز). كان بيدرفش بطل جيش أرجاسب ملك الترك. في الطبري: بيدرفش الساحر (٢: ٦٧٧) = بيدرفش جادو (حب، لد).

٤. الدبرة: الهزيمة في القتال. ٥. بالفهلوية: Farraxv: المُشع، الجميل (حب).

٦. ينتدب: يسرع، يجيب الدعوة إلى الأمر.

٧. كذا في الأصل ومط: لحرب دون حرب. وفي الطبري: لحرب بعد حرب (٢: ٦٧٧).

٨. طميدر، طميدر: جبل حصين في بلخ (لد). ٩. في الطبري: مع امرأته.

١٠. التخوم: جمع مفردة تخم وتخيم: الحد الفاصل بين أرضين.

فارس، قدّم أمامه جوهرمز^(١) أخاه - وكان مرشحاً للملك - فى جماعة من المقاتلة كثيرة، وأمرهم أن يغذّوا^(٢) السير، حتى يتوسطوا المملكة، ثم يوقعوا^(٣) بأهلها ويغيروا على المدن والقرى. ففعل جوهرمز ذلك، وسفك الدماء، واستباح الحرم، وسبى ما لا يحصى كثرة، وأتبعه خرزاسف، فأحرق الدواوين، وقتل لهراسف والهرابذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبى ابنتين^(٤) لبشتاسف، وأخذ فيما أخذ «درفش كايان»، وشخص يتبع بشتاسف، فهرب منه بشتاسف، حتى تحصّن فى الجبل الذى يُعرف بطميدر مما يلى فارس، ونزل ببشتاسف ما ضاق به ذرعاً [57] وندم على ما صنعه بإسفنديار.

فيقال: إنه وجّه إليه بجاماسف^(٥)، حتى استخرجه من محبسه، وصار به إلى أبيه، فلما دخل عليه، اعتذر إليه ووعدّه عقد التاج على رأسه، وأن يفعل به مثل الذى فعل به لهراسف، وقلّده عسكره، وأمره بمحاربة خرزاسف، فلما سمع اسفنديار كلام أبيه، طابت نفسه، وكفّر^(٦) بين يديه، وتولّى الأمر، وتقدم فيما احتاج إليه.

ثم عبى ليلته أصحابه، فلما أصبح، أمر بنفخ القرون، وسار بالجنود نحو عسكر الترك. فلما رأت الترك عسكره، خرجوا إليه على وجوههم يتسابقون وفى القوم جوهرمز وأندريمان^(٧). فالتحمت الحرب بينهم، وانقضّ اسفنديار [و]^(٨) بيده

مركز تحقيق كاتپور علوم اسلامی

١. جوهرمز = گوهرمزد: گو gaw, gow البطل، أى: هرمزد البطل. فى الثعالبي وترجمة زوتنبرغ: كُهرم Kohram (ص ٣٣٦).
٢. أغذّ فى السير: أسرع.

٣. أوقع بالأعداء: بالغ فى قتالهم.

٤. وهما خمانى، وبأذافره (الطبرى ٢: ٦٧٨) = هماى وبه آفرید (شا).

٥. الطبرى: جاماسب العالم (٢: ٦٨١). بالفهلوية: Jamasp.

٦. كفّر لسيدّه: انحنى ووضع يده على صدره وطأ رأسه تعظيماً له.

٧. = وندريمان، وندريمن. هو أخو جوهرمز وخرزاسف (الطبرى ٢: ٦٧١).

٨. و: زدناها من مط.

الرمح كالبرق، حتى خالط القوم، وأكبّ عليهم بالطعن. فلم تكن هُنيهة حتى ثلم في القوم ثلثة عظيمة، وفشا في الترك: اسفنديار قد أطلق من الحبس، فانهزموا لا يلوون على شيء، وانصرف اسفنديار وقد ارتجع العَلَم الأكبر، [58] وحُمِل معه منشوراً.

فلما دخل على بشتاسف، استبشر بظفره، وأمر باتّباع القوم وقتل خرزاسف إن قدر عليه، بلهراسف، وبقتل جوهرمز وأندرمان، بمن قُتل من ولده، وبهدم حصون الترك وبحرق مدنها وبقتل أهلها، بمن قتلوا من حملة الدين، وباستنقاذ السبايا، ووجّه معه من القواد والعظماء خلقاً كثيراً. فدخل اسفنديار بلاد الترك، ورام ما لم يرمه أحد، واعترض - على ما تزعم الفرس - العنقاء المذكورة^(١)، ورمأها، ودخل مدينة الصُفر^(٢) عنوة، حتى قتل ملكها وإخوته ومقاتلته، واستباح أمواله، وسبى ذراريّه ونساءه واستنقذ أختيه، وكتب بالفتح إلى أبيه.

ياسر أنعم

فأما ملوك اليمن، فقد كتبناهم إلى عهد سليمان وأيامه، ثم صار المُلك إلى ياسر^(٣) بن عمرو الذي يقال له: ياسر أنعم،^(٤) لإنعامه على العرب. وكان سار غازياً نحو المغرب، حتى بلغ وادياً يقال له: وادي الرمل، ولم يكن [59] بلغه أحد قبله، ولم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل. فبينما هو مقيم إذ انكشف الرمل. فأمر بعض أهل بيته أن يعبر هو وأصحابه، فعبروا، ولم يرجعوا. فأمر بصنم من نحاس،

١. انظر الثعالبي: ٣٣٣.

٢. من أسماء مدينة بخارا (لد). في الطبري: دزروين، وتفسيرها بالعربية: الصفرية (٢ : ٦٨٠) = روئين

دز (حصن). ٣. مط: ياشر.

٤. مط: ناش نعم! هذه التصحيقات العجيبة نوردها بين حين وآخر للإشارة إلى ما لمخطوطة مط من قيمة

سلبية، حتى تكون في حسابان القارئ عند مقارنته بينها وبين الأصل. في المفصل: ياسر يهنم، ياسر

ينعم، ياسر أنعم الحميري ملك سبأ (١ : ٤٨).

فصنع ثم نصب على صخرة عظيمة على شفير الوادى، وكتب فى صدره بالمُسند^(١) :

«هذا الصنم لياسر أنعم^(٢) الحميرى، ليس وراءه مذهب، فلا يتكلفن ذلك أحد فيعطب.»

تُبَّع

ثم ملك بعد تَبَّع. وهو تَبَّان^(٣)، وهو أسعد، وهو أبو كرب بن مليكيكرب، تبَّع بن زيد بن عمرو بن تبَّع ذى الازعار بن أبرهة تبَّع ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ.

وكان تبَّع هذا فى أيام بشتاسف وأردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف. خرج وغزا، وبلغ الأنبار، والموصل، ثم آذربيجان^(٤)، ولقى بها الترك، فهزمهم، وقتل بها المقاتلة، وسبى الذرية، فأقام بها دهرأ، وهابته الملوك، وأهدت إليه، وقدم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والطرف من الحرير والمسك، [60] وسائر الطرف، فرأى ما لا يرى مثله.

فقال: «ويحك! أكل هذا فى بلادكم؟»

فقال: أبيت اللعن^(٥)، هذا أقل ما ترى فى بلادنا، وأكثره فى بلاد الصين. ووصف له بلاد الصين، وسعتها وخصبها. فألى ليغزونها، وسار بحمير، حتى أتى الصين فى جمع عظيم، حتى دخلها، فقتل مقاتلتها، واكتسح ما وجد فيها. ويزعمون أن مسيره إليها كان - ومقامه بها ورجعته منها - فى سبع سنين. وخلف

١. اسم لخط الحمير باليمن (مو).

٢. مط: ناش النعم!

٣. مهملة النقط فى الأصل، وضبطناها حسب الطبرى (٢: ٦٨٤). وما فى مط: بيان. انظر أيضاً المفصل ١:

٥٤٧.

٤. بالفهلوية: Aturpatakan (حب، ف).

٥. أبيت اللعن: من تحيات الملوك فى الجاهلية، معناها: أبيت أن تأتى من الأمور ما تلعن عليه وتذم بسببه (لع).

بالتَّبَيُّت^(١) اثنتي عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت اليوم، ويزعمون أنهم عرب، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانهم.

أردشير بهمن

وملك بعد بشتاسف أردشير بهمن. وانبسطت يده، وتناول الممالك بقدره [حتى]^(٢) ملك الأقاليم. وابتنى بالسواد مدينة وهي المعروفة بـ «هُمِينِيَا»^(٣) وهو أبودارا [الأكبر]^(٤)، وأبو ساسان أبي الفرس الأخير^(٥) أردشير بن بابك وولده. وكان بهمن بن اسفنديار كريماً، [61] متواضعاً، مرضياً. وكانت تخرج كتبه: «من أردشير^(٦) بهمن^(٧) عبدالله، وخادم الله، والسائس لأمركم».

ويقال: إنه غزا الرومية الداخلة^(٨)، في ألف ألف مقاتل. ولم تزل ملوك الأرض تحمل إليه الإتاوة، إلى أن هلك، وابنه دارا [الأكبر]^(٩) في بطن أمه. فملكوا خُمَاي بنته شكراً لأبيها. وكان من أعظم ملوك الفرس شأنًا، وأفضلهم تدبيراً. وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده. وتفسير «بهمن» بالعربية: «الحسن النية».



١. Tibet = من بلدان آسيا المركزية في غربي الصين.
٢. ما في الأصل غير واضح، وما أثبتناه من مط.
٣. جاء في الطبري: وسماها: آباد أردشير، وهي القرية المعروفة بـ «هُمِينِيَا» من الزاب الأعلى (٢: ٦٨٧) = هَمَانِيَا، هَمَانِيَّة، هُمْنَى: قرية كبيرة في ضفة دجلة فوق النعمانية (مع).
٤. الأكبر: ليست في الأصل ومط. فأضفناها من الطبري.
٥. كذا في مط. في الطبري: «الأخر»، ضد القُدُم: المؤخر.
٦. بالفارسية القديمة: Artaxshathra: الملك المقدس (شاك: ٤٨). بلوتارخ: مأكروخير Makroxeir.
- البيروني: مقروشير: طويل الديدن (ص ١١)، ويقال له: طويل الباع، أيضاً (لد).
٧. بالأفستائية: Vohamana: النصيح، الحسن النية. (يب ١: ٨٨، حب).
٨. الرومية: اسم لمدينتين: مدينة ببلاد الروم وأخرى بالمدائن (مع).
٩. الأكبر: تكملة من مط.

خُمای

ثم ملكت خُمای^(١) بنته، لأنّها حملت منه دارا الأكبر، وسألته أن يعقد التاج له في بطنها، ويؤثره بالملك، ففعل بهمن ذلك، وكان ساسان^(٢) بن بهمن في ذلك الوقت رجلاً يتصنع للملك، [لا يشك]^(٣) فيه. فلما رأى ساسان ما فعل أبوه، شقّ عليه، فلحق بإصطخر، وترهّد، وخرج من الحلية، واتخذ غنيمة، فكان يتولّى ماشيته بنفسه، واستشنت العامة ذلك من فعله، وقالوا: «صار ساسان راعياً».

وسبّوه به. [62] ثم لما كبر دارا حول التاج إليه. وكانت خُمای ضبّطت الحكم^(٤) بنجدة ورأى وحصافة، وأغزت الروم جيشاً، وأوتيت ظفراً. فقمعت الأعداء وشغلّتهم عن تطرّف^(٥) شيء من بلادها، ونال رعيّتها في تدبيرها خفض ورفاهة، إلى أن ملّك ابنها:

دارا^(٦) بن بهمن

فنزل بابل، وكان ضابطاً لملكه، قاهراً لمن حوله من الملوك يؤدّون إليه الخراج. ابتنى بفارس مدينة، وسمّاها: «دارا بجرد»^(٧). وحذف دوابّ البريد^(٨)

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

١. في الطبري وحواشيه: خماني، هماي، خمای (٢: ٦٨٦). هماي (شا). هماك (ياز، كيا: ٤١).
- بالأفستائية: Humaya: المباركة (حب).
٢. بالفهلوية: Sasan: الفقير (يو): هو جد الملوك الساسانية. كان من الأشراف ورئيس معبد آناهيد (= آناهيتا) في إصطخر وبابك ابنه (سا: ٨٦).
٣. لا يشك: مهملّة في الأصل والإعجام من مط.
٤. مط: الملك.
٥. الأصل والطبري: كذا. مط وابن الأثير: تطرّق.
٦. في سائر الأصول: دارا، داريوش، داريوس، داراب، داريوشن.
٧. بالفهلوية: Darap-kart (ف).
٨. قال الثعالبي: هو أوّل من وضع البريد، ورتب له الدواب، وأمر بتحذيف أذناها علامة لها (ص ٣٩٨).

ورثتها. وكان معجباً بابنه «دارا»، وبلغ من حُبِّه إتياء أن سَماه باسم نفسه، وصيّر له المُلْك من بعده، وكان له وزير يسمّى: «رُشتين»^(١) محموداً في عقله. فشجر بينه وبين غلام ترَبَّى^(٢) مع دارا الأصغر يقال له: «بيري»^(٣)، شرّاً وعداوة. فسمى رُشتين عليه عند الملك. فيقال: إنّ الملك سقى بيري شربة فمات، فاضطغن دارا الأصغر على رُشتين، وعلى جماعة كانوا عاونوه.

دارا الأصغر

فلَمَّا ملك دارا ابن دارا بن بهمن، كان أول ما تكلم به حين عقد التاج [63] على رأسه، قال:

«لن ندفع أحداً في مهوى الهلكة، ومن تردى فيها، لم نكفقه عنها.»
واستكتب أخا بيري، واستوزره، رعاية لحق أخيه، وأنساً به، ولم يكن في موضع الوزارة، ولا كان له كفاية رُشتين.

فكان من عاقبة ذلك، أن أفسد قلبه على أصحابه، وحمله على قتل بعضهم، فاستوحشت منه الخاصّة والعامة، ونفروا عنه، وكان حقوداً جبّاراً. فعرف خبره الإسكندر فغزاه وقد ملّه أهل مملكته، واستوحش جنده، وأحبّ الجميع الراحة منه. فلحق كثير من وجوه أصحابه وأعلام جنده بالاسكندر، فأطلعوه على عورة دارا وقوّه عليه، فلَمَّا التقيا ببلاد الجزيرة^(٤)، اقتتلا سنة. ثمّ إنّ رجالاً من

→

وقال الطبري: ... وحذف دوابّ البرد، ورثتها (٢: ٦٩٢). حذف الشيء: قطعهُ من طرفه. تحذيف الشعر: الأخذ من نواحيه وتسويته (لح).

١. مط: رشتين. والكلمة مهملة النقط في الطبري مع تصحيقات في الحاشية.

٢. مط: ربى.

٣. الكلمة مهمة النقط في الطبري مع تصحيقات في الحاشية.

٤. أنظر مراصد الاطلاع ١: ٣٣١.

أصحاب دارا وثبوا به، فقتلوه، وتقرّبوا بذلك إلى الإسكندر، فأمر بقتلهم وقال: «هذا جزاء من اجترأ على ملكه».

وتزوّج ابنته: روشنك^(١). ثم غزا الهند ومشارك [64] الأرض، فملكها. ثم انصرف وهو يريد الاسكندرية، فهلك بناحية السواد، فحمل في تابوت من ذهب إلى أمّه. وكان ملكه أربع عشرة سنة، واجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقاً، وتفرّق ملك فارس وكان مجتمعاً.

مما يحكى عن الإسكندر وحيله الإسكندر ودارا

وقد كان فيلفوس أبو الاسكندر، صالح دارا، على خراج يحمله إليه في كلّ سنة. فلما هلك الأب، وملك الاسكندر، وطمع في دارا، منعه الخراج الذي كان يحمله أبوه إليه. فأسخط دارا، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعة في تركه حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج، وأنه إنما دعاه إلى حبس ذلك، الصبي والجهل، وبعث إليه بصولجان وكرة وبقفيز^(٢) من السمسم: يعلمه بذلك أنه إنما ينبغي أن يلعب مع الصبيان بالصولجان^(٣)، ولا يتقلّد الملك، ولا يتلبّس به، ويعلمه أنه إن لم يقتصر على ما أمره به، وتعاطى الملك، بعث إليه من يأتيه به في وثاق، [65] وأن عدّة جنوده الذين يبعث بهم، كعدّة حبّ السمسم الذي بعث به إليه. فكتب الإسكندر في جواب ذلك، أن قد فهم ما كتب به، ونظر إلى ما أرسله

١. بالفهلوية: Roshanak بالأفستانية: Raoshana. ابنة دارا وزوجة الإسكندر (يو، حب). ابنة دارا هي Stativa وأما روشنك (باليونانية Roxano) فهي ابنة شريف من شرفاء سغد، تزوجت من الإسكندر (إيب: ١٧٣٦، ١٨٨٣).

٢. القفيز: مكيال كان يكال به قديماً ويختلف مقداره في البلاد (مو).

٣. الصولجان: معرب چوگان، بالفهلوية: Chopakan (حب).

من الصولجان والكرة، وتيمّن به، لإلقاء الملقى الكرة إلى الصولجان واجتراره^(١) إيّاها، وأنه شبه الأرض بالكرة، وتقال بملكه إيّاها، واحتوائه عليها، وأنه يجتزئ ملك دارا إلى ملكه، وبلاده إلى حيّزه من الأرض، وأن نظره إلى السمسم الذي بعث به، كنظره إلى الصولجان والكرة، لدسمه وبعده من المرارة والحرافة. وبعث إلى دارا مع كتابه بَصْرَة من «خردل»، وأعلمه في ذلك الجواب: أن ما بعث به إليه قليل، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوّة، والحرافة، والمرارة، وأن جنوده فيما وصف به منه.

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر، جمع إليه جنده^(٢)، وتأهب لمحاربة الاسكندر، وتأهب له الاسكندر، وسار نحو [66] بلاد دارا. فلما التقيا، وجرى ما جرى من أمر القائدين اللذين تقرّبا إلى الاسكندر وطلبا الحظوة عنده والوسيلة، وكان نادى الاسكندر ألا يُقتل دارا، وأن يؤسر أسراً، فلما أعلم الإسكندر بما جرى، سار^(٣) حتى وقف عنده، فرآه يسجد^(٤) بنفسه، فنزل الإسكندر عن دابته، حتى جلس عند رأسه، وأخبره أنه ما همّ بقتله، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه.

وقال له: «سلني ما بدا لك^(٥) فإني أسعفك به.»

فقال له دارا: «لي حاجتان: إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين فتكا بي - وسأهما - والأخرى أن تتزوج ابنتي: روشنك.» فأجابه إلى الحاجتين، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من ملكهما ما انتهكا، وتزوج روشنك وملك الأرض كلها.

ويقال: إن الرجلين اللذين قتلوا دارا، إنما فعلا ذلك بأمر الاسكندر، وكان شرط

٢. جنده: سقطت من مط.

٤. مط: بحول.

١. مط: واحتياز.

٣. سار: سقطت من مط.

٥. مط: ما بذلك.

لهما شرطاً. فلما طعنناه، دفع إليهما حكمهما، ووفى لهما بشرطهما، [67] ثم قال: - «قد وفيت لكما بالشرط، ولم تكونا شرطتما أنفسكما، وأنا قاتلكما، فإنه ليس ينبغي^(١) لقتلة الملوك أن يستبقوا، إلا بذمة لا تخفر^(٢)»؛ فقتلهما وصلبهما. ويقال: إن الاسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يصير إليه بنفسه على أنه رسول. فيتوسط العسكر، ويعرف كثيراً مما يحتاج إليه. فكان إذا وصله^(٣) دارا، أعجب به واستحسن سمته^(٤) ومجاراته. إلى أن اتهمه وأحسّ الاسكندر، فهرب.

ذكر حيلة للاسكندر

فلما تواقفت^(٥) الخيلان يوم الحرب، خرج الاسكندر من صف أصحابه وأمر من ينادى:

- «يا معشر الفرس! قد علمتم ما كتبتنا^(٦) لكم من الأمانات، فمن كان منكم على الوفاء، فليعتزل عن العسكر، وله منا الوفاء بما ضمنناه.»
واتهمت الفرس بعضها بعضاً. فكان أول اضطراب حدث فيهم.

حيلة أخرى

ومما يحكى من حيله في الحروب: [68] أنه لما شخص عن فارس إلى أرض الهند، تلقاه فور ملكها في جمع عظيم، ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأعمدة، فلم تقف دواب الاسكندر وانهزم. فلما حصل

١. ينبغي: سقطت من مط.

٢. مط: لا تخف! خفر بالعهد: وفى به. خفر العهد وبه: نقضه (مو).

٣. في الأصل: أوصله. وفضلنا ضبط مط. ٤. السميت: السكينة والوقار، الهيئة.

٥. مط: تواقف. ٦. مط: ما اتعالمكم!

فى مأمنه، أمر باتخاذ فيلة من نحاس مجوّفة، وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها، ثم أمر فملئت نفطاً وكبريتاً، وألبسها الدروع، وجرت على العجل إلى المعركة، وبين كلّ تماثيل منها^(١) جماعة من أصحابه. فلما نشبت الحرب، أمر بإشعال النيران فى أجواف التماثيل، فلما حميت، انكشف أصحابه عنها، وغشيتها^(٢) الفيلة، فضربتها بخراطيمها، فنشطت وولّت مدبرة راجعة^(٣) على أصحابها، وصارت الدبرة على ملك الهند.

حيلة أخرى له

ومما يحكى أيضاً عنه: أنه كان نزل على مدينة حصينة. فتحصن منه أهلها وعرف^(٤) خبرها، فأعلم أن فيها من الميرة والعيون المنفجرة كفايتهم. فدرس^(٥) تجاراً [69] متنكرين، وأمرهم بدخول المدينة، وأمدّهم بمال على سبيل التجارة، وتقدم إليهم يبيع ما معهم، وابتىاع ما أمكنهم من الميرة، والمغالة بها. ففعل التجار ذلك، ورحل الاسكندر عنهم. فلم يزل التجار يشترون الميرة، إلى أن حصل فى أيديهم أكثره. فلما علم الاسكندر ذلك، كتب إليهم أن أحرقوا الميرة التى فى أيديكم واهربوا. ففعلوا ذلك، وزحف الاسكندر إليها، فحاصرهم أياماً يسيرة، فأعطوه الطاعة، وملك المدينة.

وكان أيضاً إذا انصرف عن مثل هذه المدينة، شرّد من حولها من أهل القرى^(٦)، وتهذّدهم بالسبى، حتى خرجوا هاربين معتصمين بالمدينة، فلا يزال بذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا فى الميرة، فيرجع حينئذٍ، فيحاصرهم، ويفتح المدينة.

٢. مط: وغشّتها.

٤. مط: وتعرف.

٦. القرى: سقطت من مط.

١. مط: فيها.

٣. راجعة: سقطت من مط.

٥. مط: فدبر.

الإسكندر وأرسطوطاليس

ومما يحكى عنه: أنه كتب إلى أرسطوطاليس يخبره: أن في عسكره من الروم [70] جماعة من خاصته، لا يأمنهم على نفسه، لما يرى من بعد همهم وشجاعتهم وكثرة آلتهم، ولا يرى لهم عقولاً تفي بتلك الفضائل، ويكره الإقدام بالقتل عليهم بالظنة، مع وجوب الحرمة. فكتب إليه أرسطوطاليس:

«فهمت كتابك، وما وصفت به أصحابك. فأما ما ذكرت من بُعد همهم فإنّ الوفاء من بُعد الهمّة. وأما ما ذكرت من شجاعتهم ونقص عقولهم عنها، فمن كانت هذه حاله، فرفقه في معيشته، واخصه بحسان النساء. فإنّ رفاهة العيش توهي العزم، وتحبّب السلامة، وتباعد من ركوب الخطأ والغرر^(١). وليكن خلقك حسناً تخلص لك النيات، ولا تتناول من لذيذ العيش ما لا يمكن أوساط إخوتك مثله. فليس مع الاستيثار محبة، ولا مع المواساة بغضة. واعلم أنّ المملوك^(٢) إذا اشترى لا يسأل عن مال مولاه وإنّما يسأل عنه خلقه.» [71]

وكان الإسكندر في الأيام التي لقي فيها دارا، وجل من محاربتة، ودعاه إلى المودعة، لما رأى كثرة عدّته وعتاده وعدد جنده. فاستشار دارا أصحابه في أمره، فغشّوه، وزيّنوا له الحرب، ففساد قلوبهم عليه، وكاتبوا الإسكندر، وأطمعوه فيه. وكان ملك دارا أربع عشرة سنة. فهزم الإسكندر حصون الفرس، وبيوت النيران، وقتل الهراذة، وأحرق كتبهم، ودواوين دارا.

وكاتب^(٣) معلّمه ووزيره أرسطوطاليس يعلمه: أنه شاهد بإيران شهر رجلاً ذوى أصالة في الرأي، وجمال في الوجوه، لهم مع ذلك صرامة وشجاعة، وأنه رأى لهم

١. مط: الغدر. والنرر: الخطر. التعريض للهلكة. ٢. مط: المملوك!

٣. مط: وكتب إلى.

هيات وخلقاً، لو كان عرف حقيقتها، لما غزاهم، وأنه إنما^(١) ملكهم بحسن الاتفاق والبخت، وأنه لا يأمن - إن ظعن عنهم - وثوبهم، ولا تسكن نفسه إلا ببوارهم.

فكتب إليه أرسطوطالس:

- «فهمت كتابك في رجال فارس، فأما قتلهم فهو من الفساد في الأرض ولو قتلهم لأنبت البلد أمثالهم [72] لأن اقليم بابل يولد أمثال هؤلاء الرجال، من أهل العقول والساد في الرأي، والاعتدال في التركيب، فصاروا أعداءك وأعداء عقبك بالطبع، لأنك تكون قد وترت^(٢) القوم، وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم وممن بعدهم، وإخراجك إياهم في عسكري مخاطرة بنفسك وأصحابك. ولكني أشير عليك برأي هو أبلغ لك في كل ما تريد من القتل، وهو أن تستدعي أولاد الملوك منهم، ومن يستصلح للملك ويترشح له، فتقلدهم البلدان، ويتوليهم الولايات، ليصير كل واحد منهم ملكاً برأسه، فتتفرق كلمتهم، ويجتمعوا على الطاعة لك، ولا يؤدي بعضهم إلى بعض طاعة، ولا يتفقوا على أمر واحد، ولا تجتمع كلمتهم.»

ف فعل الإسكندر ذلك، فتم أمره، وأمكنه أن يتجاوز ملك الفرس، فسار قدماً إلى أرض الهند، حتى قتل ملكها مبارزة، بعد حروب عظيمة هائلة، وفتح مدنها، ثم صار إلى الصين، و صنع بها^(٣) كصنيعه بأرض الهند، ثم طاف مما يلي القطب [73] الشمالي، ورجع إلى العراق، وخرج منها بعد أن ملك ملوك الطوائف، فمات في طريقه بشهرزور^(٤)، ويقال: بل في قرية من قرى بابل، وكان عمره ستاً

٢. مط: سرت.

١. مط: لما.

٣. بها: سقطت من مط.

٤. شهرزور: مدينة تقع في ناحية بنفس الاسم في الشمال الغربي من دينور، والمسافة بينهما أربعة منازل (لج: ٢٠٥).

وثلاثين سنة، وملك منها ثلاث عشرة سنة وأشهرًا. وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه.

الإسكندر وملك الصين

وفي الرواية الصحيحة: أن الإسكندر لما انتهى إلى بلاد الصين، أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره، فقال:

- «هذا رسول ملك الصين بالباب يستأذن في الدخول عليك.» قال: «أدخله.»

فأدخله. فوقف بين يدي الإسكندر، وسلّم، ثم قال:

- «إن رأى الملك يستخليني.»

فأمر الملك من بحضرته أن ينصرفوا، فانصرفوا كلهم وبقي حاجبه. فقال:

- «إن الذي جئت له، لا يحتمل أن يسمعه غيرك.»

قال: «فتشوه.»

فلم يوجد معه سلاح. فوضع الإسكندر بين يديه سيفاً مسلولاً وقال له:

- «قف بمكانك وقل ما شئت.»

وأخرج كل من كان بقي عنده.

فقال:

- «أنا ملك الصين، لا رسول، جئت أسألك عما تريد، [74] فإن كان مما

أمكن عمله - ولو على أصعب الوجوه - عملته، وأغنيتك عن الحرب^(١)».

فقال له الإسكندر: «ما الذي آمنك مني؟»

قال: «علمي بأنك عاقل حكيم، ولم تك بيننا عداوة، ولا مطالبة بذحل، وأنك

تعلم، إن قتلتنى، لم يكن ذلك سبباً لتسليم أهل الصين إليك ملكهم، ولم يمنعهم

قتلى من أن ينصبوا^(١) لأنفسهم ملكاً، ثم يُنسب إلى غير الجميل، وضدّ الحزم.»
فأطرق الاسكندر، وعلم أنه رجل عاقل، ثم قال له:
- «الذى أريد منك ارتفاع^(٢) مملكتك لثلاث سنين عاجلاً، ونصف ارتفاع
مملكتك لكل سنة».

قال: «هل غير هذا؟»

قال: «لا.»

قال: «قد أجبته، ولكن سلني: كيف تكون حالى بعد ذلك؟»

قال: «قل، كيف تكون حالك؟»

قال: «أكون أول قتيل من محارب، أو أول أكيلة مفترس.»

قال: «فإن قنعتُ منك بارتفاع سنتين، كيف تكون حالك؟»

قال: «تكون أصلح قليلاً وأفسح مدة.»

قال: «فإن قنعت منك^(٣) بارتفاع سنة؟»

قال: «يكون في ذلك بقاء لملكى، وذهاب جميع لذاتى.»

قال: «فإن قنعت [75] منك^(٤) بارتفاع الثلث، كيف تكون حالك؟»

قال: يكون السدس للفقراء ومصالح البلاد، ويكون الباقي لجيشي ولسائر
أسباب الملك».

فقال: «قد اقتضرت منك على هذا.»

فشكره وانصرف. فلما طلعت الشمس، أقبل جيش الصين، حتى طَبَّقَ
الأرض، وأحاط بجيش الإسكندر، حتى خافوا الهلاك. وتوالت أصحابه حتى
ركبوا الخيل، واستعدوا للحرب بعد الأمن والطمأنينة إلى السلم. فبينما هم كذلك،

١. مط: أن يصبوا.

٢. الارتفاع: ما حصل من الزراعة، الخراج.

٣. منك: سقطت من مط.

٤. منك: سقطت من مط.

إذ طلع ملك الصين وعليه التاج وهو راكب. فلما تراءى^(١) الصقّان، ورأى الاسكندر ملك الصين، قدّر أنه حضر للحرب.

فصاح به: «أغدرت؟»

فترجّل، وقال: «لا، والله.»

قال: «فادن منى.»

فدنا وقال: «ما هذا الجيش الكثير؟»

قال: «إني أردت أن أريك أني لا أطيعك من قلة وضعف، ولكني رأيت العالم العلوي مقبلاً عليك، ممكناً لك ممن هو أقوى منك وأكثر عدداً، ومن حارب العالم العلوي غلب، فأردت طاعته بطاعتك، والتذلل له [76] بالتذلل لك.»

فقال له الاسكندر: «ليس مثلك من يسام الذلّ، ولا من يؤدّي الجزية، فما رأيت بيني وبينك من الملوك، من يستحق التفضيل والوصف بالعقل، غيرك، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك، وأنا منصرف عنك.»

فقال ملك الصين: «فلمست تخسر.»

ثم انصرف عنه الاسكندر، فبعث إليه ملك الصين بضعف ما قرّره معه.

□

وبنى الاسكندر اثنتي عشرة مدينة، وسماها كلها «الاسكندرية»، منها: مدينة «جى»^(٢) بإصبهان، وثلاث مدن أخرى بخراسان، وهي: هراة، ومرو، وسمرقند. وبني بأرض بابل مدينة لروشنك، وبني بأرض يونان سبع مدن^(٣).

١. مط: رأى

٢. جى: بالفهلوية: Gay (حب) وكانت تسمى شهرستانه (لج: ٢١٩).

٣. وليس لهذا الحديث أصل، لأنه كان مخرباً ولم يكن بناءً (حمزة: ٢٩). الروايات الخاصة بالاسكندر

تجدها عند الطبري ٢: ٦٩٢ - ٧٠٤.

البطالسة

وعرض على ابن لاسكندر الملك بعد وفاة أبيه، فأبى واختار النسك، ملكت اليونانية على رواية أكثر الناس بطليموس. ثم ملك عدة متوالية يقال لكل واحد منهم: «بطلميوس»^(١)، كما يقال لملوك الفرس: «الأكاسرة» وتغلب قوم من اليونانيين بعده على نواحي مصر [77] والشام.



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

١. باليونانية: Ptolemaios (حب).

الأشغانيّة^(١) ومن عاصرهم

واختلف أهل الرواية في عدد ملوك الطوائف الذين ملكوا إقليم بابل، إلى أن قام بالملك أردشير بابكان^(٢)، فنظم مُلك الفرس. فبعضهم يزعم أن آشك^(٣) - وهو ابن دارا الأكبر - جمع جمعاً كثيراً وسار إلى أنطيوخس^(٤)، وكان مقيماً بسواد العراق من قبل الروم، وزحف إليه أنطيوخس. فالتقيا ببلاد الموصل، فقتل أنطيوخس، وغلب آشك على السواد، وصار في يده من الموصل إلى الرى وإصبهان، وعظمه سائر^(٥) ملوك الطوائف لشرفه، وما كان من فعله، وبدأوا به على أنفسهم في كتبهم، وبدأ فيما كان يكتب إليهم بنفسه، وسمّوه ملكاً، وأهدوا إليه، من غير أن يعزل أحداً منهم، أو يستعمله.

مركز تحقيق كتاب تويرثم ملك جوذر بن أشكان

وهو الذي غزا بني إسرائيل المرّة الثانية. وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكريّا.

١. فترة الحكم: ٢٥٠ ق م - ٢٢٦ م.

٢. أول السلسلة الساسانية. في الأصل: أردشير بن بابكان، فحذفنا «بن» لأن الألف والنون في آخر

«بابك» علامة تفيد نسبة البنوة، ف«بابكان» أي: ابن بابك. انظر الطبري ٢: ٧٠٤.

٣. Antiochus.

٤. أيضاً الطبري (٢: ٧٠٩).

٥. مط: «روابو الملوك» بدل «سائر الملوك»!

فسلّطه الله عليهم، فأكثر القتل فيهم، فلم تعد لهم [جماعة بعد] ^(١) ذلك [78] ورفع الله عنهم النبوة، وأنزل بهم الذلّ.

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر، أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل. فخضعوا للأشغانية، وأولهم: أشك ^(٢) بن أشكان، ثم سابور بن أشكان - وفي أيامه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين - ثم ملك جوذر بن أشغانان الأكبر، ثم يرى الأشغاني، ثم جوذر الأشغاني، ثم نرسی ^(٣) الأشغاني، ثم هرمز الأشغاني، ثم أردوان الأشغاني، ثم كسرى الأشغاني، ثم بلاش الأشغاني، ثم أردوان الأصغر الأشغاني، ثم أردشير بن بابك.

فكان مدة هؤلاء إلى أن وثب أردشير على الأردوان، فقتله وجمع أمر الفرس، مائتين وستاً وستين سنة. ولم يقع إلينا شيء من تدابيرهم يستفاد منه تجربة إلا خبر لبعض الروم، وهو:

ذكر حيلة لبعض ملوك الروم

كان أحد ملوك ^(٤) الفرس وجّه رجلاً من جلة قواده في جيش إلى ملك الروم، فحاربه، فأجلاه الفارسي عن أكثر بلاده، حتى فتح [79] أنطاكية ^(٥)، وجاوزها، وأوغل في بلاد الروم. فجمع ملك الروم رؤساء قومه، فشاورهم. فأشاروا بأمر مختلف، حتى انفرد له رجل من أهل مملكته، ولم يكن من أبناء الملوك. فقال: «إن ^(٦) عندي رأياً أشير به. فإن رزق الله الظفر، فما لي عندك؟»

١. ما في [] مطموس في الأصل، وماخوذ عن مط.

٢. بالفهلوية: Arshak = أشك: أول الملوك الأشكانيين (حب).

٣. بالفهلوية: Narsah (حب). ٤. ملوك: سقطت من مط.

٥. أنطاكية: مدينة على شاطئ النهر العاصي [نهر حماة وحمص ويعرف بالميماس - يا]، ويقال لها

أنطوخيا أيضاً (لد). ٦. إن: سقطت من مط.

قال الملك: «سل حاجتك».

قال: «إني أرى الرأي الصحيح، وأخاطر فيه بنفسى، فاجعل لى الملك من

بعدك».

قال: «نعم»، فوثق له به.

فقال الرومى: «إنّ الفرس قد طمعت فى مُلكنا، فلم يبق منهم نجد^(١) ولا ذو رأيٍ إلّا وجّهوه فى وجوهنا، وقد ضعفنا عنهم، وقد حملوا ذراريهم إلى الشام والجزيرة. فالرأى أن تأذن لى فانتخب من عسكري خمسة آلاف رجل، ثم أحملهم فى البحر، وأصير من خلفهم، فأوكل بمضائق الطرق، وصعاب العقاب، رجالاً من أصحابى من أهل البأس والنجدة، فإنّ خبرى إذا بلغهم، فتّ فى عضدهم ونخبت^(٢) قلوبهم، ورجعوا إلى عيالاتهم وأموالهم متقطّعين^(٣)، فلا [80] يمرّ بالمواضع التى وكّلت بها أحد من الفرس إلّا قُتل، فلا يسلم إلّا القليل الذين إذا صاروا إلى الشام أتيت عليهم^(٤) وتشرّدهم أنت من خلفهم».

فأجابه الملك إلى رأيه، وأنفذه إلى الشام. فلما بلغ الفرس أنّ الروم قد خلفتهم فى أموالهم، وأهاليهم، خرج أكثرهم على وجوههم متقطّعين لا يلوون على شىء، ومرّوا بمضائق الطرق، فقتل أكثرهم، وخرج ملك الروم إلى من بقى منهم، فهزمهم، فلم يسلم منهم إلّا القليل. فتحول الملك بذلك السبب من أهل بيت المملكة بالروم، إلى قوم ليسوا من أهل بيتها، بل هم من أهل إرميناقس^(٥)، فبقى فيهم إلى هذه الغاية.

١. النجد: الشجاع. ٢. نخب الحرب فلاناً: جيّته، أضعفته.

٣. تقطّع أمرهم بينهم: تفرّقوا به. تقطّعت بهم الأسباب: عجزوا، وانقطعت سبلهم.

٤. أتيت عليهم: سقطت من مط.

٥. مط: إرميناقس. وإرميناق ناحية من نواحي الروم القديمة (لد).

ذكر سبب طمع العرب في أطراف الفرس

كنّا حكينا من أمر بختنصر أنه أنزل الحيرة من العرب جماعة، فانتقلوا بعد موته إلى الأنبار، وبقي الحير خراباً يباباً، زماناً طويلاً، لا تطلع [عليهم] ^(١) طالعة من بلاد العرب، ولا يطعم ^(٢) أحد فيهم من الريف، بعدما قصدهم [81] بختنصر. فلما غلب الإسكندر على مملكة الفرس، وجعلها مقسومة في ملوك الطوائف، ضعف كل واحد منهم في نفسه، وصار عدوّه بالقرب منه من الأرض، ولكل واحد خندق ^(٣) يقصده الآخر، فيغير بعضهم على بعض، ثم يرجع كالخطفة.

وقد كان كثر في ذلك الزمان أولاد معدّ بن عدنان، ومن كان معهم من قبائل العرب، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم، وحدثت بينهم أحداث وحروب، فتفرّقوا، وخرجوا يطلبون متسعاً في بلاد اليمن ومشارف ^(٤) الشام، وأقبلت منهم قبائل حتّى نزلوا البحرين وبها جماعة من الأزد، وكانوا نزلوها في زمان ابن ماء السماء، وتحالف القوم الذين خرجوا من تهامة على التنوخ بالبحرين - التنوخ: المقام - وكان منهم قوم من قضاة، وقوم من معدّ، وقوم من إباد. فتعاقدوا على التوازر والتناصر، وصاروا يداً على الناس وصار اسمهم: «تنوخ». ثمّ لما بلغهم انتشار [82] أمر الفرس واختلاف كلمتهم، تطلّعت نفوسهم إلى ريف العراق، وطمعوا في الفرس وفيما يلي بلاد العرب من أعمالهم، أو مشاركتهم فيها، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمع رؤساؤهم على

١. التكملة من الطبرى. والعبارة في الطبرى: لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ولا يقدم عليهم قادم (٢) :

(٧٤٥).

٢. مط: ولا طمع أحد.

٣. معرّب «هندك»، كنده (لد).

٤. في الأصل: «مشارق، والتصحيح من الطبرى (٢ : ٧٤٥). والمشارف، جمع مشرف: قرى قرب حوران منها بصرى من الشام، ثمّ من أعمال دمشق. والمشارف من المدن: على مثل مسافة الأنبار من بغداد، والقادسية من الكوفة (يا).

المسير الى العراق. فلما ساروا، وجدوا الإرمانيين - وهم القوم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل - يقاتلون الأردوانيين، وهم: ملوك الطوائف، وهم فيما بين نَفَر^(١) - قرية من سواد العراق - إلى الأبلّة^(٢) وأطراف البادية. فلم تدن لهم، فدفعوهم عن بلادهم. وإنما قيل: «الإرمانيين» لأنه كان يقال لعاد: «إرم»، فلما هلك، قيل لثمود: «إرم»، ثم سمّوا: «الإرمانيين» وهم بقايا «إرم»، وهم نبط السواد. ويقال لدمشق: «إرم».

ثم طلع قوم من تيم الله، وغطقان في من تنخ معهم من الحلفاء والعشائر على الأنبار، على ملك الإرمانيين. وطلع قوم من كندة وبنى فُهم مع من حالفهم. وتنخ بعضهم على نَفَر على [83] ملك الأردوانيين، فأنزلوا الحير، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نَفَر على ذلك، لا يدينون للأعاجم، ولا تدين لهم الأعاجم، حتى قدمها تُبّع - وهو أسعد بن مليكيكرب - في جيوشه، فخلّف بها من لم تكن به قوة ومن لم يقو على الغزو معه، ولا الرجوع إلى بلاده. فانضمّوا إلى أهل الحيرة، وخرج تُبّع في حمير سائراً، ثم رجع إليهم، فأقرهم على حالهم، وانصرف إلى اليمن وفيهم من كل القبائل من بنى لحيان - وهم بقايا جُرهم - وطىء، وكلب، وتميم، وغيرهم، واتّصلت جماعتهم وقووا، وكانوا بين الأنبار والحيرة إلى طف^(٣) الفرات في المظال والأبنية، وكانوا يسمّون^(٤): «عرب الضاحية».

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

من عاصر الأشغانيين من ملوك العرب

فكان أول من ملك منهم:

مالك بن فهم، وملوك الفرس طوائف، وقد دخل الوهن عليهم، وطمع فيهم.

١. نَفَر: بلدة على نهر الترس من بلاد الفرس. قال الخطيب: فإن غنى أنه من بلاد الفرس قديماً جاز، فأما

الآن فهو من نواحي بابل (مع). ٢. الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة (مع).

٣. مط: أطراف. ٤. يسمون: سقطت من مط.

ثمّ ملك أخوه عمرو بن فهم.

ثمّ جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم، فقوى أمره، وكان جيّد الرأى، شديد النكاية فى الأعداء [84] بعيد المغار. فاستجمع له الثلك بأرض العراق، وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وعظّمته العرب، وكنت - عن برص به - «الأبرش» وبـ «الوضّاح»، فكان تفد عليه الوفود، وتجبى إليه الأموال.

وكان عنده غلام من إياد يقال له: عدى بن نصر بن ربيعة، وضىء، له جمال وظرف، يلى شرابه. فعشقتة أخت جذيمة رقاش، ومازالت تحتال، وتواطئه، حتّى زوّجها الملك بعدى فى سُكره. فوطئها من ليلته وعلقت^(١) منه. فلما أصبح جذيمة وعرف الخبر، ندم ندامة شديدة. وعرف عدى الخبر، فهرب، ولحق بإياد حتّى هلك. واشتملت رقاش على حبل، فولدت غلاماً وسَمّته عمراً^(٢). فترعرع الغلام وحسن وبرع، فالبسته وحلّته، وأزارته خاله جذيمة، فأعجب به، وأحبّه، وخلطه بولده، وأمر فطوّق، وهو أوّل عربى ألبس طوقاً. ثمّ تزعم العرب أنّ الجنّ استهوته^(٣) زماناً إلى أن عاد إلى [85] جذيمة. وله خبر^(٤).

عمرو بن ظرب

وكان قد ملك بأرض الحيرة ومشار[ف]^(٥) بلاد الشام، عمرو بن ظرب بن حسان العمليقي. فجمع جذيمة جموعه من العرب ليغزوه. وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام. فالتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل عمرو بن ظرب، وفُضّت

١. علقت منه: أحبها وشقف بها. علق بها وعلقتها: أحبها. علقت المرأة بالولد: حبلى (لع).

٢. عمرو: يكتب بالواو للفرق بينه وبين عمر وتسقطها فى النصب لأنّ الألف تخلفها (لع).

٣. استهوى فلاناً: أثر فيه حتّى يتقبّل رأيه دون أن يقوم لديه دليل على صحته.

٤. انظر الطبرى (٢: ٧٥٣).

٥. فى الأصل ومط «مشارق»، والتصحيح من الطبرى (٢: ٧٥٦).

جموعه، وغنمه جزيمة وانصرف موفوراً. فملكك من بعده ابتته:

الزباء (١)

واسمها نائلة. وكان جنودها بقايا من العماليق، والعارية الأولى، وقبائل من قضاة. فلما استحکم حکمها، أجمعت على غزو جزيمة الأبرش تطلب بشأراً أيها. واستشارت أهل الرأي، فأشير عليها بالعدول عن الحرب إلى المكر، وأعلموها^(٢) أنها امرأة، والحرب سجال^(٣) بين الرجال، وأنها لو قد هُزمت كان البوار، وأعلموها من غب^(٤) مباشرة مثلها للحرب، ما كرهته. وأشارت عليها أختها «زنية»^(٥) وكانت ذات دهاء وإرب - أن تأتي الأمر من جهة الخدع والمكر، وأن تكتب إلى جزيمة [86] تدعوه إلى نفسها وملكها. فقبلت ذلك وكتبت إليه:

أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبح في السماع، وضعف في السلطان وقلة ضبط للمملكة؛ وأنها لم تجد لملكها موضعاً، ولا لنفسها كفواً «غيرك. فهلّم إليّ، واجمع ملكي إلى ملكك، وجعل بلادى ببلادك، وتولّ تدبيري كلّ وأمرى، لتموت الضغائن والأحقاد، وتزول عن قلوب الناس ما خامرها من العداوات.» فلما انتهى كتاب الزباء إلى جزيمة، وقدم عليه رسلها بمخاطبات شبيهة بهذا المعنى، استخفّه^(٦) ما دعت إليه، ورغب فيما أطمعته فيه، وجمع أهل الرأي من أصحابه، فاستشارهم. فأجمع رأيهم على أن يسير إليها، ويستولى على ملكها. وكان فيهم رجل يقال له:

١. الزباء: Zenobia (المفصل ٣: ٩٩).

٢. في الأصل: أعلموه.

٣. السجال: المباراة، والمفاخرة.

٤. الغب من كلّ شيء: عاقبته وأخترته.

٥. زنية: مهملة في الأصل، والإعجام من الطبرى. في مط: «زنية» وهي تنطبق على زنوبيا Zenobia أكثر

من انطباقها على ما في الطبرى (زنية). ٦. استخفّه: استغفّه.

قصير بن سعد^(١)

وكان سعد هذا تزوج أمة تخدم لجذيمة^(٢)، فولدت له قصيراً، وكان حازماً، أريباً، أثيراً عند جذيمة. فخالفهم في ما [87] أشاروا به عليه، وقال: - «رأى فاتر^(٣) وغدر^(٤) حاضر». - فذهب مثلاً. فنازعوه الرأي، فقال لجذيمة:

- «أكتب إليها: فلتقبل إليك إن كانت صادقة، فإن لم تفعل، لم تسر إليها ممكناً [إياها]^(٥) من نفسك وقد وترتها، وقتلت أباها».

فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير، وقال جذيمة: - «أنت امرؤ رأيك في الكن^(٦)، لا في الضح^(٧)» - فذهبت مثلاً. دعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى، فاستشاره، فشجعه على المسير، وقال: - «هناك ثمارة^(٨) قومي، ولو قد رأوك^(٩)، صاروا معك». فأطاعه وعصى قصيراً. فقال قصير:

- «لا يطاع لقصير أمر».

وفي ذلك يقول الشعراء ما حذفناه طلب الإيجاز. واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه. وسار في وجوه

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

٢. مط: تزوج أمة خدمة لجذيمة!

٤. مط: عذر.

١. أنظر الطبري (٢: ٧٥٨).

٣. الفاتر: الضعيف.

٥. إياها: تكلمة منّا.

٦. الكن: كل ما يرد الحر والبرد من الأبنية والغيران ونحوها.

٧. الضح: الشمس أوضوؤها إذا استمكن من الأرض. ما أصابته الشمس. البراز الظاهر من الأرض.

٨. ثمارة: بطن من إياد من العدنانية (كخالة).

٩. في الطبري: ولو قدروا لصاروا معك. بدل: ولو قد رأوك صاروا معك (٢: ٧٥٩).

أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي. فلما نزل رحبة^(١) مالك بن طوق - وكان تدعى في ذلك الزمان «الفرضة» - دعا قصيراً، فقال:
- ما الرأي؟ فقال:

«بقة^(٢) تركت الرأي» - فذهبت مثلاً. [88]

واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والألطفاء، فقال:
- «يا قصير كيف ترى؟» قال:

- «خطر يسير في خطب كبير - فذهبت مثلاً - وستلقاك الخيل، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، وإن أخذت جنبتيك، فالقوم غادرون، فاركب العصا، فيأتي مسايك عليها».

وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى، فلقيته الخيول والكتائب، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير مولياً على متنها، فقال:
- «ويل أمه حزماً على ظهر العصا» - فذهبت مثلاً.

ونجا قصير، وأدخل على الزباء، فلما رآته كشفت له عن إسبها^(٣)، فإذا هو مضفور. فقالت:

- «يا جذيمة! أ دأب عروس ترى؟» - فذهبت مثلاً.

فقال: «بلغ المدى، وجف الثرى، وأمر غدر أرى» - فذهبت مثلاً.
فتمت حيلتها على جذيمة، حتى قتلته بأن قطعت راهشيه^(٤)، في خبر طويل، وأمثال محفوظة. فهلك جذيمة، وخرج قصير حتى قدم على عمرو بن عدى

١. رحبة مالك بن طوق: على الفرات بين الرقة والعانة، أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون (مع) = رحبة الشام (لج).

٢. بقة: اسم موضع قريب من الحيرة، وقيل: حصن كان على فرسخين من هيت كان نزله جذيمه الأبرش (مع).

٣. الإسب: شعر الفرج، وقيل: شعر الإست. الشعر النابت على قبل المرأة والرجل.

٤. الراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

[89] وهو بالحيرة.

فقال له قصير: «أ دائر^(١)، أم نائر؟» فقال: - «بل نائر سائر» - فذهبت مثلاً.

ذكر حيلة لقصير على الزبّاء تفت له عليها

كانت الزبّاء قد سألت الكهنة والمنجمين عن أمرها ومُلْكها، فقالوا:

- «نرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين».

ووصفوا قصيراً وعمرو بن عدى، وقالوا:

- «لن تموتى إلا بيده، ولكن حتفك بيدك، ومن قبله ما يكون».

فحذرت عمراً، واتخذت نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلس فيه، إلى حصن

لها داخل مدينتها، وقالت: إن فجتنى أمر دخلت النفق إلى حصنى.

ثم دعت مصوراً حاذقاً فجهّزته، وقالت:

- «سير حتى تقدم على عمرو بن عدى متكرراً فتخلو بحشمه وتخالطهم بما

عندك من التصوير، ثم أثبت^(٢) عمرو بن عدى معرفة، فصوره جالساً، وقائماً،

وراكباً، ومتفضلاً^(٣)، ومتسلحاً بهيئته، ولبسته، وثيابه، ولونه. فإذا أحكمت ذلك،

فأقبل إلى».

فانطلق المصور، حتى قدم على عمرو بن عدى [90] وبلغ جميع ما وصّته به،

ثم رجع إليها بما وجّهته له من الصور. فعرفت عمراً على جميع هيئاته، وحذرت.

ثم إن قصيراً قال لعمرو: «إجدع أنفى، واضرب ظهري، ودعنى وإياها».

فقال عمرو: «وما أنا بفاعل، ولا أنت بمستحق منى لذلك».

فقال قصير: «خلّ عنى إذا وخلاك ذمّ» فذهبت مثلاً.

١. الدائر: الغافل. دثر السيف. صدى. دثر القلب: غفل.

٢. أثبتته: عرفه حق المعرفة.

٣. تفضّل: لبس الفضال. والفضال ما يلبس فى البيت.

فقال له عمرو: «فأنت أبصر.»

فجدع قصير أنف نفسه، وأثر بظهره، وقيلت فيه الأشعار. وخرج قصير كأنه هارب، وأظهر أن عمراً فعل به ذلك، وأنه يزعم أنه مكرّ بخاله جذيمة، وغرّه من الزبّاء.

فسار قصير حتى قدم على الزبّاء. فقبل لها: «إنّ قصيراً بالباب.»
فأمرت به، فأدخل عليها، فإذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب.
فقالت: «ما الذي أرى بك يا قصير؟»

قال: «زعم عمرو أنني غررت خاله، وزيّنت له المسير إليك، وغششته، وما لأنتك^(١) عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلت إليك، وعرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل [91] عليه منك.»

فأكرمته، وأصابته عنده حزماً ورأياً وتجربة ومعرفة بأموال الملوك. فلما علم أنها قد وثقت به، واسترسلت إليه، قال لها:

- «إنّ لى بالعراق أموالاً كثيرة، وبها طرائف وثياب وعطر، فابعثني إلى العراق لأحمل مالى، وأحمل إليك من بزوزها، وطرائف ثيابها، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة، والطيب، والتجارات، فتصيبين ما لا غناء للملوك عنه، مع أرباح عظيمة، فإنه لا طرائف كطرائف العراق.»

فلم يزل بها يزين لها ذلك، حتى سرّخته، ودفعت إليه أموالاً، وجّهزت معه عيراً، وقالت:

- «انطلق إلى العراق، فبع بها ما جهّزناك به، وابتع لنا طرائف ما يكون بها.»
فسار قصير، وأتى الحيرة متنكراً، فدخل على عمرو، وأخبره بالخبر، وقال:
- «جهّزنى بالبرّ والطرف من الأمتعة، لعلّ الله يمكن من الزبّاء، فتصيب ثأرك،

وتقتل عدوك.»

فأعطاه حاجته، وجّهزه بصنوف الثياب وغيرها. فرجع بذلك كله إلى الزّباء [92] فعرضه عليها. فأعجبها ما رأت، وازدادت به ثقة، وإليه طمأنينة، ثمّ جهّزته بأكثر ممّا كانت جهّزته به. فسار حتّى قدم العراق، ولقى عمرو بن عدى، وحمل من عنده ما ظنّ أنّه موافق للزّباء، ولم يترك جهداً ولا حيلة في طرفه ولا متاع قدر عليه إلّا حمّله إليها.

ثمّ عاد الثالثة إلى العراق. فقال لعمرو:

- «اجمع إلىّ ثقات قومك وأصحابك وجندك، وهيئ لي الغرائر^(١) والمسوح^(٢)».

وحمل كلّ رجلين في غرارتين، وجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها، وقال: - «إذا دخلنا مدينة الزّباء، أقمتك على باب نفقها، وخرجت الرجال من الغرائر، فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلوه، وإذا أقبلت الزّباء تريد النفق، حلّلتها بالسيف.»

ف فعل عمرو بن عدى جميع ذلك. فلما قرب من المدينة، تقدّم قصير إليها، وبشّرها، وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب، وسألها أن تخرج فتتنظر إلى قُطرات تلك الإبل، وما عليها من الأحمال. وكان قصير يكمن النهار ويسير بالليل. فخرجت الزّباء فأبصرت [93] الإبل. فلما توسّطت الإبل المدينة أنيخت، ودلّ قصير عمراً على باب النفق، وخرجت الرجال من الغرائر، وصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السلاح. وقام عمرو بن عدى بباب النفق، وأقبلت الزّباء مبادرة تريد النفق لتدخله. فأبصرت عمراً قائماً، فعرفته بالصورة التي صوّرها المصوّر، فمضت خاتمها وكان فيه سمّ، وقالت:

١. الغرائر: جمع مفردة الغرارة، وهي وعاء من الخيش يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق.

٢. المسوح: جمع المسح: الكساء من شعر.

«بيدي، لا بيدك يا عمرو!»

فحللها بالسيف، فقتلها وأصاب ما أصاب، وانكفاً^(١) سالماً.

عمرو بن عدى

وصار الملك بعد جذيمة لعمر بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن ثمار بن لخم، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وإليه تنسب ملوك آل نصر، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة، لا يدين لملوك الطوائف، ولا يدينون له، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس، فكان من أمرهم ما كان.^(٢)

ولم يكن لملوك اليمن نظام قبل آل نصر، وإنما كان الرئيس يكون ملكاً على مخالفه^(٣) ومحجره^(٤)، ولا يتجاوز، [94] فإن نبغ منهم نابغ مثل تبع وغيره، فتجاوز ذلك، فإثما هو عن غير نظام ولا ملك موطن [له]^(٥) ولا لأبائه، ولا لأبنائه، ولكن كالذي يكون من بعض من تشرد، فيغير عند الغرة، فإذا قصده الطلب، لم يكن له ثبات. فكذلك كان أمر ملوك اليمن كان الواحد منهم بعد الواحد، في قديم الدهر، يخرج من مخالفه ومحجره أياً ما، فيصيب ما مر به، ثم يتشمر عند الطلب^(٦) راجعاً إلى موضعه من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه ومحجره بالطاعة، أو يؤدى إليه خراجاً إلا ما يصيب على جهة الغارة، حتى كان عمرو بن عدى، ابن أخت جذيمة، فإنه اتصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على من كان بنواحي العراق، وبادية الحجاز، باستعمال ملوك فارس إياهم

١. انكفاً: رجع، انصرف. ٢. انظر الطبري ٢: ٧٦٨.

٣. المخلاف: الكورة، وهي المحافظة، أو المديرية في الإصطلاح الحديث.

٤. المحجر: محجر القبل من أقبال اليمن: حوزته، وناحيته، وحماء.

٥. تكملة أوردناها لما يبدو هنا من نقص. ٦. عند خوف الطلب (الطبري ٢: ٧٦٩).

واستكفائهم أمر من وليهم من العرب.

طَسْمٌ وَجَدِيسٌ

وممن أساء السيرة فاصطلم^(١)، طسم وجديس^(٢)، وكانوا في أيام ملوك الطوائف. فأما طسم فكان الملك [95] فيهم، وكانوا ساكني اليمامة، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيراً، لهم فيها صنوف الثمار، ومعجبات الحداثق والقصور الشامخة. وكان ملكهم ظلوماً غشوماً ركباً هواه. فكان مما لقوا من ظلمه: أنه أمر ألا تهدي بكر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها^(٣). فغبر على ذلك دهرأ، حتى أنف منهم رجل يقال له: الأسود بن عقار^(٤).

فقال لرؤساء قومه:

«قد ترون ما نحن فيه من العار والذل، الذي ينبغي للكلاب أن تعافه، وتمتعض منه، فأطيعوني، فإني أدعوكم إلى عزّ الدهر ونفى الذلّ.»

قالوا: «وما ذاك؟»

فأخذ عهودهم إلى أن وثق ثم قال:

«إني صانع للملك طعاماً، فإذا حضر نهضنا إليهم بأسياقنا، فانفردت به فقتلته، وأجهز كل رجل منكم على جليسه.»

فأجابوه إلى ذلك، واجتمع رأيهم عليه. فأتخذ طعاماً وأمر قومه، فانتضوا سيوفهم ودفنوها في الرمل، وقال:

«إذا أتاكم [96] القوم يرفلون في حللهم فخذوا سيوفكم ثم شدّوا عليهم قبل

١. اصطلمهم العدو أو الموت: استأصلهم وأبادهم.

٢. أنظر الطبري ٢: ٧٧١، وابن الأثير ١: ٣٥١. ٣. افترع البكر: افترعها.

٤. الطبري: غفار.

أن يأخذوا مجالسهم، ثم اقتلوا الرؤساء، فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئاً.»

وحضر الملك، فقتل وقتل الرؤساء، ثم شدوا على البقية، فأفنوهم.

حذرة بصر اليمامة

فهرب رجل من طسم يقال له: رياح بن مرة، حتى أتى حسان بن ثبّع، فاستغاث به. فخرج حسان بن ثبّع في حمير، فلما كان من اليمامة على ثلاث، قال له رياح:

«أبيت اللعن، إن لي أختاً متزوجة في جديس يقال لها: اليمامة، ليس على وجه الأرض أبصر منها. إنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث، وإنى أخاف أن تنذر القوم، فمُر أصحابك، فليقطع كل رجل منهم شجرة فيجعلها أمامه.»
ففعّلوا ذلك، فأبصرتهم، فقالت لجديس:

«لقد سارت حمير.»

فكذبوها وقالوا:

«ما الذي ترين؟»

قالت: «أرى رجلاً في شجر معه كتف يتعرّقها»^(١) أو نعل يخصفها.»

فلم يستمعوا منها، واستهانوا، فكان كما قالت. وصبّحهم حسان فأبادهم [97] وأخرب بلادهم، وهذم قصورهم وحصونهم. وأتى حسان باليمامة ففقا^(٢) عينها، وقالت العرب في ذلك الأشعار، وهي معروفة.

١. تعرّق العظم: أكل ما عليه من اللحم نهشاً بأسنانه.

٢. فقا العين: شقها فخرج ما فيها.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الساسانية^(١) ومن عاصرهم

أردشير بن بابك

ثم لما استولى أردشير بن بابك^(٢) على الأرمنيين (وهم ملوك العراق وأنباط السواد، وكان كل واحد منهم يقاتل صاحبه، فاستولى أردشير عليهما، وقتل الأردوان - ويسمى «شاهنشاه»)، كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته، فخرجوا، فلاحقوا بالشام، وانضموا إلى من كان هناك، وكان ناس من العرب يحدثون الأحداث لو تضيق بهم المعيشة، فيخرجون إلى ريف العراق وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث: الثلث [الأول^(٣)]: «تنوخ»، وهم^(٤) من كان يسكن المظال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها. والثلث الثاني: «العباد»، وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا بها. والثلث الثالث: «الأخلاف»، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم ممن لم تكن من تنوخ الوبر [98] ولا من العباد الذين دانوا لأردشير. وكانت الحيرة والأنبار جميعاً بُنيتا في زمن بختنصر، فخربت الحيرة لما تحول أهلها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار، وعمرت الأنبار خمسمائة وخمسين سنة إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى باتخاذها إياها منزلاً، فعمرت الحيرة خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة، إلى أن

٢. أنظر الطبري (٢: ٨١٣).

٤. في الأصل: وهو.

١. فترة الحكم: ٢٢٤ - ٦٥٢ م (ق.م).

٣. الأول: تكملة مثلاً.

وضعت الكوفة، ونزلها المسلمون.

ودبّر أردشير أمر الفرس والعرب، وردّ نظام الملّك، وكان حازماً أريباً كثير الإستشارة طويل الفكر، معتمداً في تدبيره على رجل فاضل من الفرس يعرف بـ «تَنَسَر»، وكان هربذاً. فلم يزل يدبّر أمره ويجتمع معه على سياسة الملك، إلى أن أطاعه من جاوره من ملوك الطوائف، وعرفوا فضله، ودخلوا تحت رايته رهبة ورغبة، وحارب من امتنع منهم عليه.

وله مكائد وحروب يطول الكتاب بذكرها. فمن أحسن ما حفظ له عهده إلى الملوك بعده، وهذه نسخته: [99]

عهد أردشير

- «باسم وليّ الرحمة. ^(١) من ملك الملوك أردشير بن ^(٢) بابك، إلى من يخلفه ^(٣) بعقبه من ملوك فارس، السلام والعافية. أمّا بعد ^(٤)، فإنّ صيغ ^(٥) الملوك على غير صيغ ^(٦) الرعية، فالملك يطبعه ^(٧) العزّ والأمن والسرور والقدرة، على طباع الأنفة والجراة والعيث ^(٨) والبطر. ثم كلّما ازداد في العمر تنقّساً وفي الملّك سلامة، زاده ^(٩) في هذه الطبائع الأربع ^(١٠)، حتّى يسلمه ^(١١) إلى سكر السلطان الذي هو أشدّ من سكر الشراب، فينسى النكبات والعثرات ^(١٢) والغير

١. ر: بدون بسملة. غ: بسم الله الرحمن الرحيم. ٢. غ: من أردشير ملك الملوك.

٣. غ: يخلف. ٤. غ: بدون «أمّا بعد».

٥. مط: منع. ٦. مط: منع.

٧. غ: بطبعه. ٨. غ: البطر والعيث.

٩. غ: «ثم له كلّما ازداد... زيادة» بدل «ثم كلّما ازداد... زاده».

١٠. في الأصل: الأربعة. والتصحيح من غ. ١١. غ: يسلمه ذلك منه.

١٢. غ: بدون «العثرات».

والدوائر وفُحش تسلط الأيام، ولؤم غلبة الدهر، فيرسل يده ولسانه بالفعل والقول. وقد قال الأولون متناً: عند حسن الظن بالأيام تحدث الغير. وقد كان من الملوك من يذكره عزّه الذلّ، وأمنه الخوف، وسروره الكآبة، وبطره [السوقة] ^(١)، [وقدرته المعجزة] ^(٢)، ولا حزم إلا في جميعها.

- «اعلموا أنّ الذي أنتم [100] لاقون بعدى، هو الذي لقيني ^(٣) من الأمور، وهى بعدى واردة عليكم [يمثل الذى وردت به على] ^(٤)، فيأتيكم السرور والأذى فى الملك من حيث أتيانى، وأن منكم من سيركب الملك صعباً فيُمنى من شماسه ^(٥) وجماحه وخطبه واعتراضه يمثل الذى منيت به. ^(٦) ومنكم من سيرث الملك عن الكفاة المذللين له مركبه، وسيجرى على لسانه ويلقى فيه قلبه ^(٧) أن قد فرغ ^(٨) له، وكفى، واكتفى وفرغ للسعى فى العبث والملاهى ^(٩)، وأنّ من قبله من الملوك إلى التوطيد له أجروا، وفى التمكين له سعوا، وأن قد خُصّ بما حُرّموا، وأُعطي ما مُنعوا، فيُكثر أن يقول مسرّاً ومعلنّاً: خُصّوا بالعمل وخصّصت بالدعة، وقُدّموا

١. فى الأصل: بالسوقة، مهملة، قاعجتها وحذفنا الباء. فى مط أيضاً: بالسوقة.

٢. زيادة من غ. وقدرته المعجزة، فإذا هو قد جمع مهجة («بهجة» - رسائل البلغاء) الملوك، وفكرة

السوقة («وحذر الرعية - رسائل البلغاء») ولا حزم إلا فى جمعها بدل: «بطره... جميعها».

٣. غ: لقبته. ٤. زيادة من غ.

٥. الشماس: الإباء.

٦. غ: منيت به منه. يقال: منى الله (يمنى منياً) فلاناً بكذا. أى ابتلاه وأصابه.

٧. غ: أمنيته.

٨. غ: فرغ، بالعين المعجمة. وفرغ (بالعين المهملة) الفرس: كبّعه.

٩. غ: فى السعى فى الملاهى واللعب.

قبلى إلى الغرر، وخُلِّفت فى الثقة.

وهذا الباب من الأبواب التى تكسر سكور^(١) الفساد، ويهاج بها قربات^(٢) البلاء، ويغنى البصير اللطيف ما ينتهك من الأمور فى ذلك^(٣). فإننا قد رأينا الملك الرشيد السعيد المنصور المكفى المظفر [101] الحازم فى الفرصة، البصير بالعورة، اللطيف [للشبهة] ^(٤) المبسوط له فى العلم والعمر؛ يجتهد فلا يعدو^(٥) صلاح ملكه حياته^(٦)، إلا أن يتشبه به متشبهه. ورأينا الملك القصير عمره، القربة مدته، إذا كان سعيه بإرسال اللسان بما قال، واليد بما عملت، بغير تدبير^(٧) يدرك، أفسد جميع ما قُدِّم له من الصلاح قبله، ويخلف المملكة خراباً على من بعده^(٨).

- «وقد علمت أنكم ستبلون^(٩) مع الملك بالأزواج والأولاد والقرناء والوزراء والأخذان والأنصار والأصحاب والأعوان والمتنصحين والمتقربين والمضحكين والمزئنين^(١٠)؛ كل هؤلاء - إلا قليلاً - أن يأخذ لنفسه أحب إليه من أن يعطى منها، وإنما عمله لسوق يومه وحياة غده. فنصيحته الملوك^(١١) فضل نصيحته لنفسه، وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه، وغاية الفساد عنده فسادها.

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

١. جمع مفردة السكر: ما يسد به النهر ونحوه. ٢. ر: دواهم، بدل: «قربات».
٣. غ: بدل «تكسر...» فى ذلك: «يكثر بها فنون البلاء، وتعنى البصر عن لطيف ما ينتهك من الأمور فى ذلك».
٤. زيادة من غ.
٥. فى الأصل: يعدو.
٦. حياته: مهلة فى الأصل والتصحيح من مط.
٧. غ: صواب تدبير.
٨. غ: بدل «أفسد... من بعده»: أفسد واستفسد جميع ما قُدِّم له من قبله، وخلف المملكة خراباً من بعده.
٩. غ: ستبلون.
١٠. المزئين: الحلاق. غ: المتزئنين.
١١. غ: لملوك.

يجعل نفسه هي العامة، والعامة^(١) هي الخاصة: فإن^(٢) خُصَّ بنعمة دون الناس فهي عنده نعمة عامة، وإذا عُمَّ [102] الناس بالنصر على العدو، والعدل في البيضة، والأمن على الحریم، والحفظ للأطراف، والرافة من الملك، والاستقامة من الملك، ولم يخصص من ذلك بما يرضيه، سُمي تلك النعمة نعمة خاصة. ثم أكثر شكاية^(٣) الدهر، ومذمة الأمور. يقيم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الأرباح، ولا يعلم ذلك الوزير والقريّن أنّ في التماس الربح على السلطان فساد جميع الأمور^(٤)، وقد قال الأولون منّا: رشاد الوالي خير للرعية من خصب الزمان^(٥).

«واعلموا أنّ الملك والدين أخوان توأمان، لا قوام لأحدهما إلّا بصاحبه، لأنّ الدين أسُّ الملك وعماده،^(٦) وصار الملك بعد حارس الدين، فلا بدّ للملك من أسّه، ولا بدّ للدين من حارسه، فإنّ^(٧) ما لا حارس له ضائع، وإنّ ما^(٨) لا أس له مهدوم. وإنّ رأس ما أخاف عليكم مبادرة السفلة إياكم إلى دراسة الدين [وتلاوته والتفقه فيه، فتحملكم الثقة بقوة السلطان]^(٩) على التهاون بهم^(١٠)، فتحدث في الدين رئاسات مستسرّات في من قد وترتم^(١١) وجفوتكم [103]

مركز تحقيق كتاب توتير علوم اسلامی

١. غ: ويجعل العامة.
٢. غ: فإذا.
٣. غ: شكاية.
٤. غ: بدل «ولا يعلم ذلك الوزير... فساد جميع الأمور»: «ولا يعلم ذلك الوزير أنّ الوضيعة عنده في التماس الربح على السلطان».
٥. في رسائل البلغاء: رشاد الملك. في كامل المبرّد: عدل السلطان.
٦. غ: بدون «عماده».
٧. غ: لأنّ.
٨. غ: بدون «إنّ».
٩. ما بين [] زيادة من ر، غ.
١٠. مط: به.
١١. وتره: قتل حميمه وأدركه بمكره.

وحرمتهم وأخفتهم وصغرتهم من سفلة^(١) الناس والرعيّة وحشو العامّة، ولم يجتمع^(٢) رئيس في الدين مسرّاً، ورئيس في المُلْك معلن، في مملكة واحدة قطّ، إلّا انتزع الرئيس في الدين ما في يد الرئيس في المُلْك، لأنّ الدين أسّ والمُلْك عماد، وصاحب الأسّ أولى بجمع^(٣) البنيان من صاحب العماد.

— «وقد مضى قبلنا ملوك كان الملك منهم يتعهد الجملة بالتفسير^(٤) والجماعات بالتفصيل^(٥)، والفراغ بالأشغال، كتعهده جسده بقصّ فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغفر^(٦) ومداواة ما ظهر من الأدوية وما بطن. وقد كان من أولئك الملوك من صحّة ملكه أحبّ إليه من صحّة جسده، وكان بما يخلفه من الذكر [الجميل^(٧)] المحمود، أفرح وأبهج منه بما يسمعه بأذنه في حياته. فتتابعت تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد، وكأنّ أرواحهم روح واحدة، يمكن أولهم لآخرهم، ويصدّق آخرهم أولهم بجميع أنباء أسلافهم، ومواريت آرائهم^(٨)، وصياغات عقولهم، عند الباقي منهم بعدهم، فكانهم جلوس [104] معه، يحدثونه، ويشاورونه^(٩)، حتى كان على رأس دارا بن دارا ما كان، وغلبة^(١٠) الاسكندر على ما غلب^(١١) من ملكتنا. فكان إفساده أمرنا، وتفريقه جماعتنا، وتخريبه عمران مملكتنا، أبلغ له في ما أراد من سفك دماننا. فلمّا أذن الله في

١. الشفلة والشفلة من الناس: أسافلهم وغوغاؤهم.

٢. غ: واعلموا أنه لن يجتمع.

٣. غ: بجميع.

٤. ر. بالتفتيش.

٥. مط: والجماعة بالتحصيل.

٦. الغمر: الحقد والغلّ. ثنن العرق.

٧. زيادة من غ.

٨. غ: آبائهم.

٩. غ: ويشاورهم.

١٠. غ: من غلبة.

١١. غ: غلب عليه.

جمع مملكتنا ودولة أحسابنا، كان من ابتعائه^(١) إيانا ما كان، وبالاعتبار^(٢) تتقى الغير، ومن يخلفنا أوجد للاعتبار، منا، لما استدبروا من أعاجيب ما أتى علينا.

- «واعلموا أن سلطانكم إنما هو على أجساد الرعية، وأنه لا سلطان للملوك على القلوب. واعلموا أنكم إن غلبتم الناس على ذات^(٣) أيديهم، فلن تغلبوهم على عقولهم. واعلموا أن العاقل [المحروم]^(٤) سأل عليكم لسانه، وهو أقطع سيفيه، وإن أشد ما يضربكم^(٥) به من لسانه، ما صرف الحيلة فيه إلى الدين: فكأن بالدين يحتج وللدين - فيما يظهر - يفض، فيكون للدين بكاؤه، وإليه دعاؤه، و^(٦) هو أوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والمؤازرين [105] منكم. لأن بغضة الناس هي موكلة بالملوك، ومحبتهم ورحمتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين. وقد كان من قبلنا من الملوك يحتالون لعقول من يحذرون، بتخريبها، فإن العاقل لا تنفعه [جودة]^(٧) نحيزته^(٨) إذا صير عقله خراباً [مواتاً]^(٩)، وكانوا يحتالون للطاعنين بالدين على الملوك، فيسمّونهم المبتدعين. فيكون الدين هو الذي يقتلهم ويريح الملوك منهم. ولا ينبغي للملك أن يعترف للعباد والنسك [والمبتلين]^(١٠) أن يكونوا أولى بالدين، ولا أحذب^(١١) عليه، ولا أغضب له منه. ولا ينبغي للملك أن يدع

- | | |
|--------------------|----------------------|
| ١. غ: ابتعاث الله. | ٢. غ: العثار. |
| ٣. غ: ما فى. | ٤. زيادة من غ. |
| ٥. غ: ما يضركم. | ٦. غ: ثم بدل «و». |
| ٧. زيادة من غ. | ٨. النحيزة: الطبيعة. |
| ٩. زيادة من غ. | ١٠. زيادة من غ. |
| ١١. حذب عليه: عطف. | |

النساک بغير الأمر والنهی لهم فی نسکهم [ودینهم] ^(١) فإنّ خروج النساک و غیر النساک من الأمر والنهی عیب علی الملوک و عیب علی المملكة. و ثلثة یتسنّمها الناس بنیّة ^(٢) الضرر للملک و لمن بعده.

— «واعلموا أنّ مصیر الوالی إلى ^(٣) غیر أخذانه، و تقریبه غیر وزرائه، فتح لأبواب [الأنباء] ^(٤) المحجوب ^(٥) عنه علمها. وقد قيل: إذا استوحش الوالی ممّن لم [106] یوطّن ^(٦) نفسه علیه، أطبقت علیه ظلم الجهالة ^(٧)، وقيل: أخوف ما تكون العامة آمن ما یكون الوزراء.

— «اعلموا أنّ دولتکم تؤتی من مکانین: أحدهما غلبة بعض الأمم المخالفة لکم، والآخر فساد أدبکم ^(٨). ولن یزال حریمکم من الأمم محروساً، و دینکم من غلبة الأديان محفوظاً، ما عظمت فیکم الولاة، و ليس تعظیمهم بترك کلامهم، ولا إجلالهم بالتنحی عنهم، ولا المحبّة لهم بالمحبّة لكل ما یحبّون. و لكن تعظیمهم تعظیم أديانهم و عقولهم، وإجلالهم إجلال منزلتهم من الله، و محبّتهم محبّة إصابتهم، و حکایة الصواب عنهم.

١. زیادة من غ. ٢. غ: بینة الضرر.

٣. مط: علی. ٤. الأنباء: زیادة من غ.

٥. ر: لأبواب محجوب. ٦. ص: مما یوطّن.

٧. قس هذه السطور بما جاء فی رسائل البلغاء: «وإذا أذن الملک للعلاء من مناصحی دولته، فی إنهاء ما یتجدّد عندهم من النصائح التي لا یعلمها خواصه، أو یعلمونها ویکتمونها، انفتحت له أبواب من الأخبار المحجوبة عنه، فیحذر وزراؤه وخواصه من الاتفاق علی أمر یکرهه، خوفاً من أن یطالع به، فیامن مکائدهم، و تسلم الرعية من ظلمهم؛ و من غلبت علیه خواصه، حتی منعوا عنه الناس، فلا یصل إليه إلا من یحبّون، أطبقت ظلم الجهالة علیه».

٨. ص: رأيکم.

«واعلموا أنه لا سبيل إلى أن يعظم الوالى إلا بإصابة فى السياسة، ورأس إصابة السياسة أن يفتح الوالى لمن قبله من الرعية بابين: أحدهما باب رقة ورحمة [ورأفة وتضرع وبذل وتحنن وإطاف ومواساة وموانسة] ^(١) وبشر وتهلل [وعفو] ^(٢) وانبساط وانشراح؛ والآخر: باب غلظة وخشية ^(٣) وتعنت [107] وتسدد وامسك ومباعدة وإقصاء ومخالفة ومنع وقطوب ^(٤) وانقباض [وتضييق وعقوبة] ^(٥) ومحقرة إلى أن يبلغ القتل. واعلموا أنى لم أسم [هذين البابين] ^(٦) باب رفق وباب عنف، ولكنى [سميتهما] ^(٧) جيمعاً «بابى رفق»، لأن ^(٨) فتح باب المكروه مع باب السرور هو أوشك لغلقه ^(٩)، حتى لا يبتلى به أحد. و ^(١٠) فى الرعية من الأهواء الغالبة للرأى والفجور المستثقل للدين والسفلة الحنقة على الوجوه بالنفاسة والحسد، ما لا بدّ معه أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة، وبباب الاستبقاء باب القتل، وقد يفسد الوالى بعض الرعية من حرصه على صلاحها، ويغلظ ^(١١) عليها من رفته لها ^(١٢)، ويقتل ^(١٣) فيها من حرصه على حياتها.

«واعلموا أن قتالكم الأعداء من الأمم قبل قتالكم الأدب من أنفس رعيّكم، ليس بحفظ، ولكنه إضاعة. وكيف يجاهد العدو

١. زيادة من غ.

٢. زيادة من غ.

٣. غ: وخشنة وتعصب وتشديد وجفاء، بدل «وخشية وتعنت وتسدد وامسك».

٤. غ: «عبوس» بدل «قطوب».

٥. زيادة من غ.

٦. فى الأصل: هذا الباب، والتصحيح من غ.

٧. فى الأصل: سميتها، والتصحيح من غ.

٨. غ: واعلموا أن.

٩. غ: لإغلاقه.

١٠. غ: واعلموا أن.

١١. غ: وقد يغلظ.

١٢. غ: من شدة رأفته بها.

١٣. غ: وقد يقتل.

بقلوب مختلفة، وأيد متعادية. وقد علمتم أن الذي بنى عليه الناس، [108] وجبلت عليه الطبائع^(١)، حب الحياة وبغض الموت، [وأن الحرب تباعد من الحياة وتدنى من الموت]^(٢)، فلا دفع ولا منع^(٣) ولا صبر ولا محاماة مع هذا، إلا بأحد وجهين: إما بنية، والنية ما لن يقدر على الوالى عند الناس بعد النية التى تكون فى أول الدولة، وإما بحسن الأدب وإصابة السياسة.

«واعلموا أن بدء ذهاب الدول^(٤) من قبل إهمال الرعية بغير أشغال معروفة، ولا أعمال معلومة. فإذا فشى الفراغ [فى الناس]^(٥)، تولد منه النظر فى الأمور، والفكر فى الأصول. فإذا نظروا فى ذلك، نظروا فيه بطبائع مختلفة، فتختلف بهم المذاهب، ويتولد من اختلاف مذاهبهم، تعاديههم وتضاغنهم وتطاعنهم^(٦)، وهم فى ذلك مجتمعون - فى اختلافهم - على بغض الملوك، لأن كل صنف منهم إنما يجرى إلى فجيرة الملك بملكه، ولكنهم لا يجدون سلماً إلى ذلك^(٧) أوثق من الدين، ولا أكثر أتباعاً، ولا أعز امتناعاً، ولا أشد على الناس صبراً^(٨). ثم يتولد من تعاديههم [109] أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد، فإذا انفرد ببعضهم، فهو عدو بقيتهم، ثم تتولد من عداوتهم [للملك]^(٩) كثرتهم، فإن من شأن العامة الاجتماع على استئصال الولاة والنفاسة^(١٠) عليهم. لأن فى

١. غ: الطبائع.

٣. ليس فى غ: فلا دفع ولا منع.

٥. زيادة من غ.

٧. غ: مع ذلك مجمعون.

٩. زيادة من غ.

٢. ما فى [] زيادة من غ.

٤. غ: واعلموا أن ذهاب الدول يبدو.

٦. غ: بدون «تطاعنهم».

٨. غ: صواباً.

١٠. النفاسة: الحسد.

الرعيّة المحروم، والمضروب، والمُقام عليه وفيه وفي حميمه الحدود، والداخل عليه بعزّ الملك الذلّ في نفسه وخاصّته. فكلّ هؤلاء يجرى إلى متابعة أعداء الملك. ثمّ يتولّد من كثرتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم، فإنّ إقدام الملك على جميع الرعيّة تغرير^(١) بملكه ونفسه، ويتولّد من جبن الولاة عن تأديب العامة تضييع الثغور التي فيها الأمم من ذوى الدين والبأس، لأنّ الملك إن سدّ الثغور بخاصّته المناصحين له، وخلت^(٢) به العامة الحاسدة المعادية^(٣)، لم يعد بذلك تدريبهم في الحرب، وتقويتهم في السلاح، وتعليمهم المكيدة مع البغضة، فهم عند ذلك أقوى عدو [وأضرّه، وأحنقه]^(٤)، وأضره، وأخلقه بالظفر، ولا بدّ من استطراد [110] هذا كله إذا ضيّع أوّله.

— «فمن ألقى منكم الرعيّة بعدى وهى على حال أقسامها الأربعة التى هى: أصحاب الدين، والحرب، والتدبير، والخدمة — من ذلك: الأساورة صنف، والعبّاد والنسّاك وسدنة النيران صنف، والكتّاب والمنجمون والأطباء صنف، والزّراع والمهّان والتجار صنف — فلا يكوننّ بإصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بإحياء تلك الحال، وتفتيش ما يحدث فيها من الدخلات^(٥)، ولا يكوننّ لانتقاله عن الملك بأجزع منه من انتقال صنف من هذه الأصناف إلى غير مرتبته. لأنّ تنقل الناس عن مراتبهم سريع فى نقل الملك عن ملكه: إمّا إلى

١. غرر به: عرضّه للهلكة.

٢. خلّت به: خادعته.

٣. غ: المعادية المنافسة، وإنّ الشمس سدّ الثور بالعامة الحاسدة ولم يعد.

٤. زيادة من غ.

٥. الدخلات: النيات. دخلة الأمر: بطائته. الدخلة: المذهب.

خلع، وإمّا إلى فتك. فلا يكوننّ من شيء من الأشياء أوحش بثّة^(١) من رأس صار ذنباً، أو ذنب صار رأساً، أو يد مشغولة أحدث فراغاً، أو كريم ضرير، أو لثيم مرح. فأنه يتوكّد من تنقل الناس عن حالاتهم، أن يلتبس كلّ أمرئ منهم أشياء فوق مرتبته. [111] فإذا انتقل أوشك أن يرى أشياء أرفع مما انتقل إليه، فيغبط وينافس. وقد علمتم أنّ من الرعيّة أقواماً هم أقرب الناس من الملوك حالاً. وفي تنقل الناس عن حالاتهم مطمعة للذين يلون الملوك في الملك، ومطمعة للذين دون الذين يلون الملوك في تلك الحال، وهذا لقاح بوار الملك.

- «ومن ألفى منكم الرعيّة وقد أضيع^(٢) أول أمرها، فألفاها في اختلاف من الدين، واختلاف^(٣) من المراتب، وضياح من العامّة، وكانت به على المكاثرة قوّة، فليكاثر^(٤) بقوّته ضعفهم، وليبادر بالأخذ بأكظامهم قبل أن يبادروا بالأخذ بكظمه^(٥)، ولا يقولنّ: أخاف العسف^(٦). فإنّما يخاف العسف من يخاف جريرة العسف على نفسه، فأما إذا كان العسف لبعض الرعيّة صلاحاً لبقيّتها، وراحة له ولمن بقى معه من الرعيّة، من النغل^(٧) والدغل والفساد، فلا يكوننّ إلى شيء بأسرع منه إلى [112] ذلك، فإنّه ليس نفسه ولا أهل موافقته يعسف، ولكنّا^(٨) يعسف عدوّه.

- «ومن ألفى منكم الرعيّة في حال فسادها، ولم ير بنفسه عليها

١. بثّة: قطعاً. غ: منه بدل: بثّة. مط: نية.

٢. غ: ضاع.

٣. غ: واختلال.

٤. كاثره: غالبه بالكثرة.

٥. أخذ بكظمه: كربه وغمّه.

٦. العسف: الظلم.

٧. النغل: الإفساد بين القوم. نغلت نيته: ساءت.

٨. غ: ولكنه.

قوة في [إ]صلاحها^(١)، فلا يكونن لقميص قَمِل^(٢) بأسرع خلعاً منه لما لبس من ذلك الملك، وليأت به البوار - إذا أتاه - وهو غير مذكور بشؤم، ولا منؤه به في دنياه^(٣)، ولا مهتوك به ستر ما في يديه.

- «واعلموا أن فيكم من يستريح إلى اللهو والدعة، ثم يديم من ذلك ما يورثه خلُقاً وعادة. فيكون ذلك لقاح جد لا لهو فيه، وتعب لا خفض^(٤) فيه^(٥)، مع الهجنة في الرأي والفضيحة في الذكر. وقد قال الأولون منّا: لهو رعية الصدق يستقريظ الملوك، ولهو ملوك الصدق بالتودد إلى الرعية.

- «واعلموا أن من شاء منكم ألا يسير بسيرة إلّا^(٦) قُرِظت له فعل، ومن شاء منكم بعث العيون على نفسه فأذكاها، فلم تكن الناس بعيب نفوسهم بأعلم منه بعيبه.

- «ثم إنه ليس منكم [113] ملك إلّا كثير الذكر لمن يلي الأمر بعده، ومن فساد الرعية^(٧) نشر أمور ولادة العهود، فإن في ذلك من الفساد أن أوله دخول عداوة ممضة^(٨) بين الملك، وولى عهده، وليس يتعادي متعاديان بأشد من أن يسعى كل واحد منهما في قطع سؤل^(٩) صاحبه. وهكذا الملك، وولى عهده؛ لا يسرّ الأرفع أن يعطى الأوضع سؤله في فئاته. ولا يسرّ هذا الأوضع أن يعطى الآخر سؤله في البقاء، ومتى يكن فرح أحدهما في الراحة من صاحبه،

٢. القميص قمل إذا كثر عليه القمل.

٤. الخفض: لين العيش وسعته.

٦. مط: بدون «إلّا».

٨. أمضه الأمر: أخرقه وشق عليه.

١. الهمة، زدناها.

٣. غ: دناءة.

٥. غ: معه.

٧. غ: الملك.

٩. غ: شوكة.

تدخل كل واحد منهما وحشة من صاحبه في طعامه وشرابه، ومتى تداينا^(١) بالتهمة، يتخذ كل واحد منهما [أحباء واخذاناً وأهلاً، ثم يدخل كل واحد منهما]^(٢) و[غ]ر^(٣) على أحبائه صاحبه. ثم تتساق الأمور إلى هلاك أحدهما لما لا بد منه من الفناء، فتُفضى الأمور إلى الآخر وهو حنق على جيل من الناس، يرى أنه موتور إن لم يحرمهم ويضعهم، وينزل بهم التي كانوا يريدون إنزالها به لو وُلوا. فإذا وضع بعض الرعية وأسخط بعضاً على هذه الجهة، [114] تولد من ذلك ضغن وسخط من الرعية، ثم ترمى ذلك إلى بعض ما أحذر عليكم بعدى. ولكن ليختر الوالى منكم لله، ثم للرعية، ثم لنفسه، ولياً للعهد من بعده، ثم ليكتب اسمه في أربع صحائف، فيختمها بخاتمه، فيضعها عند أربعة نفر^(٤) من خيار أهل المملكة. ثم لا يكون^(٥) منه في سر ولا في علانية أمر يستدل به على ولي ذلك العهد، لا في إدناء وتقريب يعرف به، ولا في إقصاء وتنكيب يستراب له، وليتق ذلك في اللحظة والكلمة. فإذا هلك، جمعت تلك الكتب التي عند الرهط الأربعة، إلى النسخة التي عند الملك، ففضض جميعاً، ثم نوّه بالذى وضع اسمه في جميعهن. فيلقى الملك - إذا لقيه - بحدائث عهده بحال السوق^(٦)، فلبس ذلك الملك - إذا لبسه - ببصر السوق، وسمعها، ورأيها. فإن في سكر السلطان الذى

١. تداينا: تحاكما.

٢. زيادة من غ.

٣. الوغر والوغر: الحقد والضغن والعداوة.

٤. النفر: الجماعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة أنفار. ويقال: ثلاثة نفر، أو: ثلاثة أنفار.

٥. فى الأصل: لا يكون. ونون التأكيد من غ.

٦. السوق للمفرد والجمع: الرعية. ويقال للجمع: سوق كغرف.

سيناله^(١)، ما يكتفى به له^(٢) من سكر ولاية العهد مع سكر المُلْك. فيصم ويعمى قبل لقاء المُلْك لصمم الملوك وعماهم، ثم يلقي المُلْك، فيزيده صمماً وعمى مع ما يلقي في ولاية [115] العهد من بطر السلطان، وحيلة العتاة، وبغى الكذابين و [ترقية]^(٣) النمامين وتحميل الوشاة بينه وبين من فوقه.

— «ثم اعلموا أنه ليس للملك [أن يبخل، لأنه لا يخاف الفقر، وليس له]^(٤) أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على استكراهه، وليس له أن يغضب، لأن الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة، وليس له أن يلعب ولا يعبت، لأن العبت واللعب من عمل الفراغ، وليس له أن يفرغ، لأن الفراغ من أمر الشوق، وليس له أن يحسد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير، وليس له أن يخاف، لأن الخوف من المعور^(٥)، وليس له أن يتسلط، إذ هو معور^(٦)».

— «واعلموا أن زين الملوك، في استقامة الحال: أن لا تختلف منه ساعات العمل والمباشرة، وساعات الفراغ والدعة، وساعات الركوب والنزهة، فإن اختلافها منه خفة، وليس للملك أن يخف». — «اعلموا أنكم لن تقدروا على ختم أفواه الناس من الطعن والأزراء عليكم، ولا قدرة بكم^(٧) على أن تجعلوا القبيح حسناً [116].

١. غ: «بيناه»، بدل «سيناله». مط: نسبنا له. ٢. غ: بدون «له».

٣. رقى في الحديث: زاد فيه. مط: «وتتبع الكذابين» بدل «وترقية النمامين».

٤. ما بين [زيادة من غ، ورسائل البلغاء.

٥. مط: المعوز. غ: من أمر المعوز. رجل معوز: قبيح السيرة. أعوز الرجل والمرأة: بدت عورتها.

٦. غ: إن هو أعوز. مط: إذ هو معوز. ٧. غ: لكم.

- «واعلموا أنَّ لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم، وبالحرى أن يكون فرجهما بما نالا من ذلك واحداً. وليس فضل الملك على السوقة إلاَّ بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم. فإنَّ الملك إذا شاء أحسن، وليس السوقة كذلك. - «واعلموا أنَّه يحقُّ على الملك منكم أن يكون ألطف ما يكون نظراً، أعظم ما يكون خطراً، وألَّا يذهب حسن أثره في الرعيَّة خوفاً لها، وألَّا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد، وأن يكون حذره للملاقين أشدَّ من حذره للمباعدين، وأن يتقى بطانة السوء أشدَّ من اتقائه عامَّة السوء، ولا يطمعنَّ ملك في إصلاح العامَّة إذا لم يبدأ بتقويم الخاصَّة.

- «واعلموا أنَّ لكل ملك بطانة، وأنَّ لكل رجل من بطانته بطانة، ثم لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة، حتى يجتمع في ذلك [جميع] ^(١) أهل المملكة! فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب، أقام كل امرئ منهم بطانته [117] على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامَّة الرعيَّة.

- «اعلموا أنَّ الملك منكم قد تهون عليه العيوب، لأنَّه لا يستقبل بها إنَّ ^(٢) عملها حتى يرى أنَّ الناس يتكاثمونها بينهم كمكاثمتهم إتياء تلك العيوب. وهذا من الأبواب الداعية إلى طاعة الهوى، وطاعة الهوى داعية إلى غلبته، فإذا غلب الهوى اشتدَّ علاجه من السوقة المغلوب ^(٣) فضلاً عن الملك الغالب.

- «اتقوا باباً واحداً طالما أمنتته فضررتي، وحذرتي فنفعني: احذروا

١. ما في [] زيادة من غ. ٢. في الأصل: وإن (زيادة الواو).

٣. يبدو أنَّ تذكير الصفة باعتبار معنى «السوقة» المفرد. في مط أيضاً: المغلوب.

إفشاء السرّ عند الصغار من أهليكم وخدمكم، فإنّه لا يصغر أحد منهم [عن] ^(١) حمل ذلك السرّ كاملاً! لا يقول منه شيئاً حتى يضعه حيث تكرهون، إمّا سقطاً وإمّا غشّاً ^(٢)، والسقط أكثر ذلك. إجعلوا حديثكم لأهل المراتب، وحباءكم ^(٣) لأهل الجهاد، وبشركم لأهل الدين، وسرّكم عند من يلزمه خير ذلك وشرّه وزينه وشينه. [118] «واعلموا أنّ صحة الظنون مفاتيح اليقين، وأنكم ستستيقنون من بعض رعيّتكم بخير وشرّ، وستظنّون ببعضهم خيراً وشرّاً، فمن استيقنتم منه بالخير والشرّ، فليستيقن منكم بهما، ومن ظننتموهما به ^(٤)، فليظنّهما بكم في أمره، فعند ذلك يبدو من المحسن إحسانه، فيخالف الظنّ فيغيب ^(٥)، ومن المسيء إساءته، فيصدق الظنّ به فيندم.

«واعلموا أنّ للشيطان في ساعات من الدهر طمعاً في السلطان عليكم، منها: ساعات الغضب والحرص والزهو، فلا تكونوا له في شيء من ساعات الدهر أشدّ قتالاً منكم عندهنّ حتّى يتقشّعن. وكان يقال: إتق مقارنة الحريص الغادر، فإنّه إن رءاك في القرب، رأى منك أخبث حالاتك، وإن رءاك في الفضول، لم يدعك وفضولك. ^(٦) أسعدوا الرأي على الهوى، فإنّ ذلك تمليك للرأى. واعلموا أنّ

١. في الأصل: «على» ولم نجد لها وجهاً من الصحة.

٢. الغشّ: اسم للغش.

٣. الحباء: العطاء.

٤. مط: منه.

٥. مط: فيسقط.

٦. أسعدوا: ساعدوا. غ: استعدوا: استعينوا. (الأول من الاسعاد والثاني من الاستعداد).

من شأن الرأي الإستهزاء^(١) للهوى، إذا جرى الهوى على عادته. وقد عرفنا [119] رجالاً كان الرجل منهم يؤنس من قوة طباعه، ونباله رأيه ما تريه نفسه أنه على إزاحة الهوى عنه، وإن جرى على عادته، ومعاودته الرأي، وإن طال به عهده قادر، لثقة يجدها بقوة الرأي. فإذا تمكن الهوى منه، فسخ عزم رأيه، حتى يسميه كثير من الناس ناقصاً في العقل. فأما البصراء فيستبينون من عقله عند غلبة الهوى عليه ما يستبان من الأرض الطيبة الموات.

«واعلموا أن في الرعية صنفاً من الناس هم بإساءة الوالى أفرح منهم بإحسانه، وإن كان الوالى لم يترهم، وكان الزمان لم ينكبهم، وذلك لاستطراف حادثات الأخبار، فإن استطراف الأخبار معروف من أخلاق حشو الناس. ثم لا طريقة عندهم فيما اشتهر، فجمعوا في ذلك سرور كل عدو لهم ولعامتهم مع ما وتروا به أنفسهم وولاتهم. فلا دواء لأولئك إلا بالأشغال. وفي الرعية صنف وتروا^(٢) الناس [120] كلهم وهم الذين قووا على جفوة الولاة، ومن قوى على جفوتهم فهو غير ساذ ثغراً ولا مناصح^(٣) إماماً، ومن غش الإمام فقد غش العامة وإن ظن أنه للعامة مناصح، وكان يقال: لم ينصح عملاً من غش عاملاً.

«وفي الرعية صنف تركوا إتيان الملوك من قبل أبوابهم وأتوهم من قبل وزرائهم. فليعلم الملك منكم أن من أتاه من قبل بابه فقد أثره بنصيحته^(٤) إن كانت عنده، ومن أتاه من قبل وزرائه فهو موثر للوزير على الملك في جميع ما يقول ويفعل.

١. استخذى له: اتقاد وأتضع.

٢. غ: ضروب وتروا.

٣. غ: بدون «لا».

٤. غ: بنصيحة.

- «وفى الرعيّة صنف دعوا إلى أنفسهم الجاء، بالإباء والردّ له، ووجدوا ذلك عند المغفلين نافقاً»^(١)، وربما قرّب الملك الرجل من أولئك لغير نبل في رأى، ولا إجزاء^(٢) في العمل، ولكن الإباء والردّ أغرياه به^(٣).

- «وفى الرعيّة صنف أظهروا التواضع، واستشعروا الكبر، فالرجل منهم يعظ الملوك زارياً عليهم بالموعظة، يجد ذلك أسهل طريقى طعنه عليهم [121] ويسمى هو ذلك - وكثير ممن معه - تحرّياً^(٤) للدين. فإن أراد الملك هوانهم لم يعرف لهم ذنباً يهانون عليه^(٥)؛ وإن أراد إكرامهم فهمى منزلة حبوا بها أنفسهم على رغم الملوك، وإن أراد إسكاتهم كان السماع فى ذلك أنه استثقل ما عندهم من حفظ الدين؛ وإن أمروا بالكلام قالوا [ما يفسد ولا يصلح]^(٦). فأولئك أعداء الدول وآفات الملوك. فالرأى للملوك تقريبهم من الدنيا، فإنهم إليها أجروا^(٧)، وفيها^(٨) عملوا، ولها سعوا، وإياها أرادوا. فاذا تلوّثوا^(٩) فيها بدت فضائحهم، وإلا فإن فيما يحدثون ما يجعل للملوك سلماً إلى سفك دمائهم. وكان بعض الملوك يقول: القتل أقل للقتل.

- «وفى الرعيّة صنف أتوا الملوك من قبل النصائح لهم، والتمسوا صلاح منازلهم بإفساد منازل الناس. فأولئك أعداء الناس وأعداء

١. مط: نافعاً. نفقت السوق: قامت وراجت تجارتها.

٢. الإجزاء: الكفاية والإغناء.

٣. به: الأصل مطموس، والمثبت من غ.

٤. وفى غ: به.

٥. غ: محرزاً.

٦. الضبط من غ، وفى الأصل: إننا نفسد ولا نصالح. وفى رسائل البلغاء: وإن أطلق لسانه، قال بوعظه بين

الملا ما أفسد حال الدولة.

٧. أجرئى إلى الشيء: قصده.

٨. مط: تكونوا.

٩. غ: لها.

الملوك، ومن عادى الملوك وجميع الرعيّة، فقد عادى نفسه.
 - «واعلموا أنّ الدهر [122] حاملكم على طبقات، منهنّ: حال
 السخاء حتى تدنو من السرف، ومنهنّ: حال التقدير^(١) حتى تقرب
 من البخل، ومنهنّ: حال الأناة، حتى تصير إلى البلادة، ومنهنّ: حال
 المناهزة للفرصة حتى تدنو من الخفّة، ومنهنّ: حال الطلاقة في
 اللسان حتى تدنو من الهذر، ومنهنّ: حال الأخذ بحكم الصمت
 حتى تدنو من العي، فالملك منكم جدير أن يبلغ من كلّ طبقة في
 محاسنها حدّها، فاذا وقف على الحدود التي ماوراءها سرف، ألجم
 نفسه عمّا وراءها.

- «واعلموا أنّ الملك منكم ستعرض له شهوات في غير
 ساعاتها. والملك إذا قدّر ساعة العمل، وساعة الفراغ، وساعة
 المطعم، وساعة المشرب، وساعة الفضيلة^(٢)، وساعة اللهو، كان
 جديراً ألاّ يعرف منه^(٣) الاستقدام بالأُمور، ولا الاستيخار عن
 ساعاتها. فإنّ اختلاف ذلك يورث مضرّتين: إحداها السخف، وهي
 أشدّ الأمرين، [123] والأخرى نقص الجسد، بنقص أقواته
 وحركاته.

- «واعلموا أنّ من ملوككم من سيقول: لى الفضل على من كان
 قبلى من آبائى وعمومتى ومن ورثت عنه هذا الأمر، لبعض
 الإحسان يكون منه. فاذا قال ذلك، سوعد^(٤) عليه بالمتابعة^(٥) له.

١. غ: حال الإقتصاد. قتر على عياله: بخل، وضيّق عليهم فى النفقة.

٢. غ: الفضلة. ٣. مط: بدون «منه».

٤. غ: وسوعد. ٥. مط: بالمبايعة.

فليعلم ذلك الملك والمتابعون^(١): إنما^(٢) وضعوا أيديهم وألسنتهم في قصب^(٣) آبائه من الملوك وهم لا يشعرون. وللبالحرى أن يشعر بعض المتابعين له فيغمض^(٤) على ما لا يحزنه من ذلك.

«واعلموا أن ابن الملك وأخاه وعمه^(٥) وابن عمه كلهم يقول: كدت أن أكون ملكاً، وبالحرى ألا أموت حتى أكون ملكاً، فإذا قال ذلك، قال ما لا يسرّ الملك. فإن كتبه، فالداء في كل مكتوم، وإن أظهره كلم^(٦) في قلب الملك كلما^(٧) يكون لقاحاً للتباين والتعادي. وستجدون^(٨) القائل ذلك من المتابعين والمحتملين^(٩) والتمنّين، ما تمنّى لنفسه ما يريد^(١٠)، إلا^(١١) [124] ما اشتاق إليه شوقاً. فإذا تمكّن في صدره الأمل، لم يرج النيل له، إلا في اضطراب من الحبل^(١٢)، وزعزعة تدخل على الملك وأهل المملكة. فإذا تمنّى ذلك فقد جعل الفساد سلماً إلى الصلاح، ولم يكن الفساد سلماً إلى صلاح قطّ. وقد رسمت لكم في ذلك مثلاً لا مخرج لكم منه إلا به. اجعلوا أولاد الملك من بنات عمومتهن. ثم لا يصلح من أولاد بنات الأعمام، إلا كامل غير سخيّف العقل، ولا عازب الرأي، ولا ناقص الجوارح، ولا معيوب عليه في الدين. فبأنكم إذا فعلتم ذلك، قلّ طلاب الملك، وإذا قلّ طلابه استراح كل امرئ على جديّته، وعرف

١. مط: المبالغون.

٢. مط: بدون «إنما».

٣. قصبه: شتمه.

٤. غ: فيغمض.

٥. مط: «وابن أخى الملك» بدل «عمه وابن عمه».

٦. الكلم: الجرح.

٧. غ: كل ما.

٨. في الأصل: وستجد. غ: وستجدون.

٩. غ: «والمخيلين له» بدل «المحتملين والتمنّين».

١٠. غ: ما يريده.

١١. في الأصل ومط: إلى، والتصحيح من غ: لا.

١٢. الحبل: العهد والذمة.

حاله^(١)، وغضّ بصره، ورضى بمعيشته واستطاب زمانه.
 - «واعلموا أنه سيقول قائل من عرض^(٢) رعيّتكم، أو من ذوى
 قرابتكم: ما لأحد على فضل و^(٣) لو كان لى ملك..، فإذا قال ذلك
 فإنه قد تمنى الملك [125]^(٤) وهو لا يشعر، ويوشك أن يتمناه بعد
 ذلك وهو يشعر. فلا يرى ذلك من رأيه خطأ^(٥)، ولا من فعله زلاً،
 وإنما يستخرج ذلك فراغ القلب واللسان ممّا يكلف أهل الدين
 والكتاب والحساب، أو فراغ اليد ممّا يكلف الأساورة، أو فراغ
 البدن ممّا يكلف التجار، والمهنة، والخدم. واعلموا أن الملك ورعيّته
 جميعاً يحقّ عليهم ألا يكون للفراغ عندهم موضع، فإن التضييع فى
 فراغ الملك، وفساد المملكة فى فراغ الرعيّة.

- «واعلموا أنا على فضل قوّتنا، وإجابة الأمور إيانا، وحدة
 دولتنا، وشدة بأس أنصارنا، وحسن نيّة وزرائنا، لم نستطع إحكام
 تفتيش الناس، حتى بلغنا من الرعيّة مكروهاها، ومن أنفسنا
 مجهودها.

- «واعلموا أنه لا بدّ من سخط سيحدث منكم على بعض
 أعبوانكم المعروفين بالنصيحة لكم، ولا بدّ من رضى سيحدث لكم
 من بعض أعدائكم المعروفين بالغش لكم، فلا تحدثوا، عندما يكون
 من ذلك، إنقباضاً عن المعروف [126] بالنصيحة، ولا استرسالاً إلى

١. غ: «واقصر على ما يليه، واستكثر كل امرئ حاله» بدل «على جديلته وعرف حاله». الجديلة:

الطريقة، والشاكلة. ٢. هو من عرض الناس: من العامة.

٣. غ: بدون «و».

٤. حصل تقديم وتأثير بين صفحتى 125 و 126 من مصورة ليدن، فصححناه.

٥. الخطل: الحمق. المنطق المضطرب الفاسد. الكلام الكثير الفاسد. الطول والإضطراب يكون فى الإنسان والرمح والفرس.

المعروف بالغش.

- «قد خلّفت لكم رأيي، إذ لم أستطع تخليف بدني، وقد حبوتكم بما حبوت به نفسي وقضيت حقكم فيما آسيتكم به من رأي. فاقضوا حقّي بالتشفيع لي في صلاح أنفسكم والتمسك بعهدي إليكم. فإنّي قد عهدت إليكم عهدي، وفيه صلاح جميع ملوككم وعامّتكم وخاصّتكم. ولن تضيعوا ما احتفظتم بما رسمت لكم ما لم تصنعوا^(١) غيره. فإذا تمسّكتم به، كان علامة في بقائكم ما بقي الدهر.

- «ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس الألف من السنين^(٢)، لظننت أنّي قد خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به، كان علامة في بقائكم الدهر. ولكن القضاء إذا جاءت أيّامه، أطعتم أهواءكم، واستثقلتم ولاتكم، وأمتتم وتنقلتم عن مراتبكم وعصيتم خياركم [وأطعتم شراركم]^(٣)، وكان أصغر ما تخطئون فيه سلماً إلى أكبر منه حتى تفتقوا ما رتقنا، [وتوهوا ما وثّقنا]^(٤)، وتضيعوا ما حفظنا. والحق^(٥) علينا وعليكم [127] ألا نكون^(٦) للبوار أغراضاً، وفي الشؤم أعلاماً. فإنّ الدهر إذا أتى بالذي تنتظرون، اكتفى بوحده^(٧). ونحن ندعو الله لكم بنماء المنزلة، وبقاء الدولة، دعوة لا يفنيها فناء قائلها حتّى المنقلب^(٨)، ونسأل الله الذي عبّل بنا وخلفكم، أن يرعاكم رعاية يرعى بها ما تحت أيديكم [وأن يرفعكم رفعة يضع بها من

١. مط: ما لم تضعوا.

٢. غ: ألف سنة.

٣. زيادة من غ.

٤. زيادة من غ.

٥. غ: ويحق.

٦. نكون: من غ. وفي الأصل: ألا تكونوا.

٧. غ: حدّته (بالتشديد).

٨. المنقلب: المعاد.

عاداتكم^(١)، ويكرمكم كرامة يهين بها من ناوأكم. ونستودعكم الله
وديعة يكفيكم بها الدهر الذي يسلمكم إلى^(٢) زياله^(٣) وغيره
[وعشراته]^(٤) وعداوته، والسلام على أهل الموافقة ممن يأتي عليه
العهد^(٥) من الأمم الكائنة بعدي^(٦)».

ثم انتهى الملك إلى سابور بن أردشير^(٧)

فمن وجوه المكائد الغريبة^(٨) ما تمّ على رجل من الجرامقة^(٩) يقال له:
الساطرون، وهو الذي تسمّيه العرب: الضيزن، وكان ينزل بجبال تكريت بين
دجلة والفرات في مدينة يقال لها: الحضرة^(١٠). وزعم هشام بن الكلبي أنه من
العرب من قضاة، وأنه ملك أرض الجزيرة، وكان معه من قبائل قضاة [128]
ما لا يحصى، وبلغ ملكه الشام.

ثم إنه تطرّف^(١١) بعض السواد في غيبة لسابور إلى ناحية خراسان. فلما قدم
من غيبته، شخص إليه حتى أناخ على حصنه، وتحصّن الضيزن، كما قال الأعشى
ميمون بن قيس، سنتين، لا يقدر سابور على الوصول إليه، وهو قوله:

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضَرِ إِذَا أَهْلَهُ بُنِعْمَى، وَهَلْ خَالِدٌ مِّنْ نَّعِمِ

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

١. زيادة من غ.
٢. من مط. وما في الأصل: إلّا.
٣. غ: زواله. الزيال: الفراق.
٤. زيادة من غ.
٥. غ: هذا العهد.
٦. غ: بعدى إلى يوم القيامة.
٧. أنظر الطبري (٢: ٨٢٣).
٨. جمع مفردة: الجرمقاني. قوم من العجم هبطوا الموصل أوائل الاسلام.
٩. الحضرة: باليونانية حترا (= هترا): شتدها الفرتيون على بعد أربعة كيلومترات من وادي الثرثار بين دجلة والفرات في القرن الأول، كانت حصناً دفاعياً لهم ضد التوسع الروماني ومركزاً تجارياً (لج، مع، أم).
١٠. مط: تطرق. في الطبري: تطرّف السواد.

أقام به شاهبور الجنو ^(١) دِ حَوَلِينَ يَضْرِبُ فِيهِ الْقَدَمُ ^(٢)

وكان للضيّزن هذا ابنة يقال لها: النضيرة، عرّكت ^(٣) فأخرجت إلى ربض المدينة - وكذلك كان يفعل بالنساء إذا عرّكن - وكانت من أجمل نساء زمانها، وكان سابور أيضاً من أجمل رجال زمانه. فاطلعت عليه يوماً، فرأته، فعشقتة، وأرسلت إليه:

- «ما تجعل لي، إن دلتك على ما تهدم به سور هذه المدينة، وتقتل أبي؟»
قال:

- «حكّمك، وأرفعك على نسائي، وأخصّك بنفسي دونهن».

فاحتالت للحرس حتى سقتهم الخمر وصرعتهم، وأظهرت علامة ذلك لسابور. فنصب للسرور حتى [تسور] ^(٤) وفتحها عنوة [129]، وقتل الحرس والضيّزن، وأباد قضاة الذين كانوا مع الضيّن، فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم، وأخرب سابور المدينة، وفي ذلك يقول عمرو بن إله:

أَلَمْ يَحْزَنْكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتُ سُرَاءُ بَنِي الْعَبِيدِ
وَمَصْرَعُ ضَيْزَنْ وَبَنِي أَبِيهِ وَأَحْلَاسُ الْكَتَائِبِ مِنْ تَزِيدٍ ^(٥)
أَتَاهُمْ بِأَلْقِيُولِ مَجَلَّاتٍ رِي وَبِالْأَبْطَالِ سَابُورُ الْجُنُودِ
فَهَذَمَ مِنْ أَوَاسِي الْحَصَنِ صَخْرًا كَانَ ثِفَالُهُ زَرُّ الْحَدِيدِ

١. والعرب تلقّيه: سابور الجنود (المسعودي ١: ١٣).

٢. في بعض الأصول: القمم. والآيات تجدها ستة في الطبري (٢: ٨٢٨).

٣. عرّكت: حاضت.

٤. في الأصل غموض، وما أثبتناه من مط. تسور السور أو الحائط: صعد عليه.

٥. من تزید بن حلوان (الطبري ٢: ٨٢٩).

واحتمل سابور النضيرة بنت الضيزن، فأعرس بها بعين التمر. فذكر أنها لم تنم، وتضوّرت^(١) ليلتها من خشونة قُرُشها وهي من حرير محشوة بالقزّ. فالتمس ما كان يؤذيها. فاذا ورقة آس، ملتزقة بعكنة^(٢) من عكنها قد أثرت فيها من لين بشرتها.

فقال لها سابور: «ويحك! بأيّ شيء كان يغذوك أبوك؟»

فقالت: «بالزبد، والمنخ، وشهد الأبقار من النحل، وصفو الخمر.»

قال: «وأبيك لأنا أحدث عهداً بك، وأوتر^(٣) لك من أبيك، الذي غذاك بما

تذكرين.»

فأمر رجلاً، فركب فرساً جموحاً، ثم عصب غدائرها بذنبه، ثم استركضها، فقطّعها قطعاً. [130] وقد أكثر الشعراء في ذكر الضيزن هذا، وإياه عنى عدى بن زيد بقوله:

وأخو الحَضِرِ^(٤)، إذ بناءً وإذ دَجْ
شاده مَرَمراً، وجَلَلَهُ كَدْ
لم يَهَبَهُ رَبُّ المَنُونِ فَبَادَ أَلْ
سَلَّةٌ تُجْبِي إِلَيْهِ، والخَابُورُ
سَاءَ، فَللطَّيرِ فِي ذُرَاهِ وَكُورُ
مُلْكُ عَنْهُ، فَبَابُهُ مَهْجُورُ^(٥)

مركز تحقيق كتاب توير حوت والى ملوك

ومضت أيام سابور، وهي ثلاثون سنة، حميدة. وفي أيامه ظهر ماني

١. تضوّرت: تلوّى وصاح من وجع الضرب والجوع ونحوهما.

٢. العكنة: ما انطوى ثنتان من لحم البطن. ٣. الطبرى: أوتر، أثر.

٤. مط: الحصن.

٥. تجد الأبيات في الطبرى (٢: ٨٣٠)؛ وفي الوفيات (٧: ٢٤٥)؛ وفي ديوان عدى: (٨٤).

الزنديق،^(١) وكذلك أيّام ابنه هرمز الملقّب بالبطل والجريء. وكان عظيم الخلق جريئاً. له حكايات عظيمة جدّاً، وكوّر مدينة «رامهرمز» وملك سنة. ثم مضت أيّام ابنه بهرام بن هرمز كذلك، وقتل ماني وسلخه. ومضت أيّام ابنه بهرام بن بهرام، ثمّ [أيّام]^(٢) ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام، ثمّ [أيّام]^(٣) نرسی بن بهرام أخى^(٤) بهرام الثالث، ثم أيّام هرمز بن نرسی، وكان فظّاً، إلّا أنّه رفيق بالرعيّة، وسار بأعدل سيرة فيهم، وحرص على العمارة وانتعاش الضعفاء، ثم هلك وبيع نساته حبلاً. فبعض الناس يزعم أنّه وصّى بالملك لذلك الحمل في بطن أمّه، وبعضهم زعم أنّ الناس لما شقّ عليهم موت هرمز، سألوا عن نساته. فلمّا عرفوا [131] أنّ يبعضهنّ حبلاً، عقدوا التاج عليه في بطن أمّه، ثم وُلد:

سابور الملقّب بذى الأكتاف^(٥)

وهو سابور بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. فكتب إليه الناس الكتب من الآفاق، ووجّه البُرْد إلى الأطراف، وقلّد الوزراء والكتّاب، والعمّال، الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه. فمما حدث في أيّامه: أنّ خبره لما فشا وشاع، وعلم أصحاب الأطراف أنّ ملك الفرس صبيّ يدبّر، ولا يدري ما يكون منه، طمع فيهم وفي مملكتهم الروم، والترك، والعرب. وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى فارس بلاد العرب، وكانوا من

١. الزنديق: المخالف لأوامر زند وپازند (بق). بالفهلوية Zandik. في المائوية: فاسد العقيدة. في الأفستائية: قاطع الطريق، الساحر، ناقض العهد، الخادع. وفي العربية: المرتد، الدهري، من لا دين له (حب).

٢. ما في [] تكملة منّا. وتجد أخبار هؤلاء الملوك في الطبري (٢: ٨٣١-٨٣٦).

٤. في الأصل: أخو بهرام.

٥. لقبه: هو به سنبا (البيروني: ١٢١؛ والطبري ٢: ٨٣٦؛ والمسعودي ١: ٢٧٩).

أحوج الأمم إلى تناول شيء من المعاش، لسوء حالهم وشظف عيشهم. فسار جمع عظيم منهم في البحر، من ناحية بلاد عبدالقيس والبحرين وكاظمة^(١)، حتى أناخوا براشهر^(٢) وسواحل أردشير خُرّه، وأسياف^(٣) فارس، وغلبوا أهلها على [132] مواشيهم وحروثهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد في تلك البلاد، ومكثوا بذلك حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس لقلة الهيبة، وانتشار الأمر، وكثرة المدبرين، ولأن الملك طفل، حتى ترعرع سابور، وجعل الوزراء يعرضون عليه أمر الجنود التي في الثغور، ووردت الأخبار بأن أكثرهم قد أحلّ. وعظّموا عليه الأمر بعد الأمر. وكان ممن عرض عليه، أمر الجنود التي في الثغور، ومن كان منهم بإزاء الأعداء، وأن الأخبار وردت بإحلال أكثرهم. وهولوا عليه الخطب في ذلك.

فقال لهم سابور: «لا يكبرنّ عليكم هذا، فإن الحيلة فيه يسيرة».

وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود بأنه:

«انتهى إليّ طول مكثكم في النواحي التي أنتم فيها، وعظم غناءكم عن إخوانكم وأولياكم، فمن أحبّ منهم الانصراف إلى أهله، فليصرف مأذوناً له في ذلك، ومن أحبّ أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عُرف له ذلك».

وتقدّم إلى من اختار الانصراف، في لزوم أهله وبلاده إلى وقت [133] الحاجة إليه.

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله ورأيه، استحسّوه وقالوا: «لو كان هذا قد أطلّ تجربة الأمور وسياسة الجنود، ما زاد رأيه على ما سمعنا منه» ثم تتابعت آراؤه في تقويم أصحابه وقمع أعدائه، حتى إذا تمتّ له ست عشرة سنة، وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل، واشتدّ عظمه، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده،

١. كاظمة: جوّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان (مع).

٢. راشهر (= ريشهر): مدينة إزاء بوشهر (الج). ناحية من كورة أرجان (مع).

٣. الأسياف: جمع مفردة السيف: ساحل البحر، ساحل الوادي.

ثم قام فيهم خطيباً. فذكر الله عزّ وجلّ، وذكر ما أنعم به عليه وعليهم بآبائه، وما أقاموا من إربهم، ونفوا من أعدائهم، وما اختلّ من أمورهم في الأيام التي مضت من أيام صباه، وأعلمهم: أنّه يستأنف العمل في الذبّ عن البيضة، وأنّه يقدر الشخوص^(١) إلى بعض الأعداء لمحاربتهم، وأنّ عدّة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل. فنهض إليه القوم داعين متشكرين، وسألوه أن يقيم بموضعه ويوجّه القواد والجنود ليكفوه ما قدر من الشخوص فيه، فأبى أن يجيبهم إلى المقام. فسألوه الإزدياد على العدة التي ذكرها، فأبى. ثم انتخب ألف فارس من صناديد [134] جنده وأبطالهم وأغنيائهم، وتقدّم إليهم في المضيّ لأمره، ونهاهم عن الإبقاء على العرب وعلى من لقوا منهم، ووصّاهم ألاّ يعرّجوا^(٢) على مال ولا غنيمة ولا يلتفتوا إليه.

ثم سار بهم، حتى أوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون^(٣). فقتل منهم أبرح القتل، وأسر أعنف الأسر، وهرب بقيّتهم. ثم قطع البحر في أصحابه فورد الخطّ^(٤)، واستبرى بلاد البحرين. فجعل يقتل أهلها ولا يقبل فداءً ولا يعرّج على غنيمة. ثم مضى على وجهه، فورد هجر^(٥) وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس. فسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر، حتى كان الهارب منهم يرى أن لن ينجيه غار ولا جبل ولا بحر ولا جزيرة. ثم عطف إلى بلاد عبد القيس، فأباد أهلها إلاّ من هرب منهم. فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة^(٦).

٢. عزّج: مال.

١. يقدر الشخوص: ينوي الخروج.

٣. مط: غازون. الغازون: الغافلون.

٤. أرض تنسب إليها الرماح، وهو خطّ عمان في سيف البحرين، والسيف كلّهُ الخطّ، وفيه: القطيف، والعقير، وقطر (مع).

٥. هجر: ناحية البحرين، وقيل: مدينة هي قاعدة البحرين (مع).

٦. اليمامة: بلد كبير فيه قُرَى وحصون ونخل، وكان اسمها أولاً جَوْأ (مع).

فقتل بها مثل تلك المقتلة. ولم يمرّ بماء من مياه العرب إلا عوّره^(١) ولا جبّ من جبايهم إلا طمّه. ثم أتى قرب المدينة، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر. ثم عطف نحو [135] بلاد بكر وتغلب وفيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام. فقتل من وجد بها من العرب وسبى وطمّ مياههم.

ثم أسكن قوماً من بنى تغلب ومن سكن منهم البحرين، دارين^(٢) والخطّ؛ ومن كان من عبدالقيس وطوائف تميم، هجر؛ ومن كان من بكر بن وائل، كرمان؛ - وهم الذين يدعون بكر إباد - ومن كان منهم من بنى حنظلة، بالرميلة من بلاد الأهواز. وبنى بالسواد مدينة بُزرج سابور^(٣)، وبنى الأنبار، وبنى السوس والكرخ. وغزا بعد ذلك أرض الروم، فسبى سبياً كثيراً. وبنى بخراسان نيسابور. ثم هادن قسطنطين^(٤) ملك الروم الذي بنى قسطنطينية^(٥)، وهو أول من تنصّر من ملوك الروم.

ذكر حيلة لقسطنطين

كان قسطنطين لما ملك الروم كبرت سنّه، وساء خلقه، وظهر به وضع. فأرادت الروم خلعه، وكاشفته وقالت:

١. عوّر: عيون المياه: طمّها، دفنها، سدها، كبسها بالتراب.
٢. فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها (مع).
٣. بُزرج سابور: من طساسيج بغداد، حدّه من أعلى العلى من شرقى دجلة (مع).
٤. Constantinus.

٥. قسطنطينية = Constantinople = استنبول، استانبول (تغيّر هذا الاسم في العصر العثماني إلى إسلامبول، أى: مدينة الإسلام، وإلى الآستانة)، وهو معرّب من الأصل اليوناني: Eis ten bolin أو من اليوناني البيزنطي: Estin bolin. أى: إلى المدينة. = بوزنطيا، بوزنطة، بيزنطة، من الأصل اليوناني: Byzantion، لا، إنجل. : Byzantioum؛ فر: Byzance. ويطلق هذا الاسم، من باب تسمية الكل بالجزء (العاصمة)، على امبراطورية الروم الشرقية التي تأسست في الفترة الواقعة بين ٣٣٠ إلى ٣٩٥ م. في القطاع الشرقي من الامبراطورية الرومية الكبرى ودامت حتى عام ١٤٦١ م (لد، فم، Col. New Age Enc.).

«اعتزل المُلْك، فإنَّ لك من المال ما لا تفقد معه شيئاً ممَّا أنت فيه من نعمتك.»

فشاور نصحاءه [136] فقالوا له:

«لا طاقة لك بالقوم، فقد اجتمعت كلمتهم على خلعك.»
قال: «بما الحيلة؟»

قالوا: «تحتال بالدين - وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية - وذلك بأن تستأذن في زيارة بيت المقدس، وتستمهلهم مدة ما تعود. فإذا حصلت بها دخلت في هذا الدين النصراني تحمل الناس عليه، فأنهم يفترقون فرقتين، فتقاتل بمن أطاعك من عصاك، وما قاتل قوم على دين قط إلا غلبوا.»
ففعل قسطنطين ذلك، فظفر بالروم. فأحرق كتبهم وحكمتهم، وبني البيع، وحمل الناس على النصرانية، ونقلهم من الرومية وكانت دار مملكتهم، وبني قسطنطينية ولم يزل المُلْك محروساً بالنصرانية، وغلب على الشام، إلى أن ظهر الإسلام.

ثم ملك من الروم لليانوس^(١)

وكان يدين بملة اليونانية القديمة^(٢) التي كانت قبل النصرانية. فلمَّا ملك، أظهر ملته، وأعادها كهنتها، وأمر بهدم البيع، وجمع جموعاً من الروم والخزر ومن كان في مملكته من العرب. [137]

عاقبة سرف سابور في القتل

فكان من عاقبة ذلك السرف الذي أقدم عليه سابور من قتل العرب: أن اجتمع

١. لليانوس: Julian، جوليان، يولييان (المفصل ٢: ٦٤٢).

٢. في الطبري بملة الروم القديمة (٢: ٨٤٠).

فى عسكر لليونوس من العرب مائة وسبعون ألف مقاتل. فوجههم مع بطريق^(١) له فى مقدمته. وأقدموا على فارس حنقين موتورين. وذلك أن سابور لم يقتصر على الانتقام ممن أذنب وتجاوز حدّه، حتى قتل البرىء، وسفك من الدماء ما لا يُحصى.

فلما انتهى إلى سابور كثرة من مع لليانوس من الجنود، وشدة بصائرهم، وحنق العرب، وعدد الروم والخزر، هاله ذلك، ووجهه عيوناً تأتيه بأخبارهم، ومبلغ عددهم، وشجاعتهم، وعدّتهم. فاختلفت عليه أقاويل العيون فى ما أتوه من الأخبار عن لليانوس وجنده. فتنكر سابور، وسار فى ثقاته ليعاين عسكرهم.

تخلّصه بحسن الاتفاق

فكان مما جنى فيه على نفسه وتخلّص منه بحسن الاتفاق: أنه لما قرب من عسكر البطريق الذى كان على المقدمة وكان اسمه [138] يوسانوس^(٢) ومعه العرب والخزر، وجهه قوماً ليتجسسوا الأخبار ويأتوه بحقائقها. فنذرت^(٣) بهم الروم، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس. فأقرّ من جملتهم رجل واحد، وأخبر بالقصة على وجهها وبمكان سابور. وسأله أن يوجه معه جنداً فيدفع إليهم سابور. فأرسل يوسانوس رجلاً من بطانته إلى سابور يعلمه^(٤) ما ألقى إليه من أمره وينذره. وإنما فعل ذلك لئيله إلى النصرانية التى قصدها لليانوس. فارتحل سابور من الموضع الذى كان فيه وصار إلى عسكره. ثم زحف لليونوس بمسألة العرب إياه، فقاتل سابور وفضّ جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب سابور فى من

١. بطريق: معرّب أصله اليونانى البيزنطى: Patrikios. معناه بالرومية: أمير الجيش، وفى المسيحية:

القسيس، باللاتينية: patricus (لد، فم). ٢. مط: بوسابوس. وهو Jovian (المفصل ٢: ٦٤٢).

٣. نذر به: علمه، فحذره.

٤. فى الأصل ومط: ويعلمه. فحذفنا الواو، كما يتطلبه السياق.

بقي من جنده، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلة سابور، وظفر ببيوت أمواله وخزائنه فيها. ثم اجتمع إلى سابور من آفاق بلاده جنوده، وحارب لليانوس، واستنقذ منه طيسبون، واختلفت الرسل بينه وبين لليانوس.

سوء تحفظ لليانوس

فكان من سوء تحفظ لليانوس في تلك الحال واسترساله: [139] أن كان يوماً جالساً في حجرة من فسطاطه، والرسل تختلف بينه وبين سابور، فجاءه سهم غرب فأصاب مقتله من فؤاده، فسقط ومات، وأسقط^(١) في روع جنده وهالهم ما نزل به، ويئسوا من التقضى في بلاد فارس، فصاروا نشراً لا ملك عليهم. فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولى الملك لهم ليملكوه عليهم. فأبى ذلك، وألحوا عليه، فأعلمهم أنه على ملّة النصرانية، وأنه لا يلي قوماً هم له مخالفون في دينه. فأخبرتهم الروم أنهم على ملّته، وأنهم كتموها مخافة لليانوس. فأجابهم حينئذٍ، فلما ملكوه^(٢) أظهروا النصرانية.

ثم إن سابور لما علم بهلاك لليانوس، أرسل إلى قواد جنوده الروم يقول: «إن الله قد أمكننا منكم، وأدالنا عليكم، ونرجو أن تهلكوا ببلادنا جوعاً من غير أن نهزّ لقتالكم سيفاً، أو نشرع له رمحاً، فسرّخوا إلينا رئيساً إن كنتم رأستموه عليكم.»

فعمز يوسانوس على إتيان سابور لما كان بينه وبينه، لما أنذره ومنّ عليه. فلم يتابعه أحد [140] من قواد جنده. فاستبدّ برأيه، وجاء إلى سابور في ثمانين رجلاً من أشرف من كان في عسكره وجنده، وعليه تاجه. فبلغ سابور مجيئه إليه، فتلّقاه، وتساجدا، فعانقه سابور شكراً لما كان منه في أمره، وطعم عنده

٢. في الأصل ومط: ملّكوا بدون «ه».

١. أسقط في روعهم: فزعوا، خافوا.

يومئذٍ ونعم. وإن سابور أرسل إلى قواد جند الروم وذوى الرئاسة فيهم يعلمهم: أنهم لو ملكوا غير يوسانوس، لجري هلاكهم في بلاد فارس، ولكن تمليكهم إياه ينجيهم من سطوته. ثم قوى أمر يوسانوس بكل جهد، وقال له عند منصرفه:

- «إن الروم قد شئوا الغارة على بلادنا، وقتلوا بشراً كثيراً، وقطعوا بأرض السواد من الشجر والنخل ما كان بها، وخربوا عمرانها، فإما أن تدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخربوا، وإما أن تعوضونا من ذلك نصيبين وحيّزها.»

فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابور إلى ما سأل من العوض، ودفعوا إليه نصيبين. فبلغ ذلك أهلها، فجلوا عنها إلى مدن للروم، خوفاً على أنفسهم من ملك مخالف ملتهم. فبلغ ذلك سابور، فنقل اثني عشر ألف [141] أهل بيت من أهل إصطخر وإصبهان وكور آخر، من بلاده إلى نصيبين، فأسكنهم إياها. وانصرف يوسانوس إلى الروم وملكها يسيراً ثم هلك.

وضرى سابور على قتل العرب، ونزع أكتاف رؤسائهم زماناً طويلاً، فسقته العرب «ذالأكثاف». ثم إنه استصلح العرب وأسكن من بعض تغلب وعبدالقيس وبكر، كرمان وتوج^(١) والأهواز. وبنى مدينة نيسابور ومدائن أخر بالسند وسجستان^(٢)، ونقل طبيباً من الهند، فأسكنه السوس، فورث طبه أهل السوس. وهلك سابور بعد اثنتين وسبعين سنة من ملكه.

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

أردشير بن هرمز^(٣)

وقام بالملك بعد سابور، أخوه أردشير بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك. فلما استقر به الملك ظهر منه شر، وقتل

١. مط: نوخ. وتوج: مدينة بفارس على شاطئ نهر سابور خربت في القرن السادس (لج: ٢٨٠).

٢. سجستان = سگستان = سيستان (لج: ٣٨٥).

٣. انظر الطبري ٢: ٨٤٦.

[من] ^(١) ذوى الرئاسة والعظماء خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه، وملكوا:

سابور بن سابور ذى الأكتاف

فاستبشرت الرعية به وبرجوع ملك أبيه إليه. فأحسن السيرة ورفق بالرعية، إلى أن سقط عليه فسطاط كان ضرب عليه، فمات وملك بعده [١٤٢] أخوه:

بهرام بن سابور ذى الأكتاف

وكان يلقب بكرمان شاه، لأن سابور ولّاه «كرمان»، فمضت أيامه محموداً، وكان جميل السياسة محبباً ^(٢). ثم قام بالملك:

يزدجرد المعروف بالأثيم ابن بهرام بن سابور ذى الأكتاف ^(٣)

ومن الفرس من يقول: هو أخو بهرام وهو يزدجرد بن سابور ذى الأكتاف. وكان فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة، وكان من أشدّ عيوبه وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كانا فيه، غير موضعهما. وذلك أنه كان كثير الرؤية فى الضار ^(٤) من الأمور، واستعمل علمه الذى أوتيّه، فى الدهاء والختل، واستخفّ بكلّ علم كان عند الناس، واحتقر آدابهم واستطال بما عنده، وكان من ذلك معجباً، غلقاً، سيئ الخلق، ردىء الطعمة ^(٥)، حتى بلغ من شدة غلقه وحدّته أن يستعظم صغير الزلاّت ولا يرضى فى عقوبتها إلا بما لا يستطيع أن يبلغ مثلها. ثم لم يقدر أحد من بطانته - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يشفع لمن ابتلى به، وإن كان ذنب

١. ما فى [] تكملة من مط.

٢. مط: مجيباً.

٣. أنظر الطبرى ٢: ٨٤٧.

٤. مط: الصفار من الأمور.

٥. ردىء الطعمة: ردىء السيرة فى الأكل.

المبتلى [143] به يسيراً. ولم يكن يأتين أحداً على شيء من الأشياء. ولم يكن يكافئ على حسن البلاء. وكان يعتد بالخسيس من العرف إذا أولاه ويستجزل ذلك. فإن جسر على كلامه أحد في أمر قال له:

«ما قدر جعلتك^(١) في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه، وما الذي بُذل لك؟»

وما أشبه ذلك. فلقى الناس منه عنقا. فلما اشتدت بليته، وكثر إهانتة للعظماء، وحمل على الضعفاء، وأكثر من سفك الدماء، اجتمعوا وتضرعوا إلى ربهم في تعجيل إنقاذهم منه.

فتزعم الفرس: أنه كان مطلقاً من قصره ذات يوم إذ رأى فرساً عائراً^(٢) لم ير مثله قط في الخيل، حسن صورة وتمام خلق، حتى وقف على بابيه، فتعجب الناس منه، لأنه كان متجاوز الأمر^(٣). فأمر يزدجرد أن يسرج ويلجم ويدخل عليه. فحاول ساسته وأصحاب مراكبه إجماعه وإسراجه، فلم يمكن أحداً منهم من نفسه. فخرج بنفسه إلى الموضع الذي فيه الفرس، فألجمه بيده وأسرجه وليته^(٤) فلم يتحرك، فلما استدار به [144] ورفع ذنبه ليثفره^(٥)، رمحه الفرس على فؤاده رمحة هلك منها مكانه. ثم لم يعاين ذلك الفرس. فأكثر الفرس في حديثه وظنت الظنون. وكان أحسنهم مذهباً من قال: «إنما استجاب الله دعاءنا».

ثم ملك بعد يزدجرد الأثيم ابنه:

بهرام جور^(٦)

وكان أسلمه يزدجرد إلى المنذر بن النعمان ليربيه في ظهر الحيرة، لصحة

١. مط: جمعاً إنك! بدل: جعلتك.

٢. عار: ذهب وجاء متردداً.

٣. في الطبري: متجاوز الحال.

٤. مط: وكتبه.

٥. أنفر الدابة: شدها بالثفر: سير في مؤخر السرج يشد على عجز الدابة تحت ذنبها.

٦. أنظر الطبري ٢: ٨٤٥.

التربة والهواء، وليتعلّم هناك الفروسية. وتكفّله النعمان وعظم يزدجرد المنذر بن النعمان وشرفه، وملّكه على العرب، وسار به المنذر، فربّاه، واستدعى له الحواضن من الفرس والعرب، ثم أحضره المؤدّبين، وحرص بهرام على الأدب. فتحكى عنه حكايات من النجاة في صغره، فمنها أنّه قال للمنذر بن النعمان وهو ابن خمس سنين:

«أحضرني مؤدّبين ليعلّموني الكتابة والفقه والرمي والفروسية.»

فقال له المنذر: «إنك بعدُ صغير السنّ، ولم يأن لك ذلك بعد.»

فقال له بهرام: «أما تعلم أيّها الرجل، أنّي من ولد الملوك، وأنّ الملك [145] صائر إلّى، وأولى ما كلّف به الملوك وطلبوه، صالح العلم، لأنّه زين لهم وركن، وبه يفوقون؟ أما تعلم أنّ كلّ ما يتقدّم في طلبه ينال وقته، وما لا يتقدّم فيه، بل يطلب في وقته، ينال في غير وقته، وما يفرّط فيه وفي طلبه، يفوت فلا ينال؟ عبّليّ بما سألتك!»

فوجّه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام، إلى باب الملك من أتاه برهط من المعلّمين والفقهاء ومعلّمي الرمي والفروسية، وجمع له حكماء الروم وفارس ومحدّثي العرب، فألزمهم إتياء، ووقف أوقاتاً لكل قوم منهم. فتفرّغ بهرام لتعلّم كل ما سأل أن يعلّم، واستمع من أهل الحكمة، ووعى ما سمع، وثقف كل ما علّم بأيسر سعى، وبلغ أربع عشرة سنة وقد فاق معلّميّه، واستفاد كل ما أفيد وحفظ وفاق. ثمّ حرص على انتخاب الأفراس العربيّة وركوبها واحضارها والرمي عليها، فبرع في ذلك. وتحكى الفرس عنه حكايات عظيمة جدّاً^(١).

ثمّ أعلم المنذر أنّه على الإلمام بأيّيه، فشخص، [146] وكان أبوه لا يحفل بولد له، فاتّخذ بهرام للخدمة، ولقى بهرام من ذلك عنثاً. واتفق أن ورد على يزدجرد

١. أنظر الطبري (٢: ٨٥٦) والثعالبي: ٥٣٩ وابن الأثير (١: ٤٠١).

وفد من قيصر - وفيهم أخو قيصر - فى طلب الصلح والهدنة، فسأله بهرام أن يكلم يزدجرد فى الإذن له فى الانصراف إلى المنذر، فأذن له أبوه وانصرف إلى بلاد العرب وقد عرّض بأبيه ورأى قلّة نفاق^(١) أدبه عليه، ولقى شدة وهواناً، فأقبل على التّنعيم والتلذّذ، إلى أن هلك أبوه يزدجرد وبهرام غائب.

فتعاقد قوم من العظماء ألا يملّكوا أحداً من نسل يزدجرد، وأظهروا: أن ولد يزدجرد لا يحتملون المُلْك، وليس فيهم نجيب غير بهرام، وبهرام لم يتأدّب بأدب الفرس، وإنما أدبه أدب العرب، وأخلاقه أخلاقهم، لنشئه فى ما بينهم وبين أظهرهم، واجتمعت كلمة العامة معهم على صرف المُلْك عن بهرام إلى رجل من عترة أردشير بن بابك يقال له:

كِسْرَى

فملّكوه، وانتهى هلاك يزدجرد وما كان من تمليكهم كِسْرَى إلى بهرام. [147] فدعا بالمنذر وبالنعمان ابنه وناس من عليّة العرب. فذكّرهم إحسان والده إليهم وإنعامه عليهم مع فظاظته وشدّته على الفُرس، وأخبرهم بموت والده وما كان من الفُرس من تمليك غيره، ومَنّاهم من نفسه ووعدهم بما أنسوا به. فقال المنذر: - «لا يهولنك ذلك حتى ألطف للحيلة.»

ثم إنَّ المنذر جهّز عشرة آلاف من فرسان العرب مع ابنه إلى طيسيون وبهأردشير^(٢) مدينتى المُلْك، وأمره أن يعسكر قريباً منهما، وأن يغير على ما والاها، وإن تحرّك أحد لقتاله قاتله. وأذن له فى الأسر والسبى، ونهاه عن القتل.

١. كذا فى مط والأصل: «قلّة نفاق». والظاهر أن إحدى الكلمتين زائدة لأنّ النفاق بمعنى النقاد، والفناء، والقلّة.

٢. مهملة فى الأصل وأعجمناها كما فى مط والطبرى. أصلها: وبه أرتخشر. صور التعريب: بهر سير، بردسير، بردشير، جواشير، جواسير، جواشير، وبهادرشير هى كرمان (لج: ٣٢٥).

فسار النعمان حتى نزل قريباً من المدينتين، ووجه طلائعه إليهما واستعظم قتال الفرس. فاجتمع رأى العظماء وأهل البيوتات على إنفاذ حوای^(١) على تأدية رسالة - وحوای هذا صاحب رسائل يزدجرد - إلى المنذر ويستكفونه أمر النعمان ابنه، ويخوفونه من عقبي جنايته عليه.

فلما ورد حوای على المنذر قال له: «إلق الملك بهرام» [148] ووجه معه من يوصله إليه. فلما دخل عليه راعه منظر بهرام وما رأى من وسامته. فكلّمه بهرام ووعدّه ومناه وردّه إلى المنذر، ورسم له أن يجيب عمّا كتب إليه.

فقال المنذر لحوای: «قد تدبّرت ما جثنتى به، وقرأت الكتاب ولست صاحب النعمان، وإنما صاحبه الملك بهرام، وهو الذى وجهه إلى ناحيتكم، ورسم له ما هو لا محالة متمثلة، لأنّ الملك صار له بعد أبيه، ولا حظّ لغيره فيه.» فلما سمع حوای مقالته، وتذكّر ما عاين من بهاء بهرام وروائه^(٢) وحسن كلامه، علم أنّ جميع من يشاور فى صرف الملك عنه مخصوم^(٣) محجوج. فقال للمنذر:

- «إنى لست محيراً^(٤) جواباً، ولكن سر - إن رأيت - إلى محلّة الملوك فيجتمع إليك من بها من العظماء وأهل البيوتات، وأت فى الأمر ما يجمل، فإنهم لن يخالفوك فى شيء مما تشير به.»

فردّ المنذر حوای، واستعدّ وسار بعده بيوم مع بهرام فى ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب [149] وذوى البأس والنجدة منهم إلى مدينتى الملك. فلما

١. حوای، فى الطبرى: جوانى، جوابى، حوانى (٢: ٨٥٩).

٢. الرواء: حسن المنظر.

٣. المخصوم: المغلوب فى الخصومة؛ والمحجوج: المغلوب فى الحجة.

٤. أحرار الجواب: ردّه، ومنه: لم يحر جواباً.

وردهما، جمع الناس وجلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر، وجلس المنذر عن يمينه، وتكلم عظماء الفرس، وفرشوا^(١) للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد كانت^(٢) وسوء سيرته^(٣)، وأنه أخرج الأرض وأكثر القتل ظلماً حتى قلّ الناس. وذكروا أموراً فظيعة، وذكروا أنهم إنما تعاقدوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك. وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه.

فقال المنذر لبهرام:

«أنت أولى بإجابة القوم.»

فقال بهرام:

«إني لست أكذبكم في شيء مما نسيتم إلي يزدجرد لما استقرّ عندي من ذلك. ولقد كنت منكراً سوء هديه متنكباً طريقته، ولم أزل أسأل الله أن يفضي بالملك إلي فأصلح كل ما أفسد، وأرأب ما صدع، وسأعيد الأمور بمشيئة الله إلى أتم ما كانت عليه في وقت من الأوقات انتظاماً، وأعمر البلاد، وأرفق الرعيّة، [150] وأوسع لهم، وأوطئ جانبي^(٤)، وأدرّ أرزاق الجنود وأهل الطاعة، وأسدّ الثغور، وأنفي أهل الفساد. فإن أتت لملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عددت عليكم، تبرأت من الملك طائعاً، وأشهد الله بذلك وملائكته وموبدان موبذ.»

فسمع أكثر الناس ورضوا، وتكلّم طائفة كان رأيها مع كسرى.

فقال بهرام:

«فإني على ما ضمنته لكم، واستيجابي^(٥) للملك، وأنه حقّ لي. قد رضيت

١. فرشوا: بسطوا؛ شرحوا. ٢. كذا في مط والطبري.

٣. ابن الأثير: فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته (١: ٤٠٣).

٤. مط: بدون «جانبي». وطأ جانبه: كان سهل الأخلاق، كريماً، مضيافاً.

٥. كذا في مط. وما في الأصل غير واضح.

أن يوضع التاج والزينة بين أسدين مشبلين، فمن تناوله فهو الملك.»

بهرام يتناول التاج والزينة من بين أسدين مشبلين

فلما سمع القوم هذه المقالة، مع ما وعد من نفسه، سكنوا، وأظهروا الإستبشار والرضاية، وقالوا:

«إنّا إن تمّعنا صرف الملك عن بهرام، لم نأمن هلاك الفرس على يده بمن يرى رأيه ولكثرة من استجاش من العرب، وقد عرض علينا ما لم يدعُ إليه أحد، لولا ثقته ببطشه وجرأته. فإن يكن على ما وصف به نفسه، فليس الرأي إلا تسليم المُلك إليه والسمع والطاعة، [151] وإن يهلك ضعفاً وعجزاً فنحن براء منه، آمنون لشُرّه وغائلته.»

فتفرّقوا على هذا الرأي، وجلس بهرام من الغد في مثل مجلسه بالأمس، وحضر من كان يحادّه فقال:

«إمّا أن تجيئوني عمّا تكلمت به أمس، وإمّا أن تسكتوا باخعين لى بالطاعة.» فقال القوم: «قد رضينا بحكمك، وأن يوضع التاج والزينة بين الأسدين كما ذكرت بحيث رسمت، وتنازعاها أنت وكسرى.»

فأتى بالتاج والزينة، وتولّى موبدان موبذ الذي كان يعقد التاج على رأس كلّ ملك يملك، فوضعهما ناحية، وجاء إصبيهد مع ثقات القوم بأسدين ضارين مجوعين مشبلين. فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذي وضع فيه التاج والزينة، والآخر بحذائه، وأرخى وثاقهما.

ثم قال بهرام لكسرى:

«دونك التاج والزينة!»

فقال كسرى:

«أنت أولى بالبدء منى، لأنك تطلب المُلك بوراة، وأنا فيه دخيل.»

ولم يكره بهرام قوله لثقتة بنفسه، وحمل جرزاً وتوجّه نحو التاج والزينة.
فقال له موبدان موبذ:

- «استماتتك في هذا الأمر الذي تقدم عليه [152] هو تطوع منك، لا عن رأي، ولا عن رأي أحد من الفرس، ونحن براء إلى الله من إتلافك نفسك.»
فقال بهرام:

- «نعم أنتم براء، ولا وزر عليكم.»

ثم أسرع نحو الأسدين. فلما رأى موبدان موبذ جدّه، هتف به وقال:
- «بُخ بذنوبك وتُب منها، ثم أقدم إن كنت لا محالة مقدماً.»

فباح بهرام بما سلف من ذنوبه، ثم مشى نحو الأسدين، فبذر أحدهما، فلما دنا من بهرام، وثب وثبة، فإذا هو على ظهر الأسد، وعصر جنبى الأسد بفخذه حتى أثنخه^(١)، فجعل يضرب على رأسه بالجرز، ثم قرب من الأسد الآخر. فلما تمكّن منه قبض على أذنيه وعركهما^(٢) بكليتي يديه، ولم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذى كان ركب ظهره، حتى دمغهما، ثم قتلهما ضرباً على رأسهما بالجرز، وذلك كله بمشهد من جميع من حضر ذلك الموضع وبمرأى من كسرى. فتناول بهرام التاج والزينة، وكان كسرى أول من هتف به وقال:

- «عمرك الله بهرام، الذى يسمع له من حوله ويطيع، ورزقه الله مُلك [153] أقاليم الأرض السبعة.»

ثم هتف الناس وجميع من حضر ذلك المجلس، وقالوا:

- «أذعنّا للملك بهرام ورضينا به ملكاً.»

وكثر الدعاء والضجيج.

ولقى الرؤساء المنذر بعد ذلك وسألوه أن يكلم بهرام فسي التغمّد لاساءتهم

١. أثنخه: تكاثر عليه وغلبه.

٢. عرك الشئ: حكّه حتى محاه.

والصفح عنهم. فسأله المنذر وأسعفه الملك. ثم جلس بهرام - وهو ابن عشرين سنة - سبعة أيام متوالية للجند والرعيّة، يعدمهم الخير من نفسه ويحضهم على تقوى الله وطاعته، وغبر زماناً يحسن السيرة ويعمر البلاد ويدّر الأرزاق. ثم أثر اللهو على ذلك، وكثرت خلواته بأصحاب الملاهى والجواري، حتى كثرت ملامة رعيّته إياه على ذلك، وطمع من حوله من الملوك فى استباحة بلاده والغلبة على بلاده.

خاقان يغزو بهرام

وكان أوّل من سبق إلى مكائرتة ومغالبتة خاقان ملك الترك. فإنّه غزاه فى مائتين وخمسين ألفاً من الأتراك. فبلغ الفُرس إقبال خاقان فى هذا الجمع العظيم فهالهم وتعاضمهم، ودخل إليه من عظمائهم قوم من أهل الرأى [154] فقالوا: - «أيها الملك، قد أزفك^(١) من بائقة^(٢) هذا العدو ما يشغلك عمّا أنت فيه من اللهو والتلذذ، فتأهب له، كى لا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار». فكان بهرام لشقته بنفسه ورأيه، يجيب القوم: بأن الله ربنا قوى ونحن أولياؤه، ثم يقبل على المشاورة وال لزوم لما فيه من اللهو والصيد.

مركز تحقيق كتاب حيلة بهرام جورى على خاقان^(٣)

إلى أن أظهر ذات يوم التجهّز إلى آذربيجان لينسك فى بيت نارها ويتوجّه منها إلى أرمينية ويطلب الصيد فى آجامها، ويلهو فى مسيره، فى سبعة رهط من العلماء وأهل البيوتات وثلاثمائة رجل من رابطته، ذوى بأس ونجدة. واستخلف أخاً له يقال له: «نرسى»، على ما كان يدبّر من ملكه. فلم يشكّ الناس حين بلغهم

١. أزف: إقترب ودنا، ومنه أزفت الآزفة، وأزفت الساعة.

٢. البائقة: الشرّ.

٣. أنظر الطبرى ٢: ٨٦٣.

مسير بهرام في من سار بهم، واستخلافه أخاه على ما استخلف، في أن ذلك هرب من عدوه، وإسلام لمملكه. وتوامروا^(١) في إنفاذ وفد إلى خاقان، والإقرار له [155] بالخراج، ومخافة منه، لاستباحة بلادهم، واصطلامه^(٢) مقاتلتهم ووجوههم، إن هم لم يفعلوا ذلك ويبادروا إليه. فبلغ خاقان الذي أجمع عليه الفرس من الإتيان والخضوع. فأمنهم وتودّع وترك كثيراً من الجند والاستعداد، وأثر جنده أيضاً ذلك. وأتى بهرام عين له من جهة خاقان، فأخبره بحاله، وحال جنده وفتورهم عن الجند الذي كانوا عليه.

فسار بهرام في العدة الذين كانوا معه، فبيّت خاقان وقتله بيده، وانهزم من سلم من القتل منهم، وخلفوا عسكرهم وأثقالهم. فأمن بهرام في طلبهم يقتلهم، ويحوى الغنائم ويسبى الذراري، وانصرف هو وجنده سالمين، وظفر بتاج خاقان وإكليله، وبخع له أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه، بالطاعة. وسألوه أن يحدّ لهم حدّاً بينه وبينهم فلا يتعدّوه.

ثم بعث قائداً له إلى ما وراء النهر، فأثخنهم وأقروا له بالعبودية وأداء الجزية. وانصرف بهرام بالغنائم العظيمة والتاج والإكليل [156] وما فيهما من الياقوت الأحمر وسائر الجواهر فنحلها^(٣) بيت النار بأذربيجان.

ورفع الخراج عن الناس ثلاث سنين، وقسم في الفقراء مالا عظيماً، وفي البيوتات وأهل الأحساب عشرين ألف ألف [٢٠,٠٠٠,٠٠٠] درهم.

وكتب كتباً إلى الآفاق يذكر فيها أن الخبر كان ورد عليه بورود خاقان بلاده وأنه مجّد الله وتوكّل عليه، وسار في سبعة رهط من أهل البيوتات، وثلاثمائة فارس من نخبة رابطته على طريق آذربيجان، وجبل القبق^(٤)، حتى نفذ إلى براري خوارزم ومفاوزها، وأبلاه الله أحسن بلاء، وذكر في الكتاب ما وضعه عن

٢. اصطلمه: استأصله. صلحه: قطعه من أصله.

٤. جبال قفقاز (لد).

١. توامروا = تأمروا.

٣. نحل: أعطى وتبرّع.

الناس من الخراج، وهذا الكتاب كان بليغاً، والفرس يحفظونه.
ويقال: إنَّ بهرام ترك من حق بيت المال من الخراج سبعين ألف ألف
[٧٠,٠٠٠,٠٠٠] درهم بقسط تلك السنة، وكان هذا مقدار ما بقي منه، ثمَّ [أمر
بترك] ^(١)الخراج ثلاث سنين آخر.

قصده الهند والروم والسند والسودان

ثم إنَّ بهرام لما انصرف من غزوه خاقان مظفرأ قصد الهند، فيحكى له
حكايات عظيمة وأمور كبار تولاها، وغلب عليها، وزوجه [157] ملك الهند ابنته
ونحله الديبل ^(٢) ومكران وما يليها، فضمتها بهرام إلى أرض الفرس، وحمل
خراجها إلى بهرام.

ثم أغزى بهرام «مهرنرسي» إلى بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل، وأمره أن
يقصد عظيمها وينظره في أمر الإتاوة وغيرها. فتوجه مهرنرسي في تلك العدة،
ودخل قسطنطينية، ومقامه مشهور هناك، فهادنه ملك الروم، وانصرف بجميع ما
أراد بهرام - وكان مهرنرسي هذا من ولد بهمن بن اسفندياذ بن بشتاسف، وربما
خفف اسمه، فقليل: «نرسي» - وبلغ مبلغاً، وكل ذلك بهيبة بهرام وما تمكن له في
قلوب الملوك وأهل الأطراف والجند من جودة الرأي وحسن التدبير والشجاعة
ونفاذ العزيمة، وقلة الاتكال على غيره.

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملوك الروم والسند، مضى إلى
بلاد السودان ^(٣) من ناحية اليمن، فأوقع بهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وسبى
منهم خلقاً، وانصرف إلى مملكته.

١. كلمة مطموسة في الأصل، وما أثبتناه من مط.

٢. ديبل: كرسي أرمينية في الحكم الإسلامي (لج: ١٩٦). أنظر الطبري ٢: ٨٦٨، وابن الأثير ١: ٤٠٦.

٣. ما في الأصل يشبه «السردان»، وما أثبتناه يؤيده مط والطبري ٢: ٨٧١.

ارتطام بهرام في سبخة

وهلك بعد ذلك في «ماه»^(١) وذلك أنه توجه إليها للصيد [158] فشدّ على غير وأمعن في طلبه فارتطم في ماء في سبخة^(٢) وغرق هناك. فسارت والدته إلى ذلك الموضع بأموال عظيمة، فأقامت قريبة منها، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على من يخرجها. فنقلوا طيناً عظيماً وحماً كثيرة، وجمعوا منه إكاماً عظيماً، ولم يقدروا على جثة بهرام. وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة. ثم ملك بعده:

يزدجرد بن بهرام جور

فكان يسير بسيرة أبيه ولم يزل قامعاً لعدوّه رؤوفاً برعيّته وجنوده. وكان له ابنان: أحدهما يسمّى هرمز، والآخر فيروز. فغلب هرمز على الملك بعد أبيه يزدجرد، وهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة^(٣)، وأخبر ملكها بقصته وقصّة أخيه هرمز، وأنّه أولى بالملك منه، وسأله أن يمده بجيش يقاتل بهم أخاه. فأبى عليه ملك الهياطلة وقال:

- «سأعلم علمه، ثم أمدك إن كنت صادقاً».

فلما عرف ملك الهياطلة أنّ هرمز ملك ظلوم غشوم، قال:

- «إن الجور لا يرضاه الله، ولا يصلح عليه الملك، ولا تقوم به سياسة، ولا

١. بالفارسية القديمة: Mada، بالفهلوية: May؛ البلاد، بلاد ماد (ميد)، عراق العجم وأذربيجان، أرض

الجبيل (حب). ماء البصرة: الدينور. ماء الكوفة: نهاوند (حب، نقلاً عن جواهر البيروني: ٢٠٥).

٢. السبخة: أرض ذات سباح، والسباح ما يعلو الماء من طحلب ونحوه.

٣. الهياطلة: المنسوبون إلى هيطل وهو معرب Heptal أو Heftal. وفي بندهش: Heftalan (انكساريا؛

٢١٥). بالفارسية: هيتال (حب).

يحترف^(١) [159] الناس في مُلك الملك الجائر إلّا بالجور، وفي هذا هلاك الناس وخراب الأرض.»

فأمّد فيروز، ودفع إليه الطالقان^(٢). فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان^(٣) وطوائف خراسان^(٤)، وسار إلى أخيه هرمز بن يزدجرد وهو بالرّى، وكانت أمّهما واحدة، وكانت بالمداين تدبّر ما يليها من المُلْك، فظفر فيروز بأخيه، فحبسه وأظهر العدل وحسن السيرة، وكان يتدبّر، إلّا أنه كان محارفاً^(٥) مشوّماً على رعيته، وقحط الناس في زمانه سبع سنين، فأحسن فيها إلى الناس، وقسم ما في بيوت الأموال وكفّ عن الجباية، وساسهم أحسن سياسة. ويقال: إنّ الأنهار غارت في مدّة هذه السبع السنين، وكذلك القنّى والعيون، وقحلت^(٦) الأشجار والغياض^(٧)، وتماوتت الوحوش والطيور، وجاعت الأنعام والدوابّ، حتى كانت لا تطيق أن تحمل حمولة، وعمّ أهل البلاد الجهد^(٨) والمجاعة.

حُسن سياسة من فيروز

فبلغ من حُسن سياسة فيروز لذلك الأمر [160] أن كتب إلى جميع أهل رعيته: أنّه لا خراج عليكم ولا جزية ولا سخرة، وأنّه قد ملكهم أنفسهم وأمرهم

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

١. مط: لا يحترق.
٢. الطالقان مدينة على ثلاث منازل من مرو الروذ من جهة بلخ، وكانت مدينة ذات أهمية في القرن الثالث الهجري (لج: ٤٤٩).
٣. طخارستان: ولاية في شرقي بلخ على الساحل الجنوبي من جيحون تمتد إلى بدخشان (لج: ٤٥٣).
٤. مط: خوارسان.
٥. المحارف: المجازي على الخير والشر.
٦. قحل: ييس.
٧. الغيضة: الأجمة: الموضع الذي يكثر فيه الشجر ويلتف.
٨. الجهد: المشقة والفقر.

بالسعى فيما يقوتهم^(١) ويصلحهم. ثم كتب إليهم في اخراج الهوى^(٢) والطعام والمطامير^(٣) لكل من كان يملك شيئاً من ذلك مما يقوت^(٤) الناس، والتأسى فيه، وترك الاستيثار به، وأن يكون حال أهل الفقر والغنى وأهل الشرف والضعفة في التأسى واحدة، وأخبرهم أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً، عاقب أهل تلك المدينة أو القرية أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسى، ونكل بهم أشد النكال. ويقال: إنه لم يهلك في تلك اللزبة^(٥) والمجاعة أحد من رعيته إلا رجل من رُستاق كورة أردشير خُرة.

ثم إن فيروز لما حييت بلاده، وأغاثه الله بالمطر، وعادت المياه، وصلحت الأشجار، واستوسق^(٦) له الملك، أثخن^(٧) في الأعداء وقهرهم، وبنى مدناً: إحداها بالرى، والأخرى بين جرجان وصول،^(٨) والأخرى بناحية آذربيجان. ثم سار بجنوده نحو خراسان مريداً حرب أخشنواز^(٩) [161] ملك الهياطلة، لأشياء كانت في نفسه، ولأن هؤلاء القوم كانوا يأتون الذكران ويرتكبون الفواحش، فتأول بها وسار إليهم. فلما بلغ أخشنواز خبره اشتد منه رعبه وعلم أن لا طاقة له به.

حيلة تمت لملك الهياطلة على فيروز

فكان مما تم له على فيروز من الحيلة حتى قهره وقتله وقتل عامّة من كان

١. مط: يقويهم.
٢. الهوى: جمع الهوة: الحفرة، البئر المنغطة.
٣. المطامير: جمع المطمورة: مكان تحت الأرض قد هبى ليظمر فيه البرّ والفلّ ونحوه.
٤. مط: يفوت! أنظر إلى كاتب مط كيف يعامل مع كلمتين من أصل واحد فيكتبهما: «يقويهم» و«يفوت».
٥. اللزبة: الشدة، الأزمة، القحط.
٦. استوسق: انتظم.
٧. أثخن في الأعداء: بالغ في قتالهم.
٨. صول: معرب «چول» مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند (يا).
٩. الطبرى: أخشنواز، خوشنواز (٢: ٨٧٥). بالفهلوية: Xshunvaz (قم).

معه: أن رجلاً من أصحاب أخشنواز، لما علم أن ملكه قد بعل^(١)، وأنه قد أشرف على الهلاك هو وأهل بلاده، تنصّح إليه وقال:

- «إني رجل كبير السن قريب الأجل، وقد فديت الملك وأهل مملكته بنفسى^(٢) فاقطع يدي ورجلي وأظهر في جسمي وجنبي آثار السياط والعقوبات، وألقني في طريق فيروز، وأحسن إلى ولدي وعيالي بعدى، فإنني أكفيك أمر فيروز».

ففعل ذلك أخشنواز بذلك الرجل، وألقاه في طريق فيروز. فلما مرّ به أنكر حاله ورأى شيئاً فظيعاً. فسأله عن أمره، فأخبره: أن أخشنواز فعل به ذلك، لأنه قال له: «لا قوام لك بالملك فيروز وجنوده»، وأشار عليه بالانقياد [162] له والعبودية.

فرق له فيروز، ورحمه، وأمر بحمله معه، فأعلمه على وجه النصح، أو في ما زعم، أنه يدلّه على طريق قريب مختصر لم يدخل أحد منه قطّ إلى أخشنواز على طريق المفازة، وسأله^(٣) أن يشتفى له منه. فاغتّر فيروز بذلك منه وأخذ الأقطع^(٤) بالقوم في الطريق الذي ذكره له، فلم يزل يقطع بهم مفازة^(٥) بعد مفازة. فلما شكوا عطشاً أعلمهم أنهم قد قربوا من الماء ومن قطع المفازة، حتى بلغ بهم موضعاً علم أنهم لا يقدرّون فيه على تقدّم ولا تأخر، بيّن لهم أمره.

فقال أصحاب فيروز لفيروز:

- «قد كنّا حذرناك، أيها الملك، فلم تحذر، فأما الآن فلا بدّ من المضى قدماً، فإنه لا سبيل إلى الرجوع، فلعلّك توافي القوم على الحالات كلّها». فمضوا لوجوههم وقتل العطش أكثرهم، وصار فيروز بمن نجا معه إلى

١. بعل بأمره: دهش وتحير.

٢. مط: بنفسه.

٣. وسأله... ومن قطع المفازة: سقطت من مط.

٤. الأقطع: المقطوع اليد أو الرجل.

٥. المفازة: الصحراء، المهلكة.

عدوهم. فلما أشرفوا عليهم - وهم بأسوأ حال من الضر والضعف - دعوا أخشنواز إلى الصلح، على أن يخلّى سبيلهم حتى ينصرفوا إلى بلادهم، على أن يجعل له فيروز عهد [163] الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ولا يبعث إليه جنداً يقاتلونهم، ويجعل بين المملكتين حداً لا يجوزه. فرضى أخشنواز بذلك، وكتب له كتاباً مختوماً وأشهد له على نفسه شهوداً، ثم خلّى سبيله وانصرف. فلما صار إلى مملكته حملة الأنف على معاودة أخشنواز.

عاقبة غدره

فكان من عاقبة غدره: أنه غزاه بعد أن نهاه وزراؤه وخاصته عن ذلك، لما فيه من نقض العهد، فلم يقبل منهم وأبى إلا ركوب رأيه. وكان في من نهاه عن ذلك رجل يخصه ويجتبي رأيه يقال له: مربوط^(١). فلما رأى لجأته، كتب ما دار بينهما في صحيفة، وسأله الختم عليها. ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد أخشنواز. فلما بلغ فيروز منارة كان بناها بهرام جور في ما بين تخوم^(٢) بلاد خراسان وبلاد الترك - لتلا يجوزها الترك إلى خراسان، لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدي لها، وكان فيروز عاهد [164] أخشنواز أن لا يجاوزها إلى بلاد الهياطلة - أمر فيروز فصمد^(٣) فيها خمسون فيلاً وثلاثمائة رجل، فجرت أمامه جرّاً وأتبعها، وزعم أنه يريد بذلك الوفاء، وترك مجاوزة ما عاهد عليه.

فلما بلغ أخشنواز ذلك، من فعل فيروز، أرسل إليه يقول له: «إن الله عز وجل لا يخادع ولا يماكر، فانتبه عما انتهى عنه أسلافك، ولا تقدم على ما لم يقدموا عليه».

٢. جمع التخم: الحد الفاصل بين أرضين. الحد.

١. مط: مرديو. الطبري: مزدبود، مربوط.

٣. صمد: قصد.

فلم يحفل فيروز لقوله، ولم يكثرث برسالته، وجعل يستطعم محاربة أخشنواز ويدعوه إليها، وجعل أخشنواز يمتنع من محاربته ويتكرّرها، لأنّ جُلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكائد.

ثم إنّ أخشنواز أمر فحفر^(١) خلف عسكره خندق عرضه^(٢) عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعاً، وغمى بخشب ضعاف، وألقى عليه التراب، ثم ارتحل في جنده ومضى غير بعيد. فبلغ فيروز رحلة أخشنواز بجنده من معسكره، فلم يشك أنّ ذلك هزيمة منهم وأنه قد انكشف^(٣) وهرب. فأمر بضرب الطبول، وركب في جنده في [165] طلب أخشنواز وأصحابه وأعدّوا^(٤) السير. وكان مسلكهم على ذلك الخندق. فلما بلغوه اقتحموه على عماية، فتردّى فيها فيروز وعامة جنده، وهلكوا من آخرهم^(٥). وعطف أخشنواز إلى عسكر فيروز واحتوى على كلّ شيء فيه، وأسر موبذان موبذ، وصارت فيروز دخت بنت فيروز في من صارفي يده من نساء فيروز.

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد، ابنه:

بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور^(٦)

وكان حسن السيرة، حريصاً على العمارة. وبلغ من حسن نظره أنّه كان لا يبلغه أنّ بيتاً خرب وجلا أهله عنه، إلّا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت، على تركه إنعاشهم وسدّ فاقتهم، حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم.

١. مط: أن يخف!

٣. انكشف: انهزم في الحرب.

٥. أنظر الطبري ٢: ٨٧٦.

٢. مط: عهته!

٤. مط: أعدوا. أغدّ السير: أسرع.

٦. نفس المصدر ٢: ٨٨٢.

ثم ملك قباذ بن فيروز أخو بلاش^(١)

وكان صار إلى خاقان يستنصره على أخيه بلاش ويذكر أنه أحق بالملك منه. فبقى هناك أربع سنين، ثم جهّزه خاقان. فلما عاد وبلغ نيسابور [166] بلغه موت أخيه بلاش^(٢). وكان في وقت اجتيازه تزوّج ابنة رجل من الأساورة متنكراً، وواقعها، فحملت بأنوشروان^(٣). ولما عاد في هذا الوقت الذي ذكرناه، سأل عن الجارية، فأتى بها وبابنه أنوشروان. فتبرّك به وبها. ولما بلغ حدود فارس والأهواز بنى مدينة أرجان^(٤)، وبنى خلوان، وبنى قباذ خرّة^(٥)، وعدة مدن أخرى.

من آرائه الجيدة

فكان من آرائه الجيدة وعزائمه النافذة، قبضه على خاله «سوخرا»^(٦). وكان سبب ذلك أن فيروز لما جرى عليه ما جرى من الهياطلة كان سوخرا يخلفه على مدينة الملك بالمدائن. فجمع جموعاً كثيرة من الفرس، وقصد أخشنواز ملك الهياطلة وحاربه وانتقم منه وثحكّم عليه. وكان وقع في يده دفاتر الديوان الذي صلب فيروز. فتقاضى بجميع ما كان في خزائنه وخزائن قواده وأهله، وطلب الوجوه من الأسارى الذين بقوا في يد أخشنواز. ولم يزل يحارب أخشنواز ويكيده ويبلغ منه [167] ما يتحكّم به عليه، حتى استنقذ من يده عامّة الفرس، وأكثر ما احتوى عليه من خزائن فيروز.

١. نفس المصدر ٢: ٨٨٣.

٢. مط: بلاش.

٣. بالفهلوية: Anushakruvan.

٤. أرجان: ولاية في أقصى غربي فارس، خرائنها قريبة من بهمان (لج: ٢٩٠).

٥. قفاذ خرّة: ولاية في فارس، ومدنها: كارزين، قير، أبرز (لج: ٢٧٤).

٦. Sukhray من الأصل الأفستائي: سوخره، وهو في الفارسية «سُرخ» أي: الأحمر (وب).

فكان له أثر حسن عند الفرس وعند ابني فيروز، أعنى: بلاش وقباذ، فعظموه ورفعوا منزلته إلى حيث ليس بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة. فتولى سياسة الأمر بحنكة وتجربة، واستوى على الأمر، ومال إليه الناس واستخفوا بقباذ، وتهاونوا به. فلم يحتمل قباذ ذلك، وكتب إلى سابور الرازي^(١) - الذي يقال للبيت الذي هو منه مهران، وكان اصيهذ البلاد - في القدوم عليه في من قبله من الجند، فقدم بهم سابور، فواضعه قتال خاله سوخرا، وأمره فيه بأمره، على لطف وكتمان شديد خفي. فغدا سابور على قباذ، فوجد عنده سوخرا جالساً. فمشى نحو قباذ مجاوزاً له، وتغفل سوخرا. فلم يأبه سوخرا لأرب سابور، حتى ألقى وهقاً كان معه في عنقه، ثم اجتذبه، فأخرجه، وأوثقه، واستودعه السجن. فحينئذٍ ضربت الفرس المثل بأن قالوا:

- «نقصت ريح سوخرا، وهبت ريح مهران».

ثم قتل قباذ سوخرا. فكان هذا رأياً تمّ على سكون، ولم يضطرب فيه أمر.

[168]

سوء تدبير قباذ عند ظهور مزدك وزوال ملكه

وكان ممّا أساء فيه التدبير والرأى حتى اجتمعت كلمة موبدان موبذ وجماعة الفرس على حبسه وإزالة ملكه عنه، أنه اتبع رجلاً يقال له «مزدك»، مع أصحاب له يقال لهم: «العدلية».

قالوا: «إنّ الله جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالتأسي، ولكن الناس تظالموا».

وزعموا: أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ويردّون من المكثرين على المقلّين؛ وأنه من كان عنده فضل في المال والقوت، أو النساء والأمتعة، فليس هو أولى به من غيره.

فافترض السفلة ذلك واغتنموه، وكانوا مزدك وأصحابه حتى قوى أمرهم. فكانوا يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على ماله ونسائه، فلا يستطيعون الامتناع منهم. وقوّاهم قبول الملك رأيهم، ودخوله معهم. فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صار الرجل لا يعرف أباه، ولا الأب ولده، ولا يملك أحد شيئاً ممّا يتّسع به. وصيّروا قباذ في مكان لا يصل إليه غيرهم فيه. فأجمعت الفرس - حين رأوا فساد الملك - على تمليك أخيه جاماسف بن فيروز.

وقد حكى أيضاً: أنّ المزدكيّة [169] هم الذين أجلسوا جاماسف ليكون الملك من قبلهم لا منّة لغيرهم عليهم، إلا أنّ الحكاية الأولى أشبه بالحق.

ذكر حيلة تمّت لأخت قباذ حتى أخرجته من الحبس

ثم إن أختاً لقباز أتت الحبس الذي كان فيه قباذ. فحاولت الدخول إليه، فمنعها الموكل الذي كان ثقة عليه، وطمع أن يفضحها بذلك السبب وألقى طمعه فيها. فأخبرته أنها غير مخالفة له في شيء مما يهواه منها. فأذن لها حتى دخلت السجن وأقامت عند قباذ يوماً. ثم أمرت فلف قباذ في بساط، وحمل على عاتق غلام قوى ضابط كان معه في الحبس. فلما مرّ الغلام بوالى الحبس، سأله عمّا يحمله. فأفحم، فاضطرب. فلحقته أخت قباذ فأخبرته أنه فراش كانت افرشته في عراقها^(١)، وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف. فصدّقها ولم يمس البساط، ولم يدن منه استقذاراً له على مذهبيهم، وخلّى عن الغلام الحامل لقباز. فمضى به،

وخرجت في أثره، وهرب قباد، فلحق بأرض [170] الهياطلة، ليستمدّ ملكها فيحارب من يخالفه.

فيقال: إنّه نزل في مسيره بـ «أبرشهر»^(١) على رجل من عظمائها. فتزوج ابنة له معصراً^(٢)، وإنّها أمّ كسرى أنوشروان وإنّ نكاحه لأمّ أنوشروان في سفره هذا. ثمّ إنّ قباد رجع من سفره هذا بابنه أنوشروان. وغلب أخاه جاماسف بعد أن ملك أخوه ستّ سنين. ثم غزا الروم وافتتح آمد^(٣) وبني مدناً منها: أرجان وغيرها، وملك ابنه كسرى أنوشروان وأعطاه خاتمه.

وهلك قباد وكان ملكه بسني ملك^(٤) أخيه ثلاثاً وأربعين سنة.

سبب هلاك قباد

وكان سبب هلاكه سوء رأيه، وفساد عقيدته، وضعف ملكه. وذلك أنّه لما التقى الحارث بن عمرو بن حجر الكندي والنعمان بن المنذر بن إمريّ القيس، قتله، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك النعمان. فبعث قباد بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي أنّه:

«قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وإني أحبّ لقاءك». [171]

وكان قباد زنديقاً يظهر الخير، ويكره سفك الدماء، ويداري أعداءه في ما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس.

فخرج إليه الحارث بن عمرو في عدد وعدّة، حتى التقيا بقنطرة القيوم، فأمر

١. مط: ایرانشهر. وأبرشهر اسم لنيسابور في أوائل الحكم الاسلامي، وكان يقال لها ایرانشهر أيضاً (لج: ٤٠٩).

٢. أعصرت المرأة: أدركت وكانت قد دخلت شبابها فهي معصر.

٣. آمد: أكبر مدن ديار بكر على الدجلة العليا (لج: ٩٣).

٤. الأصل ومط: بملك سني أخيه. والباء بمعنى مع. أنظر الطبري ٢: ٨٨٨. وابن الأثير ١: ٤١٤.

قباد بطبق من تمر، فنزع نواه، وأمر بطبق آخر، فجعل فيه تمر بنواه. ثم وُضعا بين أيديهما، وجُعِلَ الذي فيه النوى بين يدي الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه بين يدي الملك قباد. فكان الحارث يأكل التمر ويلقى النوى، والملك يأكل التمر ولا يحتاج إلى إلقاء النوى.

فقال الحارث: «ما لك لا تأكل كما آكل؟»

فقال الحارث: «إنما يأكل النوى إبلنا وغنمنا.»

وعلم أن قباد يهزأ به. ثم افترقا على الصلح وعلى أن لا يتجاوز الحارث وأصحابه الفرات.

إلا أن الحارث استضعفه وطمع فيه، فأمر أصحابه أن يعبروا الفرات ويغيروا على قرى السواد. فأتى قباد الصريخ وهو بالمدائن، فقال: - «هذا من تحت كنف ملكهم».

ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو: أن لصوصاً من العرب قد أغاروا على السواد [172] وأنه يحب لقاءه.

فلقيه، فقال قباد كالعاتب:

- «لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك.»

فطمع الحارث في لين كلامه فقال:

- «ما علمت ولا شعرت، ولا أستطيع ضبط لصوص العرب، وما كل العرب

تحت طاعتي، وما أتمكن منهم إلا بالمال والجنود.»

فقال له قباد: «فما الذي تريد؟»

قال: «أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً^(١)».

فأمر له بما يلي جانب الغرب من أسفل الفرات وهي ستة طساسيج.

فأرسل الحارث بن عمرو الكندي إلى تبّع وهو باليمن: - «إني قد طمعت في ملك الأعاجم، وقد أخذت منه ستّة طساسيج، فأجمع الجنود وأقبل، فأنّه ليس دون ملكهم شيء، لأنّ الملك عليهم لا يأكل اللحم، ولا يستحلّ هراقة الدماء، وله دين يمنعه من ضبط الملك، فبادر بعدّتك وجندك.» فجمع تبّع الجنود، وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات، فأذاه البقّ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشقّ له نهراً إلى النجف، ففعل وهو نهر الحيرة، فنزل عليه، ووجّه ابن أخيه^(١) شمراً ذا الجناح [173] إلى قباد. فقاتله، فهزمه شمر، حتى لحق بالرى، ثم أدركه بها فقتله.

ذكر ما تمّ لتبّع وابن أخيه شمر وابنه
حسان بعد احتوائهم على مملكة الفرس
ثم إنّ تبّعاً أمضى شمراً ذا الجناح إلى خراسان، ووجّه ابنه حسان إلى السغد^(٢)
وقال:

- «أيكما سبق إلى الصين فهو عليها.»
وكان كلّ واحد منهما في جيش عظيم يقال: إنهما كانا ستمائة ألف وأربعين ألفاً. وبعث ابن أخيه الآخر واسمه: «يعفر» إلى الروم.
فأمّا يعفر فإنّه سار حتّى أتى قسطنطينية. فأعطوه الطاعة والإتاوة. ثم مضى إلى روميّة فحاصرها. ثم أصابهم جوع، ووقع فيهم طاعون فرقوا^(٣). وعلم الروم بذلك، فوثبوا عليهم فلم يقلت منهم أحد.
وأمّا شمر ذو الجناح فإنّه سار حتّى انتهى إلى سمرقند، فحاصرها، فلم يظفر

٢. مط: السفه. الطبرى: الصغد.

١. مط: ابن أخته.

٣. رقى: نحف ولطف.

منها بشيء. فلما رأى ذلك، أطاف^(١) بالحرس حتى أخذ رجلاً من أهلها، فاستمال بقلبه، ثم سألته عن المدينة وملكها.

فقال: «أما ملكها فأحق الناس ليس له هم إلا الشرب والأكل والجماع، ولكن له بنت [174] هي التي تقضى أمر الناس.»

فمنّاه ووعده حتى طابت نفسه. ثم بعث معه هدية إليها وقال:

«أخبرها أنني إنما جئت من أرض العرب للذي بلغني من عقلها، لتتكنى نفسها، فأصيب منها غلاماً يملك العرب والعجم، وأنى لم أجئ التماس المال، وأنّ معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضّة هاهنا، وأنا أدفعها إليها وأمضى إلى الصين، فإن كانت لى الأرض، كانت امرأتى، وإن هلكت كان المال لها.» فلما انتهت رسالته إليها قالت:

«قد أجبته، فليبعث بالمال.»

فأرسل إليها بأربعة آلاف تابوت، وفي كلّ تابوت رجلان. وكان لسمرقند أربعة أبواب، على كلّ باب منها أربعة آلاف رجل. وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالجلجل. وتقدّم في ذلك إلى رسله الذين وجّه معهم. فلما صاروا في المدينة ضرب لهم بالجلجل. فخرجوا، فأخذوا بالأبواب ونهد^(٢) شمر في الناس فدخل المدينة، وقتل أهلها وحوى ما فيها^(٣).

ثم سار إلى الصين. فلقى زخوف الترك [175] فهزمهم، وانتهى إلى الصين. فوجد حسان [بن] ^(٤) تبع قد كان سبقه إليها ثلاث سنين. فأقاما بها - في بعض الروايات - حتى ماتا، وكان مقامهما إحدى وعشرين سنة. وفي بعض الروايات - وهو المجمع عليه - : أنّ شمراً وحساناً انصرفا في الطريق التي كانا أخذها فيه،

١. مط: أطاق. أطاف بالشىء: ألّم به، وأحاط به. طرده ليلاً.

٢. نهد: نهض ومضى. نهد لعدوه: صمد، وشرع فى قتاله.

٣. أنظر الطبرى ٢: ٨٩٠. ٤. زيادة من الطبرى ٢: ٨٩٢.

حتى قدما على تبّع بما حازا من الأموال بالصين وصنوف الجواهر والطيب والسبي، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم. وذلك أنه كانت همّة ملوك العرب الغزو والغنيمة ولم يطمعوا في الملك الثابت. وكان أحدهم إذا ملأ يده من الغنائم وأرضى جنده وظفروا بما في نفوسهم، انكفأوا إلى بلادهم.

وكانت وفاة تبّع باليمن ولم يخرج أحد من ملوك اليمن بعده غازياً إلى شيء من البلاد. وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة.

وأما في الرواية الأخرى: فإنه أقام تبّع وواطأ ابن أخيه شمراً وابنه حسّاناً أن يملكا الصين، ويحملا إليه الغنائم، ونصب بينه وبينهم المنار. فكان إذا حدث [176] حدث أوقدوا النار، فأتى الخبر في ليلة. وكان جعل آية ما بينه وبينهم [أنه] ^(١):

«إن أنا أوقدت نارين من عندي فهو هلاك يعفر، وإن أوقدت ثلاثاً فهو هلاك تبّع. وإن كانت من عندهم نار فهو هلاك حسّان، وإن كانت نارين فهو هلاكهما». فمكثوا بذلك. ثم إنه أوقد نارين فكان هلاك يعفر، ثم أوقد ثلاثاً فكان هلاك تبّع.

وقد ذكر بعض الرواة: أن الذي سار إلى المشرق من التبابعة، تبّع الآخر وهو: تبّع تبان أسعد أبو بكر بن مليكيكرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار وهو أبو حسّان.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

وقام بالملك بعد قباز ابنه كسرى أنوشروان

فاستقبل الأمر بجدّ وسياسة وحزم. وكان جيّد الرأي، كثير النظر، صائب التدبير، طويل الفكر ثم الاستشارة. فجدد سيرة أردشير، ونظر في عهده ^(٢)، وأخذ

١. تكملة يقتضيها السياق. وفي الطبري: أن إذا أوقدت.

٢. أنظر العهد في ص ١٢٢ - ١٤٤.

نفسه به، وأدب به رعيته وبطانته، وبحث عن سياسات الأمم، واستصلح لنفسه منها ما رضىه، ونظر في تدابير^(١) أسلافه المستحسنة [177] فاقتدى بها. وكان أول ما بدأ به أن أبطل ملة زرادشت الثاني الذي كان من أهل فسا، وكان ممن دعا إليها مزدك بن فامارد^(٢)، وكان ممّا آمن به الناس - لما زينه لهم وحثهم عليه - التآسى في أموالهم وأهاليهم. وذكر أن ذلك من البرّ الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به من الدين، لكان مكرمة في الفعال ورضى في التفاوض. فحضى السفلة بذلك على الأشراف واختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء، وسهل سبيل الظلمة إلى الظلم، والعهار^(٣) إلى قضاء نهمتهم وإلى الوصول إلى الكرائم. فشمّل الناس بلاء عظيم.

فلما أبطل الملك أنوشروان ملة هذين، وقتل عليه بشراً كثيراً، وسفك من الدماء ما لا يحصى كثرة ممن لا ينتهى، وقتل قوماً من المانوية وثبت ملة المجوسية القديمة؛ كتب^(٤) في ذلك كتباً بليغة إلى أصحاب الولايات والاصهبذين، وقوى الملك بعد ضعفه بإدامة النظر، وهجر الملاذ وترك اللهو إلا في أوقات، [178] حتى نظم أموره وقوى جنوده بالأسلحة والكراع، وعمر البلاد، وحفظ الأموال، وفرّق منها ما لا يسع حفظه من الأرزاق والصلوات

١. في الأصل ومط: تدبير. فأثبتناها «تدابير» لظهور كون «المستحسنة» صفة لـ «تدابير» لا لـ «الأسلاف».
٢. كذا في مط: مزدك بن فامارد. بالفهلوية: Mazdak. في الطبري: مزدق بن بامداد (٢: ٨٩٣). في البيروني: مزدك بن همدادان من أهل نسا (الآثار: ٢٠٩). وقيل: هو من اصطخر فارس. ونسا، Nesa من نواحي شيراز، تغير اسمها إلى بيضاء، لقلعة بيضاء كانت فيها على حد قول الاصطخري (فم). وعلى ما في الطبري: كان من مدريه Madhraya أي كوت العمارة حالياً. دعا إلى دين زردشت بونده (= بوندس) المسمى «دريست دين» والذي كان في إصلاح الدين المانوي. وزردشت بونده (الزرادشت الثاني - مسكويه) كان من أهل فسا (معرب Pasa وهي ناحية في فارس شرقي شيراز مركزها مدينة بنفس الاسم - فم). كان ظهور زردشت بونده قبل ظهور مزدك بقرنين (C.R.K. والطبري ٢: ٨٨٥، ٨٩٣).

٣. أي سبيل العهار.
٤. في الأصل ومط: «وكتب» فحذفنا الواو. X

الموضوعة مواضعها، وسدّ الثغور، وردّ كثيراً من الأطراف التي غلب عليها الأممُ بعلل وأسباب شتى، منها: السُّند، والرُّخج^(١)، وزابلستان، وطخارستان^(٢)، ودروستان^(٣) وغيرها. وقتل أمة يقال لها: البافرز^(٤) واستبقى منهم من فرقهم واستعبدهم واستعان بهم في حروبه. وأسرت له أمة يقال لهم: صول، وقُدّم بهم عليه، فقتلهم واستبقى ثمانين رجلاً من كماتهم، وعمل أعمالاً عظيمة منها: بنيانه الحصون والآطام^(٥) والمعازل لأهل بلاده، يكون حرزاً لهم يلجأون إليها من عدوّ إن دهمهم.

من ثمرة أعماله

فكان من ثمرة هذه الأعمال: أن خاقان - واسمه سنحوا^(٦) - كان في ذلك الوقت أُمّن الترك وأشجعهم. وهو الذي قاتل «وَزَز»^(٧) ملك الهياطلة، غير هائب كثرة الهياطلة ومنعتهم، وبأسهم. [179] فقتل وَزَز^(٨) وعامة جنده، وغنم أموالهم واحتوى على بلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها. وأقبل في جموعه من أمم استمالهم، وهم: أبجر، وبَنَجَر، وبَلَنَجَر. وبلغت عدّة الجميع مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل أنجاد.

فأرسل إلى كسرى يتوعّده ويطلب منه أموالاً، وأنه إن لم يجعل بالبعثة إليه ما سأل، وطىّ بلاده وناجزه^(٩). فلم يحفل كسرى به ولم يجبه إلى ما سأل، لتحصينه

١. مط: الزنج. والرُخج ولاية في أطراف قندهار وشرقي بُست (لج: ٣٧١).

٢. طخارستان: ولاية واسعة في شرقي بلخ (لج: ٤٥٣).

٣. في الطبري وحواشيه: درستان، درستان، دورستان. مط: روستان.

٤. الطبري: البامرز، البارز. ٥. الآطام: جمع مفردة الأطم، والآطم: الحصن.

٦. مط: مسحوا في الطبري: سنجبوا، سحنوا سحبا (٢: ٨٩٥).

٧. مط: وزر. في الطبري: ورز، ورد. ٨. مط: وزرة.

٩. مط: فاخره.

نواحيه لا سيما ناحية صول التي أقبل منها خاقان، ولمناعه السبل والفجاج، ولمعرفته بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية. فأقدم خاقان على ناحية صول من نواحي جرجان، فرأى من الحصون والرجال الذين أعدهم كسرى ما لا حيلة له فيه، فانصرف خائباً.

فأما تدبيره للمزدكية

ورده المظالم وما دبر في أمر النساء المغلوبات على أنفسهن

وتدابيره الأخرى

فإنه ضرب أعناق رؤسائهم، وقسم أموالهم في أهل الحاجة، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم وأهاليهم ممن عرف، [180] ورد الأموال إلى أربابها، وأمر بكل مولود اختلف فيه، أن يلحق بمن هو في سيما ذلك منهم إذا لم يُعرف أبوه، وأن يُعطى نصيباً من مال الرجل الذي يسند إليه، إن قبله الرجل، وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها ويرضى أهلها، ثم تُختار المرأة بين الإقامة عليه وبين تزويج غيره، إلا أن يكون لها زوج أول فترد إليه. وأمر بكل من كان أضرب رجل في ماله، أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه. أمر بعيال ذوى الأحساب الذين ماتت قيمتهم فكتبوا له، فأنكح بناتهم الأكفاء، وجعل جهازهم من بيت المال، وأنكح بنيتهم من بيوتات الأشراف، وأغناهم وأمرهم بملازمة بابهم ليستعان بهم في أعمالهم، وخير نساء والده أن يقمن مع نسائه فيؤاسين ويُصيرن^(١) في الإجراء أمثالهن، أو تُبتغى لهن أكفأهن من البعولة. وأمر بكرى الأنهار وحفر القننى [181] وإسلاف [أصحاب]^(٢) العمارات وتقويتهم. وأمر بإعادة كل جسر أو

١. في الطبرى: ويصرن في الأجر أمثالهن (٢: ٨٩٧).

٢. مزيد من الطبرى.

قنطرة خربت أن تردّ إلى أحسن ما كانت عليه. وأمر بتسهيل سبل الناس، وبنى في الطرق القصور والحصون، وتخير الحكام والعمال وتقدّم^(١) إلى من ولّى منهم أبلغ التقدّم، وتقدّم بكتب سير أردشير ووصاياهم، فاقتدى بها وحمل الناس عليها^(٢).

فتوح أنوشروان

فلما انتظمت له هذه الأمور واستوسق ملكه ووثق بجنده وقوّته، سار نحو أنطاكية فافتتحها وأمر أن تصوّر له المدينة على ذرعها وطرقها وعدّة منازلها، وأن يبنى على صورتها له مدينة إلى جانب المدائن، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية. ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إياها. فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كلّ بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية. ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها، ثم الاسكندرية، وأذن له قيصر، وحمل إليه الفدية.

ثم انصرف من الروم وأخذ نحو الخزر، فأدرك فيهم تبلة^(٣)، وما كانوا وتروه به [182] في رعيّته، ثم نحو عدن، فسكّر^(٤) هناك ناحية من البحر بين^(٥) جبيلين بالصخور وعمد الحديد. ثم سار إلى الهياطلة مطالباً لهم بدم فيروز، بعد أن صاهر خاقان واستعان به. فأتاهم، فقتل ملكهم، واستأصل أهل بيته، وتجاوز بلغ وماوراءها، وأنزل جنوده فرغانة^(٦). ثم انصرف إلى المدائن، وبعث قوماً إلى الحبشة في جند من الديلم. فقتلوا مسروقاً الحبشى باليمن. وأقام مظفراً منصوراً

١. تقدم إليه: أمره.

٢. ومن وصاياهم، عهده الذي تركه للملوك الآتين بعده. أنظر: ص ١٢٢ إلى ١٤٤.

٣. التبيل: الحقد والعداوة. ٤. سكره: سده.

٥. في الطبرى: بين جبيلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل (٢).

٦. فرغانة: ولاية على ساحل جيحون (الج: ٥١٩). ٨٩٨.

بها به جميع أمراتهم، ويحضر بابه وفود الترك والصين والخزر ونظرائهم. وكان مكرماً للعلماء. وقد كان غزاً بُرجان^(١). ثم رجع فبنى الباب^(٢) والأبواب. وفي زمانه ولد عبدالله أبو النبي - صلى الله عليه وسلم - . والنبي أيضاً - عليه السلام - وملك ثمانى^(٣) وأربعين سنة. أمّا عبدالله بن عبدالمطلب فإنه ولد لأربع وعشرين سنة من ملكه. وبعث إلى المنذر بن النعمان - وأمه ماء السماء امرأة من اليمن^(٤) - فملكه الحيرة وما كان يليه آل الحارث بن عمرو، وردة الأمر إلى نصابه.

تدابير أنوشروان لاستغزار الأموال وتثميرها

ومن أحسن ما دبره أنوشروان في استغزار الأموال وتثميرها [183] أنه بعد فراغه من الثغور وملوك الأطراف، وتوظيفه الوظائف على أقاصى الملوك من الترك والخزر والهند وغيرهم، وبيعه مدن الشام ومصر والروم على ملك الروم بأموال عظيمة، وإلزامه جزية يحملها في كل سنة على ألا يغزو بلاده، نظر في الخراج وأبواب المال التي كان يستأديها الملوك قبله من بلاده. فإذا رسوم الناس كانت جارية على الثلث من الارتفاع خراجاً، ومن بعض الكور الربع، ومن بعضها الخمس، ومن بعضها السدس، على حسب شربها^(٥) وعمارتها، ومن جزية الجماجم^(٦) شيئاً معلوماً.

وكان الملك قباذ بن فيروز تقدّم - في آخر ملكه - بمسح الأرض سهلها

١. في مط: «عمر بن خان» بدل «غزابر جان»! برجان، بالفهلوية: Varjan؛ بلد من نواحي الجزر (مع).

والجزر: مصحف الجزر، والجزر: معرب كرج. بالفارسية: كرجستان (مت).

٢. الباب والأبواب، باب الأبواب، الدربند، دربند نوشروان؛ مدينة على بحر الخزر (مع).

٣. في الطبري: سبعا (٢: ٨٩٩). ٤. في الطبري: من النمر.

٥. الشرب: الماء. النصيب من الماء. وقت الشرب.

٦. الجماجم: جمع مفردة الجمجمة: البئر تحفر في السبخة، أو ضرب من المكاييل (مو).

وجبلها، ليصحّ الخراج عليها، فمسحت. غير أنّ قباذ هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة. فلمّا ملك أنوشروان أمر باستتمامها وإحصاء النخل والزيتون وغير ذلك، والجماجم. ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل ذلك غير مفصّلة، وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ [184] عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم. فقرأ ذلك عليهم.

ثم قال لهم كسرى:

«إنا رأينا أن نضع على ما أحصى من جريان هذه المساحة ومن النخل والزيتون والجماجم وضائع، ونأمر بإنجامها^(١) في السنة في ثلاثة أنجم. ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من الثغور، أو طرف من الأطراف، فتق أو شيء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالاً؛ كانت الأموال عندنا معدّة موجودة، ولم تُرد استيناف اجتباؤها على تلك الحال. فما ترون في ما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه؟»

فلم يُشر عليه أحد منهم بمشورة ولم ينبس بكلمة. فكرر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات.

فقام رجل من عرضهم وقال لكسرى:

«أتضع أيها الملك - عمرك الله خالداً - من هذا الخراج على الفانى من كرم يموت، وزرع يهيج^(٢)، ونهر يفيض، وعين أو قناة ينقطع ماؤها؟»

فقال له كسرى: «ياذا الكفلة المشؤوم! من أي طبقات الناس أنت؟»

قال: «أنا رجل من الكتاب.» [185]

فقال كسرى: «إضربوه بالدوى^(٣) حتى يموت.»

فضربوه بها الكتاب خاصّة تبرّياً منه إلى كسرى من رأيه وما جاء منه حتّى

١. الإنجام: تعيين مواقيت تأدية الدّين. والنجم: الوقت المضروب، أو القسط من الدّين (مو).

٢. يهيج: يبس ويصفر.

٣. الدوى جمع الدواة: المحبرة.

قتلوه.

وقال الناس:

«نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمنا من خراج.»

وإن كسرى اختار رجالاً من أهل الرأي والنصيحة. فأمرهم بالنظر في أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدد النخل والزيتون ورؤوس الجزية، ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح الرعية ورفاغة^(١) معاشهم، ورفع ذلك إليه.

فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه في ذلك وفي قدر الوضائع، وأداروا الأمر بينهم، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهاائم وهو:

الحنطة، والشعير، والأرز، والكرم، والرطاب^(٢)، والنخل، والزيتون. وكان الذي وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً، وعلى كل جريب كرم ثمانية دراهم، وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم، وعلى كل [186] أربع نخلات فارسية درهماً، وعلى كل ست نخلات دقل^(٣) مثل ذلك، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك. ولم يضعوا إلا على كل نخل في حديقة، أو مجتمع غير شاذ^(٤)، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع.

١. مط: رفاهة. في الطبري: رفاغة. نقطة الغين مضموسة في الأصل. الرفاغة: لين العيش وسعتها وبهذا المعنى ثلاثم ما في مط (رفاهة).

٢. الرطاب: جمع رطوبة (رطب). ما نضج من البسر قبل أن يصير تمراً. كل ما يؤكل من النبات غصناً طرياً.

٣. الدقل: أردأ التمر.

٤. الشاذ: المنفرد الخارج عن الجماعة.

فقوى الناس فى معاشهم، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات،
والعظماء، والمقاتلة، والهرابذة، والكتّاب، ومن كان فى خدمة الملك. وصيّروها
على طبقات:

إثنى عشر درهماً، وثمانية، وستة، وأربعة، على قدر إكثار الرجل وإقلاله. ولم
يلزموا الجزية من كان أتى له من السنين دون العشرين، أو فوق الخمسين.

عمر يقتدى بوضائع كسرى

ورفعوا هذه الوضائع إلى كسرى. فرضيها، وأمر بإمضائها، والإجتباء عليها فى
ثلاثة أنجم كلّ سنة، وسمّاها «أبراسيار»^(١) - وتأويله: الأمر المتراضى به - وهى
الوضائع التى اقتدى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بها حين افتتح بلاد
الفرس، وأمر باجتباء الناس من أهل الذمة عليها. إلا أنه وضع على كلّ جريب^(٢)
غامر^(٣) على قدر احتماله مثل الذى وضع على الأرض المزروعة، [187] وزاد
على كلّ جريب أرض - مزارع حنطة أو شعير - قفيزاً من حنطة إلى القفيزين،
ورزق منه الجند. ولم يخالف بالعراق خاصّة وضائع كسرى على جريان الأرض
وعلى النخل والزيتون والجماجم، وألغى ما كان كسرى ألغاه فى معاش الناس.

مركز تحقيق كتاب توير علوم كسرى

١. أبراسيار: مهملّة فى الأصل ومط. والإعجام من الطبرى. فى هامش الطبرى: ابن ايسار، ابرسيار (٢):
٩٦٢. أبراسيار تحريف للكلمة الفارسية «همداستانى» [أى: اتفاق النظر والتصميم]، ويؤيد ذلك أن
الكلمة وردت فى ترجمة البلعمى (ص ٢٥٠) بمعنى التراضى والإصلاح الضرائبى من قبل أنوشروان.
أنظر الدكتور محمدى: «نظرة فى المرجع»، الدراسات الأدبية، السنة الخامسة، العدد الثانى، ص ١١٢،
الحاشية ٢.

٢. الجريب: معرب «جرى» = عشرة آلاف ذراع (حب).

٣. أعجمنا العين كما فى الطبرى: غامر. والغامر خلاف العامر. الأرض الخراب.

ذكر قطعة من سيرة أنوشروان وسياساته
 كتبتها على ما حكاه أنوشروان نفسه في كتاب^(١) عمله في سيرته
 وما ساس به مملكته
 وقرأت فيما كتب أنوشروان من سيرة نفسه قال:

رجل اخترط السيف وأراد الوثوب علينا

«كنت يوماً جالساً بالدسكرة»^(٢) وأنا سائر إلى همذان لتصيف هناك
 وقد أعدّ طعام للرسل الذين بالباب من قبل خاقان، والهياطلة،
 والصين، وقيصر، وبغبور، إذ دخل رجل من الأساورة مخترباً سيفه
 حتى وصل إلى الستر»^(٣). فقطع الستر في ثلاثة أماكن، وأراد
 الدخول حيث نحن، والوثوب علينا. فأشار على بعض خدمني أن
 أخرج إليه بسيفي. فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد، فسوف
 يحال بيننا وبينه، وإن كانوا جماعة فإن سيفي لا يغني شيئاً، فلم
 أخف ولم أتحرّك من مكاني. فأخذ بعض الحرس، فإذا هو رجل
 رازي من حشمتنا وخاصتنا [188] فلم يشكّوا أن من هو على رأيه
 كثير، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر الشرب في جماعة حتى
 أستبين الأمر. فلم أجبه إلى ذلك لئلا يرى الرسل مني جبناً،

١. هو نفس ما ذكره ابن النديم باسم: «كتاب التاج في سيرة أنوشروان» أو: «الكارنامج في سيرة أنوشروان» نقله ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية (الفهرست: ١١٨، ٣٠٥؛ مت: ٤٣).

٢. الدسكرة = دستگرد = Dastgard = دستگرد خسرويه، دسكرة الملك: على طريق طيسفون - همذان (حب) على ١٠٧ كم. من الشمال الشرقي لطيستون (C.I.S، مت: ٥٣).

٣. الستر: ما كان يسدل بين الملك والندامي (التاج: ٤٨).

فخرجت لشربي، فلما فرغنا هددت الرازي بقطع اليمين والعقوبات، وسألت أن يصدقني عن الذي حملة على ذلك، وأنه إن صدقني لم تنله عقوبة بعد ذلك. فذكر أن قوماً وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً، وذكروا أنه من عند الله، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أن قتله - إن قتلني - يدخله الجنة. فلما فحصت عن ذلك وجدته حقاً، فأمرت بتخلية الرازي وبرء ما أخذ منه من المال، وتقدمت بضرب رقاب أولئك الذين انتحلوا الدين، وأشاروا به عليه حتى لم أَدع منهم أحداً.»

وقال أنو شروان:

استحلال قتلى

«إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا^(١) في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه، بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار [دينهم]^(٢) الخبيث، حتى إني سألت أفضلهم رجلاً، على رؤوس الناس، عن استحلاله [189] قتلى فقال:

«نعم! أستحل قتل من لا يطاوعنا على ديننا.»

«فلم آمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغذاء، أمرت أن يحتبس للغداء، وأرسلت إليه بظرف من الطعام، وأمرت الرسول أن يبلغه عني: أن بقائي أنفع له مما ذكر. فأجاب رسولي: - «أن ذلك حق، ولكن سألني الملك أن أصدقه ذات نفسي ولا أكتمه

١. اختلفوا في الدين: سقطت من مط.

٢. دينهم من مط، والأصل غير واضح.

شيئاً مما أدين به، وإنما أدين بما أخذته من مؤدبي^(١)». وقال أنوشروان:

تصدقت على مساكين الروم

«لَمَّا غَدَرَ بِي قَيْصَرُ وَغَزَوْتَهُ فَذَلَّ وَطَلَبَ الصِّلَحَ وَأَنْفَذَ إِلَيَّ بِمَالٍ وَأَقَرَّ بِالْخَرَجِ وَالْفِدْيَةِ، تَصَدَّقْتُ^(٢) عَلَى مَسَاكِينِ الرُّومِ وَضَعَفَاءِ مَزَارِعِيهَا مِمَّا بَعَثَ إِلَيَّ قَيْصَرُ بَعْشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَذَلِكَ فِي مَا وَطَّئْتُهُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ دُونَ غَيْرِهَا». وقال:

تخفيف الخراج لعمارة الأراضي

«لَمَّا هَمَمْتُ بِتَصَفِّحِ أَمْرِ الرِّعْيَةِ بِنَفْسِي، وَرَفَعِ الْبَلَاءِ وَالظُّلْمِ عَنْهُمْ، وَمَا يَنْوِبُهُمْ مِنْ ثَقَلِ الْخَرَجِ - فَإِنَّ فِيهِ مَعَ الْأَجْرِ تَزْيِينَ الْمَمْلَكَةِ، وَغَنَاهُمْ، وَقُدْرَةَ الْوَالِي عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُمْ، إِنْ هُوَ احْتِاجُ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ فِي آبَائِنَا مَنْ يَرَى أَنَّ وَضْعَ الْخَرَجِ [190] عَنْهُمْ لِلْسَّنَةِ وَالسَّنَتَيْنِ وَالتَّخْفِيفِ أحياناً، مِمَّا يَقْوِيهِمْ عَلَى عِمَارَةِ أَرْضِيهِمْ - فَجَمَعْتُ الْعَمَالَ وَمَنْ يُؤَدِّي الْخَرَجَ، فَرَأَيْتُ مِنْ تَخْلِيطِهِمْ مَا لَمْ أَرْ لَهُ حِيلَةَ إِلَّا التَّعْدِيلَ وَالْمِقَاطَعَةَ عَلَى بَلَدَةِ بَلَدَةٍ، وَكُورَةِ كُورَةٍ، وَرَسْتَاقِ رَسْتَاقٍ، وَقَرْيَةٍ قَرْيَةٍ، وَرَجُلٍ رَجُلٍ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ فِي نَفْسِي، وَجَعَلْتُ فِي كُلِّ بَلَدٍ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ أَمْنَاءَ يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ، وَوَلَّيْتُ قَاضِيَ كُلِّ كُورَةٍ النَّظَرَ فِي أَهْلِ كُورَتِهِ،

١. مؤدبي: الباء ليست واضحة في الأصل. مط: مودى. وهو من الايداء بمعنى المحسن والمنعم.

٢. في الأصل: «صدقت» وما أثبتناه من مط.

وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون إلى رفعه إلينا، إلى القاضي الذي وليته أمر كورهم، حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئاً، وأن يؤدّوا الخراج بمشهد من القاضي، وأن يُعطى به البراءة^(١)، وأن يرفع خراج من هلك منهم، ولا يراد الخراج ممن لم يدرك^(٢) من الأحداث، وأن يرفع القاضي وكاتب الكورة وأمين أهل البلد والعامل، محاسبتهم إلى ديواننا، وفرّقت الكتب بذلك.»
وقال:

ما رفع إلينا موبدان موبذ

«رفع إلينا موبدان موبذ: أن قوماً سحّاهم من ذوى الشرف - بعضهم بالباب كان شاهداً^(٣) [191] وبعضهم ببلاد آخر - دينهم مخالف لما ورثنا عن تبتينا وعلماننا، وأنهم يتكلمون بدينهم سرّاً ويدعون إليه الناس، وأن ذلك مفسدة للملك، حيث لا تقوم الرعيّة على هوى واحد: فيحرّمون جميعهم ما يحرم الملك ويستحلّون ما يستحلّ الملك في دينه، فإنّ ذلك إذا اجتمع للملك، قوى جنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فاستظهر على قتال الأعداء. فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء [ثمّ أمرت]^(٤) أن يخاصموا^(٥) حتّى يقفوا على الحقّ ويقرّروا^(٦) به، وأمرت أن يقصّوا عن مدينتى وعن بلادى ومملكتي، ويتتبع كلّ من هو على هواهم،

١. الهمزة في «البراءة» من مط. وفي الأصل: البراءة.

٢. أدرك النصبى: أدرك الخلم. ٣. مط: محاضراً.

٤. ما بين [] لم يكن لا فى الأصل ولا فى مط، فزدناه بوحى السياق.

٥. خاصمه: جادله، ونازعه. ٦. تقرير الانسان بالشئ: جعله فى قراره.

فيفعل به ذلك.»

وقال:

ما سألته الترك ومسيرنا إلى باب صول

«إنَّ الترك الذين في ناحية الشمال، كتبوا إلينا بما قد أصابهم من الحاجة، وأنهم لا يجدون بُدًّا - إن لم نعطيهم شيئاً - من أن يغزونا، وسألوا خصالاً، أحدها: أن نتخذهم في جندنا ونجرى عليهم ما يعيشون به، وأن نعطيهم من أرض الكنج^(١) وبلنجر^(٢) وتلك الناحية، ما يتعيشون منه. فرأيت أن أسير في ذلك الطريق إلى باب صول^(٣)، [192] وأحببت أن تعرف الملوك من قبلنا هناك نشاطنا للأسفار وقوتنا عليها متى هممنا، وأن يروا ما رأوا من هيبة^(٤) الملوك، وكثرة الجنود، وتمام العدة، وكمال السلاح ما يقوون به على أعدائهم ويعرفون به قوّة من خلفهم إن هم احتاجوا إليه، وأحببنا - بمسيرنا - أن يجرى لهم على أيدينا الجوائز والحملان^(٥) والقرب من المجلس واللفظ في الكلام، ليزيدهم ذلك مودة لنا، ورغبة فينا، وحرصاً على قتال أعدائنا. وأحببت أيضاً التعهّد لحصونهم، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا، فسرت في طريق همذان وأذربيجان. فلما بلغت باب الصول ومدينة فيروز

١. الكنج: معرّب «گنج»؛ مدينة عظيمة هي قصبة بلاد أَران، وأهل الأدب يسمونها: جنزة (مع).

٢. بلنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف الباب والأبواب (مع).

٣. صول: مدينة في بلاد الخزر في الباب والأبواب (مع).

٤. في الأصل: هيئة. وهو تصحيف.

٥. الحملان: ما يُحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

خُسْرُو^(١)، رَمَّمت تلك المدائن العتيقة والحدود، وأمرت ببناء حصون آخر.

«فلَمَّا بلغ خاقان الخزر نزولنا هناك، تخوَّف أن نغزوه. فكتب: أنه لم يزل - منذ ملكْتُ - يحبُّ موادعتي، وأنه يرى الدخول في طاعتي سعادة، ورأى بعض قَوَّاده لما شاهد حاله تركه، فأَتانا في [193] ألفين من أصحابه، فقبلناه، وأنزلناه مع أساورتنا في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بحصن هناك، وأمرت بمصلِّي لأهل ديننا، وجعلت فيه موبداً وقوماً نساكاً، وأمرتهم أن يعلموا من دخل في طاعتنا من الترك، ما في طاعة الولاة من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الأخرى، وأن يحثَّوهم على المودة والصحة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يعلموا أحداثهم رأينا ومذهبنا. وأقمت لهم في تلك التخوم^(٢) الأسواق وأصلحت طرقهم، وقومت السكك، ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال، فإذا بحيث لو كان في وسط فارس، لكان منزلنا بها فاضلاً.»

قال:

مركز تحقيق كتاب فيروز علوم اسلامی

تجديد النظر في أمر المملكة

«ولَمَّا أتى لملكنا ثمان وعشرون سنة جدَّدت^(٣) النظر في أمر

١. كذا في الأصل ومط. وفيروز خسرو: مدينة بالقرب من باب الأبواب باسم فيروز قباد. بنى هناك أنوشروان قصرًا وسماه باب فيروز قباد (يا). وبعد أن بنى هناك كسرى قصرًا وعمرها سميت باسمه: فيروز خسرو، ثم غلب عليه الاسم الأول: فيروز قباد (مت: ٦٤).

٢. مط: النجوم. ٣. في الأصل: حدَّدت. ونقطة الجيم من مط.

المملكة والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم وإحصاء مظالمهم وإنصافهم، وأمرت موبذ كل [ثغر] ^(١) ومدينة وبلد وجند ^(٢) بإنهاء ذلك إلى، وأمرت بعرض الجند من كان منهم بالباب، [194] بمشهد منى، ومن غاب في الثغور والأطراف، بمشهد القائد وباذوسبان ^(٣) والقاضي وأمين من قبلنا، وأمرت بجمع أهل كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مصرها، مع القائد وقاضي البلد والكاتب والأمين، وسرحت من قبلي من عرفت صحته وأمانته ونسكه وعلمه، ومن جرّبت ذلك منه إلى كل مصر ومدينة، حيث أولئك [الغلمان و] ^(٤) العمال وأهل الأرض، ليجمعوا بينهم وبين أهل أرضهم وبين وضيعهم وشريفهم، وأن يرفع الأمر كله على حقه وصدقه: [فما] ^(٥) نفذ فيه لهم أمر - لو صح فيه القضاء ورضى به أهله - فرغوا منه هنالك، وما أشكل عليهم رفعوه ^(٦) إلى. وبلغ

١. الكلمة غير واضحة في الأصل فأثبتناها حسب مط.

٢. جند: معرب «گند» سمي المسلمون كل صقع جنداً، بجند عيّنوا له يقبضون أعطياتهم فيه منه. فكانوا يقولون: هؤلاء جند كذا، حتى غلب عليهم وعلى الناحية (يا) والجند معرب Gond: إحدى وحدات الجيش الساساني. ورئيسها «گند سالار»، وسليها «درفش» Drafsh، ثم «وشت» Vashht بالواو الفارسية (مت: ٦٦ P. 205 C.I.S.).

٣. باذوسبان، بادوسبان، بادگسبان Padgospan: درجة من درجات أصحاب المناصب. وقد كان هذا اللقب يختلف ارتفاعاً وانخفاضاً حسب العصور المختلفة. ففي بعضها، كان البادوسبان معاوناً لحاكم القضاء، وكان تابعاً للإصفهيد، وفي بعضها الآخر، كانت للببادوسبان صلاحية المرزبان. وكان كل ناحية من نواحي الشمال والجنوب والشرق والغرب تسمى في بعض العصور بادگش (C.I.S., P. 46) Padgosh، ودام هذا الترتيب إلى أوائل حكم أنوشروان، إلا أن أنوشروان استبدل البادوسبانيين الأربعة، بأربعة إصفهيين (مت: ٦٧).
٤. ما بين [] تكملة من مط.

٥. ما في الأصل ومط: «فيما» وهو خطأ نظراً لسياق العبارة.

٦. ما في الأصل ومط: «ورفعوه» بالواو، فرأيناها زائدة مقحمة فحذفناها بوحى من السياق.

اهتمامى بتفقد ذلك ما لولا الذى أدارى من الأعداء والشغور،
لبشرت أمر الخراج والرعيّة بنفسى قرية قرية، حتى أتعتها وأكلم
رجلاً رجلاً من أهل مملكتى، غير أنى تخوّفت أن يضيع بذلك
السبب أمر هو أعظم منه، والأمر الذى لا يغنى فيه غنائى [195] ولا
يقدر على إحكامه غيرى، ولا يكفينيه كاف، مع الذى فى
الشخوص إلى قرية قرية، ومن المؤونة على الرعيّة من جندنا، ومن
لا نجد بُدّاً من إشخاصه معنا. وكرهنا أيضاً إشخاصهم إلينا، مع
تخوّفنا أن يشغل أهل الخراج عن عمارة أرضيهم، أو يكون فيهم من
يدخل عليه فى ذلك مؤونة فى تكلف السير إلى بابنا، وقد ضيّع قراه
وأنهاره وما لا يجد بُدّاً من تعهده فى السنة كلّها فى أوقات العمارة.
ففعّلنا ذلك بهم، ووكلنا موبدان موبذ وكتبنا به الكتب وسرّحنا من
وثقنا به ورجونا أن يجرى مجرانا، وشخصنا وقلدناه ذلك.»
قال:

جلوسنا مع أهل الكور للفحص عن الرعيّة وأمناء الخراج
«ولمّا آمن الله جميع أهل مملكتنا من الأعداء. فلم يبق منهم إلّا
نحو من ألفى رجل من الديلم الذين عسر افتتاح حصنهم لصعوبة
الجبّال عليها؛ لم نجد شيئاً أنفع لمملكتنا من أن نفحص من الرعيّة
وأولئك الأمناء الذين وصّيناهم بإنصاف أهل الخراج، وكان بلغنا أن
أولئك الأمناء لم يبالغوا على قدر رأينا فى ذلك، فأمرت بالكتب
[196] إلى قاضى كورة كورة: أن يجمع أهل الكورة بغير علم
عاملهم وأولى أمرهم، فيسألهم عن مظالمهم وما استخرج منهم،
وفحص عن ذلك بمجهود رأيه، ويبالغ فيه، ويكتب حال رجل

رجل منهم، ويختتم عليه بخاتمه وخاتم الرضا من أهل تلك الكورة، ويبعث به إلى، ويسرح ممن يجتمع رأى أهل الكورة عليه بالرضا نفراً، وإن أحبوا أن يكون فى من يشخص، بعض سفلتهم أيضاً؛ فُعل ذلك.

«فلما حضروا جلست للناس وأذنت بمشهد من عظماء أرضنا وملوكهم، وقضاتهم وأحرارهم وأشرافهم، ونظرت فى تلك الكتب والمظالم. فأية مظلمة كانت من العمال ومن وكلائنا، أو من وكلاء وكلائنا، ونسائنا، وأهل بيتنا، حططنا عنهم بغير بيّنة، لعلمنا بضعف أهل الخراج عنهم وظلم أهل القوة من السلطان لهم، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض ووضحت لنا، أمرت بإنصافهم قبل البراح^(١)، وما أشكل، أو وجب الفحص عنه، بشهود البلد [197] وقاضيه، سرحت معه أميناً من الكتاب، وأميناً من فقهاء ديننا، وأميناً ممن وثقنا به من خدمنا وحاشيتنا، فأحكمنا ذلك إحكاماً وثيقاً، ولم يجعل الله لذوى قرابتنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل، فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيعوا بعزة وقوة. فإذا أهمل السلطان أمرهم هلك من حاوروه^(٢) إلا أن تكون فيهم متأدب بأدب ملكه، محافظ على دينه، شفيق على رعيته، وأولئك قليل. فدعانا الذى أطلعنا عليه من ظلم أولئك، إلى أن لا نطلب البيّنة عليهم فى ما ادّعى قبلهم، ولم تُرد ظلم أحد ممن كان عزيزاً بنا، ومنيعاً بمكانه ومنزلته عندنا، فإن الحق واسع للضعفاء والأقوياء، والفقراء والأغنياء، ولكننا لما أشكلت الأمور فى

١. برح المكان براحاً: زال عنه وغادره.

٢. فى مط: حاوروه. حاوروه: جادلوه.

ذلك علينا، كان الحمل على خواصنا وخدمنا، أحب إلينا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم وأهل الفاقة والحاجة منهم. وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدرّون على ظلم من حولنا [198] وعلمنا مع ذلك أن [الذين] ^(١) أعدينا ^(٢) عليهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا وكرامتنا إلى ما لا يرجع إليه أولئك الضعفاء. ولعمري، إن أحب خواصنا إلينا، وأبرّ خدمنا في أنفسنا، الذين يحفظون سيرتنا في الرعيّة، ويرحمون أهل الفاقة والمسكنة، وينصفونهم، فإنه قد ظلمنا من ظلمهم، وجار علينا من جار عليهم، وأراد تعطيل دُمّتنا التي هي حرزهم وملجأهم.»

قال:

ما كتبه إلينا أربعة أصناف من ترك الخزر

«ثم كتب إلينا على رأس سبع وثلاثين سنة من مُلكنا أربعة أصناف من الترك من ناحية الخزر، ولكلّ صنف منهم ملك، يذكرون ما دخل عليهم من الحاجة، وما لهم من الحظّ في عبودتنا، وسألوا أن نأذن لهم في القدوم بأصحابهم لخدمتنا والعمل بما نأمرهم به، ولا نحقد عليهم ما سلف منهم قبل مُلكنا، وأن نُنزلهم منزلة سائر عبيدنا، فإننا سنرى في كلّ ما نأمرهم به من قتال وغيره، كأفضل ما نرى من أهل نصيحتنا.

«فرايت في قبولي إيّاهم عدّة منافع، منها: [199] جلدتهم وبأسهم، ومنها: أتى تخوّفت أن تحملهم الحاجة على إتيان قيصر أو

١. في الأصل ومط: الذي.

٢. أعدينا عليهم: ظلمناهم.

بعض الملوك فيقولوا بهم علينا. وقد كان في ما سلف يستأجر قيصر منهم لقتال ملوك ناحيتنا بأعلى الأجرة، فكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة بسبب أولئك الأتراك، ولأنّ الترك ليس عندهم لذة الحياة، فهو الذي^(١) يجزيهم مع شقاء معيشتهم على الموت.

فكتبْتُ إليهم: أنا نقبل من دخل في طاعتنا ولا نبخل على أحد بما عندنا. وكتبْتُ إلى مرزبان الباب أمره أن يدخلهم أولاً فأولاً. «فكتب إليّ أنّه: قد أتاه منهم خمسون ألفاً بنسائهم وأولادهم وعيالاتهم، وأتاه من رؤسائهم ثلاثة آلاف بأهل بيته ونسائهم وأولادهم وعيالاتهم.

«ولمّا بلغني ذلك أحببت أن أقرّبهم إليّ، ليعرفوا إحساني إليهم في ما أكرمهم به وأعطيتهم، وليطمئنوا إلى قوّادنا حتّى إذا أردنا تسريحهم مع بعض قوّادنا، كان كلّ واحد بصاحبه واثقاً. فشخصت إلى آذربيجان. فلما نزلت آذربيجان أذنت لهم في القدوم، وأتاني عند [200] ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان الأكبر ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور^(٢)، وكابلشاه، وصاحب سرّنديب^(٣)، وصاحب كلّه^(٤)، وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكاً في يوم واحد، وانتهيت إلى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين الألف، فأمرت أن يصقّفوا هناك، وركبت

١. فهو الذي: كذا في الأصل ومط.

٢. الداور: ولاية واسعة مجاورة لولاية رُخج وبست والغور، وهي ثغر الغور من ناحية سجستان. ومدينة الداورتل وغور، وهما على نهر الهندمند (مع).

٣. سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هر كند بأقصى بلاد الهند. (مع).

٤. كلّه: قرصة بالهند، وهي منتصف الطريق بين عمان والصين في وسط خطّ الاستواء (مع) من جزر الخليج الثاني من بحر الهند (لد).

لذلك، فكان يومئذ من أصحابي، ومن قدم عليّ، ومن دخل في طاعتي وعبودتي، من لم يسعهم مرج كان طوله نحو عشرة فراسخ. فحمدت الله كثيراً، وأمرت أن يصنّف أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب ورأست عليهم منهم، وأقسطعتهم، وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي بـبرجان، وبعضهم مع قائد لي باللّان^(١)، وبعضهم بأذربيجان، وقسمتهم في كلّ ما احتجنا إليه من الثغور، وضممتهم إلى المرزبان. فلم أزل أرى من مناصحتهم واجتهادهم في ما نوجههم له، ما [201] يسرّنا في جميع المدائن والثغور وغيرها.»

خاقان الأكبر يعتذر إلى ويسأل التجاوز

«وكتب إلى خاقان الأكبر يعتذر إلى من بعض غدراته، ويسأل المراجعة والتجاوز، وذكر في كتابه ورسالته: إنّ الذي حمّله على عداوتي وغزو أرضي من لم ينظر له، وناشدني الله أن أتجاوز عنه، ويوثّق لي بما أطمئن إليه، وذكر أن قيصر قد أرسل إليه، وزعم أنّه يستأذني في قبول رسله، وأنّه لا يعمل في قبول رسل أحد إلّا بما أمرته، ولا يجاوز أمرى، ولا يرغب في الأموال ولا في المودّات لأحد إلّا برضاي. وكان دسيس لي في الترك كاتبني بندم خاقان وندم أصحابه على غدره وعداوته إيّاي.

«فأجبتّه: إنّني لعمرى لا أبالي أبطيعة نفسك وغريزتك غدرت

١. اللّان (= أران، أران): بلاد واسعة منها كنج، بينها وبين أذربيجان نهر الرس [= أرس] (مع).

بنا، أم أطعت غيرك في غدرك بنا، وما ذنبك في طاعة من أطعت في ذلك إلا كذنبك في ما فعلته برأى نفسك، وإنك قد استحققت أشد العقوبة. - وكتبت^(١) : - إني لا أظن شيئاً مما وجب بيني وبينكم إلا وقد كنت صنعت، ولا أظن شيئاً من الوثيقة بقي لكم إلا وقد وثقت [202] لنا^(٢) به قبل اليوم ثم غدرتم، فكيف نطمئن إليك ونثق بقولك، ولسنا نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر ونقض العهد والكذب في اليمين؟ وذكرت أن رُسل قيصر عندك، ووقفنا على استيذانك إيانا فيهم، وإني لست أنهاك عن مودة أحد. وكرهت أن يرى أنني أتخوَّف مصادقته وأهاب ذلك منه، وأحببت أن أعلمه أنني لا أبالي بشيء مما يجري بينهما،

« ثم سرحت لمرمة المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطعمة والأعلاف إليها ما يحتاج إليه الجند، وأمرتهم أن يكونوا على استعداد وحذر، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح. »
قال:

مركز تحقيق كتاب توير علو المقاتلة وأهل العماره سواء

« وكان شكرى لله تعالى لما وهب لى وأعطاني متصلاً بنعمه الأول^(٣) التي وهبها لى في أول خلقه إياي، فإثما الشكر والنعم عدلان ككفتي الميزان، أيهما رجع بصاحبه احتاج^(٤) الأخف إلى

١. الكلمة مطموسة في الأصل قرأناها بقرينة ما في مط.

٢. لنا به: في الأصل غموض وما في مط: لما به.

٣. مط: الأولى.

٤. احتاج.. صاحبه: سقطت من مط.

أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه. فإذا كانت النعم كثيرة والشكر [203] قليلاً، انقطع الحمل وهلك ظهر الحامل، وإذا كان ذلك مستوياً استمر^(١) الحامل. فكثير النعم يحتاج^(٢) صاحبها إلى كثير الشكر، وكثير الشكر يجلب كثير النعم. ولما وجدت الشكر بعضه بالقول، وبعضه بالعمل؛ نظرت في أحب الأعمال إليه، فوجدته الشيء الذي به أقام السماوات والأرض، وأرسي به الجبال، وأجرى به الأنهار، وبرأ به البرية، وذلك الحق والعدل فلزمته، ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها معاش الناس والدواب والطيور وسكان الأرض.

«ولما نظرت في ذلك، وجدت المقاتلة أجراً لأهل العمارة، ووجدت أيضاً أهل العمارة أجراً للمقاتلة. وأما المقاتلة فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم، ومجاهدتهم من ورائهم. فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم. فإن عمارتهم تتم بهم، وإن أبطأوا عليهم بذلك أوهنوهم، فقوى عدوهم. فرأيت من الحق [204] على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معاشهم، وعمرؤا به بلدانهم. ورأيت أن لا اجتاحتهم واستفروغ ذات أيديهم للخزائن^(٣) والمقاتلة، فإنني إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج، وذلك أنه إذا فسد العامر فسد المعمور، وذاك أهل الأرض والأرض، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم، هلكت المقاتلة الذين

١. الكلمة غير واضحة في الأصل وخاصة في الحرف الأخير منها بحيث يمكن أن تقرأها «استمر» لولا

٢. يحتاج... كثير الشكر: سقطت من مط.

قرينة ما في مط: «استمر».

٣. مط: للخزان.

قوتهم بعمارة الأرض وأهل العمارة. فلا عمارة للأرض إلا بفضل ما في يد أهل الخراج، فمن الإحسان إلى المقاتلة، والإكرام لهم أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم وأدع لهم فضلاً في معاشهم. فأهل الأرض وذوو الخراج أيدي المقاتلة والجند، وقوتهم، والمقاتلة أيضاً أيدي أهل الخراج وقوتهم.

«ولقد فكرت وميزت ذلك جهدي وطاقتي، فما رأيت أن أفضل هؤلاء على أولئك ولا أولئك على هؤلاء، إذ وجدتهما كاليدين المتعاونتين^(١)، وكالرجلين المترافدين. ولعمري ما أعفى أهل [205] الخراج من الظلم من أضر بالمقاتلة، ولا كف الظلم عن المقاتلة من تعدى على أهل الخراج، ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على الخراج والبلاد إبقاء الرجل ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته. ولولا جهال أهل الخراج لكفوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إيثاراً للمقاتلة على أنفسهم.»

قال:

أقبلنا بعد ذلك على السير والسنن

«ولما فرغنا^(٢) من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة، وكان ذلك ثمرة العدل والحق الذي به دبر الله العظيم خلائقه، وشكرت الله على نعمه في أداء حقه على مواهبه، وأحكمنا أمور المقاتلة وأهل الخراج ببسط العدل؛ أقبلنا بعد ذلك على السير والسنن. ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم نفعاً لنا والأكبر

١. في الأصل ومط: المتعاونين، المترافدين. فأتيناها.

٢. مط: ما عرفنا.

فالأكبر عائدة على جندنا ورعيّتنا. ونظرنا في سير آبائنا من لدن
بُشتاسف، إلى مُلك قباذ أقرب آبائنا منّا، ثم لم نترك صلاحاً في
شيء إلا أخذناه، ولا فساداً إلا عرضنا عنه، [206] ولم يدعنا إلى
قبول ما لا خير فيه من السنن حبّ الآباء، ولكنّا آثرنا حبّ الله
وشكره وطاعته.

«ولمّا فرغنا من النظر في سير آبائنا - وبدأنا بهم وكانوا أحقّ
بذلك، فلم ندع حقّاً إلا أكثرناه، ووجدنا الحقّ أقرب القرابة - نظرنا
في سير أهل الروم والهند، فاصطفينا محمودها، وجعلنا عيار ذلك
عقولنا، وميّزناه بأحلامنا^(١)، فأخذنا من جميع ذلك ما زَيْن
سلطاننا، وجعلناه سنّة وعادة، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل إليه
أهواؤنا، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به، وكتبنا إليهم بما كرهنا لهم
من السير ونهيناهم عنه، وتقدمنا إليهم فيه، غير أنّا لم نُكره أحداً
على غير دينه وملّته ولم نحسدهم ما قبلنا، ولا مع ذلك أنفنا من
تعلّم ما عندهم، فإنّ الإقرار بمعرفة الحق والعلم، والإتباع له، من
أعظم ما تزَيّنت به الملوك، ومن أعظم المضرة على الملوك الأنفة
من التعلّم، والحميّة من طلب العلم، ولا يكون عالماً من لا يتعلّم.
[207] كتاب توير علوم رسي

«ولمّا استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير
والسياسة، وصلت^(٢) بين مكارم أسلافى، وما أحدثته برأىى،
وأخذت به نفسى، وقبلته عن الملوك الذين لم يكونوا منّا وثبتُّ
على الأمر الذى نلت به الظفر والخير. ورفضت سائر الأمم، لأنّى لم

١. جمع مفردة الجلم: العقل.

٢. فى الأصل ومط: «ووصلت» بواو العطف. فحذفنا الواو لوجود «لما» فى بداية الجملة.

أجد عندهم رأياً ولا عقولاً، ولا أحلاماً، ووجدتهم أصحاب بغى وحسد وقلب وحرص وشحّ وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة. وهذه أمور لا تصلح عليها ولاية، ولا تتمّ بها نعمة»^(١)



وقرأت مع هذه السيرة في آخر هذا الكتاب، الذى كتبه أنوشروان فى سيرة نفسه، أنّ أنوشروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها، جمع إليه الأساورة مع القوّاد والعظماء والمرازبة والنسّاك والموابذة وأماثل الناس معهم، فخطبهم فقال:

خطبة أنوشروان

«أيّها الناس! أحضرونى فهمكم، وأرعونى^(٢) أسماعكم، وناصحونى أنفسكم، [208] فأتى لم أزل واضعاً سيفى على عنقى - منذ وليت عليكم - غرضاً للسيوف والأسنة، كل ذلك للمدافعة عنكم والإبقاء عليكم، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى المشرق، وتارة فى آخر المغرب، وأخرى فى ناحية الجنوب، ومثلها فى جانب الشمال. ونقلت الذين اتهمتهم إلى غير بلادهم، ووضعت الوضائع فى بلدان الترك، وأقمت بيوت النيران بقسطنطينية، ولم أزل أصعد جبلاً شامخاً وأنزل عنه، وأطأ حزونه^(٣) بعد سهوله، وأصير على

١. قال ابن الأثير، بعد ذكر كلمات من أنوشروان فى الحكمة وإصلاح أمر الخراج: فانظر إلى هذا الكلام الذى يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس، ومن كان هذا حاله استحق أن يضرب به المثل فى العدل إلى أن تقوم الساعة (١: ٤٧٥).

٢. أراعونى: أراعى فلاناً سمعته: أصغى إليه واستمع لكلامه.

٣. الحزون: جمع الحزن: ما غلظ من الأرض.

المخمصة والمخافة، وأكابد البرد والحرّ، وأركب هول البحر وخطر
المفازة، إرادة هذا الأمر الذى قد أتمّه الله لكم من الإثخان فى
الأعداء، والتمكين فى البلاد، والسعة فى المعاش ودرك العزّ، وبلاغ
ما نلتهم. فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على الشرف الأعلى من
النعمة والفضل الأكبر من الكرامة والأمن، وقد هزم الله أعداءكم
وقتلهم. فهم بين مقتول هالك، وحيّ مطيع لكم سامع.

«وقد بقى لكم عدوّ عددهم^(١) قليل، وبأسهم شديد، وشوكتهم
[209] عظيمة، وهؤلاء الذين بقوا، أخوف عندي عليكم، وأحرى أن
يهزموكم ويغلبوكم، من الذين غلبتموهم من أعدائكم أصحاب
السيوف والرماح والخيول. فإن أنتم - أيها الناس - غلبتم عدوكم
هذا^(٢) الثانى غلبتكم لعدوكم الذين قاتلتهم وحاصرتهم، فقد تمّ الظفر
والنصر، وتمت فيكم القوة وتمّ لكم العزّ، وتمت عليكم النعمة، وتمّ
لكم الفضل، وتمّ لكم الاجتماع والألفة والنصيحة والسلامة. وإن
كنتم قصرتهم ووهنتهم، وظفر هذا العدو بكم، فإنّ الظفر الذى كان
منكم على عدوكم بالمغرب والمشرق وفى الجنوب والشمال، لم
يكن ظفراً منكم. فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقي مثل الذى
قتلتهم من ذلك العدو الماضى، وليكن جدّكم فى هذا واجتهادكم
واحتشادكم أكبر وأجلّ وأحزم وأعزم وأصحّ وأسدّ. فإنّ أحقّ
الأعداء بالاستعداد له أعظمهم مكيدة وأشدّهم شوكة، وليس الذى
كنتم تخافون من عدوكم الذى قاتلتهم، بقريب [210] من هؤلاء
الذين أمركم بقتالهم الآن. فاطلبوه، وصلوا ظفراً بظفر، ونصراً بنصر،

١. عدو عددهم: بضمير الجمع.

٢. مط: «هذا الآتى عليكم لعدوكم الذين قاتلتهم» بدل «هذا الثانى غلبتكم لعدوكم الذين قاتلتهم».

وقوة بقوة، وتأيداً بتأييد، وحزماً وعزماً بحزم وعزم، وجهاداً
بجهاد. فإن ذلك اجتماع صلاحكم، وتمام النعمة عليكم، والزيادة
فى الكرامة من الله لكم، والفوز برضوانه فى الآخرة.

«ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم، لم
يكونوا ليبلغوا منكم - إن ظهوروا عليكم وغلّبواكم - مثل الذى يبلغ
هذا العدو منكم، إن غلبكم وظهر عليكم، فإن بأس هذا العدو أشدّ،
وكيده أكبر، وأمره أخوف من ذلك العدو.

«يا أيها الناس، إني قد نصبت^(١) لكم كما رأيتم، ولقيت ما قد
علمتم بالسيف والرمح والمفاوز والبحار والسهولة^(٢) والجبال أقارع
عدوّاً عدوّاً، وأكالب جنداً جنداً، وأكابد ملكاً ملكاً، لم أتضرع إليكم
هذا التضرع فى قتال أولئك الجنود والملوك، ولم أسألكم هذه
المسألة فى طلب الجّد والاجتهاد والاحتفال [211] والإحتشاد^(٣)،
وإنما فعلت هذا اليوم لعظم خطره، وشدة شوكته ومخافة صولته
بكم، وإن أنا - أيها الناس - لم أغلب هذا العدو وأنفیه^(٤) عنكم، فقد
أبقيت فيكم أكبر الأعداء، ونفيت عنكم أضعفها. فأعينونى على نفي
هذا العدو المخوف عليكم، القريب الدار^(٥) منكم. فأنشدكم الله
- أيها الناس - لما أعنتمونى عليه حتى أنفيه عنكم وأخرجه من بين
أظهركم، فيتمّ بلائى عندكم، وبلاء الله فيكم عندى، وتتمّ النعمة على
وعليكم، والكرامة من الله لى ولكم، ويتمّ هذا العزّ^(٦) والنصر وهذا

١. نصب نصباً: أعينى وتعب.

٢. السهولة: جمع السهل.

٣. الكلمة غير واضحة فى الأصل وما أثبتناه من مط.

٤. الكلمة غير واضحة فى الأصل وما أثبتناه من مط.

٥. مط: القريب الدانى.

٦. كذا فى مط: العز، وفى الأصل غموض.

الشرف والتمكين، وهذا الثروة والمنزلة.

«يا أيها الناس! إننى تفكرت بعد فراغى من كتابى^(١) هذا وما وصفت من نعمة الله علينا فى الأمر الذى، لما غلب «دارا» الملوك والأمم، وقهرها واستولى على بلادها، ثم لما لم يحكم أمر هذا العدو، هلك [بسببه]^(٢) وهلك جنوده، بعد السلامة والظفر والنصر والغلبة. وذلك أنه لم يرض بالأمر الذى تم له به الملك، واشتد به له السلطان وقوى به على [212] الأعداء، وتمت عليه به النعمة، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها الكرامة، حتى احتيل له بوجوه النميعة: البغى، فدعا البغى، والحسد، فتقوى به وتمكن، ودعا الحسد بعض أهل الفقر لأهل الغنى، وأهل الخمول لأهل الشرف. ثم أتاهم الاسكندر على ذلك من تفرق الأهواء، واختلاف الأمور، وظهور البغضاء، وقوة العداوة فيما بينهم، والفساد منهم. ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على دمه، للذى شمل قلوب العامة من الشر والضعينة، وثبت فيها من العداوة والفرقة، فكفى الاسكندر مؤنة نفسه. وقد اتعظت بذلك اليوم فذكرته.

«يا أيها الناس! فلا أسمعن فى هذه النعمة تفرقاً ولا بغياً ولا حسداً ظاهراً ولا وشاية ولا سعاية، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا ومُلَكنا وأكرم عنه ولايتنا. وما نلت ما نلت - بنعمة ربنا وحمده - بشيء من هذه الأمور الخبيثة التى نفتها العلماء، وعافتها الحكماء، ولكنى نلت هذه الرتب [213] بالصحة والسلامة، والحب للرعية، والوفاء والعدل والإستقامة والتؤدة. وإنما تركنا أن نأخذ عن

١. أصبحت الخطبة كتاباً بعد تدوينه.

٢. تكملة اقتضاها السياق، فأضفناها.

هذه الأمم التي سمينها أعنى: من الترك والبربر والزنج والجبال وغيرهم مثل ما أخذنا عن الهند والروم، لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبتها عليهم. ولم تصلح أمة قط ولا ملكها على ظهور هذه الأخلاق فيها. وإن أول ما أنا ناف وتارك من هذه الأمور، هذه الأخلاق التي هي أعدى أعداءكم.

«أيها الناس! إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والإستصلاح، غنى لنا عما نطلب بهذه الأخلاق المردية المشؤومة. فاكفوني في ذلك أنفسكم فإن قهر هذه الأعداء أحب إلي وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم. فإنا أنا - يا أيها الناس - فقد طبت نفساً بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم، لا حاجة لي بما فيها، ولا بالذى على منها، فطيبوا أنفساً بالذى طبت [214] به نفساً منكم.

«يا أيها الناس! إني قد أحببت أن أنفي عنكم عدوكم الباطن والظاهر، فإنا الظاهر منهما، فإننا بحمد الله ونعمته، قد نفينا وأعانا الله عليه وخضد^(١) لنا شوكته، وأحسنتم فيه وأجملتم وآسيتم وأجهدتم. فأفعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو، واعملوا فيه كالذى عملتم في ذلك، واحفظوا عني ما أوصيكم به، فإني شفيق عليكم ناصح لكم.

«أيها الناس! من أحبب هذه الأمور فينا، فقد أفسد بلاءه عندنا بقتاله من كان يقاتلنا من أعدائنا، فإن هذه أكثر مضرّة وأشدّ شوكة وأعظم بليّة وأضر تبعه. اعلّموا أن خيركم - يا أيها الناس! - من

١. خضد الشيء: كسره من غير فصل، خضد الشجر: نزع الشوك عنه.

جمع إلى بلاءه السالف عندنا، المعونة لنا على نفسه في هذا الغابر.
واعلموا أن من غلبه هذا غلب عليه ذاك، ومن غلب هذا فقد قهر
ذاك. وذلك أن بالسلامة، والألفة، والمودة، والاجتماع، والتناصح
منكم يكون العز والقدرة [215] والسلطان، ومع التحاسد، والبغى،
والنميمة، والتشتت، يكون ذهاب العز وانقطاع القوة، وهلاك الدنيا
والآخرة. فعليكم بما أمرناكم به، واحذروا ما نهيناكم عنه، ولا قوة
إلا بالله. عليكم بمواساة أهل الفاقة وضيافة السائلة. وأكرموا جوار
من جاوركم، وأحسنوا صحبة من دخل من الأمم فيكم، فإنهم في
ذمتي. لا تجهوهم^(١) ولا تظلموهم، ولا تسلطوا عليهم، ولا
تخرجوهم، فإن الإحراج يدعو إلى المعصية، ولكن اصبروا لهم على
بعض الأذى، واحفظوا أمانتكم وعهدكم، واحفظوا ما عهدت إليكم
من هذه الأخلاق. فإننا لم نر سلطاناً قط ولا أمة هلكوا إلا بترك هذه
الأخلاق، ولا صلحوا إلا معها. وبالله ثقتنا في الأمور كلها.»

□ □ □

ثم هلك أنوشروان بعد ثمان^(٢) وأربعين سنة من ملكه، وملك أبنه:

هرمز بن أنوشروان

[216] وكانت أمه بنت خاقان الأكبر، وكان كثير الأدب، حسن النية في
الإحسان إلى الضعفاء والمساكين، إلا أنه كان يحمل على الأشراف، فعادوه
وأبغضوه، فعلم بذلك منهم، فكان في نفسه منهم مثل ما في أنفسهم منه.

٢. في الأصل ومط: ثمانية.

١. لا تجهوهم: لا تقابلوهم بما يكرهون.

من سيرته المرتضاة

وكان من سيرته المرتضاة: أنه تحرّى الخير والعدل على الرعيّة، وتشدّد على العظماء المستطيلين على الضعفاء، وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى الـ «ماه» ليصيف هناك، فأمر فنودى فى مسيره ذلك فى مواضع الحروث أن يتحامى، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضرّوا بأحد ووكل بتعهّد ما يجرى فى عسكره، ومعاقبة من تعدّى أمره، وتغريمه عوضاً لصاحب الحرث.

وكان ابنه كسرى فى عسكره، فعار^(١) مركب من مراكيه، ووقع فى محرثة من المحارث التى كانت على طريقه، فرتع فيها، وأفسد منها. فأخذ ذلك المركب، ورُفع إلى الرجل الذى وكله هرمز بمعاقبة من أفسد [217] هو أو دابّته شيئاً من المحارث وتغريمه، ولم يقدر الرجل على انفاذ أمر هرمز فى كسرى ابنه، ولا أحد من حشمه. فرفع ما رأى من إفساد ذلك المركب إلى هرمز، فأمره أن يجدع^(٢) أذنيه، ويبتّر ذنبه، ويغرم كسرى. فخرج الرجل لإنقاذ الأمر، فدسّ له كسرى رهطاً من العظماء ليسألوه التغيب^(٣) فى أمره، فلقوه وكلموه فى ذلك، فلم يجب إليه، فسألوه أن يؤخّر ما أمر به هرمز فى المركب حتى يكلموه. فأمر بالكفّ عنه، ففعل. فلقى أولئك الرهط هرمز، وأعلموه أن بذلك^(٤) [المركب]^(٥) الذى عار، زعارة، وأنه أخذ للوقت. وسألوه أن يأمر بالكفّ عن جدعه وتبتيّره لما فيه من سوء الطيرة. فلم يجبههم إلى ما سألوه، وأمر بالمركب، فجدع أذناه وبتّر ذنبه وغرم كسرى كما يغرم غيره فى هذا الحد، ثم ارتحل.

١. عار يعير عيراً: ذهب وجاء متردداً.

٢. جدعه: قطع أنفه أو طرفاً من أطرافه.

٣. غتب فلان فى الأمر: لم يبالغ فيه.

٤. مط: أن بتلك الدابة التى غارت غازة وأنه أخذ للوقت!

٥. فى الأصل: «الدابة» فاستبدلناها بـ «المركب» مراعاة لتذكير ما يرتبط به من موصول وضمير.

وأيضاً: ركب ذات يوم فى أوان إيناع الكرم إلى ساباط^(١) المدائن [218] وكان ممّره على بساتين وكروم. فاطّلع^(٢) بعض أساورته فى كرم، فرأى فيه حصراً فأصاب منها عناقيد، ودفعها إلى غلامه وقال:

«اذهب بها إلى المنزل، واطبخها بلحم، واتخذ منها مرقة، فإنها نافعة فى هذا

الإبان».

فأتاه حافظ ذلك الكرم، فلزمه وصرخ. فبلغ اشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم، أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة^(٣) محلّلة بذهب كانت عليه، عوضاً له من الحصرم الذى رزاه^(٤) من كرمه، واقتدى بها نفسه، ورأى أن قبض الحافظ إياها منه، وتخليته عنه، منّة منّ بها عليه^(٥).

فهذه كانت سيرة هرمز فى العدل والضيظ والهيبة، وكان مظفراً منصوراً لا يمدّ يده إلى شيء إلا وأتاه، وكان مع ذلك أديباً، داهياً، إلا عرقاً قد نزع^(٦) أخواله من الترك. فكان لذلك مقصياً للأشراف وأهل البيوتات والعلماء.

وقيل: إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمئة رجل، ولم يكن [له رأى]^(٧) إلا فى [تألف]^(٨) السفلة واستصلاحهم. وحبس خلقاً من العظماء، وحرط [219] مراتب خلق، وقصّر^(٩) بالأساورة، [ففسدت]^(١٠) عليه نيات جنده من الكبراء، [واتصل]^(١١) ذلك بما جناه على بهرام شوبين مما سنحكيه. فكان ذلك سبب

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

١. ساباط: قرية كانت قريبة من المدائن وهى - حسب معجم البلدان - ساباط كسرى، بناها الملك بلاش

(= ولاش)، ولذلك قد يسمى: بلاش آباد. ٢. إظّلع: مال. وفى مط والطبرى: اطلع.

٣. المنطقة والمنطق: ما يشدّ به الوسط. ٤. رزاه ماله: أصاب منه شيئاً فنقصه.

٥. أنظر الطبرى ٢: ٩٩٠. ٦. نزع عرق: أشبه أصله.

٧. الأصل غير واضح وما أثبتناه من مط.

٨. الأصل غير واضح، وقرأناه بصعوبة. مط: ألف السلفة! تألفه: تكلف ألفته وداراه.

٩. قصّر عن الأمر: تركه. قصّر فى الأمر: تهاون فيه. قصّر فى العطية: قلّلها.

١٠. الأصل غير واضح، وما أثبتناه من مط. ١١. الأصل غير واضح وما أثبتناه من مط.

هلاكه.

ذكر سوء اختياره

جنده وبهرام جويين^(١) حتى هلك

خرج على هرمز خوارج منها: «شابة»^(٢) ملك الترك الأعظم في ثلاثمائة ألف مقاتل. وصار إلى بادغيس^(٣)، وذلك بعد إحدى عشر سنة من ملكه، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له، وخرج عليه ملك الخزر حتى صار إلى باب الأبواب، وخرج عليه من العرب خلق نزلوا في شاطئ الفرات، وشتوا الغارة على أهل السواد واجترأ عليه أعداؤه، وغزوا^(٤) بلاده.

فأما شابة ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء الفرس يؤذنههم بإقباله ويقول:

«رموا لي قناطر أنهار وأودية أجتاز عليها إلى بلادكم، واعقدوا القناطر على كل نهر لا قنطرة له، وافعلوا ذلك في الأنهار والأودية التي عليها مسلكي من بلادكم إلى بلاد الروم، فإنني مجمع على [220] المسير إليها من بلادكم.

فاستفزع هرمز ما ورد عليه من ذلك، فشاور فيه، فأجمع له على قصد ملك الترك وصرف العناية إليه، فوجه إليه رجلاً من أهل الري يقال له: بهرام بن بهرام جُشنَس^(٥) ويعرف بـ «جويين». فاختار بهرام من الجند اثني عشر ألف رجل على عينيه من الكهول دون الشباب، وكانت عدة من يشتمل عليه الديوان سبعين ألف

١. بالفارسية: جويين. وقد تكرر هذا الاسم في النص، فتارة ورد «جويين» وأخرى «شوين» فوحدناهما

في الالفاظ على الصورة الأولى: جويين. ٢. مط: شانه.

٣. بادغيس، بادغيس. بالفهلوية: Vagis: ولاية بين هراة ومروالروء (لج).

٤. أنظر الطبري (٢: ٩٩١).

٥. جُشنَس: معرب جُشنَس، وهو مخفف جُشنَسب، بالفهلوية: Vushnasp, Gushnasp (حب).

مقاتل.

فمضى بهرام بجذ وإغذاذ، حتى حاز هراة وباذغيس، ولم يشعر شابة بهرام حتى نزل بالقرب منه معسكراً. فجرت بينهما حروب ورسائل، إلى أن قتل بهرام شابة برمية رماها إياه، فاستباح عسكره، وأقام موضعه، فوافاه برمودة^(١) بن شابة، وكان يعدل بأبيه، فحاربه، فهزمه، وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيراً إلى هرمز، وغنم كنوزاً عظيمة.

فيقال: إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر والأواني وسائر الأمتعة ممّا غنمه وقر مائتين وخمسين ألف بعير في مدة تلك الأيام. فشكره هرمز على [221] ذلك، إلا أنه أراد منه أن يتقدّم بمن معه إلى بلاد الترك، وكتبه في ذلك، فلم ير بهرام ذلك صواباً. ثم خاف بهرام سطوة هرمز، وحكى له: أن الملك يستقل ما حمّله إليه من الغنائم في جنب ما وصل إليه وأنه يقول في مجالسه:

«بهرام قد ترفّه، واستطاب الدعة».

وبلغ ذلك الجند، فخافوا مثل خوفه.

فيقال: إن بهرام جمع ذات يوم وجوه عسكره، فأجلسهم على مراتبهم، ثم خرج عليهم في زي النساء، وبهده مغزل وقطن، حتى جلس في موضعه، وحمل لكل واحد من أولئك القوم مغزل وقطن، فوضع بين أيديهم، فامتعضوا من ذلك وأنكروه. فقال بهرام: كتاب العلوم

«إن كتاب الملك ورد علىّ بذلك، ولا بدّ من امتثال أمره إن كنتم طاعينين».

فأظهروا أنفة وحمية، وخلعوا هرمز، وأظهروا أن ابنه أبرويز^(٢) أصلح للملك منه، وساعدهم على ذلك خلق كثير ممّن كان بحضرة هرمز. وأنفذ هرمز جيشاً كثيفاً مع آذينجشنس لمحاربة بهرام، وأشفق أبرويز من

١. مط: رموز بن شانه.

٢. بالفهلوية: Aparvej: المنتصر (حب).

الحديث وخاف سطوة [222] بهرام، فهرب إلى آذربيجان. فاجتمع إليه هناك عدّة من المرازبة والإصفهين، فأعطوه بيعتهم. ولم يظهر أبرويز شيئاً، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل آذينجشنس الموجّه لمحاربة بهرام جوبين، وانفضاض الجمع الذي معه، واضطراب أمر أبيه هرمز.

وكتبت إليه أخت آذينجشنس - وكانت تربه - تخبره بضعف أبيه هرمز، وأعلمته أنّ العظماء والوجوه قد أجمعوا على خلعه، وأعلمته أنّ جوبين - إن سبقه إلى المدائن - احتوى على الملك. ولم تلبث العظماء بذلك أن وثبت على هرمز وفيهم بندويه^(١) وبسطام خالا أبرويز. فخلعوه وسملوا عينيه وتركوه تحرّجاً من قتله. فلمّا بلغ ذلك أبرويز، بادر بمن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوبين، وتتوّج وجمع إليه الوجوه والأشراف، وجلس لهم على سريرته، ومناهم ووعدهم وقال:

- «إنّ هرمز كان لهم قاضياً عادلاً، ومن نيّتنا البرّ والاحسان، فعليكم بالسمع والطاعة.»

فاستبشر له الناس، ودعوا له.

فلمّا كان اليوم [223] الثاني، أتى أباه، فسجد له وقال:

- «عمرك الله أيّها الملك، إنك تعلم أنّي برىء مما آتاه إليك المنافقون، وإنّما

هربت خوفاً منك.»

فصدّقه هرمز وقال له:

- «يا بُنَيَّ! لى إليك حاجتان، فأسعفني بهما: إحداهما أن تنتقم ممّن عاون

على خلعي والسمل لعيني، ولا تأخذك بهم رافّة، والأخرى أن تؤنّسني كلّ يوم

بثلاثة نفر لهم أصالة رأى، وتأذن لهم في [الوصول]^(٢) إلى.»

١. في الطبري: بندى.

٢. الأصل غير واضح. مط والطبري: في الدخول على (٢: ٩٩٦).

فتواضع له أبرويز وقال:

«عمرَكَ اللهُ أيُّها الملك، إنَّ المارق بهرام قد أظْلَمنا^(١) ومعه الشجاعة والنجدة،
ولسنا نقدر أن نمدَّ يداً إلى من أتى إليك ما أتى، فإنَّهم وجوه أصحابك. ولكن إن
أدالني الله من المنافق، فأنا خليفتك وطوع أمرك.»

ذكر الحيلة التي تمَّت لأبرويز

حتَّى أقُلت من بهرام بعد ظفـره به ورجوعه بعد ذلك وقتله إيَّاه ببلاد الترك
واستيلائه على المُلْك

إنَّ أبرويز خرج إلى النهروان لما وردها بهرام، وواقفه^(٢) وجعل النهر بينه
وبينه، ودار بينهما كلام كثير^(٣)، كلُّ ذلك يدور على استصلاح بهرام، فلا يردُّ
[224] عليه بهرام إلَّا ما يسوءه، حتَّى يش من بهرام وأجمع على حربه. ولهما أخبار
كثيرة وأحاديث طويلة آخرها: أن أبرويز ضعف عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من
الأتراك كانوا وثقوا بهرام من أبرويز، وضمن لهم عليه مالاً عظيماً، وكان هؤلاء
الثلاثة من أشدَّ الأتراك وأعظمهم أجساماً وشجاعة. ثم رأى أبرويز من أصحابه
فتوراً وحرَّض أصحابه فتيين منهم فشلاً. فصار إلى أبيه وشاوره، فرأى له المصير
إلى ملك الروم فأحرز نساءه وشخص في عدَّة يسيرة فيهم: بُندويه، وبسطام،
وكردي^(٤) أخو بهرام. لأنَّ كُردي هذا كان ماقْتاً لأخيه، معادياً له، شديد الطاعة
والنصيحة لأبرويز. فلَمَّا خرجوا، من المدائن خاف القوم من بهرام وأشفقوا أن يردَّ
هرمز إلى المُلْك، ويكاتب ملك الروم عن هرمز في ردِّهم فيتلفوا. فأعلموا أبرويز
ذلك واستأذنوا في إتلاف هرمز فلم يُحر^(٥) جواباً. فانصرف بندويه وبسطام

١. أظْلَمنا: دنا منا. أقبل علينا، غشنا.

٢. واقفه في حرب أو خصومة: وقف معه.

٣. أنظر الطبري ٢: ٩٩٦.

٤. أنظر الطبري ٢: ٩٩٨.

٥. أحر الجواب: ردّه.

وطائفة معهما إلى هرمز حتى أتلّفوه خنقاً، ثم رجعوا [225] إلى كسرى وقالوا:
- «سر على خير طائر».

فحثوا دوابهم، وصاروا إلى الفرات، فقطعوه، وأخذوا طريق المفازة، بدلالة رجل يقال له: خرشيدان^(١)، وصاروا إلى بعض الديارات في أطراف العمارة. فلما أوطنوا الراحة، لحقتهم خيل بهرام. فلما نذروا بهم، أنبه بُندويه أبرويز من نومه وقال له:

- «إحتل لنفسك، فإنّ القوم قد أظّلوك».

فقال كسرى: «ما عندي حيلة».

فقال بُندويه: «فإنّني سأحتال لك بأن أبذل نفسي دونك».

قال: «وكيف ذلك؟»

قال: تدفع إليّ بزتك^(٢) وزينتك لأعلو الدير وتنجو أنت ومن معك من وراء

الدير، فإنّ القوم إذا وصلوا إليّ ورأوا هيئتك عليّ، اشتغلوا عن غيري وطاولتهم^(٣) حتى تفوتهم».

ففعلوا ذلك وبادروهم حتى تواروا بالجبل. ثمّ وافاهم خيل بهرام وعليهم قائد

له يقال له: بهرام بن سیاوش. فاطّلع عليهم بُندويه من فوق الدير وعليه بزّة أبرويز، وأوهمه أنّه هو، وسأله أن يُنظره^(٤) إلى غد ليصير في [226] يده مسلماً،

ويصير به إلى بهرام جويين، فأمسك عنه وحفظ الدير بالحرس ليلته.

فلما أصبح اطلّع عليه في بزّته وحليته وقال:

- «إنّ عليّ وعلى أصحابي بقيّة شغل من استعداد لصلوات وعبادات،

فأمهلنا».

١. مط: خرشندان.

٢. البزة: الثياب، السلاح، الهيئة، البزّة: السلاح، الثياب من الكتان والقطن.

٤. أنظره: أمهله.

٣. طاولتهم: ماطلتهم.

ولم يزل يدافع حتى مضى عامّة النهار. وأمعن أبرويز وعلم أنّه قد فاتهم. ففتح الباب حينئذٍ، وأعلم بهرام بأمره. فانصرف به إلى جوبين، فحبسه في يد بهرام بن سياوش.

فأمّا بهرام جوبين فإنه دخل المدائن، وجلس على سرير المُلك، وجمع العظماء، فخطبهم وذمّ أبرويز، ودار بينهم كلام. فكان كلّهم منصرفاً عنه إلا أن بهرام تتوّج وانتقاد له الناس خوفاً.

ثمّ إنّ بهرام بن سياوش واطأ بُندويه على الفتك بجوبين وظهر^(١) جوبين على ذلك فقتله، وأفلت بُندويه ولحق آذربيجان. وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية، وكاتب ملك الروم منها^(٢) وراسله بجماعة ممّن كان معه، وسأله نصرته، فأجابه إلى ذلك [227] وانسأقت الأمور بالمقادير، إلى أن زوّجه ابنته مريم وحملها إليه، وبعث إليه بـ «تياذوس»^(٣) أخيه ومعه ستون ألف مقاتل، عليهم رجل يقال له: سرجس^(٤) يتولّى تدبير أمرهم، ورجل آخر يقال له: «الكمي»^(٥) - كان يُعدل بألف رجل - معظّم في الروم، وسأله ترك الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم، إذا هو مُلّك. فاغتبط بهم أبرويز، وأراحهم خمسة أيّام، ثم عرضهم^(٦) وعرف^(٧) عليهم العرفاء، وفي القوم تياذوس، وسرجس، والكمي الذي وصفناه، وسار بهم حتى نزل من آذربيجان في صحراء تدعى الدّئق، فوافاه هناك بُندويه ورجل من إصبيندي الناحية - ويقال له: موسيل - في أربعين ألف مقاتل وانفضّ

١. ظهر على الأمر: اطلع عليه.

٢. في الأصل ومط: عنها، والتصحيح من الطبري (٢: ٩٩٦).

٣. تياذوس: كذا في الطبري ٢: ٩٩٩ (C.I.S.).

٤. (C.I.S) Sergius.

٥. الكمي: الشجاع، أو لا يلبس السلاح لأنه يكمي نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة.

٦. عرض الجند: أمرهم عليه، واحداً واحداً.

٧. عرف عليهم عريفاً (أي سيّداً، قيّماً): أقامه ليعرف فيهم من صالح أو طالح.

إليه الناس بالخييل من إصبهان وخراسان وفارس، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق، فشخص نحوه من المدائن، فجرت بينهما حرب شديدة قتل فيها الكمى الرومى^(١) بضربة ضربه بها بعض الفرس على رأسه، فقد رأسه ويده، وعار^(٢) فرسه بنصف بدنه الباقي إلى معركة أبرويز ومعسكره، [228] فاستضحك أبرويز، وعظم ذلك على الروم حتى كثر الكلام فيه، وعوتب أبرويز، وقيل له: «هذا جزاؤنا منك، يقتل كمينا وواحد عصره فى طاعتك، وبين يديك، فتضحك؟»

فاعتذر بأن قال:

«إنى والله ما ضحكت لما تكرهون. ولقد شق على أن فقدت مثله أكثر مما شق عليكم، ولكنى رأيتكم تستصغرون شأن بهرام جوبين، وتنكرون هربى منه، فذكرت ذلك من قولكم الآن، وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة وأثرها على هذا الكمى تعذروننى وتعلمون يقيناً أن هربى إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ نكايتهم فى الأبطال.»

ويقال: إن أبرويز حارب بهرام منفرداً عن العسكر بأربعة عشر رجلاً منهم كُردى أخو بهرام، وبُندويه وبسطام حرباً شديدة وصل فيها بعضهم إلى بعض، والمجوس تحكى حكايات عظيمة لا فائدة فى ذكرها مع امتناعها، وجعلتها: أن أبرويز استظهر استظهاراً أيسر معه بهرام جوبين، [229] وعلم أنه لا حيلة له فيه، فأنحاز عنه نحو خراسان، ثم صار إلى الترك، وصار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرّق فى الجنود من الروم أموالاً عظيمة وصرفهم إلى ملك الروم.

ولبت بهرام فى الترك مكرماً عند الملك، حتى احتال عليه أبرويز بتوجيه رجل يقال له هرمز: إلى الترك بجوهر نفيس وغيره، حتى احتال لخاتون امرأة

الملك، ولاطفها بذلك الجوهر وغيره من الهدايا حتى دسّت لبهرام من قتله. فاغتم خاقان لموته، وأرسل إلى أخته كُردية وامراته يعلمها^(١) بلوغ الحادث ببهرام منه، ويسأل أن يتزوجها وطلق امرأته خاتون بهذا السبب، فأجابته كُردية جواباً لئناً، وضمت من كان مع أخيها من المقاتلة إليها، وخرجت بهم من بلاد الترك إلى حدود مملكة فارس فأتبعها ملك الترك أخاه بطراً^(٢) في اثني عشر ألف فارس. فيقال: إن كُردية قاتلت، وقتلت بطراً بيدها، ومضت لوجهها [230]، حتى تلقتها خيول الفرس من الحدود. وكتبت إلى أخيها كُردى، فأخذ لها أماناً من أبرويز. فلما قدمت عليه اغتبط بها، وتزوج بها أبرويز.

ذكر سوء سياسة

اتفق على أبرويز في جنده حتى ظهر الروم عليه

لم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم. الذي كان نصره، ويهاديه^(٣)، إلى أن وثبت الروم عليه في شيء أنكره منه، فقتلوه وملّكوا غيره. فبلغ ذلك أبرويز، فامتعض، وأخذته الحفيظة، فأوى ابن الملك المقتول اللاجئ إليه، وتوجّه، وملكه على الروم، ووجه معه جنوداً كثيفة مع شهربراز^(٤)، فدوّخ بهم البلاد، وملك صاحب كسرى بيت المقدس، وأخذ خشبة الصليب، وبعث بها إلى كسرى في أربع وعشرين سنة من ملكه. ثم احتوى على مصر، والإسكندرية، وبلاد نوبة، وبعث مفاتيح مدينة الإسكندرية إلى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه. وقصد قسطنطينية، فأناخ على ضفة الخليج القريب منها، وخيم^(٥) هناك. فأمر كسرى فخرّب بلاد الروم، غضباً مما انتهكوا من ملكهم وانتقاماً له، ولم يخضع لابن

١. كذا في مط والطبري: يعلمها بلوغ الحادث ببهرام منه (٢: ١٠٠١).

٢. كذا في مط: بطر. نظر، بطو. ٣. يهاديه: يهادنه (مل).

٤. مط: شهربراز. (I.S) Shahrvaraz. حب). ٥. مط: وجشم.

ملكهم [231] المقتول أحد، ولا منحوا الطاعة، غير أنهم قتلوا الملك الذي ملكوه بعد أبيه المسمى فوقاً^(١) لما ظهر من فجوره وسوء تدبيره، وملكوا عليهم رجلاً يقال له: هرقل^(٢). فلما رأى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس إياها، وقتلهم مقاتلتهم، وسبيهم ذراريتهم، واستباحتهم أموالهم؛ تضرع إلى الله، وأكثر الدعاء والإبتهال.

فيقال: إنه رأى في منامه رجلاً ضخماً الجثة رفيع المجلس، عليه [بزة، قائماً في ناحية عنه]^(٣)، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه وقال لهزقل:

«إني قد سلمته في يدك.»

فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد حتى توالى عليه أمثاله. فرأى بعض لياليه: كأن رجلاً دخل عليهما ويده سلسلة طويلة، فألقاها في عنق صاحبه، أعنى صاحب المجلس الرفيع عليه^(٤)، ثم دفعه إليه وقال له:

«ها قد دفعت إليك كسرى برمته.»

فلما تتابعت هذه الأحلام، قصّها على عظماء الروم وذوى العلم منهم، فأشاروا [232] عليه أن يغزوه. فاستعدّ هرقل، واستخلف ابنه على مدينة قسطنطينية، وأخذ عن الطريق الذي فيه شهربار صاحب كسرى، وسار حتى وغل في بلاد أرمينية، ونزل نصيبين سنة، وقد كان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى قد استدعى لموجدة كانت من كسرى عليه. وأمّا شهربار فقد كانت كتب كسرى ترد عليه في الجثوم على الموضع الذي هو به [وترك البراح منه]^(٥). ثم بلغ

١. في الأصل والطبرى: قوفا، وما أثبتناه من مط. وهو معرّب (C.I.S) Phocas.

٢. Heraclius. ٣. المباره سقطت من الأصل، فأضفناها من الطبرى.

٤. الرفيع عليه: كذا في الأصل ومط.

٥. في الأصل ومط: «ونزل البراح» وما أثبتناه من الطبرى.

كسرى تساقط^(١) هرقل في جنوده إلى نصيبين. فوجّه لمحاربة هرقل رجلاً من قواده يقال له: راهزاذ^(٢)، في اثني عشر ألف رجل من الأنجاد، وأمره أن يقيم بنينوى - وهي التي تدعى الآن الموصل - على شاطئ دجلة، ويمنع الروم أن يجزوها.

وكان كسرى بلغه خبر هرقل، وأنه مُتَعَدٍّ، وهو يومئذ مقيم بدسكرة الملك، فنفذ راهزاذ لأمر كسرى، وعسكر حيث أمره، فقطع هرقل دجلة في موضع آخر، إلى الناحية التي كان فيها جند فارس، فأذكى راهزاذ [233] العيون عليه، فانصرفوا إليه، فأخبروه أنه في سبعين ألف مقاتل، فأيقن راهزاذ ومن معه من الجند، أنهم عاجزون عن مناهضته. فكتب إلى كسرى غير مرة دهم هرقل إياه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم، لكثرتهم وحسن عُدَّتِهِمْ. كل ذلك يجيبه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقتالهم^(٣) ويذل دمائهم في طاعته.

فلما تتابعت على راهزاذ جوابات كسرى بذلك، عبى جنده وناهض الروم بهم. فقتلت الروم راهزاذ وستة آلاف رجل، وانهزمت بقيّتهم وهربوا على وجوههم. وبلغ كسرى قتل الروم راهزاذ وما نال هرقل من الظفر، فهذه ذلك، وانحاز من دسكرة الملك إلى المدائن، وتحصّن بها لعجزه كان عن محاربة هرقل، وسار هرقل حتّى كان قريباً من المدائن. فلما تساقط إلى كسرى خبره واستعدّ لقتاله انصرف إلى أرض الروم. وكتب كسرى إلى قواد الجند الذين انهزموا، يأمرهم أن يدلّوه [234] على كلّ رجل منهم ومن أصحابه، ممن فشل في تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها؛ فأمر بأن يعاقب بحسب ما استوجب. فأحوجهم^(٤) بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه. وكتب إلى شهريراز

١. تساقط وسقط إليه القوم: نزلوا.

٢. في الطبري: راهزار (٢: ١٠٠٤).

٣. مط: استقيالهم.

٤. في الطبري: فأخرجهم.

يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك، ويصف له ما نال هرقل منه ومن بلاده^(١).
وقد حكى: أن كسرى عرف امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك الأبطال،
فدعاها وقال:

- «إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً، وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك،
فأشير عليّ: أنهم أستعمل؟»
فوصفت أولادها فقالت:

- «هذا فرّخان أنفذ من سنان، وهذا شهربراز أحكم من كذا، وهذا فلان أروغ
من كذا.»

فاستعمل شهربراز. فسار إلى الروم، فظهر عليهم وهزمهم وخرّب مدائنهم.
فلما ظهرت فارس على الروم، جلس فرّخان يشرب، فقال لأصحابه:

- «لقد رأيت كائني جالس على سرير كسرى.» [235]

فبلغت كسرى، وكتب إلى شهربراز:

- «إذا أتاك كتابي هذا، فابعث إليّ برأس فرّخان.»

فكتب إليه:

- «أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرّخان، فإن له نكاية في العدو وصوتاً، فلا

تفعل.»

فكتب إليه: *مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي*

- «إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل عليّ برأسه.»

فراجعته، فغضب كسرى ولم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس:

- «إني قد نزعتم عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرّخان.»

ثمّ دفع إلى البريد صحيفة صغيرة وقال:

١. مظانّ نزول «آلم، غلبت الروم...» أنظر الطبري ٢: ١٠٠٥.

- «إذا ولي فرخان المُلْك، وانقاد له أخوه، فأعطه.»

فلما قرأ شهربراز الكتاب قال:

- «سمعاً وطاعة.»

ونزل عن السرير، وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، فقال:

- «ايتوني بشهربراز.»

فقدّمه ليضرب عنقه، فقال:

- «لا تعجل، حتى أكتب وصيتي.»

قال: «افعل!»

فدعا بسفط وأعطاه ثلاث صحائف، وقال:

- «كلّ هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد!»

فرّد المُلْك على أخيه.

فكتب شهربراز إلى قيصر [236] ملك الروم:

- «إنّ لي حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف، فالقني، ولا تلقني إلّا في

خمسين رومياً، فأني^(١) أيضاً ألقاك في خمسين فارسياً.»

فأقبل قيصر في خمسمائة رومى، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق،

وخاف أن يكون قد مكر به حتّى أتاه عيونه أنه: ليس معه إلّا خمسون رجلاً. ثمّ

بسط لهما، والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، واجتمعا ومع كلّ واحد منهما

سكّين، ودعوا ترجماناً بينهما.

فقال شهربراز:

- «إنّ الذين خرّبوا مدينتك، وبلغوا منك ومن جندك^(٢) ما بلغوا أنا وأخى

بشجاعتنا وكيدنا، وإنّ كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخى فأبيت، ثمّ أمر أخى أن

١. فأني... فارسياً: سقطت من مط.

٢. مط: جدك.

يقتلني. فقد خلعناه جميعاً، فنحن نقاتله معك.»

قال: «قد أصبتما ووفقتما.»

ثم أشار أحدهما^(١) إلى صاحبه: أن السر إنما يكون بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا.

قال صاحبه: «أجل!»

فقاما جميعاً إلى الترجمان بسكينهما، فقتلاه! واتفقا على قتال كسرى. [237]

فمما اتفق في أيام كسرى

من الحوادث التي تستفاد منها تجربة ما كان من

يوم ذي قار وحرب العرب والفرس

وكان سبب ذلك قتل النعمان بن المنذر اللخمي، قتله كسرى لأسباب نذكر
جملها إن شاء الله:

كان عدى بن زيد العبادي وابنه زيد بن عدى سبب ولاية النعمان وسبب
هلاكه جميعاً.

قتل النعمان بن المنذر وأسبابه

وذلك أن عدياً وأخويه - وهما: عمار وعمر، ويعرف عمار بـ «أبي»، وعمر بـ
«سُمي» - كانوا في خدمة الأكاسرة^(٢)، ولهم من جهتهم قطائع. وكان قابوس
الأكبر عمّ النعمان وإخوته، بعث إلى كسرى أبرويز بعدى بن زيد وأخويه، ليكونوا
في كتابه يترجمون له.

فلما مات المنذر بن المنذر ترك من أولاده اثني عشر رجلاً، وهم الأشاهب،

١. أحدهما... صاحبه: غير واضحة في الأصل، وما أثبتناه من مط.

٢. في الطبري: ... وكان عدى من ترجمة أبرويز كسرى بن هرمز (٢: ١٦-١٧).

سمّوا بذلك لجمالهم، وفيهم يقول الأعشى:

فبنو المنذر الأشاهب بالحيه ررة يمشون غدوة كالسيوف^(١)

فجعل المنذر ابنه النعمان في حجر^(٢) عدى، وجعل ابنه الأسود في حجر رجل [238] يقال له: عدى بن أوس بن مرينا، وبنو مرينا قوم لهم شرف وهم من لخم، وبنو المنذر الباقون، وهم عشرة، مستقلون بأنفسهم. وكان المنذر جعل على أمره كله، إياس بن قبيصة الطائي، فكان في مكانه أشهراً يدبر أمر العرب كله. وطلب كسرى من يملكه على العرب، فدعا عدى بن زيد فقال له:

«من بقي من بني المنذر، وماهم، وهل فيهم خير؟»

فقال: «بقيتهم من ولد هذا الميت - يعني المنذر بن المنذر - وهم رجال نجباء.»

فكتب إليهم، فقدموا عليه، فأنزلهم على عدى بن زيد. فكان عدى يفضل أخوة النعمان عليه في الثزل^(٣)، ويريه أن لا يرجوه، ويخلو بهم رجلاً رجلاً، ويقول لهم:

«إن سألكم الملك: أتكفونني العرب؟ فقولوا: نكفيكم إلا النعمان.»

وقال للنعمان:

«إن سألك الملك عن إخوتك، فقل: إن عجزت عنهم فإني عن غيره أعجز.» وكان عدى بن أوس بن مرينا داهية أريباً، فكان يوصي الأسود بن المنذر ويقول له:

١. في الطبري: بالسيوف (٢: ١٠١٧).

٢. في حجره: في كنفه وحمايته.

٣. مط: المنزل.

- «قد عرفت [239] أنى لك راج، وأن طلبتى ورغبتى إليك أن تخالف عدى بن زيد فى ما يشير به عليك، فإنه والله لا ينصح لك أبداً.»
فلم يلتفت الأسود إلى قوله. فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه، جعل يدخلهم رجلاً رجلاً فيكلمه. فكان الملك كسرى يرى رجلاً قُلَّ ما رأى مثلهم. فإذا سألهم:

- «هل تكفوننى ما كنتم^(١) تلون؟»

قالوا: «نكفيك العرب إلا النعمان.»

فلما دخل النعمان عليه، رأى رجلاً دميماً^(٢) قصيراً أحمر، فكلمه، وقال:

- «أستطيع أن تكفينى العرب؟»

قال: «نعم.»

قال: «وكيف تصنع بإخوتك؟»

قال: «أيتها الملك، إن عجزت عنهم، فأنا عن غيرهم أعجز.»

فملكه، وكساه، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم فيه اللؤلؤ، والذهب. فلما خرج وهو ملك على العرب، قال عدى بن أوس بن مرينا للأسود:

- «دونك، فإنك خالفت رأى.»

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً فى بيعة، وأرسل إلى ابن مرينا أن: إئتنى مع من أحببت، فإن لى حاجة. فأتاه فى ناس، فتغذوا فى البيعة غداءهم المعد، وشربوا. [240] فقال عدى بن زيد لعدى بن أوس:

- «يا عدى! إن أحق من عرف الحق ثم لم يَلَمْ عليه، من كان مثلك. إئتني عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك من أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمنى على شيء كنت على مثله، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت

١. مط: ما كنت تكون!

٢. مط: دميماً، والدميم: قبيح الوجه.

عليه ركبته، وأحبّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي، فإنّ نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك.»

فقام عدى بن زيد إلى البيعة، فحلف ألا يهجوّه، ولا يبيغيه غائلة أبداً، ولا يزوى عنه خيراً. فلما فرغ عدى بن زيد، قام ابن مرينا فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوّه^(١) أبداً، ويبغيه الغوائل ما بقى.

وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة، وافترق العدّيان على وحشة كما ذكرت.

حيلة لعدى بن أوس على عدى بن زيد

فقال عدى بن مرينا للأسود:

«وإذا لم تغفر^(٢)، فلا تعجز أن تطلب بئارك من هذا المعدى الذى عمل بك ما عمل. فقد كنت أخبرك أنّ معداً لا ينام مكرها، وأمرت أن تخالفه فعصيتنى.» قال: «فما تريد؟»

قال: «أريد أن لا [241] تأتيك فائدة من مائك وأرضك إلا عرضتها علىّ.» ففعل. وكان ابن مرينا كثير المال واسع الضيعة. فلم يمرّ به يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هديّة أو تحفة. فلما توالى ذلك وكثر عند النعمان هدايا ابن مرينا صار من أكرم الناس عليه، وكان لا يقضى فى ملكه شيئاً إلا بأمر ابن مرينا، وكان إذا ذكر عدى بن زيد عنده أحسن ابن مرينا الشناء عليه، وذكر فضله وقال:

«إنّه لا يصلح المعدى إلا أن يكون فيه مكر وخديعة.»

فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده، لزموه وتابعوه^(٣)، فجعل

١. فى الأصل ومط: «ألا يزال يهجوّه»، فى الطبرى: ألا يهجوّه (٢: ١٠١٩).

٢. غير واضح فى الأصل، وما أثبتناه يؤيده ما فى مط والطبرى: (٢: ١٠١٩).

٣. مط: وبايعوه.

يقول لمن يثق به من أصحابه :

«إذا رأيتموني أذكر عدى بن زيد عند الملك بخير، فقولوا: إنه لكما يقول، ولكنه لا يسلم عليه أحد، وإنه يقول: إن الملك - يعنى النعمان - إنما هو عامله، وإنه هو الذى ولّاه ما ولّاه».

ولم يزالوا بهذا وأشباهه، حتى أضغنوه عليه. ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدى إلى قهرمان^(١) كان له، ودسّوا له حتى أخذ الكتاب، وأتى به النعمان، فقرأه وأغضبه.

[242]

فأرسل إلى عدى بن زيد:

«عزمت عليك إلا زرتنى، فإننى قد اشتقت إليك». وهو عند كسرى. فاستأذن كسرى، فأذن له. فلما أتاه، لم ينظر إليه، حتى حُبس فى محبس لا يدخل عليه فيه أحد. فجعل عدى بن زيد يقول الشعر، ويبلغه النعمان، وكان أول ما قاله فى السجن:

لَيْتَ شِعْرَى عَنِ الْهُمَامِ وَيَأْتِيكَ بِكَ بِخَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السَّوَالِ^(٢)

وقال أشعاراً كثيرة^(٣)، وكان كلما قال عدى من الشعر شيئاً بلغ النعمان وسمعه، فندم على حبسه إياه، وعلم أنه كيد فيه. فكان يرسل إليه، ويَعِدُّه ويمنيه، ويفرق^(٤) أن يُرسله^(٥) فيبيغيه الفوائل. فلما طال سجن عدى وأعياء التضرع إلى النعمان بالأشعار التى يستعطفه فيها مرّة ويخبره فيها بما كيد به مرّة، ومرّة يذكره

١. القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه.

٢. تجد البيت عند الطبرى ٢: ١٠٢٠، وفى أيام العرب: ١٥.

٣. أنظر الطبرى ٢: ١٠١٩، وأيام العرب: ١٤. ٤. يفرق: يخاف، يفرع.

٥. يُرسله: يطلقه من السجن.

بالموت، ويخبره بهلاك من هلك قبله، كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى:

أُبَلِّغُ^(١) أَبِيًّا عَلَى نَأْيِهِ فَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ [243]
بِأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقُ الْفُؤَا دِ كُنْتَ بِهِ وَاثِقًا^(٢) مَا سَلِمَ
لَدَى مَلِكٍ مَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ إِذَا بِمَا بِسِحْقٍ وَإِذَا ظَلِمَ
فَلَا أَعْرِفُكَ كَذَاتِ الْغُلَا م^(٣) مَا^(٤) لَمْ تَجِدْ عَارِمًا^(٥) تَفْتَرِمُ
فَأَرْضُكَ أَرْضُكَ إِنْ تَأْتِنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمُ

فكتب إليه أخوه:

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَا عَا جَزُ قَوْمٍ وَلَا أَلْفٌ^(٦) ضَعِيفُ
وَيَمِينُ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَأُوا^(٧) طَحُونًا^(٨) تُضِيءُ فِيهَا السِّيُوفُ
ذَاتَ رِزٍّ^(٩) مَجْتَابَةٌ غَمْرَةُ الْمَو تِ صَحِيحٌ سِرْبَالُهَا^(١٠) مَكْفُوفٌ^(١١)

١. في الأصل والنصوص المختلفة وكذلك في أيام العرب: «أبلغ» وما في مط: «أبلغ» بتشديد اللام من باب التفعيل. فالهمزة إذن للتداء بتقدير المتنادي، أي: «أصاحبي بلغ» من باب «يا ترى» أي: «يا رجل هل ترى» وهذا أوفق للوزن.
٢. الطبرى: والها.
٣. ذات الغلام: الأم المرضع.
٤. مط والأصل: «إذا لم تجد» وما أثبتناه من الطبرى.
٥. العارم: الراضع، يقال: اعترمت المرأة: تبغت من يعرمها أو يمضّ ثديها، والمراد: إن لم تجد من ترضعه درّت هي فحلبت ثديها، قال ابن الأعرابي: يقال هذا لمن يتكلّف ما ليس من شأنه.
٦. الألف: البطيء الثقيل.
٧. الجأواء: الكتبية التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع.
٨. الطحون: التى تطحن ما لقيت.
٩. الرز: الصوت.
١٠. السربال: القميص.
١١. المكفوف: الثوب الذى خطّت حاشيته، ولعله يريد أنها كتبية سالمة.

كُنْتُ فِي حَمِيهَا لَجِئْتُكَ أَسْعَى فَأَعْلَمَنْ لَوْ سَمِعْتُ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(١)
 إِنْ تَفْتَنِي وَاللَّهِ أَلْفَ جَزَوْعاً لَا يُعْقِيكَ مَا يَصُوتُ الْخَرِيفُ
 فَلَعَمْرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجَزَوْعُ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
 وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكَتْ عِزَائِي لَقَلِيلُ شَرِّوَاكَ^(٢) فِي مَا أَطُوفُ

كسرى يكتب في إرسال عدى وعدى يقتل

ويقال: إنَّ عدياً لما كاتب أبيتاً، قام أبيتاً، فدخل على كسرى، فكلَّمه، فكتب له وبعث معه رجلاً، وأذن له في المسير لاستنقاذ أخيه. فكتب خليفة النعمان المقيم بباب الملك إليه أنه: قد كتب إليك في أمر عدى. فأتاه أعداء [244] عدى من غسان، فأشاروا على النعمان بقتل عدى.

وقالوا: «افزع منه الساعة».

فأبى عليهم، وجاء الرجل، وكان تقدّم أخو عدى إليه فرشاه، وأمره أن يبدأ بعدى. فدخل عليه وهو محبوس وكان قال له:

«ابدأ بالدخول إليه في الحبس فانظر ما يأمر بك به».

فلما دخل الرسول على عدى قال له:

«إني قد جئت بك بإرسالك^(٣) فما عندك؟»

قال: «عندي الذي تحب».

ووعده، وسأله ألا يخرج من عنده، وقال:

«أعطني الكتاب حتى أرسل به أنا، فإنك إن خرجت من عندي، قُتلت».

فقال الرسول: «لا أستطيع إلا أن آتي النعمان بالكتاب فأوصله بنفسه إليه».

١. تستضيف: تستجير.

٢. شرواك: مثلك. شرح الأبيات من أيام العرب: ١٧.

٣. بإرسالك: بإطلاقك.

فانطلق مخبر^(١)، فأتى النعمان، فقال:

- «إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به، وإن فعل لم يستبق^(٢) منا أحداً، ولم تنج أنت ولا غيرك.»

فبعث إليه النعمان بأعداءه، فغمّوه حتى مات، ثم دفنوه.

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب.

فقال: «نعم وكرامة وسمعاً وطاعة.»

وبعث إلى الرسول بأربعة آلاف مثقال [245] ذهباً، وجارية، وقال له:

- «إذا أصبحت فادخل عليه وأخرجه أنت بنفسك.»

فلما أصبح ركب، فدخل السجن، فقال له الحرس:

- «إنه قد مات منذ أيام، فلم نجترئ على أن نخبر الملك النعمان فرقاً منه،

لعلمنا بكراهيته لذلك.»

فرجع الرسول إلى النعمان فقال:

- «إنى كنت بدأت به، فدخلت إليه وهو حي.»

فقال النعمان: «يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبلى! كذبت ولكنك أردت

الرشوة والخبث.»

وتهذّده. ثم إنه استدعاه بعد ذلك، وزاده جائزة وكسوة، وأكرمه واستوثق منه

أن لا يخبر الملك، إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه. فرجع الرسول إلى كسرى،

فقال:

- «إنه مات قبل أن أدخل عليه.»

١. الأصل غير واضح، وما أثبتناه من الطبرى. مط: بخبر.

٢. مط: لم يسبق أحد.

زيد بن عدى يخلف أباه عند كسرى

وندم النعمان على قتل عدى ندامة شديدة، واجترأ أعداء عدى على النعمان، وهاهم النعمان هيبة شديدة، فخرج النعمان فى بعض صيده ذات يوم، فلقى ابناً لعدى يقال له: زيد. فلما رآه عرف شبهه، فقال: «من أنت؟»

فقال: «أنا زيد بن عدى بن زيد.»

فكلمه، فإذا [246] غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً، وقرّبه، واعتذر إليه من أمر أبيه، ثمّ جهّزه وكتب إلى كسرى:

«إنّ عدياً كان ممن أُعِينَ به الملك فى نصحه ولُبّه، فأصابه ما لا بدّ منه وانقضت مدّته وانقطع أجله، ولم يصب به أحد أشدّ من مصيبتى، وأمّا الملك فلم يكن ليفقد رجلاً من عبيده إلّا جعل الله له منه خلفاً لما عظم الله من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابنٌ ليس دونه وقد سرّحتّه إلى الملك، فإن رأى أن يجعله مكان أبيه ويصرف عمّه إلى عمل آخر فعل.»

فكان هو الذى يلى ما يكتب إلى أرض العرب وخاصّة الملك، وكانت له من العرب وظيفة فى كلّ سنة من الأفراس الماهرة^(١)، ومن الكمأة الرطبة واليابسة، والأقط^(٢)، والأدّم، وشائر تجارات العرب. وكذلك كان عدى بن زيد له هذه الرسوم.

فلما وقع عند الملك هذا الموقع سأل عن النعمان، فأحسن الشّناء عليه، فمكث سنوات بمنزلة أبيه، وأعجب به كسرى وكان يكثر الدخول إليه.

٢. الأقط: الجبن.

١. الماهرة: جمع المهر: ولد الفرس.

فرصة انتهزها زيد

فلما كان بعض [247] دخلاته على كسرى جرى حديث النساء^(١)، وطلب الملك امرأة لها صفات ونعوت مكتوبة عند الملوك. وكان من رسم الملوك أن يطلب لهم جارية تجمع تلك النعوت في ممالكهم، فكتبت تلك الصفة. فدخل زيد على كسرى فكلّمه في ما دخل فيه، ثم قال:

- «إني رأيت الملك كتب في نسوة يُطلبن له، فقرأت الصفة، وأنا خير بآل المنذر، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمّه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.»

قال: «فتكتب فيهنّ.»

فقال: «أيها الملك، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان أنهم يتكزّمون - زعموا في أنفسهم - عن العجم. فأنا أكره أن يغيّبهنّ، وإن قدمت أنا عليه على معرفتي، لم يقدر على تغييبهنّ، فابعثنى وابعث معي رجلاً يفقه العربية.»

فبعث معه رجلاً جلدًا خفيفاً، فخرج به زيد، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة. فلما دخل عليه، أعظم الملك وقال:

- «إنّه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده، وأراد كرامتك [248] وبعث إليك.

فقال: «وما هؤلاء النسوة؟»

فقال: «هذه صفتهنّ قد جئنا بها.»

صفة جارية أهداها المنذر الأكبر إلى أنوشروان

وكانت الصفة أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية كان أصابها لَمّا

أغار على الحارث الأكبر الغساني ابن أبي شمر، فكتب إلى أنوشروان يصفها له:

«هي معتدلة الخلق، نقيّة اللون والثغر، بيضاء، قمراء، وطفاء^(١)،
دعجاء^(٢) حوراء^(٣)، عيناء^(٤)، قنواء^(٥)، شمّاء^(٦)، زجّاء^(٧)،
برجاء^(٨)، أسيلة الخدّ^(٩) [شهية المُقبل^(١٠)] جثلة^(١١) الشعر، عظيمة
الهامة، بعيدة مهوى القُرط، عيطاء^(١٢)، عريضة الصدر، كاعب الثدي،
ضخمة مُشاشة^(١٣) المنكب والعضد، حسنة المعصم، لطيفة الكفّ،
سبطة^(١٤) البنان، لطيفة طيّ البطن، خميصة^(١٥) الخصر، غرثي^(١٦)
الوشاح، رداح^(١٧) القُبْل، رابية الكفل، مفعمة الساق، لُقَاء^(١٨) الفخذين،
ريّا^(١٩) الروادف، ضخمة المأكمتين^(٢٠)، عظيمة الركبة، مشبعة^(٢١)
الخلخال، لطيفة الكعب والقدم، قطوف^(٢٢) المشى، مكسال^(٢٣)

١. الوطفاء: غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين.
٢. الدعج: شدة سواد العين، وشدة بياض بياضها.
٣. الحور: اسوداد العين كلها مثل الأطباء.
٤. العيناء: هي المرأة التي عظم سواد عينها في سعة مشهودة.
٥. القناء: ارتفاع في أعلى الأنف، واحديداب في وسطه، وسبوغ في أعلاه.
٦. الشمم: ارتفاع القصبة في الأنف.
٧. الزجّاء: دقيقة الحاجبين في طول.
٨. البرجاء: جميلة العين، والتي بياض عينها محقق بالسواد كله.
٩. الخد الأسيل: اللين الأملس الطويل المسترسل.
١٠. زيادة من الطبرى وابن الأثير.
١١. الجثل من الشعر: الكثيف الأسود.
١٢. العيطاء: الطويلة العنق.
١٣. المشاشة: رأس العظم الممكن المضغ.
١٤. سبطة البنان: الكريمة.
١٥. خميصة الخصر: من خصرها ضامر دقيق.
١٦. الغرثي: الجوعى، وغرثي الوشاح: دقيقة الخصر.
١٧. الرداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق، والقُبْل: ما استقبلك من مشرف.
١٨. اللُقَاء: مكتنزة الفخذين.
١٩. ريّا الروادف: من كثر لحم أرادفها.
٢٠. المأكمتان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين. [وفى ابن الأثير: المنكبين].
٢١. مشبعة الخلخال: كناية عن السمن.
٢٢. قطوف المشى: تقارب الخطو.
٢٣. المكسال: المرأة التي لا تكاد تبحر مجلسها وهو مدح عندهم!

الضحى، بضّة^(١) المتجرّد، شموع^(٢) للسيد، ليست بخنساء^(٣) ولا
سعاء^(٤) ذليلة الأنف، عزيزة النفس، لم تغذ في بؤس، حيّة، وزينة،
حليمة، ركيعة، كريمة الخال، تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها،
وبفصيلتها دون [249] جماع قبيلتها، قد أحكمتها التجارب في
الأدب، فرأيا رأى أهل الشرف، وعملها عمل أهل الحاجة، صنّاع
الكفين، قطيعة اللسان^(٥)، رهوة^(٦) الصوت، تزين البيت وتشين
العدو، إن أردتها اشتتهت، وإن تركتها انتهت، تحملق عيناها، وتحمرّ
وجنتاها، وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثبة.

فقبلها أنوشروان، وأمر بإثبات هذه الصفة في ديوانه، فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز.

فقرأ عليه زيد هذه الصفة، فشقّ عليه، فقال لزيد وللرسول:

«أما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم!»

فقال الرسول لزيد: «ما العين؟»

فقال: «البقر.»

فقال زيد للنعمان: «إنما أراد كرامتك، ولو علم أنه يشقّ عليك لم يكتب به

إليك.»

فأنزلهما يومين، ثم كتب إلى كسرى:

٢. الشموع: المزاحاة الضحوك اللعوب.

٤. السعاء: السوداء.

١. البضّة: الناعمة.

٣. الخنس: قريب من الفطس.

٥. ليست سليطة.

٦. رهوة الصوت: رقيقة الصوت. (جلّ هذه الشروح منقولة عن أيام العرب).

- «إنّ الذي طلب الملك ليس عندي».

وقال لزيد:

- «اعذرني عنده».

فلما رجعا إلى كسرى، قال زيد للرسول الذي جاء معه:

- «أصدق الملك، الذي سمعت منه، فإنّي سأحدّثه بحديثك، ولا أخالفك فيه».

فلما دخلا [250] على كسرى قال زيد: «هذا كتابه» فقرأه عليه.

فقال كسرى: «فأين ما كنت خبرتني به؟»

فقال: «قد كنت أخبرتك بضئهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم:

اختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش، واختيارهم السّموم والرياح على

طيب أرضك هذه، حتى إنّهم ليسمّونها السجن، فسل هذا الرسول معي عن الذي

قال، فإنّي أكره أن أحكي للملك قوله أو أردّ عليه ألفاظه».

فقال للرسول: «ما قال؟»

قال: «أنّه قال - أيّها الملك - : أما في بحر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما

عندنا؟»

فعرّف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، ولكنّه قال:

- «ربّ عبد قد قال هذا، فصار أمره إلى التّباب».

مركز تحقيق تراثنا في علوم اسلامی

كسرى يدعو النعمان وهو يحمل السلاح

وشاع هذا الكلام، فبلغ النعمان وسكت كسرى على ذلك أشهراً، وجعل

النعمان يستعدّ ويتوقّع حتّى أتاه كتابه أن:

- «أقبل، فإنّ للملك إليك حاجة».

فانطلق حين أتاه كتابه، فحمل سلاحه وما قوى عليه، ثمّ لحق بجبلى طيء،

وكانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم [251] وقد ولدت له رجلاً وكانت

عنده أيضاً زينب بنت أوس بن حارثة. فأراد النعمان طيئاً على أن يدخلوه ويمنعوه، فأبوا ذلك وقالوا:

«لولا صهرك لقاتلناك، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى.»

فأقبل ليس أحد من الناس يقبله، حتى نزل بذي قار، في بني شيبان سرّاً، فلقى هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود، وكان سيّداً منيعاً، وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلّة. فكره النعمان لذلك أن يدفع إليه أهله، وعلم أن هانئاً مانعه ممّا يمنع منه نفسه، فأودعه سلاحه، وتوجّه بنفسه إلى كسرى، فلقى زيد بن عدى على قنطرة ساباط.

فقال: «أنج نعيم!»

فقال: «أنت يا زيد فعلت هذا، أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ولأصنعن.»
فقال له زيد: «امض نعيم! فقد - والله - وضعت لك عنده آخية^(١) لا يقلمها المهر^(٢) الأرن^(٣)».

فلما بلغ كسرى أنه بالباب، بعث إليه، فقيده، وأنفذه إلى خانقين، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون، فمات فيه، والناس يظنون أنه [252] مات بساباط، لبيت^(٤) قاله الأعشى. والصحيح ما قلناه.

إياس وما أدّى إلى يوم ذي قار
وأمر كسرى إياس بن قبيصة الطائي أن يضمّ ما كان النعمان ينظر فيه، ويجمع ماله ويبعث به إليه. فبعث إياس إلى هانئ أن:

١. الآخية: عروة تثبت في الأرض أو الحائط لربط الدابة بها. الحرمة والذمة.

٢. المهر: أول ما ينتج من الخيل والحُمُر الأهلية وغيرها.

٣. الأرن: النشط. يقال: شددت له آخيه لايحلّها المهر الأرن.

٤. والبيت كما في الطبري (٢: ١٠٢٨):

فذاك وما أنجى من الموت ربّة بساباط، حتّى مات وهو مُحَرَّرٌ

- «أرسل ما استودعك النعمان من السلاح وغيره»
 وكان ثمانمائة درع. فأبى هاني أن يسلم خفارته.
 فلما منعها هاني غضب كسرى، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل وعنده يومئذ
 النعمان بن زُرعة التغلبي - وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى:
 - «يا خير الملوك، أدلك على غرة بكر بن وائل؟»
 قال: «نعم».

قال: «أمهلها حتى تقيظ»^(١)، فإنهم يجتمعون إلى مآلهم يقال له: ذوقار،
 فيتساقطون عليه تساقط الفراش في النار، فتأخذهم كيف شئت، وأنا أكفيكم».
 فترجم له، فأقرهم، حتى إذا قاضوا جاءت بكر بن وائل، فنزلت جنودى قار،
 وهو على ليلة من ذى قار^(٢). فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة أن: اختاروا
 واحداً من ثلاث خصال. فنزل النعمان على هاني وقال:
 «أنا رسول الملك إليكم، أخيركم فى ثلاث [253] خصال: إمّا أن تُعطوا
 بأيديكم فيحكم الملك فيكم بما شاء، وإمّا أن تدعوا الديار، وإمّا أن تأذنوا
 بحرب».

فتأمروا، فولّوا أمورهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، وكانوا يتيمينون به،
 فقال:

- «لا أرى إلّا القتال، لأنكم إن أعطيتم بأيديكم، قُتلتم، وسبيت ذراريكم، وإن
 هربتم قتلتم العطش، وتلقاكم تعيم فتهلككم، فأذنوا الملك بحرب».

فبعث الملك كسرى إلى إياس، وإلى الهامرز^(٣) التستري، وكان مسلّحه^(٤)

١. قاط اليوم: اشتدّ حره. قاط القوم بالمكان: أقاموا به أيام الحرّ.

٢. ذوقار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة (مع).

٣. Hamerz =

٤. المسلح، والمسلحة: كلّ موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة. القوم المسلّحون

بالقُطَطَانِيَّة^(١) وإلى جلابزين^(٢) وكان مسلحه بيارق. وكتب إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين - وكان كسرى استعمله على طفّ سفوان^(٣) - أن يوافقوا إياساً، فإذا اجتمعوا، فإياس على الناس. وجاءت الفرس ومعها الجنود والفيول عليها الأساورة، وقد بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - . فقال - عليه السلام - :

- «اليوم انتصفت العرب من العجم^(٤)». فحُفِظَ ذلك اليوم، فإذا هو يوم الواقعة.

رأى جيّد رآه قيس بن مسعود لهانئ [254]

لَمَّا دَنَتْ جِيُوشُ الْفَرَسِ بِمَنْ مَعَهُمْ اَنْسَلَ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ لَيْلاً، فَاتَى هَانِئاً فَقَالَ :

- «أَعْطِ قَوْمَكَ سِلَاحَ النِّعْمَانِ فَيَقْوُوا، فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ تَبْعاً لِنَفُوسِهِمْ وَكُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ بِالْحَزْمِ، وَإِنْ ظَفَرُوا رَدَّوْهُ عَلَيْكَ».

فَفَعَلَ، وَقَسَمَ الدَّرُوعَ وَالسِّلَاحَ فِي ذَوَى الْقَوَى وَالْجُلْدِ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمَّا دَنَا الْجَمْعُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، قَالَ لَهُمْ هَانِئُ :

- «يَا مَعْشَرَ بَكْرٍ، إِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِجُنُودِ كَسْرَى وَمَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، فَارْكَبُوا

الْقَلَاةَ».

فَتَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ، فَوُثِبَ حَنْظَلَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَيَّارٍ. فَقَالَ :

→ فى ثنر، أو مخفر للمحافظة. ترجمة لكلمة «زينستان» الفارسية المركبة من «زين» (بالفهلوية: Zen) أى السلاح، و «ستان» أى المكان (حب).

١. القُطَطَانِيَّة: موضع قرب الكوفة (مع).

٢. ما فى الأصل ومط غير واضح وما أثبتناه يوافق الطبرى (٢ : ١٠٣٠).

٣. طفّ سفوان: ماء على قدر مرحلة من المرهد بالبصرة به ماء كثير (مع).

٤. أنظر الطبرى (٢ : ١٠٣١)، والعقد (٥ : ٢٦٢).

«إنما أراد نجاتنا، فلم يزد على أن ألقانا في الهلكة».
فردّ الناس، وقطع وضنّ الهوارج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءها إن
هربوا^(١)، فسَمَّى: «مُقَطَّع الوضن^(٢)».

فضرب حنظلة على نفسه قبة يبطحاء ذى قار، وآلى: لا يفرّ حتى تفرّ القبة.
فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم، واستقرى^(٣) ماء لنصف شهر. فأتتهم
العجم، فقاتلتهم بالحنو، فجزعت العجم من العطش، ولم تقم لمحاصرتهم فهربت
إلى الجبابات^(٤) فتبعتهن^(٥) بكر وعجل أوائل بكر، [255] فتقدّمت عجل، وأبلت
يومئذٍ بلاءً حسناً، واضطّمت عليهم جنود العجم، فقال الناس: هلك عجل. ثم
حملت بكر، فوجدت عجلاً ثابتة تقاتل، وامرأة تقول:

إن يظفروا يجوزوا^(٦) فينا الغزل^(٧) إيها^(٨) فداءً لكم بنى عجل

وتقول أيضاً:

إن تسهزموا نعانق ونفرش النمارق^(٩)

مركز تحقيق الدراسات والبحوث

١. الأصل غير واضح، وما أثبتناه يؤيده مط والطبري.

٢. في الطبري (٢: ١٠٣٦): الوضن: حزم الرجال. ويقال: مقطّع البطن، والبطن: حزم الأقتاب.

٣. مط: واستقى. في الطبري: واستقوا.

٤. الجبابات: موضع قريب من ذى قار كان بها يوم العرب (مع).

٥. مط والطبري: وتبعتهن. ٦. في الطبري: يحرزوا.

٧. الغزل: جمع غرلة: جلدة الصبي التي تقطع في الختان.

٨. إيها: اسم فعل معناه: لا تحدّث. وقد ترد بمعنى التصديق والرضا بالشيء. إيها: اسم فعل معناه الاستزادة من حديث أو عمل. أو الإسكات والكف بمعنى: حسبك.

٩. النمارق: جمع النمرقة، وهي الوسادة الصغيرة، أو الطنفسة فوق الرجل.

أو تهرّبوا تُفارق فراق غير وامق^(١)

فقاتلوهم بالجبابات يوماً، فعطش العجم، فمالوا إلى بطحاء ذي قار.
فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا مع إياس عوناً على بكر - :
- «أَيُّ الأمرين أعجب إليكم: أن نظير تحت ليلتنا فنذهب، أو نقيم، ونفرّ حين
تتلاقون؟»

قالوا: «بل تقيمون، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم.»
فصَبَحَتهم بكر بن وائل والظُّعْن^(٢) واقفة يذمرن^(٣) الرجال على القتل. فقال
يزيد بن حمار السكوني وكان حليفاً لبني شيبان:
- «يا بني شيبان، أطيعوني واكمنوا^(٤) لهم كميناً.»
ففعّلوا، فكمنوا في مكان من ذي قار يسمّى إلى اليوم «الخَبء»^(٥). فاجتلدوا
على^(٦) ميمنة إياس بن قبيصة وفيها^(٧) الهامُز، وعلى ميسرته وفيها^(٨)
الجلابزين [256]، وعلى ميمنة هاني بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مُسهر
الشييباني، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلي وحنظلة يرتجز ويقول:

قد شاع أشياعُكم فاجِدُوا ما علّتي وأنا شيخٌ جَلْدُ^(٩)

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

١. الوامق: المحبّ. ٢. الظُّعْن: جمع الظعنينة: الراحلة، الهودج، الزوجة!

٣. ذمر: حضّ على الأمر.

٤. الأصل ومط والطبري: «واكمنوني لهم» فحذفنا «ني» وفقاً لابن الأثير (١: ٤٩٠).

٥. في الطبري: الحبّ، الحب. مط: حب. وفي الأصول: الخبيث.

٦. في الطبري: وعلى. ٧. فيها: سقطت من الطبري.

٨. فيها: أيضاً سقطت من الطبري.

٩. في الطبري: مؤذ. أي: ذو أداة من السلاح تامة، أي: لا عذر لي.

والقوس فيها وتَرَّ عَرْدُ^(١) مثل ذراع البكر أو أشدُّ

ثمَّ صَيَّرُوا الأمر بعد هانئ إلى حنظلة. فمال إلى مارية ابنته وهي أم عشرة نفر، فقطع وضيئها، فوقعت على الأرض، وقطع وُضْن النساء، فوقعن على الأرض. ونادت بنت القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض:

وَيْهَا بَنَى شِيَانَ صَفًّا بعد صفٍّ إن تُهْزَمُوا يُصَبِّغُوا^(٢) فِينَا الْقُلْفُ^(٣)

فقطع سبعمائة من بنى شيبان أيدي أقيبتهم من قبل مناكبهم، لتخفَّ أيديهم بالضرب، فجالدوهم، ونادى الهامُز لَمَّا رأى جدَّ القوم وثباتهم للحرب وصبرهم للموت:

— «مَرْد وَمَرْد!»

فقال بُرد بن حارثة اليشكري: «ما يقول؟»

قال: «يدعو إلى البراز ويقول: رجل ورجل.»

فقال: «وأبيكم لقد أنصف.» [257]

وبرز له بُرد، فلم يلبث بُرد أن تمكَّن من الهامُز فقتله، ونادى حنظلة بن

ثعلبة:

— «يا قوم، لا تقفوا لهم فيستغرقكم الشباب.»

١. عَرْدُ: صلب شديد.

٢. مط: «يصنعوا» وقد زالت تقطنا الياء. ما في الأصل: «يضيِّعوا» وقد يكون له معنى. وما أثبتناه من الطبري (٢: ١٠٣٣)، وابن الأثير (١: ٤٩٠).

٣. الْقُلْفُ: جمع القلفة: الجلد التي يقطعها الخائن من ذكر الصبي. وقوله: يصبِّغوا فِينَا الْقُلْفُ، أي: إن هزمتم افتصَّوْا أبكارنا.

فحملت ميسرة بكر - وعليها حنظلة - على ميمنة الجيش، وقد قتل الهامرز رئيسهم، قتله بُرد، وحملت ميمنة بكر - وعليها يزيد بن مسهر - على ميسرة الجيش، وعليهم الجلابزين، وخرج الكمين من خبء ذى قار من ورائهم [وعليهم]^(١) يزيد بن حمار، فشذوا على قلب الجيش، وفيهم إياس بن قبيصة وولت إباد منهزمة كما وعدتهم، وانهزمت الفرس وأتبعوهم يسعون، لم ينظروا إلى سلب ولا إلى شيء حتى تعارفوا «بأدم» - موضع قريب من ذى قار - فوجد ثلاثون فارساً، من عجل ومن سائر بكر ستون فارساً وقتلوا جلابزين، قتله حنظلة بن ثعلبة، وذلت الفرس بعد ذلك، وذلت أمرهم.

ذكر حيلة أبرويز على ملك الروم

كان أبرويز وجّه رجلاً من جلة أصحابه في جيش جرّار إلى بلاد الروم [258] فنكا فيهم، وبلغ منهم، وفتح الشامات وبلغ الدرب في آثارهم فعظم أمره وخافه أبرويز. فكاتبه بكتابين أمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يثق به ويقبل إليه، ويأمره في الآخر أن يقيم بموضعه، فإنه لما تدبّر أمره وأجال الرأي، لم يجد من يستد مسدّه، ولم يأمن الخلل، إن غاب عن موضعه، وأرسل بالكتابين رسولاً من ثقاته وقال له:

- «أوصل الكتاب الأول بالأمر بالقدوم، فإن خفّ لذلك فهو ما أردت، وإن كره وتناقل عن الطاعة، فاسكت عليه أيّاماً، ثم أعلمه أنّ الكتاب الثانى ورد عليك، وأوصله إليه ليقيم بموضعه.»

فخرج رسول كسرى حتى ورد على صاحب الجيش ببلاد الشام، فأوصل الكتاب إليه، فلمّا قرأه قال:

١. فى الأصل ومط: «من ورائهم الجلابزين» فحذفنا «الجلابزين» وأثبتنا مكانها «وعليهم» كما فى الطبرى.

- «إمّا أن يكون كسرى قد تغيّر لى وكره موضعى، أو يكون قد اختلط عقله بصرف مثلى وأنا فى بحر العدو.»

فدعا الأصحاب وقرأ عليهم الكتاب فأنكروه. فلما كان بعد ثلاثة أيام، أوصل الكتاب الثانى بالمقام، وأوهمه أن رسولاً [259] ورد به، فلما قرأه قال: «هذا تخليط.» ولم يقع منه موقعاً، ودسّ إلى ملك الروم من ناظره فى إيقاع صلح بينهما، على أن يخلّى الطريق لملك الروم، حتّى يدخل بلاد العراق على غرة من كسرى، وعلى أن لملك الروم ما تغلب عليه من دون العراق، وللفارسي ما وراء ذلك إلى بلاد فارس.

فأجابه ملك الروم إلى ذلك وتنحّى الفارسي عنه فى ناحية من الجزيرة، وأخذ أقواه الطرق، فلم يعلم كسرى حتّى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا^(١)، وكسرى غير معدّ، وجنده متفرّقون فى أعماله. فوثب من سريره مع قراءة الخبر وقال:

- «هذا وقت حيلة لا وقت شدة.»

وجعل ينكت فى الأرض ملياً. ثمّ دعا برقّ، وكتب فيه كتاباً صغيراً بخطّ دقيق إلى صاحبه بالجزيرة يقول فيه:

- «قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم، وإطعامه فى نفسك وتخليّة الطريق له حتّى إذا تولّج فى بلادنا أخذته من أمامه وأخذته أنت ومن ندبناه لذلك من خلفه، فيكون ذلك بواره، وقد تمّ فى هذا الوقت ما دبّرناه، وميعادك [260] فى الإيقاع به يوم كذا!»

ثمّ دعا راهباً كان فى دير بجانب مدينته وقال له:

- «أى جار كنت لك؟»

١. فى الأصل: قرقيسا. وقرقيسيا: بلد على الخابور عند مصبه، وهى على الفرات، جانب منها على الخابور، وجانب آخر فوق رحبة مالك بن طوق (مع) (C.I.S) Circesium.

قال: «أفضل جار.»

قال: «قد بدت لنا إليك حاجة.»

قال الراهب: «الملك أجل من أن يكون له حاجة إلى مثلي، ولكن عندى بذل
نفسى فى الذى يأمر به الملك.»

قال كسرى: «تحمل لى كتاباً إلى فلان صاحبى؟»

قال: «نعم.»

قال كسرى: «فإنك تجتاز بأصحابك النصارى، فأخفه.»

قال: «نعم.»

فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى:

«أعلمت ما فى الكتاب؟»

قال: «لا.»

قال: «فلا تحمله حتى تعلم ما فيه.»

فلما قرأه أدخله فى جيبه ثم مضى.

فلما صار فى عسكر الروم ونظر إلى الصلبان والقسيسين وضجيجهم
بالتقديس والصلوات احترق قلبه لهم وأشفق ممّا خاف أن يقع بهم. وقال فى
نفسه:

«أنا شرّ الناس إن حملت يدي حنف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق.»

فصاح: «أنا لم يحملنى كسرى رسالة ولا معى كتاب.»

فأخذوه ووجدوا الكتاب معه.

وقد كان كسرى وجّه رسولاً قبل ذلك اختصر الطريق حتى مرّ بعسكر الروم
وكأنه رسول إلى كسرى [261] من صاحبه الذى طابق^(١) ملك الروم ومعه كتاب

فيه :

«إنَّ الملك كان قد أمرنى بمقاربة ملك الروم وأن أختدعه وأخلى له الطريق،
فياخذه الملك من أمامه، وآخذه أنا من خلفه وقد فعلتُ ذلك، فرأى الملك فى
إعلامى وقت خروجه إليه.»

فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال :

«قد عجبت أن يكون هذا الفارسى أدهن^(١) على كسرى.»

ووافاه أبرويز فى من أمكنه من جنده، فوجد ملك الروم قد ولى هارباً، فاتبعه
يقتل ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم، فأحبَّ أن يجلى نفسه
ويستر ذنبه لما فاتته ما دبر، فخرج خلف الروم الهاربين، فلم يسلم منهم إلا
القليل^(٢).

ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله

كان سبب هلاك أبرويز وقتله تجبره، واحتقاره العظماء، وعتوه. وذاك أنه
استخفَّ بما لا يستخفَّ به الملك الحازم. [262] وكان قد جمع من المال ما لم
يجمعه أحد من الملوك، وبلغت خيله قسطنطينية وإفريقية، وكانت له اثنتا عشرة
ألف امرأة وجارية، وألف فيل إلا فيل واحد، وخمسون ألف دابة، ومن الجواهر،
والآلات والأواني ما يليق بذلك. وأمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده وسائر
أبواب المال سنة ثمانى عشرة من ملكه. فرفع إليه: أن الذى اجتبى فى تلك السنة
من الخراج وسائر الأبواب ستمائة ألف ألف [٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠] درهم، وأمر
فحوّل إلى بيت مال بُنى بمدينة طيسبون، من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباز بن

١. أدهن: أظهر خلاف ما أضمر، أو خدع وغش. أدهن عليه: أبقى. أدهن فلاناً: داراه ولاينه.

٢. إنَّ ما ذكره مسكويه تحت عنوان «حيلة لأبرويز» لم نعثر على ذكر له عند كل من الطبرى،

والمسعودى، والدينورى، والثعالبي، وابن الأثير.

فيروز اثنتا عشرة ألف [١٢,٠٠٠] بدرة في أنواع من الجواهر والكُسي وغير ذلك. فَعَتَا واستهان بالناس والأحرار.

وبلغ من جرأته أنه أمر رجلاً كان على حرس بابهِ الخاصّة يقال له: زاذانفَرُوخ، أن يقتل كلّ مقيّد في سجن من سجونهِ. فأحصوا، فبلغوا ستّة وثلاثين ألفاً. فلم يقدم زاذانفَرُوخ على قتلهم، وتقدّم بالتوقّف عمّا أمر به كسرى وأعدّ عللاً له في ما أمر [263] به فيهم.

فكان هذا أحد ما كسب به كسرى عداوة أهل مملكته.

والثاني: احتقاره إياهم واستخفافه بعظمائهم.

والثالث: أنه سلّط عِلْجاً^(١) يقال له «الفَرّخان زاذ» عليهم، حتّى استخرج بقايا الخراج بعنف وعذاب، وكان ضمن من ذلك مالاً عظيماً، فسَلّطه على الناس.

والرابع: إجماعه على قتل الفلّ^(٢) الذين انصرفوا إليه من قبل هرقل.

فمضى قوم من العظماء إلى عَقْر بابل وفيه شيرى^(٣) بن أبريز مع إخوته بها، وقد وُكِّلَ بهم مؤدّبون وأساورة يحولون بينهم وبين براح ذلك الموضع، فأقبلوا به، ودخلوا مدينة بَهْرَسِير ليلاً. فخلّى عَمَن كان في سجونها وأخرج من كان فيها، واجتمع إليه الفلّ الذين كانوا عملوا بأمر كسرى بقتلهم. فنادوا:

«قباد شاهنشاه»،

وصاروا حين أَصْبَحُوا إلى رَجِيّة كسرى، فهرب الحرس من قصر أبريز، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره يدعى: «باغ الهندوان» فأراً^(٤). فأخذ وحُبِسَ خارجاً [264] عن دار المملكة في دار رجل يقال له: مارِسْفَنْد^(٥).

١. العِلْج: الجافّ الشديد.

٢. الفلّ: المنهزم. (للوّاحد والجمع).

٣. شيرى = شِيرَوِيَه، واسمه قباد (الطبري ٢: ١٠٤٣، ١٠٤٥) = قباد الثاني (C.I.S.).

٥. مط: مارِسْفَنْد.

٤. مط: هارياً.

إلى أن قتل، بعد حديث طويل^(١) ومراسلات بينه وبين شيرى بمواطاة العظماء، وبعد تقرير كثير وتوبيخ على ما كان منه فى أشياء عدّوها عليه. فأجاب عن الكلّ بجوابات مقنعة صحيحة لم نذكرها لخروجها عما بنينا عليه غرض هذا الكتاب.

وكان هلاكه بعد ثمان وثلاثين سنة، ولمضى اثنين وثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً من ملكه، هاجر النبى - صلى الله عليه - من مكة إلى المدينة. وخلف فى بيت المال يوم قتل من الورق أربعمئة ألف [٤٠٠,٠٠٠] بدرة، سوى الكنوز والذخائر والجواهر وآلات الملك، وفى تلك الكنوز «كنز باد آوزد»^(٢).

ثمّ ملك شيرويه بن أبريز.

ذكر عاقبة شيرويه بن أبريز

قتل شيرويه أباه، وقتل سبعة عشر أخاً له ذوى آداب وشجاعة، [265] بمشورة وزرائه، فابتلى بالأسقام، وانتقض عليه بدنه، فلم يلتدّ بشيء من لذات الدنيا، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً، وكان يبكى إلى أن رمى بالتاج عن رأسه، وعاش ما عاش مهموماً حزيناً مدنفاً. وكان الطاعون فشا فى أيامه، فأهلك أكثر الفرس. وكان ملكه ثمانية أشهر.

١. أنظر الطبرى ٢: ١٠٤٤.

٢. گنج ي واذ آوزد، گنج باد آوزد (C.I.S). وگنج باد آوزد [أى كنز أنت به الريح] اسم للحن من ألحان باربد. قيل: إن الموسيقى باربد (Barbad) لحنه بعد أن أتى أبريز بذلك الكنز (فم).

ثم ملك أردشير بن شيرويه

وكان طفلاً، وقيل: إنه كان ابن سبع سنين، لأنه لم يوجد غيره من أهل بيت المملكة، وحضنه رجل يقال له: مهاذرجشنس^(١)، فأحسن سياسة الملك فبلغ من إحكامه ذلك أنه: لم يحسّ بحدائث أردشير سوى أنه غلط في أمر شهربراز المقيم بشعر الروم.

ذكر غلظه في ذلك واستهانتته بأمره حتى كان سبب هلاكه

كان شهربراز في جند ضمتهم إليه كسرى، وكان كسرى وشيرويه لايزالان يكتبان إليه في الأمر يهتما ويستشيرانه. فلما لم يشاوره عظماء [266] الفرس في تمليك أردشير، ولم يكاتبه أيضاً مهاذرجشنس، تعنت الفرس، وتبغى عليهم، وبسط يده، وجعله سبباً للطمع في الملك، واستطال، واحتقر أردشير لحدائث سنّه، ودعا الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمد مهاذرجشنس، فحصن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحول أردشير ومن بقى من نسل الملوك ونسائهم، وما كان في بيت مال أردشير من مال وخزائن وكراع، إلى مدينة طيسبون.

فلما ورد شهربراز أناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر من فيها، ونصب المجانيق عليها، فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له: نيوخسرو^(٢)، ورجلاً كان اصهبذ نيمروز^(٣) كان، حتى فتحا له باب المدينة، فدخلها، وأخذ جماعة من الرؤساء،

١. وجاء في الطبري: كانت مرتبته رئاسة أصحاب المائدة (٢: ١٠٦٢).

٢. الأصل مهمل النقط. في الطبري: نيوخسرو. كان رئيس حرس أردشير (٢: ١٠٦٢).

٣. في الأصل: نيمروز كان، بالذال المعجمة. في الطبري: نامدار جشنس بن آذرجشنس اصهبذ نيمروز.

فقتلهم، واستصفى أموالهم، وقتل أردشير بن شيرويه. وكان ملكه سنة وستة أشهر.
[267]

ثم ملك شهربراز

ولم يكن من أهل بيت المملكة ودعا نفسه ملكاً، ولمّا جلس على سرير
المُلك ضرب عليه بطنه، وبلغ من شدة ذلك عليه أنّه لم يقدر على اتيان الخلاء،
فدعا بالطست، فوضع أمام ذلك السرير، ومُدّ في وجهه ما ستره، فتبرز في
الطست!

ثم امتعض رجل يقال له «بُسْفَرُوخ»^(١) وأخوين له، من قتل شهربراز أردشير
بن شرويه، وغلبته على المُلك، فتحالفوا على قتله. وكان من السنة إذا ركب
الملك أن يقف له حرسه سماطين عليهم الدروع، والبيض، والترسة، والسيوف،
وبأيديهم الرماح، فإذا حاذاهم الملك وضع كل رجل منهم ترسه على قربوس
سرجه، ثمّ وضع جبهته عليه كهيئة السجود. وإنّ شهربراز ركب بعد أن ملك بأيام،
فوقف له بُسْفَرُوخ، ثم طعنه أخواه، فسقط عن دابته، [268] فشذّوا في رجله
حبلاً وجزّوه إقبالاً وإدباراً ساعة، وساعدهم قوم من العظماء وقتلوا عدّة عاونوا
في الفتك بأردشير، وملّكوا بوران بنت كسرى. وكان جميع ما ملك شهربراز
أربعين يوماً. مركز تحقيق كاتوير علوم اسلامی

وملكت بوران بنت كسرى أبرويز

فأحسنّت السيرة، وبسطت العدل، وأمرت برمّ القناطر والجسور وإعادة
العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت إلى الناس عامّة كتباً تعلمهم ما هي عليه

→ (نفس الصفحة).

١. في الطبري: فسفرُوخ بن ماه خُرشيدان (٢: ٦٣ - ١) = (C.I.S) Pus Farrukh.

من الاحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون به أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا ببأسهم تستباح العساكر، ولا بمكاندهم ينال الظفر، وتطفأ النواثر، ولكن ذلك كله بالله عز وجل، وحسن النية، واستقامة التدبير. وأمرت بالمناصحة وحسن الطاعة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم. وكان ملكها سنة وأربعة أشهر. [269]

ثم ملك بعدها رجل يقال له: جُشنَسْبَنْدَه^(١)
وكان ملكه أقل من شهر، ولم يظهر له أثر تستفاد منه تجربة.

ثم ملكت آزرمي دُخت إبنة كسرى أبرويز
كانت آزرمي دُخت من أجمل نساء دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ «فرّخ
هرمز» إصهبد خراسان، وأرسل إليها: يسألها أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه:
- «أنّ التزويج للملكة غير جائز، وقد علمت أنّ إربك فيما ذهبت إليه، قضاء
حاجتك مني، فصرّ إليّ ليلة كذا وكذا».

ففعّل [فرّخ هرمز]^(٢)، وركب إليها في تلك الليلة، وتقدّمت آزرمي دُخت إلى
صاحب حرسها أن يترصّده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها، حتّى يقتله. فنفذ
صاحب حرسها لأمرها، وأمر به فجر برجله، وطرح في رحبة دار المملكة. فلمّا
أصبح الناس ورأوه، علموا أنّه لم يقتل إلّا لعظيمة. فأمرت بجثته فغيّبت.

وكان رستم بن فرّخ هرمز هذا عظيم البأس قويّاً في نفسه وهو [270] رستم
صاحب القادسية الذي تولّى قتال العرب من قبل يزدجرد في ما بعد، وسنحكي

١. في الطبري: جُشنَسْدَه (٢: ١٠٦٤)، وابن الأثير: جُشنَسْبَنْدَه (١: ٤٤٩)، والصحيح: جُشنَسْبَنْدَه. معرّب
جُشنَسْبَنْدَكْ Gusnasp Bandak. وجاء في بعض الأصول: جُشنَسْفَنْدَه.

٢. في الأصل: «خره هرمز» وما أثبتناه يؤيده الطبري ومط.

خبره هناك. فلما بلغه ما صنع بأبيه، أقبل في جند عظيم، حتى نزلوا المدائن، وسمل عيني آزر مي دخت، وقتلها، وكان ملكها ستة أشهر. واختلف^(١) فيمن ملك بعد آزر مي دخت، فقليل: أتى برجل من عقب أردشير بن بابك، كان ينزل الأهواز يقال له:

كسرى بن مَهْرَجُشْنَس

فلبس التاج وقتل بعد أيام. ويقال: بل كان رجلاً يسكن ميسان^(٢) يقال له:

فيروز

فلملكوه كرهاً، وكان ضخم الرأس. فلما توج قال:

«ما أضيق هذا التاج!»

فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق، وقتلوه^(٣). ثم أتى برجل من أولاد كسرى كان لجأ إلى موضع من المغرب قريب من نصيبين يقال له: «حصن الحجارة» حين قتل شيرويه بن كسرى، يقال له:

فرخ باذخسرو^(٤)

فانقاد له الناس طوعاً زمناً يسيراً، ثم استعصوا عليه وخالفوه [271] وكان

١. أنظر الطبري (٢: ١٠٦٥).

٢. كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان (مع).

٣. وقتلوه بعد أن ملك أياماً (الطبري ٢: ١٠٦٧).

٤. يذكر هذا الاسم هنا في ثلاثة مواضع. ففي مط: فرخ باذ خسرو، فرخ زاد خسرو، خره داد خسرو. في الطبري (٢: ١٠٦٦): فرخ زاد خسرو (في المواضع الثلاثة). وأما عند البيروني وحسب الجداول الأربعة: فرخ زاد خسرو، خره زاد خسرو، خره داد خسرو، فرخ زاد خسرو (ص ١١٢-١٢٨). وأما في الأصل فكما يراه القارئ. لأننا أثّرنا إثباتها كما هي مع العلم بأن الصحيح هو أحد هذه الأشكال.

ملكه ستة أشهر، وكان أهل إصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهریار بن أبرويز بإصطخر، قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته، فلمّا بلغ عظماء إصطخر أنّ من بالمدائن خالفوا فرّخ زاد خسرو، أتوا بيزدجرد بيت نار يدعى: «بيت نار أردشير»، فتوجّوه هناك وملّكوه وكان حدثاً. ثمّ أقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا «خُرّه داد خسرو» بحيل احتالوها له وساغ الملك ليزدجرد.

ملك يزدجرد بن شهریار بن أبرويز

فملك يزدجرد. غير أنّ ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال وكالحلم، وكانت العظماء والوزراء يدبّرون ملكه لحدائثة سنّه، وكان أشدّهم نباهة في وزرائه^(١) وأذكاهم رئيس الخوّل^(٢). وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليه أعداؤه من كلّ وجوه، وتطرّفوا^(٣) بلاده، وأخربوا منها، وغزت العرب بلاده بعد أن مضى من ملكه ثلاث أو أربع سنين، [272] وكان عمره كلّهُ إلى أن قتل بمرو عشرين سنة. وله أحاديث وسير، سنذكرها بعد فراغنا من الأحوال التي تمّت من جهة الرأى والتدبير في أيام النبی - صلّى الله عليه وسلّم - والخلفاء من بعده، إلى أن يتصل بذكر يزدجرد، وما كان منه^(٤).

مركز تحقیق کتابت وپوز علوم اسلامی

١. في الأصل: «وزارته» وما أثبتناه من مط والطبری.

٢. الخول: عطية الله من النعم، والعبيد، والإماء، وغيرهم من الأنباغ والحشم.

٣. في الطبری أيضاً: تطرّفوا. مط: تطرّفوا. ٤. أنظر الطبری ٢: ١٠٦٧.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

عصر النبىؐ (ص) والخلفاء الراشدين



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مِمَّا جَرَى فِي غَزَوَاتِ الرَّسُولِ (ص)

من تدابيره البشرية في غزوة الخندق

فمِمَّا جَرَى فِي غَزَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - مِنْ التَّدَابِيرِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحِيلِ الْإِنْسَانِيَّةِ ^(١) مَا كَانَ مِنْهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - لَمَّا أَجْلَى الْيَهُودَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ عَنْ دِيَارِهِمْ، اجْتَمَعَ رُؤَسَاؤُهُمْ، وَفِيهِمْ سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَحَيَّ بْنُ أَخْطَبَ وَغَيْرُهُمَا، فَقَدَمُوا مَكَّةَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - وَحَزَبُوا الْأَحْزَابَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَطَمَعُوا فِي اسْتِیْصَالِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - فَنَشَطَتْ قَرِيشٌ لَذَلِكَ، وَتَذَكَّرُوا أَحْقَادَهُمْ بِبَدْرٍ، فَخَرَجُوا وَقَاتِلَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ. وَخَرَجَتْ غُطَفَانُ وَقَاتِلَهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ [273] بْنُ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَبَنُو فِزَارَةَ ^(٢) وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَحْزَابِ. فَأَشَارَ سَلْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - لَمَّا رَأَاهُمْ بِالْمَقَامِ بِالْمَدِينَةِ، وَیَدْبُرُ ^(٣) أَنْ يَتْرَكَهُمْ ^(٤) حَتَّى يَرُدُّوهُ، ثُمَّ يَحَارِبُهُمْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَفِي طَرَفِهَا، أَنْ

١. فاستشار رسول الله (ص) سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فقالا: «شيء تحب أن نصنع، أم شيء أمرك الله به، أم شيء تصنعه لنا؟» قال: «بل [أصنع] لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكألبوكم من كل جانب، فأردت أن أكرس عنكم شوكتهم...» (الطبري ٣: ١٤٧٤ ابن

٢. مط: بنو قراوة.

الأثير ٢: ١٨١).

٤. مط: بتركهم!

٣. مط: بدوا!

يخندق. ففعل ذلك، ووردت قريش بعددها وعدتها، ووردت الأحزاب، وكثر الناس والأعداء على رسول الله - صلى الله عليه - وكان قد وادع بني قريظة وهم أصحاب حصون بالمدينة، وصاحب عقدهم وعهدهم كعب بن أسد القرظي.

احتيال حيي بن أخطب لكعب بن أسد

فاحتال حيي بن أخطب لكعب بن أسد، حتى وصل إلى حصنه، فأغلق كعب دونه باب الحصن، وقال:

- «بينى وبين محمد عقد، ولن أنقض ما بينى وبينه.»

قال: «افتح الباب أكلّمك.»

فقال: «ما أنا بفاعل.»

فقال: «والله إن أغلقت دونى الباب إلّا على جشيشتك^(١) أن آكل معك منها.» فأحفظ^(٢) الرجل حتى فتح له. فقال:

- «ويحك يا كعب! جئت بك بقريش على قاداتها وساداتها حتى أنختهم بالمدينة. وجئتك [274] بغطفان على قاداتها وساداتها، وقد عاهدوني إلّا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه.»

فتأبى كعب، ولم يزل به، يفتله^(٣) فى الذروة والغارب، حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً أن يكون معه. ونقض كعب ما بينه وبين رسول الله - صلى الله عليه - وبرئ مما كان عليه له^(٤).

١. الجشيشة: طعام مطبوخ من الحنطة المطحونة طحناً جليلاً، بلحم أو تمر.

٢. أحفظه: أغضبه.

٣. مط: يقيله! قوله: «لم يزل به يفتله فى الذروة والغارب» أى مازال يخادعه ويتلطفه حتى أجابه. وأصله أن الرجل إذا أراد تأليف البعير الصعب يمرّ يده عليه ويمسح غاربه ويقتل وبره حتى يستأنس ويوضع فيه الزمام (أيام العرب: ٦٠).

٤. مط: عليه وله.

فلما صحَّ عند رسول الله - صَلَّى الله عليه - ذلك، ضاق ذرعاً وخشى أن يفتَّ ذلك في أعضاد المسلمين. فعظم البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ ونجم النفاق من المؤمنين، وكثر الخوض.^(١)

ما كان من نعيم بن مسعود من تخذيل وخذاع وأقام رسول الله - صَلَّى الله عليه - وأصحابه في ما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر الأعداء عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى أتاه نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف^(٢) بن ثعلبة الغطفاني مسلماً، فقال: - «يا رسول الله، إني قد أسلمت وإنَّ قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت، أنته إليه.»

فقال رسول الله [275] - صَلَّى الله عليه -: «إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فِينَا، وَإِنَّمَا غَنَاؤُكَ^(٣) أَنْ تَخْذُلَ^(٤) عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ، وَعَلَيْكَ بِالْخِدَاعِ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خِدْعَةٌ.» فخرج نعيم بن مسعود حتَّى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم، فقال: - «يا بني قريظة، قد عرفتُم ودِّي إِيَّاكُمْ وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.» قالوا: «صدقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمَعْتَمِرٍ.» فقال لهم:

- «إِنَّ قَرِيشاً وَغُطَفَانَ وَمَنْ التَفَّ مَعَهُمْ، جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ

١. الخوض: التفاوض في الحديث.

٢. مط: أسف.

٣. غناؤك: نفك وكفايتك.

٤. مط: تخذل. تخذل عتاً: أى تدخل بينهم حتى يدخل بعضهم بعضاً.

عليه، فليسوا [كهيتكم] ^(١)، وذلك أن البلد بلدكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا إلى غيره. فأما قريش وغطفان فإن أموالهم وأبناءهم ونساءهم ببلاد غير بلادكم، فإن رأوا نُهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل، والرجل ^(٢) ببلادكم لا طاقة لكم به إن ^(٣) خلا بكم فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه ^(٤)».

قالوا: «لقد أشرت علينا [276] برأى ونصح».

ثم خرج حتى أتى قريشاً. فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه:

«يا معشر قريش! قد عرفتم ودي إيتاكم وفراقى محمداً، وقد بلغنى أمر رأيته

حقاً على أن أبلغكم، نصحاً لكم، فاكتموا على».

قالوا: «نفعل».

قال: «اعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد

أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما صنعنا ^(٥)، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين:

من قريش وغطفان، رجالاً من أشrafهم وكبرائهم ونعطيك ^(٦) فتضرب أعناقهم،

ثم نكون معك ^(٧) على من بقى منهم. فإن بعثت إليك ^(٨) يهود يلتمسون منكم رهناً

من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً».

فوقع ذلك من القوم.

١. مط: كهيتاتهم، وفي بعض الأصول: فليسوا مثلكم. ابن الأثير (٢: ١٨٣): ليسوا كأنتم، في الأصل:

«كهيتهم» وصححناها كما في الطبري ٣: ١٤٨.

٢. والرجل: غير موجود في مط.

٣. في الأصل: وإن. والواو ليست لا في مط ولا في الطبري.

٤. مط: تناجزوه. المناجزة: المنازلة والمقاتلة. وفي الأصل: «ما صنعوا» وما أثبتناه من مط.

٥. مط: معكم.

٦. مط: ونعطيك إياهم.

٨. مط: تبعث إليكم.

وخرج حتى أتى غطفان. فقال:

- «يا معشر غطفان! أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم

تتهموني.»

قالوا: «صدقت.» قال: «فاكتموا عليّ.» قالوا: «نفعل.»

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم.

إتفاق جيّد

فكان من الإتفاق الجيّد [277] أن أرسل بعد ذلك أبو سفيان ورؤوس غطفان

إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان. فقال لهم:

- «إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخفّ والحافر^(١)، فاغدوا^(٢) للقتال حتى

نناجز محمداً ونفرغ ممّا بيننا وبينه.»

فأرسلوا إليه:

- «إنّ اليوم السبت - وكان اتفق ذلك - وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ومع ذلك

فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا زهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى

نناجز محمداً، فإنّا نخشى - إن ضرستكم الحرب واشتدّ عليكم القتال - أن

تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد.»

فلما رجعت الرسل بالذي قالت بنو^(٣) قريظة، قالت قريش وغطفان:

- «والله إنّ الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحقّ.»

فأرسلوا إلى بن قريظة:

- «إنا والله ما ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا. فإن كنتم تريدون القتال

فاخرجوا فقاتلوا.»

٢. في الأصل: «فأعدوا» في مط والطبري: فاغدوا.

١. الخفّ والحافر: الإبل والخيول (لح).

٣. «بنو»: سقطت من الأصل ومط.

فقلت بنو قريظة^(١) حين أدت إليهم الرسل :

«إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نَعِيمٌ بَنِ مَسْعُودٍ [278] لِحَقِّ. مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ يِقَاتِلُوا. فَإِنْ وَجَدُوا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا^(٢) إِلَى بِلَادِهِمْ، وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ.»

فَأَرْسَلُوا إِلَى الْقَوْمِ :

«إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَقَاتِلُ مَعَكُمْ حَتَّى تَعْطُونَا رَهْنًا.»

وَتَخَاذَلُ الْقَوْمُ. وَآتَاهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَذَلِكَ فِي زَمَنِ شَتٍّ^(٣) وَلَيَالٍ بَارِدَةٍ كَثِيرَةٍ الرِّيحِ تَطْرَحُ^(٤) أَهْنِيَّتَهُمْ، وَتَكْفَأُ^(٥) قُدُورَهُمْ. وَضَاقَ ذَرْعُ الْقَوْمِ وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اخْتِلَافُ الْقَوْمِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ. فَدَعَا حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانَ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلًا. فَذَهَبَ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانَ، حَتَّى دَخَلَ فِي الْقَوْمِ. قَالَ حَذِيفَةُ: فَذَهَبْتُ فَرَأَيْتُ مِنَ الرِّيحِ أَمْرًا هَاتِلًا لَا يَقْرَأُ لَهُمْ نَارًا وَلَا بِنَاءً.

فَقَامَ أَبُو سَفْيَانَ ابْنُ حَرْبٍ، فَقَالَ :

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرَ أَمْرُؤُ جَلِيسِهِ.»

قَالَ: فَبَادَرْتُ وَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَانِبِي، فَقُلْتُ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: «أَنَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ.»

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: تَكَلَّمْتُ بِرَأْيِ رَسُولِي

«إِنَّكُمْ يَا قَوْمَ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مَقَامٍ. لَقَدْ هَلَكَ الْكَرَاعُ^(٦) وَالْخَفُّ، وَأَخْلَفْتَنَا [279] بَنُو قَرْيَظَةَ، وَبَلَّغْنَا عَنْهُمْ مَا نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنَ الْجَهْدِ وَالشَّدَّةِ وَهَذِهِ الرِّيحُ مَا

١. وفي الأصل: «بنو قريظ» وما أثبتناه يوافق مط.

٢. مط: تشمروا.

٣. شتا اليوم، أو الشتاء: اشتدَّ برده.

٤. مط: طرح.

٥. تكفأ: تقلب.

٦. الكرَاع: الخيل.

ترونها. فارتحلوا، فإني مرتحل».

ثم قام إلى جملة، وقام الناس معه. وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فأنصرفوا إلى بلادهم، وتفرق ذلك الجمع من غير قتال، إلا ما كان من عدة يسيرة اتفقوا على الهجوم على الخندق، يحكى أن فيهم عمرو بن عبد ود، فقتلوا. أما عمرو فقتله علي بن أبي طالب مبارزة لما اقتحم^(١) عليه الخندق، وانتقض ذلك الجمع والتدبير كله.

ومن ذلك ما كان يوم حنين

وفيه ذكر لدريد بن الصمة وبعض آرائه

ومن ذلك أنه لما افتتح رسول الله - صلى الله عليه - مكة، وأقام خمسة عشر يوماً، جاءت هوازن وثقيف لمحاربته، فنزلوا بحنين. وذاك أنهم كانوا قبل ذلك قد جمعوا له حين سمعوا بمخرجه من المدينة، وظنوا أنه يريدهم. فلما قصد مكة أقبلوا عامدين إليه، ومعهم الأموال والنساء والصبيان، ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف. وأقبلت معهم ثقيف، ونصر^(٢)، وجشم. [280] ولم يشهد معهم من هوازن كعب ولا كلاب. وفي جشم دريد بن الصمة [وهو]^(٣) شيخ كبير، لا شيء فيه إلا أنهم يتيمنون برأيه ومعرفته بالحرب ودربته بها.

فلما نزل بأوطاس، اجتمع الناس إلى رئيسهم مالك بن عوف وفيهم دريد بن الصمة يقاد به وهو في شجار له. فقال:

- «بأي واد أنتم؟»

قالوا: «بأوطاس».

١. كذا في مط: «اقتحم عليه الخندق». (أنظر: الطبري ٣: ١٤٧٥).

٢. ما بين [] تطلبه السياق فزدناه.

٣. مط: مضرا

قال: «نعم، مجال الخيل، لا حزن^(١) ضرس، ولا سهل ديس^(٢). مالى أسمع
رُغاء^(٣) البعير، ونُهاق الحمير، ويُعار^(٤) الشاء، وبُكاء الصغير؟»
فقالوا له: «ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم.»
فقال: «أين مالك؟»
فدعى له، فقال:

«يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم له ما بعده من الأيام،
مالى أسمع رغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبُكاء الصغير، ويُعار الشاء؟»
قال: «سقت مع الناس أبناءهم، ونساءهم، وأموالهم.»
قال: «ولم؟»

قال: «أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وولده وماله، ليقا تل عنهم.»
قال: فأنقض^(٥) به. ثم قال:

«راعى ضأن [281] والله. ويحك! هل يردّ المنهرم شىء؟ إنها إن كانت لك،
لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك، فضحت فى أهلك ومالك. ما
فعلت كعب وكلاب؟»

قالوا: «لم يشهدا منهم أحد.»

قال: «غاب الجدّ والجدّ: لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب.
فمن شهدا منكم؟»

١. الحزن من الأرض ما غلظ وخشن. والضرس منها ما فيه الحجارة كأنها أضراس.

٢. الدهيس والدهس: المكان اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين (لغ).

٣. الرغاء: صوت الإبل.

٤. وفى مط والأصل: النعار، وهو تصحيف وما أثبتناه هو من سائر الأصول، اليعار: صوت الغنم أو المعزى
وقيل: الشديد من أصوات الشاء (لغ)، والنعار: التصويت بالخيشوم.

٥. فأنقض به: زجره، من الانقاض، وهو أن تلتصق لسانك بالحنك الأعلى، ثم تصوت فى حافتيه من غير
أن ترفع طرفه عن موضعه.

قالوا: «عمرو بن عامر، وعوف بن عامر».

قال: «[ذائك]»^(١) الجذعان من بنى عامر لا ينفعان ولا يضران. يا مالك إنك لن تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن، إلى نحور الخيل شيئاً، إرفعهم إلى متمنع بلادهم وعلياً قومهم^(٢)، ثم الق هؤلاء الصبّاء^(٣) على متون الخيل، فإن كانت لك، لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك قد أحرزت أهلك ومالك».

قال: [والله لا أفعل ذلك، إنك قد كبرت وكبر علمك]^(٤)، والله لتطيعني يا معشر هوازن، أو لأتكنن على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري».

وكره أن يكون فيها لدريد ذكر ورأى.

فقال دريد: «هذا يوم لم أشهده ولم يفتني».

يا ليتني فيها جذع [282] أخبُ فيها وأضع^(٥)
أقود وطفاء الزمغ كأنها شاة صدع^(٦)

وكان دريد رئيس قومه بنى جُشم وسيدهم وأوسطهم مع شجاعته ودربته وتجاربه، ولكن السن أدركته حتى فنى.

ثم قال مالك للناس:

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

١. في النص وفي مط: «ذلك» وهو خطأ. وما أثبتناه من الطبرى.

٢. مط: وعلياء قريهم.

٣. الصبّاء: جمع الصابى. يريد المسلمين، كانوا يسمونهم بهذا الاسم لأنهم عندهم صبّوا عن دينهم، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام (العقد الفريد ١: ١٣٣ - الحاشية).

٤. تكملة من الطبرى والعقد.

٥. الجذع: الشاب، أخبُ: أعدو، أضع: أسرع فى سبرى.

٦. الوطفاء: الطويلة الشعر، والزمع: الشعر الذى فوق مربوط قيد الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، والشاة (هنا): الوعل، والصدع من الأوعال والظباء والحرر: الفتى الشاب القوى (العقد ١: ١٣٣ - الحاشية).

«إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون^(١) سيوفكم، وشدّوا شدّة رجل واحد

عليهم».

فلما استقبل خيل رسول الله، صلى الله عليه - وكان يومئذ اثني عشر ألفاً، منهم عشرة آلاف فتحوا مكة، وألفان ممن أسلم وانضاف إليهم بوادي حنين - انحدروا في وادٍ من أودية تهامة أجوف، إنما ينحدرون^(٢) فيه انحذاراً، وذلك في عماية^(٣) من الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي^(٤)، فكمنوا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وتهيأوا وأعدّوا. فما راع خيل رسول الله - عليه السلام - وهم منحطون، إلا الكتائب، قد شدّت عليهم، فانشمروا^(٥) لا يلوى أحد على أحد. وانحاز رسول الله - صلى الله عليه - ذات اليمين وصاح:

«أيّها الناس، أين؟ هلمّوا إليّ، أنا رسول الله، [283] أنا محمد بن عبد الله».

وبقى مع النبيّ - صلى الله عليه - نفر من أهل بيته، فيهم عليّ بن أبي طالب، والعباس، وابنه الفضل، وجماعة من المهاجرين^(٦).

فقال رسول الله - صلى الله عليه - للعباس:

«اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرّة^(٧)».

فأجابوه من كل ناحية وحملوا على الناس فكانت إيّاهم^(٨) وقتل عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - صاحب الراية، وقتل خيل مالك بن عوف كلّ مقتلة، وغنم المسلمون تلك الأموال، وسبوا النساء والأولاد، وقتل دريد. وكان عدّة السبي يومئذ من هوازن ستّة آلاف من النساء والأولاد.

فلما قدمت وفود هوازن على النبيّ - عليه السلام - مسلمين، أعتق لهم

١. الجفون: جمع الجفن والجفن، أي: الغمد.

٢. مط: انحذورا.

٣. مط: وادٍ.

٤. مط: وادٍ.

٥. إنشمر: مرّ جاداً ومضى: هرب.

٦. مط: الشجرة. والسمرّة: الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية.

٧. مط: الشجرة. والسمرّة: الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية.

٨. الضمير في «كانت» يرجع إلى «الحملة» المفهومة من «حملوا» أي كانت هي هي، وانتهى كلّ شيء (أنظر اللسان، «إيّا»).

أبناءهم ونساءهم كلهم، في حديث طويل.

ومن ذلك

ما كان بعد ظهور العنسي الكذاب

ومن ذلك: أنه لما ظهر الأسود العنسي الكذاب متنبئاً باليمن وحضر موت وصنعاء، حاربه شهر بن باذام^(١)، وكان رسول الله - صلى الله عليه - استخلفه بعد أبيه باذام على الأبناء^(٢) وعلى بعض أعمال [284] أبيه. فهزمه الأسود، وفرّق الأبناء عنه، وظفر به بعد، فقتله وغلب على صنعاء، وهرب عمّال رسول الله - صلى الله عليه - وجعل أمر الأسود الكذاب يعلو ويستطير استطارة الحريق. وكان جعل عمرو بن معديكرب خليفته في مدحج بعد أن ارتدّ عمرو، وجعل أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي ودادويه، وكان شهر قد تزوّج بنت عمّ فيروز، وكانت جميلة، فلما قتل شهر تزوّج بها الأسود.

فأنفذ رسول الله - صلى الله عليه - إلى فيروز، وإلى جُشْنَس، وغيره من الأبناء يأمرهم بالقيام على دينهم، وأن ينهضوا في الحرب والعمل في الأسود، إما غيلة وإما مصادمة. فألقى كتاب^(٣) رسول الله - صلى الله عليه - إلى أصحابه، تغيّر^(٤)

١. مط: بالخام (= باذام) كان عامل كسرى على اليمن وأسلم في السنة العاشرة من الهجرة.
٢. الأبناء: أبناء فارس، أو أبناء اليمن، اسم أطلق على أخلاف جنود الفرس الذين بعثهم أنوشروان إلى اليمن، ليدفعوا الأحباش من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، ثم أقاموا في اليمن بأمر من أنوشروان.
٣. غير واضح في الأصل وفي مط أيضاً.

٤. مط: «بغير»! وفي الطبري: قال عبيد الله عن جشيش بن الديلمي (كذا) قال: قدم علينا وبر بن يحسن بكتاب النبي (ص) يأمرنا فيه بالقيام على ديننا والنهوض في الحرب والعمل في الأسود إما غيلة وإما مصادمة، وأن نبلغ عنه من رأينا أن عنده نجدة وديناً. فعملنا في ذلك، فرأينا أمراً كثيفاً ورأينا قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث وكان على جنده، فقلنا: يخاف على دمه، فهو لأول دعوة، وأنباء الشان وأبلغناه عن النبي (ص) فكانما وقعنا عليه من السماء وكان في غم وضيق، فأجأنا إلى ما أحببنا..» (الطبري ٤: ١٨٥٦).

الأسود لقيس بن عبد يغوث.

فقال أصحاب^(١) رسول الله - عليه السلام - :

- «إِنَّ قَيْسًا يَخَافُ عَلَى دَمِهِ، وَهُوَ لِأَوَّلِ دَعْوَةٍ، فَهَلَمْ نَدْعُوهُ^(٢)».

فاجتمعوا لذلك [285] ثم دعوه، وأبثوه أمرهم، وأبلغوه عن النبي - صلى الله عليه - وكانتما وقعوا عليه من السماء، لأنه كان في غم وضيق بأمره، فأجابهم إلى ما أحبوا.

ثم إن عامر بن شهر بن باذام^(٣) اعترض^(٤) في قوم منهم: ذو مِرَّان، وذو الكلاع، وذو ظليم. فكاتبوا أصحاب النبي - صلى الله عليه - وبذلوا لهم النصر. وكان النبي - صلى الله عليه - قد كاتبهم، فكان أصحاب النبي في سرٍّ قد اتفقوا عليه، فأجابوا القوم بالتوقف. وذاك أن الأمر كان استتب للأسود واستفحل، فهابوه هيبة شديدة.

ثم إنه دخل جُشْنَس الديلمى على آزاد - وهي امرأة الأسود التي خلف عليها شهر بن باذام - فقال:

- «يا ابنة عمٍّ، قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك وطأ^(٥) في قومك القتل، وسفك بالإباحة^(٦) دماء من بقى منهم، وفضح النساء، فهل عندك

١. مط: «فقال رسول الله» بدون «أصحاب».

٢. والكلمة مهمة في كلتا النسختين وقرأناها حسب السياق.

٣. مط: «بالخام» وهو خطأ.

٤. وفي الطبري: ... إذ جاءنا اعتراض ذى زود، وذى الكلاع، وذى ظليم عليه، وكاتبونا وبذلوا لنا النصر..

٥. طأطأ في قتلهم: بالغ فيه. (١٨٥٧: ٤).

٦. مط: بالاجابة!

مما لاة^(١) عليه؟»

فقلت: «وعلى أي أمر؟»

قال جُشْنَس: فقلت: «إخراجه.»

فقلت: «أو قتله؟»

قلت: [286] «أو قتله.»

قلت: «نعم. والله، ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه، ما ينتهي عن حرمة

لله^(٢). فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمأني هذا الأمر.»

قال جُشْنَس:

فأخرج فإذا فيروز وداذويه ينتظراني، وإذا قيس قد دعاه الأسود، فدخل إليه

في عشرة من مذحج وهمدان.

فقال له الأسود: «يا قيس! ألم أفعل بك، ألم أصنع؟»

يعتدّ عليه بنعمته.

فقال: «بلى.»

قال: «فإنه يقول - يعني الشيطان الذي معه -:

- «إنّ قيساً على الغدر بك، إيه، يا سوءة، يا سوءة، إلّا تقطع من قيس يده،

يقطع قنّتك العليا.»

حتى ظنّ أنه قاتله. فقال: «يوم ردي»

- «كذبك وذى الخمار، فإمّا قتلتنى، فإنها مودة مريحة أهون عليّ من موتات

أموت بها كلّ يوم، خوفاً وفرقاً، وإمّا صدّقتنى. فوالله لأنت أهيب وأجلّ في

نفسى، من أن أحدثها بغدر لك.»

فرقّ له، وأخرجه.

١. الممالة: المعاونة والمساعدة.

٢. في الطبري: ما يقوم لله على حقّ، ولا ينتهي له عن حرمة (٤: ١٨٥٨).

قال:

فخرج قيس علينا وطوانا، غير أنه قال: [287]

- «اعملوا عملكم».

ثم خرج الأسود علينا، فقمنا مثولاً بين يديه بالباب، فقال:

- «يا فيروز، أحق ما بلغني عنك؟ - وهياً له الحربة - لقد هممت أن أنحرك».

فقال فيروز:

- «إخترتنا أيها الملك لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، ولو لم تكن نبياً ما بعنا

نصيبك ونصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر آخرة وأولى، لا تقبلنَّ

علينا أمثال ما يبلغك، فإننا بحيث تحب».

ثم ذبح الأسود مئة من بين بقرة وبعير غير محبسة ولا معقولة، بحرسته، وقال

لفيروز:

- «اقسم هذه، فأنت أعلم بمن هاهنا».

قال فيروز^(١):

ففعلت هذا ولحقته قبل أن يصل إلى داره، فإذا رجل يسعى إليه بي، فاستمع له

وهو يقول:

- «أنا قاتله غداً وأصحابه، فاغد على».

ثم التفت فإذا هو بفيروز، فقال:

- «مه؟»

١. وفي الطبري مكان «قال فيروز» إلى «بعزيمتنا»: «فاجتمع إلى أهل صنعاء، وجعلت أمر للرهط بالجزور، ولأهل البيت بالبقرة، ولأهل النخلة بعدة، حتى أخذ كل ناحية بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره وهو واقف على رجل يسعى إليه بفيروز. فاستمع له، واستمع له فيروز وهو يقول: أنا قاتله غداً وأصحابه فاغد على. ثم التفت فإذا به. فقال: مه! فأخبره بالذي صنع. ثم ضرب دابته داخلاً. فرجع إلينا. فأخبرنا الخبر. فأرسلنا إلى قيس فجاءنا، فأجمع ملوهم أن أعود إلى المرأة، فأخبرها بعزيمتنا...» (الطبري ٤: ٦٠-١٨٥٩).

قال: «قد قسمتها كما أمرتني».

قال: «أحسنْتَ».

وضرب دابته ودخل. فرجع فيروز إلى أصحابه، فأخبرهم بالخبر.

قال جُشْنَس:

فأرسلنا إلى قيس فجاءنا. فاجتمع [288] مَلْؤُهُمْ أن أعود إلى المرأة فأخبرها

بعزيمتنا لتشير علينا برأيها. فأتيت المرأة وقلت:

«ما عندك؟»

قالت: «هو متحرّز محترس، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به

غير هذا البيت، فإنّ ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فأنقبوا

عليه، فإنكم من دون الحرس، وليس دون قتله شيء».

وقالت: «إنكم ستجدون فيه سلاحاً وسراجاً وهو علامة لكم».

فخرجت من عندها وتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازلها، فقال:

«ما أدخلك عليّ؟»

ووجأ رأسي حتى سقطت، وكان شديداً، وصاحت المرأة - فأدهشته عني،

ولولا ذلك لقتلني - وقالت:

«ابن عمي جاءني زائراً، فقصرتُ به».

فقال: «اسكتي لا أبأ لك! فقد وهبته لك».

فتحاملت وأتيت أصحابي فقلت:

«النجاء، الهرب».

وأخبرتهم الخبر. فإنا على ذلك حيارى إذ جاءني رسولها يقول:

«لا تدعنّ ما فارقتك عليه، فإنّي لم أزل به حتى اطعمان [289] واعتذر».

فقلنا لفيزوز: «إيتها وتثبت، فأما أنا فلا سبيل لي إلى الدخول بعد النهي».

ففعل. وكان فيروز أفطن منّا، فلما أخبرته الخبر قال:

- «وكيف ننقب^(١) على بيوت مبطنة الأبواب؟ ينبغي لنا أن نقلع بطانة الباب.»
 فدخلا، فاقتلعا البطانة، ثم أغلقاه وجلسا عندها كالزائر. فدخل عليها
 فاستخففته غيرة، وأخبرته برضاع وقرابة مثلها^(٢) محرم. فصاح به وأخرج به وجاء
 بالخبر. فلما أمسينا عملنا في أمرنا وقد كنا واطأنا أشياعنا، ولكن عجلنا عن
 مراسلتهم. فنقبنا البيت من خارج، ثم دخلناه، وفيه سراج تحت جفنة^(٣)، واتقينا
 بفيروز لأنه كان أنجدنا وأشدنا، فقلنا:
 - «انظر ماذا ترى وأين موضعه؟»

فدخل ونحن بينه وبين الحرس الذين معه في مقصورته. فلما دنا من باب
 البيت سمع غطيظاً شديداً، فاذا المرأة جالسة. فلما قام على الباب فتح عينيه فقال
 أيضاً:

- «مالي ومالك يا فيروز!»

فخشى أن يرجع لأخذ السلاح وإعلامنا فنهلك وتهلك المرأة. فعاجله - وكان
 مثل الجمل - فأخذ برأسه فدق [عنقه]^(٤) [290] ووضع ركبته في ظهره فدقه، ثم
 قام ليخرج. فأخذت بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله، وقالت:
 - «أين تدعني؟»

قال: «لا بأس، أخبر أصحابي وأعود معهم.»

فأتانا وقمنا معه فأرذنا حرق رأسه. فثحرك واضطرب فلم نضبطه، فقلت:
 - «اجلسوا على صدره.»

فجلس الإثنان على صدره وأخذت المرأة بشعره، وسمعنا بربرة، فألجمته

١. مط: «ينقب». ٢. في الطبري: منها.

٣. نقطة الجيم غير واضحة. فتقرأ «جفنة» و«حفنة» مط: «حفنة»! وما أثبتناه يؤيده الطبري.

٤. في الأصل: فدق، في مط: فدقة. و«عنقه» من ابن الأثير.

بميلة^(١)، وأمر الشفرة على حلقه، فخار كأشدّ خوار من ثور سمعته قطّ.
فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة:
- «ما هذا، ما هذا؟»

فقالت المرأة: «النبي يوحى إليه، إهدأوا!»
[فحمد^(٢)]. ثم سهرنا^(٣) ليلتنا ونحن نأتمر: كيف نخبر أشياعنا ليس^(٤) غيرنا
ثلاثتنا: أنا وفيروز وقيس، فأجمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا،
ثم نادى الأذان. فلما طلع الفجر فعلنا ذلك، فتجمع الحرس فناديتهم:
- «أشهد أن محمداً رسول الله وأنّ عبهله كذاب.»
وألقينا إليهم برأسه، وخلصت صنعاء والجند^(٥)، وأعزّ الله الإسلام، وتنافسنا
الإمارة، وتراجع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه - إلى أعمالهم [291]
فاصطلحوا على معاذ، فكان يصلى بنا. وكتبنا إلى رسول الله - صلى الله عليه -
بالخبر، وذلك في حياته فقدمت رسلنا وقد مات النبي - صلى الله عليه - صبيحة
الليلة التي فتكنا فيها بالأسود فأجابنا أبو بكر رضى الله عنه.

أسماء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كان علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان يكتبان الوحي، فإن غابا كتبه أبي بن

مركز تحقيق كتابي علوم إسلامي

١. مط: ميلاه. المثلاة: خرقة الحائض: الخرقة تمسكها النائحة وتشير بها.
٢. في الأصل ومط: «فحمد» بالهاء المهملة. في الطبري: «فحمد» بالخاء المعجمة. وما لا يناسب السياق: «فحمدوا» كما في ابن الأثير ٢: ٣٤٠.
٣. «سهرنا» من مط. وفي الأصل «شمرنا». شمر للنشء: تهيأ، وفي الطبري: «سمرنا» أي: لم تنم وتحدثنا ليلاً.
٤. مط: «ليس ثلاثتنا» وما أثبتناه يوافق الطبري (٤: ١٨٦٢).
٥. أعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولالة: فوال على الجند ومخاليقها، ووال على صنعاء ومخاليقها، ووال على حضرموت ومخاليقها (يا).

كعب وزيد بن ثابت، فإن لم يشهد هؤلاء كتبه سائر الكتاب، وهم: عمر بن الخطاب، وطلحة، وخالد بن سعيد، ويزيد بن أبي سفيان، والعلاء الحضرمي، وأبو سلمة بن عبد الأشهل، وعبد الله بن أبي سرح، وحويطب بن عبد العزى، وأبو سفيان بن حرب، ومعاوية، وعثمان، وأبان: إبننا سعيد، وحاطب بن عمرو، وجُهم بن الصلت.

وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه. وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان بين الناس وينوبان عن خالد ومعاوية، إذا غابا. وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب [292] إلى الملوك عن النبي - عليه السلام. وكان زيد بن ثابت مع ما يكتبه من الوحي، يكتب إلى الملوك، وكان يحسن بالفارسية وبالرومية وبالحبشية. وكان حنظلة بن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبي - عليه السلام - غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب من بينهم. وكان النبي - عليه السلام - يضع عنده خاتمه، وقال له: «الزمني وأذكرني بكل شيء لثالثة».

فكان لا يأتي على مال ولا حاجة ثلاثة أيام إلا ذكره به، فلا يبيت - عليه السلام - وعنده منه شيء.

فأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه ارتد بعد كتابته للنبي - عليه السلام. وكان يتكلم، فسمعه رجل من الأنصار، فحلف بالله: لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف. فلما كان يوم فتح مكة، جاء به عثمان - وكان بينهما رضاء - فقال: «يا رسول الله، هذا عبد الله، أقبل تائباً».

فأعرض عنه، والأنصاري حاضر بيده السيف. فأعاد عليه عثمان القول، فأعرض عنه. فلما أعاد الثالثة مدّ - صلى الله عليه - يده، فبايعه وقال للأنصاري:

– «لقد تلوّمتُ^(١) أن توفّي بنذرك.»
 فقال: «فهلّا [293] أومضتَ^(٢) إليّ؟»
 فقال: «إنّه لا ينبغي للنبي أن يومض.»



مركز تحقیق کتب پویر علوم اسلامی

١. تلوّم على الأمر وفيه: تلبّث عليه وانتظر وتمكّث (مو).
 ٢. أومض: أوماً. أشار إشارة خفيفة رمزاً أو غمزاً. أومضت المرأة: سارقت النظر.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مما حدث في خلافة أبي بكر

ومن صرامة الرأي وحصافته ما كان من أبي بكر رضى الله عنه وذلك أنه لما مات النبي - صلى الله عليه - ارتدت العرب واضطربت الأرض واشتغل الناس بالمرتدين وتروخى^(١) عن مسلمة وطلحة. فاستغلظ أمرهما وارتدت من كل قبيلة عامة وخاصة إلا قريشاً وثقيفاً. فتشدد أبو بكر وكان فيه لين، إلا أنه حزم وحصف وخالف الناس، وكانوا أشاروا عليه بالمقاومة. وذلك أن أسامة بن زيد كان غائباً بالجيش الذى جهزه رسول الله - عليه السلام - معه إلى حيث قتل فيه أبوه زيد، وكان أهل المدينة فى قلّة، وكان طلحة قد قوى بأسد وغطفان وطىء. فبعثوا وفوداً إلى أبي بكر - رضى الله عنه - من كل قبيلة، ونزلوا على وجوه الناس على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فجرد أبو بكر العزيمة وقال:

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

- «لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه»^(٢)

فرجعوا فأخبروا عشائهم [294] بقلّة من^(٣) أهل المدينة وأطمعهم فيها. فكان من حصافة أبي بكر أن جعل على أنقاب المدينة بعد خروج الوفد عليّاً

١. فى الطبرى: وتوخى مسلمة وطلحة (٤: ١٨٧١). وتوخى: أسرع.

٢. ويضيف الطبرى هنا: وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة (٤: ١٨٧٢).

٣. مط: بدون «من».

والزبير وطلحة ونفراً معهم. وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: - «إِنَّ الْأَرْضَ كَافِرَةٌ، وَقَدْ رَأَى وَفَدَهُمْ مِنْكُمْ قَلَّةٌ، وَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ أَلَيْلًا تَوْتُونَ، أَمْ نَهَارًا؟ وَأَدْنَاهُمْ مِنْكُمْ عَلَى بَرِيدٍ^(١) وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ يَأْمَلُونَ أَنْ نَوَادِعَهُمْ، وَنَقَبِلَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَبَيْنَا عَلَيْهِمْ، وَنَبَذْنَا إِلَيْهِمْ^(٢) فَاسْتَعَدُّوا وَأَعَدُّوا.»

فَمَا لَبِثُوا إِلَّا ثَلَاثًا حَتَّى طَرَقُوا الْمَدِينَةَ غَارَةً^(٣) مَعَ اللَّيْلِ وَخَلَفُوا رِذَاءً^(٤) لَهُمْ بِذِي حَسَى، فَوَافُوا الْأَنْقَابَ^(٥) وَعَلَيْهَا الْمُقَاتِلَةُ وَدُونَهُمْ أَقْوَامٌ^(٦) يَدْرَجُونَ. فَتَنَهُوهُمْ^(٧) وَأَرْسَلُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ. فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي أَهْلِ الْمَسْجِدِ عَلَى النَّوَاضِحِ إِلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِبِلِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا ذَا حَسَى. فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الرَّدَاءُ بِأَنْحَاءٍ قَدْ نَفَخَوْهَا وَجَعَلُوا فِيهَا الْحِبَالَ، ثُمَّ دَهْدَهَوْهَا^(٨) بِأَرْجُلِهِمْ فِي وَجْهِهِ الْإِبِلِ فَتَدَهَّدَهُ كُلُّ نَخِيٍّ فِي طَوْلِهِ^(٩) فَفَنَرَتِ الْإِبِلُ إِبِلَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ عَلَيْهَا، وَلَا تَنْفَرُ [295] مِنْ شَيْءٍ نَفَارَهَا مِنَ الْأَنْحَاءِ. فَعَاجَتِ بِهِمْ مَا يَمْلِكُونَهَا^(١٠) حَتَّى دَخَلَتْ بِهِمُ الْمَدِينَةَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصْرِعْ مُسْلِمٌ وَلَمْ يُصَبِّ، وَظَنَّ الْقَوْمُ بِالْمُسْلِمِينَ الْوَهْنَ فَبَعَثُوا إِلَى النَّاسِ بِالْخَبَرِ فَقَدِمُوا عَلَيْهِمْ أَعْمَارًا^(١١).

وَيَاثُ أَبُو بَكْرٍ لَيْلَتَهُ يَتَهَيَّأُ، فَجَبَّى النَّاسَ، ثُمَّ خَرَجَ فِي تَعَبْتِهِ مِنْ أَعْجَازٍ^(١٢) لَيْلَتَهُ يَمْشِي، فَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ إِلَّا وَهُمْ مَعَ الْعَدُوِّ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. فَمَا سَمِعُوا لِأَحَدٍ مِنْ

١. البريد: الرسول، ثم استعمل في المسافة التي يقطعها بين كل منزلين وهي اثنا عشر ميلاً (الأقرب) أنظر تعاليقنا على ص ٥٢.

٢. نبذ إلى العدو: رمى إليه بالعهد.

٣. في مط والطبري (٤: ١٨٧٤) غارة. ويمكن أن نقرأ ما في الأصل «غارّة» أو «عارّة».

٤. مط: أزداً. والرداء: العون والناصر.

٥. الأنقاب: جمع مفردة النقب: الطريق في الجبل.

٦. مط: بدون «أقوام».

٧. نهنه: كفه وزجره. نهنه الدابة: صاح به لتكف.

٨. دهده: دحرجه. تدهده: تدحرج.

٩. الطول: الحبل يربط في وتد ونحوه للدابة، فترعى مقيدة (مو).

١٠. في الأصل ومط: «ما يملكوها».

١١. جاء عمراً: جاء بطيئاً، في الطبري: اعتماداً في الدين، في حاشيته: اعتماراً في الدين.

١٢. وفي الطبري: ثم خرج على تعبته من أعجاز ليلته.

المسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف. فما ذرَّ^(١) قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار وغلّبوهم على عامّة ظهرهم، وقتل رئيسهم حبال وكان صاحب طليحة، واتبعهم أبو بكر - فكان أول فتح - فلما بلغ ذا القصة وضع بها النعمان بن مقرن في عدد، ورجع إلى المدينة، فذلّ المشركون وعزّ المسلمون بوقعة أبي بكر - رضى الله عنه - فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كلّ قتلة، وفعل من وراءهم فعلهم. فحلف أبو بكر ليقتلن في كل قبيلة قتلة من قتلوا وليزيدن وليفعلن وليصنعن^(٢).

فوفى بذلك، فازداد المسلمون ثباتاً على دينهم وتفرّق [296] أمر المشركين، وطرقت المدينة صدقات صفوان والزبرقان وعدى. فاستبشر لذلك أبو بكر والمسلمون، وذلك لستين يوماً من خروج أسامة.

ثم قدم أسامة واستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده: «أريحوا واستريحوا».

ثم خرج بنفسه مع الذين كانوا على الأنقاب، فقال له المسلمون: - «نشدك الله أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام. ومقامك أشدّ على العدو. فابعث رجلاً إن أصيب أمرت آخر». فقال: «لا والله حتى أواسيكم بنفسى».

فخرج في تعبته إلى ذي القصة والنعمان وأصحابه على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربرة بالأبرق. فاقتتلوا، فهزم القوم وأخذ الحطيئة أسيراً، وطارت عبس وبنو بكر. فأقام أبو بكر على الأبرق أياماً وقد غلب بنو ذبيان على البلاد، وقال:

- «حرام على بنى ذبيان البلاد أن يطأوها بعد أن غنمناها الله».

١. فما ذرّ قرن الشمس: فما طلعت.

٢. مط: وليصحن.

فلما غلب أهل الردّة ودخلوا فيما خرجوا منه، جاءت بنو ثعلبة ومن كان ينازلهم. فمنعوا منها فأتوه في المدينة [297] فقالوا:
 - «علام نمنع من لزوم بلادنا؟»
 فقال: «كذبتم، ليست لكم ببلاد.»

عقد أحد عشر لواء لمحاربة أهل الردّة

ثم حمى بلاد الربذة كلها لصدقات المسلمين وجاءت الصدقات الكثيرة. فلما أراح أسامة وجنوده ظهورهم وجمّوا، عقد أبو بكر أحد عشر لواء وقطع عليها البعوث:

عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فاذا فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن قام له؛

وعقد لعكرمة بن أبي جهل وأمره بمسيلمة؛

وعقد للمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود الأسود العنسي ومعونة الأبناء على

قيس بن المكشوح ومن أعانته من اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت؛

وعقد لخالد بن سعيد بن العاص وكان قدم من اليمن، وترك عمله؛

ولعمرو بن العاص إلى جَمَاع قضاة ووديعة والحارث؛

ولحذيفة بن محصن، وأمره بأهل دباب؛

ولعرفجة بن هرثمة، وأمره بمهرة؛

ولشرحبيل بن حسنة على قضاة؛

ولطريقة بن حاجز، وأمره ببني سليم وهوازن؛

ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن؛

وللعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين.

ففصل الأمر من ذي القصة وقد كتب لهم عهدهم، فلاحق بكل أمير جنده.

[298] وكتب إلى جميع المرتدة كتباً بليغة بالإعذار والإنذار والترغيب والترهيب، ونفذت الرسل أمام الجنود بالكتب ونفذ خالد إلى طليحة، فهزمه وفضّ خيله. وكان طليحة ارتدّ في حياة رسول الله - صلى الله عليه - وادعى النبوة. فوجه النبي - صلى الله عليه - ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد وأمرهم بالقيام في ذلك على كلّ من ارتدّ فأشجوا طليحة وأخافوا ونقص أمره، حتى لم يبق إلاّ أخذه سلباً. سوى أنّه كان ضرب ضربة بالجُرّاز، فبنا عنه. فشاعت في الناس وأتى المسلمين - وهم على ذلك - موت نبيهم. وقال ناس:

«إنّ السلاح لا يعمل في طليحة.»

فقوى أمره ونقص أمر المسلمين لذلك، حتى إنهم قالوا عرفنا^(١) ذلك في أنفسنا يوم ورد علينا الخبر بوفاة رسول الله - صلى الله عليه -

وقام عيينة بن حصين بنصره، وقام في غطفان فقال:

«ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد، وإنّي مجدّد

الحلف الذي كان بيننا في الجاهلية، ومتابع [299] طليحة، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحبّ إلينا من أن نتبع نبياً من قريش.»

وقد مات رسول الله - صلى الله عليه - وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه. فلمّا

قوى أمر طليحة واستفحل، هرب ضرار وأصحاب النبي - صلى الله عليه - وطاروا كلّ مطار. تحقيق كاتيب علوم إسلامي

قال ضرار بن الأزور: «فما رأيت أحداً - ليس رسول الله - أملاً لحرب شعواء

من أبي بكر، لجعلنا نخبره ولكأنا نخبره بما له، لا عليه.»

١. كذا في مط. وما في الأصل: عرفنا. وفي الطبري (٤: ١٨٩٢): حتى عرفوا النقصان.

صرامة عمر وحصافته في هذا الوقت

ومما ظهر من عمر - رضى الله عنه - في هذا الوقت صرامة وحصافة: أن عمرو بن العاص كان بعُمان. فلما مات رسول الله - صلى الله عليه - أقبل حتى انتهى إلى البحرين، وسار في بني تميم، وفي بني عامر، حتى قدم المدينة، فأطافت به قريش وسألوه. فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهيت إليكم. وأخبرهم من اضطراب الإسلام وقوة الأعداء ما كسرهم. ففترقوا وتحلقوا حلقاً. وأقبل عمر بن الخطاب يريد [300] التسليم على عمرو. فمرَّ بحلقة وهم في شيء مما سمعوا من عمرو، وفي تلك الحلقة عثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد. فلما دنا عمر منهم سكتوا.

فقال عمر: «فيم أنتم؟»

فلم يخبروه، فقال: «ما أعلمنى بالذي خلوتم له.»

فغضب طلحة وقال: «يا ابن الخطاب أتخبرنا بالغيب؟»

فقال: «لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن أظن أنكم قلتم: ما أخوفنا على قريش، من

العرب وأخلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر.»

قالوا: «صدقت.»

قال: «فلا تخافوا هذه المنزلة. أنا والله منكم على العرب أخوف منى عليكم

من العرب، والله لو تدخلون معاشر قريش جُحراً^(١) لدخلته العرب في آثاركُم.

فاتقوا الله فيهم.»

ثم مضى عمر إلى أبي بكر واجتمع مع عمرو.

اسلام طليحة بعد ارتداده وادّعائه النبوة

فأما طليحة، فإنه لما هزم أصحابه، هرب حتى نزل على كعب على النقع^(١). فأسلم، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر. وإنما أسلم هنالك حتى بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا. فلما مات أبو بكر، [301] أتى^(٢) عمر للبيعة، فقال له عمر:

«أنت قاتل عكاشة وثابت، والله لا أحبك أبداً».

فقال يا أمير المؤمنين، ما تنقم عليّ من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يُهنّئ بأيديهما».

فبايعه عمر. ثم قال له خُريم^(٣):

«ما بقي من كهانتك؟»

قال: «نفخة أو نفختان بالكبير^(٤)».

ثم رجع إلى دار قومه، وأقام بها حتى خرج إلى العراق.

ولما أعطى أهل بُزَاخَة من أسد وغطفان وطبئ بأيديهم على الاسلام، لم يقبل خالد من أحد منهم ولا من هوازن وسُليم، إلا على أن يأتوا بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردّتهم. فأتوه بهم، فقتل منهم إلا قرّة بن هبيرة ونفراً معه أو ثقتهم، ومثل بالذين مثلوا بالمسلمين، وأحرقهم بالنيران، ورضخهم^(٥) بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكّسهم في الآبار، وخرق بعضهم

١. مط: المنع.

٢. ما في الأصل غير واضح، فأثبتنا الكلمة كما في مط.

٣. مط: حريم.

٤. الكبير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها.

٥. رضخ النوى: كسره بالحجر.

بالنبال، وكتب بخبرهم وما صنع، إلى أبي بكر.
فكتب إليه أبو بكر:

«ليزدك الله ما أنعم به عليك خيراً، فاتق الله، ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره، وإن كنت [302] أحييت ممن حادّ الله وضادّه فاقتله.»
فأقام خالد شهراً على بزاخة يصعد ويصوب ويرجع في طلب القوم، فمنهم من يحرق، ومنهم من يرضخه، ومنهم من يرمى به من الجبل.

مكيدة للفجاءة تمت عليه

وقدم الفجاءة^(١) بن إياس بن عبد ياليل على أبي بكر، فقال:
- «أعنى بسلاح، ومُرني بما شئت، ومن شئت من أهل البادية.»
فأعطاه سلاحاً، وأمره أمره، فخالفه، وخرج، ونزل الجواء^(٢)، وبعث نجبة بن أبي الميثاء^(٣)، وأمره بالمسلمين، فشنّها^(٤) غارة على كلّ مسلم في سليم وهوازن، وبلغ ذلك أبا بكر، فأرسل إليه من حاربه بالجواء حرباً شديداً، فقتل نجبة، وهرب الفجاءة، فلحقه من أسره وبعث به إلى أبي بكر، فأوقد له في مصلّى المدينة حطب كثير، ثم رمى به في النار مقموطاً.

قتل مسيلمة في خديقة الموت ومكيدة لمُجاعة على خالد

ومن وجوه المكائد في الحرب أن خالداً لما مضى نحو اليمامة قاصداً مسيلمة، فضرب [بها]^(٥) عسكره، خرج أهل اليمامة مع المسيلمة. ثم التقى

١. وفي الأصل ومط: الفجاء. وما في الطبري «الفجاءة» (٤: ١٩٠٣).

٢. مط: «وترك الحوى».

٣. مط: «محة» في الطبري أيضاً: نجبة وفي ابن الأثير (٢: ٣٥٠): نجبة.

٤. كذا في النسختين والطبري. ٥. في الأصل ومط: به.

الناس، ولم تلقهم حرب قطّ مثلها [303] من حرب العرب. فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى انهزم المسلمون، وخاضوا إلى فسطاط خالد، فزال خالد عنه، وأسلم امرأته أمّ تميم، فرعبلوا^(١) الفسطاط بالسيوف.

ثم إن المسلمين تداعوا وتبرأوا إلى الله ممن انهزم، وجالدوا حتى قتل زيد بن الخطاب وعدّة من خيار الناس، وخلصوا^(٢) إلى محكمّ الإمامة^(٣)، وكان سيّداً فيهم، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل، وزحف المسلمون، واشتدّ القتال. فكانت يومئذ سجّالاً إنّما يكون مرّة على المسلمين، ومرّة على الكافرين. واستحرّ القتال في المهاجرين والأنصار، وثبت مسيلمة، ودارت رحاهم عليه.

فعرف خالد بن الوليد أنّها لا تركد إلا بقتل مسيلمة، ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قُتل منهم. فبرز خالد حتّى إذا كان أمام الصفّ دعا إلى البراز، وانتمى وقال: «أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد».

فجعل لا يبرز له أحد إلا حطّمه وقتله. ودارت عليه رحى المسلمين فطحنت. ثم دنا خالد من مسيلمة، فدعاه منادياً بأعلى صوته [304] ليطلب غرّته^(٤)، وذلك لما علم أنّ الحرب لا تزول إلا بزواله، فأجابه مسيلمة. فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، ثم قال له:

«إن قبلنا النصف، فأى الأنصاف تعطينا؟»

فكان إذا همّ بجوابه، أعرض عنه مستشيراً شيطانه، فكان شيطانه ينهّاه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرّة من ذلك، فركبه خالد فأرهقه، فأدبر، وزالوا، فذمر خالد الناس، وقال:

«دونكم لا ثقيلوهم».

١. رعبل: قطع، مزّق. ٢. خلص إلى الشيء: وصل.

٣. وفي الطبري: خلصوا إلى محكمّ الإمامة وهو محكمّ بن الطفيل (٤: ١٩٤٣).

٤. فدعا مسيلمة طلباً لعورته (الطبري ٤: ١٩٤٨).

فاقتحموا حديقة الموت^(١)، فاقتحم الناس عليهم، فقتلوا منهم عشرة آلاف، وقتل مسيلمة. قتله وحشي بحريته، وأعانه رجل من الأنصار. وكان خالد ظفر قبل هذه الواقعة بمُجاعة مع نفر معه كانوا خرجوا في سرية لهم، وكان ظنُّ أنهم استقبلوه. فلما سألهم صدقوه، ولو عرفوا خبره لقالوا: إنما استقبلناك، فسلموا. فعرضهم على السيف، فقتلهم عن آخرهم إلا مُجاعة، فإنه استحياء طمعاً في الانتفاع به. فلما فرغ من قتل مسيلمة وأخبر به أخرج مُجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة، [305] فجعل يكشف له القتلى حتى مرَّ بمحكِّم اليمامة، وكان وسيماً حسناً. فلما رآه خالد قال: «هذا صاحبكم؟»

قال: «لا، هذا والله خير منه وأكرم، هذا محكِّم اليمامة.» ثم مضى خالد يكشف له القتلى. فإذا رويجل أصفر^(٢) أخينس، فقال مُجاعة: «هذا صاحبكم، قد فرغتم منه.» فقال خالد لمُجاعة: «هذا فعل بكم ما فعل.» قال: «قد كان ذلك يا خالد، وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الخيل، وإن الحصون لمملوءة رجالاً، فهلّم أصالحك على قومي.» يقول ذلك لرجل قد نهكته الحرب، وأصيب معه من أشرف الناس من أصيب، فقد رق، وأحبَّ الدعة والصلح. فقال: «هلّم أصالحك.»

فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة^(٣) ونصف السبي. ثم قال: «فأتى القوم فأعرضُ عليهم ما قد صنعت.»

١. والحديقة: بستان كان لمسيلمة الكذاب، كانوا يسمونه: «حديقة الرحمان»، وعنده قتل مسيلمة، فسمّوه: «حديقة الموت» (يا).
٢. الطبري: أصفر (٤: ١٩٤٩).
٣. الحلقة: السلاح عامة والدرع خاصة.

قال: «انطلق إليهم».

فذهب وقال للنساء - وليس في الحصون إلا النساء والصبيان ومن ليس به طرق^(١) من الشيوخ:

- «إلبسن الحديد، ثم أشرفن على الحصون، وانشرن شعوركن».

ثم كرّر نحو خالد وقال:

- «أبوا^(٢) ما صالحتك عليه، ولكن صالحني على ربع السبي لأعزم^(٣) على

[306] القوم».

قال خالد: «قد فعلت».

فسرّحه وقال:

- «أنتم بالخيار ثلاثاً، والله لئن لم تُتّموا ولم تقبلوا، لأنهدن إليكم، ثم لا أقبل

منكم خصلة أبداً إلا القتل».

فكان خالد إذا نظر إلى الحصون رآها مملوءة الحيطان بالسلاح والسواد،

فيراها رجالاً وإنما هي النساء.

فلما رجع مُجاعة إليهم قال: «فأما الآن فاقبلوا».

ورجع إلى خالد، وقال: «بعد شرّما، قبلوا^(٤)، اكتب كتابك».

فكتب:

«هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مُجاعة من مرارة وفلاناً وفلاناً، قاضاهم

على الصفراء، والبيضاء، وربع السبي، والحلقة، والكراع، وحائط من كل قرية

ومزرعة، على أن تُسلموا، ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد،

وذمة أبي بكر خليفة رسول الله - صلى الله عليه - وذمم المسلمين على الوفاء».

١. الطرق: الشحم. القوة (مو).

٢. في الطبري وابن الأثير (٢: ٣٦٥) أيضاً: أبوا. مط: أيو. وفي الأصل: أيوا. وهو تصحيف.

٣. عزم على فلان: أمره وشدد عليه (مو). ٤. الطبري. بعد شرّ ما رضوا (٤: ١٩٥٤).

فلما فرغ خالد بن الوليد من هذه الواقعة والصلح، فتحت الحصون، فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان! فقال خالد لمُجاعة: - «ويحك، خدعتني!»

قال: «قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت.»^(١)

ولما فرغ خالد من هذه الواقعة أمره [307] أبو بكر بالمسير إلى العراق، وكان ما كان من أمره مع الفرس، ولم أجد في تلك الحروب والوقعات مع عظمها وشدتها موضع حيلة، ولا موقع تدبير تستفاد منه تجربة إلا اليسير مما سنذكره، وباقيه كله جهاد من القوم ونصر من الله واجتهاد من المسلمين، وخذلان للفرس، وانصرام لمدتهم، وانقضاء لملكهم.

وكان شرطنا في أول الكتاب ألا نثبت من الأخبار إلا ما فيه تدبير نافع للمستقبل، أو حيلة تمت في حرب، أو غيرها، ليكون معتبراً وأدباً لمن يستأنف من الأمر مثله، فلذلك تركنا إثبات هذه الوقائع، وعلى أنا سنذكر الجمل التي فيها أدنى تنبيه على موضع فائدة، ولأجل ذلك، تركنا ذكر أكثر مغازي رسول الله - صلى الله عليه - ووقعاته، لأنها كلها توفيق الله ونصره وخذلان أعدائه، ولا تجربة في هذا، ولا تستفاد منه حيلة، ولا تدبير بشري^(٢).

ومن الآراء السديدة ما كان من خالد بالشام

يوم اليرموك^(٣)

[308] وذلك أن خالدًا افتتح السواد الذي بينه وبين دجلة، وحاز غربي دجلة كلها بوقائع كثيرة وحروب عظيمة، وشغل الفرس عن أمر الملك. فإن أردشير بن

١. كذا في الطبري: (٤: ١٩٥٣).

٢. إنشبه إلى الإصرار الذي يبديه مسكويه على منهجه في كتابة التاريخ.

٣. أنظر الطبري ٤: ٢٠٩٠.

شيري مات وقد كان هلك العظماء وأهل بيت كسرى بما أفناهم شيري، وبغزوات خالد للعظماء، وتفرغ أبو بكر للشام، وكان أمر خالد ألا يقتحم على الفرس، لأنّ مسالحيهم كانت من وراء المسلمين. فخشي أن يؤثروا من ورائهم، وقد كان المسلمون أشرفوا على الهلاك بالشام لكثرة جنود الروم.

فكتب أبو بكر إلى خالد يأمره أن يستخلف على جنده، ويسير في عدد وافر إلى إخوانه المسلمين بالشام. ولما اهتمّ بأمر الشام كتب إلى عمرو بن العاص، وإلى الوليد بن عقبة، وكانا على عمل من الصدقات. أمّا عمرو فكان على صدقات هذيم وعذرة ومن لفّ لفّها. وأمّا الوليد فكان على النصف من صدقات قضاة. فكتب أبو بكر إليهما يرغبهما في الجهاد ويخبرهما بين أعمالهما وما نديهما إليه، فكتباً بإيثار الجهاد، فكتب [309] أبو بكر بأن يندبا من يليهما، ويستخلفا على أعمالهما.

ثم ندب أبو بكر من كان اجتمع إليه، وقوّى بهم عمراً، وأمره على فلسطين وأمره بطريق سقاها له. وولّى الوليد الأردن، وأمدّه ببعض من كان اجتمع إليه. ودعا يزيد بن أبي سفيان فأمره على جند عظيم هم جمهور من انتدب له، وفي جنده سهيل بن عمرو، وأشباهه. واستعمل أبا عبيدة وأمره على حمص مع جند^(١).

وكان قد قدّم خالد بن سعيد بن العاص، وأمره أن يأتي تيماء، ويقيم بها، فلا تتجاوزها، وينتدب إليه من حوله ويتقوّى به، حتّى تأتيه الجنود. وسمى ليزيد بن أبي سفيان دمشق، وشرحبيل بن حسنة الأردن.

فتوافى الجند أطراف الشام مع الأمراء الأربعة، وهم سبعة وعشرون ألفاً. وأمر أبو بكر معاوية وشرحبيل على ثلاثة آلاف، وكان عكرمة بن أبي جهل رذءاً^(٢)

١. مط: جنده.

٢. الرذء: الذي يتبع غيره معيماً له. قال تعالى: فأرسله معي رذءاً يصدّقني.

لهم في ستة آلاف. وكان في ثغر الروم أبو عبيدة، فشجى^(١) بالروم وكثروا عليه، فكتب إلى [310] أبي بكر يستمدّ، وأمدّهم بخالد بن الوليد من العراق في عشرة آلاف، فكانوا ستة وأربعين ألفاً، وكان قتالهم على تساند: كلّ جند وأميرهم، ولا يجمعهم أمير واحد حتّى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق.

تدبير حصيف من خالد

فلما قدم خالد، وجد الروم في جمع عظيم وقد استمدوا المستعربة ونصارى العرب ومسالح^(٢) الفرس، فكانوا في مائتي ألف مقاتل على حنق شديد، وهم يقاتلون بنشاط واجتماع. ورأى المسلمين متساندين يقاتل كل قوم مع أميرهم. فقال لهم: «هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعزّ الله به الدين، ولا يدخلكم منه نقيصة ولا مكروه؟»

قالوا: «وما ذلك؟»

قال:

«إنّ هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، فإنّ هذا يوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعيّنة على تساند وانتشار فإنّ ذلك لا ينبغي ولا يحلّ، وإنّ من وراءكم لو يعلم علمكم، حال [311] بينكم وبين هذا. فاعلموا في ما لم تؤمروا به، بالذي ترون أنه الرأي من واليكم ومحبتّه.»

١. شجى بقرنه: قهره قرنه. اهتمّ وحزن.

٢. المسالّح: جمع مفردة المسلّح والمسلّحة: كلّ موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة. القوم المسلّحون في ثغر أو مخفر للمحافظة.

قالوا: «هات ما الرأي؟»

قال:

«إِنَّ^(١) أبا بكر لم يبعثنا إلّا وهو يرى أنّا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم. إنّ الذي أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا غشيتهم، وأنفع^(٢) للمشرّكين من أمدادهم. ولقد علمت أنّ الدنيا فرّقت بينكم، فالله الله في دينكم، فقد أفرد كلّ رجل ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود، ولا يزيده أن دانوا له. إنّ تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله، هلمّوا، فإنّ هؤلاء قد تهيّأوا، وهذا يوم له ما بعده. إن رددنا القوم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم. وإن هزمونا لم نفلح بعدها. فهلمّوا، فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلّنا. دعوني ألكم^(٣) اليوم.»

فأمّروه وهم يرون أنّها كخرجاتهم قبل قدوم خالد [312] وأنّ الأمر طويل والإمارة تصل إلى كلّ واحد منهم. فخرجت الروم في تعبئة لا يكون أحسن منها، ولم ير المسلمون مثلها قطّ. وخرج خالد في تعبئة لم تعبّ مثلها العرب. وذلك أنّه لمّا رأى كثرة عدد الروم، قال:

١. سقط من مط: «إِنَّ أبا بكر... أشدّ على».

٢. في الأصل: أنفع. وما أثبتناه مطابق لما في مط والطبري ٤: ٢٠٩٢.

٣. مط والطبري: «أليكم» والصحيح ما في الأصل، لأنّ الفعل [ألى] مجزوم هنا جواباً لشرط متصيّد مما قبل كما يقول النحاة.

- «إنه ليس في التعبئة تعبئة أكثر في رأى العين من الكراديس^(١)، فجعل القلب كراديس كثيرة، وأقام فيها أبا عبيدة؛ وجعل الميمنة كراديس، وعليها عمرو بن العاص؛ وجعل الميسرة كراديس، وعليها يزيد بن أبى سفيان، وجميعها ستة وثلاثون كردوساً. وفي الجماعة ألف رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه - فيهم نحو من مائة من أهل بدر. وكان أبو سفيان يدور ويحرّض الناس. فقال رجل لخالد: «ما أقلّ المسلمين وأكثر الروم!»

فقال خالد: «ما أكثر المسلمين وأقلّ الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقلّ بالخذلان، لا بعدد الرجال. والله، لوددت أن الأشقر براء من توجّيه^(٢)، وأنهم أضعفوا^(٣) في العدد.»

وكان فرسه قد حفى^(٤) في مسيره.

ثم أنشب القتال والتحم [313] الناس وتطارد الفرسان. فإنهم على ذلك، إذ قدم البريد من المدينة. فأخذته الجنود، وسألوه الخبر. فلم يخبرهم إلاّ بسلامة، وأخبرهم عن أمداد، وإنما جاء بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة، فأبلغوه خالداً، فأخبره الخبر، وأسرّه إليه، وأخبره بما قال للجند، فقال: - «أحسنّت، فقف.»

وأخذ الكتاب، فجعله في كنانته وخاف - إن أظهر ذلك - أن ينتشر أمر الجند. وجدّ خالد في القتال، وصلى الناس الأولى والعصر إيماءً، وتضعض الروم، ونهد خالد بالقلب، حتى كان بين خيلهم ورجلهم.

وكان موضعهم الذي اختاروه للقتال واسع المطرد، وضيق المهرب. فلما وجدت خيلهم مهرباً ذهبوا وتركوا رجلهم في مصافهم، وخرجت خيلهم تشتدّ

١. الكراديس: جمع مفرد الكردوس والكردوسة: طائفة عظيمة من الخيل والجيش.

٢. التوجّى: رقة القدم أو الحافر أو الخفّ من كثرة المشى (مو).

٣. أضعفوا: جعلوا ضعفين. ٤. حفى: مشى بلا نعل ولا خفّ.

بهم في الصحراء. ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب، أفرجوا لها ولم يخرجوها. فذهبت متفرقة في البلاد، وأقبل خالد والمسلمون على الرجل، ففضّوهم. فكأنما هدم بهم حائط، فاقتحموا في خندقهم [314] فاقتحم عليهم فعمدوا إلى الواقصة^(١) حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه، فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه، كلما هوى اثنان كانت البقية أضعف. فتهافت في الواقصة عشرون ومائة ألف [١٢٠،٠٠٠] إنسان منهم ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق، سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل، وتجلّل أخو ملك الروم وأشراف من أشرافهم برانسهم وقالوا:

«لا نحبّ أن نرى يوم السوء، إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور، وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية.»
فأصيبوا في ترمّلتهم.

وقد كان عكرمة بن أبي جهل في بعض جولات الروم نزل عن فرسه وقال:
«قاتلت عن رسول الله صلى الله عليه في كلّ موطن وأفرّ اليوم!»
ثمّ نادى:

«من يبايع على الموت؟»

فبايعه ضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه الناس والفرسان، فقاتلوا قدام فسطاط خالد، حتّى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقتلوا إلّا من [315] براً ومنهم ضرار.

١. الواقصة: وإد بالشام في أرض حوران نزل المسلمون أيام أبي بكر الصديق على اليرموك لغزو الروم... وفي كتاب أبي حذيفة: أنّ المسلمين أوقعوا بالمشرّكين يوماً باليرموك، فشدّ خالد في سرعان الناس وشدّ المسلمون معه يقتلون كل قتلة، فركب بعضهم بعضاً، حتّى انتهوا إلى أعلى مكان مشرف على أهوية، فأخذوا يتساقطون فيها وهم لا يبصرون وهو يوم ذو ضباب، وقيل كان ذلك بالليل وكان آخرهم لا يعلم بما صار إليه الذي قبله حتّى سقط فيها ثمانون ألفاً... وسميت هذه الأهوية بالواقصة من يومئذ حتّى اليوم، لأنهم واقصوها فيها. (يا، والطبري ٤: ٢٠٩٩).

وقاتل النساء يومئذ وجرحت جويرة بنت أبي سفيان، وكانت مع زوجها، بعد قتال شديد، وكان الأشتر ممن شهد هذا اليوم - وهو اليرموك - فأبلى بلاءاً حسناً. ولما فرغ خالد من حرب القوم نعى إلى الناس أبا بكر وقال:

- «الحمد لله الذي قضى على أبي بكر الموت، وكان أحبَّ إليَّ من عمر؛ والحمد لله الذي ولّى عمرو كان أبغض إليَّ من أبي بكر، ثم ألزمني طاعته.»

وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص، وبلغه قتل أخيه مع الصناديد وعامة الخيل والرجل، فارتحل وصار الأمر لأبي عبيدة.

من عجيب ما ركبته خالد

ومن عجيب ما ركبته خالد بن الوليد في سفرته هذه التي خرج فيها من العراق لمعاونة أبي عبيدة على الروم، أنه: لما هزمت الروم خالد بن سعيد بن العاص، وقتلوا ابنه وقتلوا الجيش الذي معه، واجتمعت الروم باليرموك، قالوا:

- «والله لنشغلن أبا بكر والعرب في أنفسهم عن توّرد بلادنا.»

ثم نزلوا الواقصة [316] مستعلين.

فبلغ ذلك أبا بكر، فقال:

- «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد.»

فكتب إليه أن: *تحيق كاپيور علوم رسدي*

- «سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك، فإنهم قد شجوا بالروم، وإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجاك^(١)، ولم ينزع الشجاء من الناس نزعك، فلتهنئك^(٢) - أبا سليمان - النية

١. في الأصل ومط: شجيك.

٢. في الأصل ومط: فلتهنك وما أثبتناه يؤيده الطبري ٤: ٢١١٠.

والحظوة، فأتهم - تتمم الله لك - ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل، وإياك أن تدلّ بعمل، فإن الله له المنّ وهو وليّ الجزاء، فاستخلف المثنى بن الحارثه بالعراق، فإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك بالعراق.»

فقال خالد: «كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الناس.»
فجمع الأدلاء وأهل الخيرة، فكلّهم قالوا:
- «لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل جيشاً، يأخذه الفذّ والراكب^(١).»
ونهوهم أن يغرّروا بالمسلمين. فعزم عليه، ولم يُجبهه [317] أحد إلا رافع بن عميرة
على تهيب شديد. فقام فيهم وقال:
- «يا قوم لا يخلفن^(٢) هديكم، ولا يضعفنّ يقينكم، واعلموا أنّ المؤونة تأتي
على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة.»
فأجابه نفر، وقالوا لخالد:
- «أنت رجل مصنوع لك، فشأنك^(٣).»
فطابقوه ونووا، واحتسبوا.
فقال لهم رافع:
- «تروّوا للشفة الخمسين.»
فظمّ كلّ قائد من الإبل الشرف الجلال ما يكتفى به، ثم سقوها العلّ بعد النهل،
ثم صرّوا آذان الإبل وكعّموها وخلّوا أدبارها.

١. كذا في مط. وفي الطبري: الفذّ الراكب (٤: ٢١١٢).

٢. كذا في مط. وفي الطبري: لا يخلفنّ.

٣. وفي الطبري: أنت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك.

ثمّ ركبوا من قراقرم مفوّزين إلى سوى^(١) وهى إلى جانبها الآخر ممّا يلى الشام. فلما ساروا يوماً افتظّوا لكل من الخيل كروش عشر من تلك الإبل فمزجوا ما فى كروشها بما كان من الألبان. ثمّ سقوا الخيل وشربوا للشفة جُرْعاً، فعلوا ذلك أربعة أيّام. فلما نزلوا بسوى وخشى أن يفضحهم حرّ الشمس نادى خالد رافعاً:

- «ما عندك يا رافع؟» [318]

قال: «خير، أدركتم الرىّ وأنتم على الماء..»

وكان يشجعهم وهو متحيّر به رمد.

ثمّ قال: «أيها الناس، انظروا عليمين^(٢) كأنهما ثديان..»

فأتوا عليهما وقالوا: «علّمان..»

فقام عليهما فقال: «اضربوا يَمَنَةً وَيَسْرَةً لعوسجة كقعدة الرجل..»

فقالوا: «لا نرى شيئاً..»

فقال: «إنا لله، هلكتم وهلكت معكم، انظروا..»

فنظروا فوجدوا جذمها، فقالوا:

- «جِذَم^(٣)، ولا نرى شجرة..» فقال:

«احتفروا حيث شئتم..»

فاستثاروا أوشالاً^(٤) وأحساء^(٥) رواء^(٦). فقال رافع:

١. سوى: ماء لبهاء من ناحية السماوة.

٢. مط والطبرى: علمين (٤: ٢١١٣). وانظر ابن الأثير (٢: ٨٠٨).

٣. الجِذَم والجِذَم: الأصل والمنبت.

٤. الوشل: الماء القليل يتحلّب من جبل أو صخر ولا يتصل قطره. والوشل أيضاً: الماء الكثير - ضدّ.

٥. والأحساء: جمع مفردة حسى، وحسى وحسى: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، وقيل: غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلّما نزلت دلوّاً اجتمعت أخرى.

٦. الرواء: الماء العذب. الكثير المروى.

«أيها الأمير، ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي.»

فانحاز خالد من سوى على مَضِيج^(١) بهراء، وإنهم لغارون وناس منهم يشربون خمرًا لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
أَظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَيَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ^(٢)
فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمُعْصِرَاتِ مِنَ الْخَدْرِ

فيزعمون أن مغنيهم قُتل، وسال دمه في الجفنة عند الغارة. وقال شاعر المسلمين: [319]

لِللَّهِ عَيْنَا رَافِعٍ أَتَى اهْتَدَى فَوَزَّ^(٣) مِنْ قُرَاقِرٍ^(٤) إِلَى سَوَى
خِمْسًا^(٥) إِذَا مَا سَارَهَا^(٦) الْجَيْشُ بَكَى مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنْسِي أَرَى

فلما انتهى خالد إلى سوى أغار على أهله وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق، فصار بينهم وبين اليرموك، ثم صمد لهم الطريق حتى صار إلى

١. مَضِيج بهراء: ماء بالشام.

٢. وما في مط: من النشر. والبشر من منازل تغلب بن وائل (الأيام: ٢٠٨).

٣. فوز الرجل: دخل المفازة.

٤. قُرَاقِر: وادٍ لكلب بالسماء من ناحية العراق. نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام. قُرَاقِر، حنو قُرَاقِر، وحنوذي قار، وذات المعجرم، والبطحاء، كلها حول ذي قار (يا).

٥. الخِمس: من الفلوات ما بُعد ماؤها حتى يكون ورد الإبل في اليوم الخامس، والخِمس أن ترد الإبل الماء في اليوم الخامس من وردها السابق. ٦. في الأصل: ما ساره.

دمشق، ثم مرج الصفر. فلقى غسان وعليهم الحارث بن الأيهم، فانتسف
عسكرهم وعيالاتهم وبعث بالأخماس إلى أبي بكر، ثم خرج حتى نزل مياه
بُصرى، فكانت أول مدينة فتحها خالد من الشام بمن معه من جنود العراق،
فخرج منها فوافى المسلمين بالواقصة في عشرة آلاف.

ولما تراءى العسكران بعث القيقلار^(١) أخو ملك الروم - وهو صاحب الجيش
- رجلاً عربياً من قضاة وقال له:

«ادخل في هؤلاء القوم، فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم أئتنى بخبرهم.»

فدخل في الناس رجل عربى لا ينكر، فأقام فيهم، ثم أتاه.

فقال: «مه، ما وراءك؟»

قال: «هم رهبان بالليل فرسان [320] بالنهار، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده،
ولو زنى رجموه إقامة للحد.»

فقال القيقلار: «لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على
ظهرها.»

المثنى بن الحارثة وشهربراز قائد الفرس

فأما المثنى بن حارثة، فكان من حديثه بعد خالد بن الوليد: أن الفرس
اجتمعوا على شهربراز بن أردشير بن شهربار بن أبرويز، وجدوه بميسان، فوجه
إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرمز المعروف بجاذويه في عشرة آلاف، ومعه
فيل، فكتبت المسالح بإقباله، فخرج المثنى من الحيرة، وضم إليه المسالح.
وكتب شهربراز إلى المثنى:

«إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل القرى، إنما هم رعاة الدجاج

١. في الطبرى: القيقلار، وفي حواشيه: القنقلال، القنقلار، القيقلان، القنقلار (٤: ٢١٢٥).

والخنازير، ولست أقابلك إلا بهم».

فأجابه المثنى:

«من المثنى إلى شهربراز، إنما أنت أحد الرجلين: إما باغ، فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب، فأعظم الكاذبين فضيحة وعقوبة عند الله والناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي، فأنكم إنما اضطررتم إليه، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج [321] والخنازير».

فلما وقف الفرس على كتابه جزعوا وقالوا:

«إنما أتى شهربراز من لؤم منشأته^(١)».

وقالوا له: «جرأت علينا عدونا بما كتبت إليه، فإذا كاتبنا أحداً فاستشر».

ثم التقوا ببابل، فاقتتلوا بعدوة الصراة^(٢) الدنيا قتالاً شديداً.

ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل، وكان يفرق بين الصفوف والكراديس، فأصابوا مقتله، فقتلوه، وهزموا أهل فارس وأتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم، وطلبوا الفل^(٣) حتى بلغوا المدائن. ومات شهربراز منهزم^(٤) هرمز جاذوية، واختلف أهل فارس بعده، وأبطأ خبر أبي بكر على المسلمين لمرضه.

فخرج المثنى نحو أبي بكر ليخبره خبر المسلمين ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبته من أهل الردة - وكان أمراً أبو بكر ألا يستعان بهم - وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط لقتال فارس ومعونة المهاجرين منهم. فقدم المدينة واستخلف على عسكره بشير بن الخصاصية^(٥) [322] فوجد أبا بكر - رضى الله عنه -

١. مط: «متشابه». ٢. انظر الطبري (٤: ٢١١٧).

٣. الفل: المنهزم، للواحد والجمع. انظر الطبري (٤: ١٨ - ٢١١٧).

٤. أي وقت انهزام هرمز. انظر أيضاً الطبري (٤: ٢١١٩).

٥. الأصل: غير واضح. مط: الحصافة. وما أثبتناه يؤيده الطبري (٤: ٢١٢٠).

مريضاً مرضه الذى مات فيه، فأخبره الخبر.
فدعا أبو بكر عمر - وكان قد عقد له - فقال:

- «يا عمر، اسمع ما أقول لك، ثم اعمل عليه. إني أظن أن أموت من يومى هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا مت، فلا تُمسِين حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة - وإن عظمت - عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وقد رأيته متوفى^(١) رسول الله - صلى الله عليه - وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله. وبالله لو أتى أنى عن أمر الله لخذلنا ولاضطرمت المدينة ناراً. وإن فتح الله على أمرائنا فاردد أصحاب خالد إلى العراق، فإنهم أهله وولاة حذّه، وأهل الضراوة بهم، والجرأة عليهم.»

ومات أبو بكر رضى الله عنه مع الليل، وندب عمر الناس مع المثنى. وقال عمر:

- «كأنّ أبا بكر علم أنه يسوءنى أن أوامر خالداً على العراق حين أمرنى بصرف أصحابه، وترك ذكره.»

وتشاغل أهل فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السواد فيما بين خلافة أبى بكر إلى قيام عمر، ورجوع [323] المثنى مع أبى عبيد^(٢) إلى العراق، وكان جمهور جند العراق بالحيرة بالسبب^(٣) والغارات تنتهى بهم إلى شاطئ دجلة، ودجلة حجاز بين العرب والعجم.

١. أى: حين توفى رسول الله.

٢. وقد وردت هذه الكنية بكلا الوجهين: («أبو عبيد»، «أبو عبيدة») فى مواضع من النص.

٣. كورة من سواد الكوفة، وهما سيبان: الأعلى والأسفل من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة (يا).

أسماء کتاب أبی بکر رضی الله عنه

کتب لأبى بکر رضی الله عنه: عثمان بن عفان، وزید بن ثابت، وعبدالله بن الأرقم، وحنظلة بن الربیع.

□ □ □



مرکز تحقیقات کتابیہ و تہذیبیہ علوم اسلامیہ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مما حدث في خلافة عمر

عمر يقاسم خالداً ماله

فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزل خالد بن الوليد. وكتب إلى أبي عبيدة بتأميره عليه، وقال له:

«أدع خالداً، فإن أكذب نفسه في حديث تكلم به خالد فهو أمير على ما هو عليه، وإن لم يكذب نفسه فأنت الأمير. ثم انزع عمامته عن رأسه، وقاسمه ماله نصفين.»^(١)

فلما ذكر ذلك أبو عبيدة لخالد قال:

«أنظرني أستشر في أمري.»^(٢)

ففعل أبو عبيدة. فدخل خالد على أخته فاطمة بنت الوليد، وكانت عند الحارث بن هشام، فذكر لها الحديث، فقالت:

«والله لا يحبك عمر أبداً، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم ينزعك.»

فقبل رأسها وقال:

«صدقت.»

وتم على أمره وأبى [324] أن يكذب نفسه.

١. تجد الرواية عند الطبري (٤: ٢١٤٨).

٢. في الطبري: أنظرني أستشر أختي في أمري (٤: ٢١٤٨).

فقام بلال مولى أبى بكر، فقال:

«ما أمرت به فى خالد؟»

قال: «أمرت أن أنزع عمامته وأقاسمه ماله.»

ففعل، وقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه. فقال أبو عبيدة:

«إنّ هذا لا يصلح إلّا بهذا.»

فقال خالد: «أجل، وما أنا بالذى أعصى أمير المؤمنين، فاصنع ما بدا لك.»
فأخذ نعلًا وأحذاه نعلًا.

ثم قدم خالد المدينة على عمر. فكان كلما مرّ بخالد، قال:

«يا خالد أخرج مال المسلمين من تحت إبتك.»

فيقول: «والله ما عندى مال لهم.»

فلما أكثر عليه عمر قال له خالد:

«يا أمير المؤمنين، قيمة ما أصبت فى سلطانكم أربعون ألف درهم.»

قال عمر: «قد أخذت ذلك منك.»

قال: «هو لك.»

قال: «وأخذته.»

ولم يكن لخالد مال إلّا عُدّة ورقيق. فحُسب ذلك، فبلغت ثمانين ألف درهم،

فناصفه عمر على ذلك وأعطاه أربعين ألف درهم وأخذ ماله.

فقال: «يا أمير المؤمنين، لو رددت على خالد ماله.»

فقال: «إنّما أنا تاجر للمسلمين، والله لا أردّه عليه أبدًا.»

فكان عمر يرى أنّه [325] قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك.

من حديث خالد وفتح دمشق

وكان خالد قبل أن ينقضى حرب الروم، على مقدمة خيل أبى عبيدة، وهو

الذى فتح دمشق بيت المملكة. وكان من حديثه أن عمر كاتب المسلمين عندما هزموا الروم باليرموك: أن يقصدوا لدمشق، فإنها مقرّ عزّ الروم، وأن يشغلوا أهل فيحل^(١) وفلسطين، وأهل حمص بخيل تكون بإزائهم. فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك، وإن تأخّر فتحها حتى تفتح دمشق، فليصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص، وعمر إلى فلسطين. وكان أبو عبيدة بعث ذا الكلاع ليكون بين دمشق وحمص رداءً. ففعل أبو عبيدة كما أمره، وقدم خالداً - وهرقل يومئذ بحمص - فحاصر أهل دمشق حصاراً شديداً نحواً من سبعين ليلة، وقاتلوهم بالمجانيق وهم معتصمون بالمدينة، يرجون الغياث من هرقل. وجاءت خيول هرقل مغيثة لأهل دمشق، فأشجتها خيول ذى الكلاع وشغلتها عن الناس.

فلما أيقن أهل [326] دمشق أن الأمداد لا تصل إليهم فشلوا، وطمع فيهم المسلمون، وكانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك إذا هجم البرد قفل^(٢) الناس، فسقط النجم^(٣) والقوم مقيمون. فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على دخول دمشق.

إتفاق جيّد للمسلمين

وكان من الإتفاق الجيّد للمسلمين: أن ولد للبطريق الذى على أهل دمشق مولود. فصنع طعاماً، فأكل القوم وشربوا، وغفلوا عن مواقفهم، ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد، فإنه كان لا ينام ولا يُنيم، ولا يخفى عليه

١. فيحل: موضع بالشام، كانت للمسلمين مع الروم به وقعة، قتل فيها ثمانون ألفاً من الروم، وهى مشهورة.

وتسمى «يوم فيحل»، كما تسمى «يوم الردغة» و«يوم بيسان» (مع).

٢. مط: فقتل في الناس. وفي الطبرى أيضاً: قتل (٤: ٢١٥٢).

٣. النجم: السعال. سقط النجم: أقبل. وهذا من قولهم: «سقط الحرّ أو البرد»: أقبل (مو). وفي الطبرى:

النجم (نفس الصفحة). فى مط: فقتل فسقط المعجم (٤).

شيء من أمورهم، عيونه ذاكية، وجواسيسه مفرقة، وهو معني بما يليه. وكان كل جانب من المدينة إلى قوم. وكان قد اتخذ خالد حبالاً كهيئة السلاليم وأوهاقاً. فلما أمسى ذلك اليوم وعرف خبر القوم نهده هو ومن معه من جنده الذين قدم بهم، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى [327] وأمثاله من أصحابه في أول نومه وقالوا:

«إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا للباب.»

فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون، رموا بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم. فلما ثبت لهم وهقان تسلق فيهما القعقاع ومذعور. ثم لم يدعأ أحبولة إلا أثبتها والأوهاق بالشرف، وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان بدمشق، أكثره ماءً وأشدّه مدخلاً. ولم يبق ممن خرج مع خالد تلك الليلة أحد إلا رقى أو دنا من الباب، حتى إذا استتوا على السور حذر عامة أصحابه وانحدر معهم، وخلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقى، وأمرهم بالتكبير. فكبر الذين على السور، فنهد المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها. وانتهى خالد إلى أول من يليه، فأنامهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البوابين، وثار أهل المدينة، وفرغ سائر الناس، فأخذوا مواقفهم ولا يدرون [328] ما الشأن، وتشاغل كل ناحية بما يليهم، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف، وفتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم.

ولما شدّ خالد على من يليه، وبلغ منهم ما أراد عنوة، وأرز^(١) من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلى غيره، دعوا المسلمين إلى الصلح. فأجابوهم وقبلوا منهم ولا يدرون بما كان من خالد. ففتحوا لهم الأبواب وقالوا:

١. أرز إلى المكان: لجأ إليه.

«ادخلوا، وامنعونا من أهل ذلك الباب.»

فدخل أهل كل باب، بصلح^(١) من يليهم، ودخل خالد بما يليه عنوة. فالتقى خالد والقواد في وسطها، هذا استعراضاً وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً. فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح.

ولما فرغ المسلمون من فتح دمشق، ساروا إلى فحل وبيسان، ولاقوا حرباً شديداً، وافتتحوها بعد شدائد وبأس كثير.

عمر وانتداب أبي عبيد للخروج إلى فارس

فأما خبر فارس، فإن عمر ندب الناس مع المثنى بن حارثة، وقد ذكرنا فيما تقدم قدوم المثنى على أبي بكر [329] ووصاة^(٢) أبي بكر عمر به. فلم ينتدب أحد مع المثنى. وذاك أن هذا الوجه أعنى فارس كانت أكره الوجوه إلى الناس، لشدة بأس الفرس وعظم شوكتهم، وقهرهم الأمم.

فكان المثنى يحرض الناس ويقول:

«أيها الناس، إنا قد غلبناهم على نصف السواد، وقد ضرى من قبلنا، واجترأنا عليهم، ولنا من بعد ما ينتظره المسلم من الكافر.»

وقام عمر في الناس، وخطبهم وأذكرهم وعد الله في كتابه أن يورثهم الأرض، وقوله عز وجل: ﴿ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون﴾^(٣) أين «عباد الله الصالحون؟»^(٤)

١. والعبارة في الطبري: «فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم، ودخل خالد مما يليه عنوة...» وفي

حاشية الطبري: «بصلح ما يليهم» و «بصلح من يليهم» (٤: ٢١٥٣).

٢. مط: وصى. الوصاة: الوصية، جمعها: وصى. ٣. س ٩ التوبة: ٣٣.

٤. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (س

٢١ الأنبياء: ١٠٥).

فكان أول من انتدب أبو عبيد ابن مسعود الثقفي، وقال: «أنا لها». ثم سليط بن قيس.

فلما اجتمع ذلك البعث قيل لعمر:

- «أمر عليهم رجلاً من المهاجرين والأنصار».

قال: «لا والله لا أفعل. إنما رفعكم الله بسبقكم إلى الجهاد، وسرعتكم إلى العدو. فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء، وأناقلتم إلى الأرض، فأولئ بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع، وأجاب إلى الدعاء. [330] لا والله، لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتداباً».

ثم دعا أبا عبيد وقال له:

- «اسمع من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه - ، وأشركهم في الأمر. ولا تسرعن حتى يتبين. فإنها الحرب، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة».

وقال لأبي عبيد:

- «إنه لم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلا عن بيان».

مركز تحقيق كتاب قدوم أبي عبيد مع المثنى

بعد استخراج الفرس يزدجرد وتتويج بوران رستم

فقدم أبو عبيد ومعه المثنى بن حارثة، وقد استخرج الفرس يزدجرد. وكانت بوران عدلاً^(١) في ما بينهم، لما افتتنت الفرس وقتل الفرخزاذ بن البندوان. وكان سياوخش قدم، فقتل أزرعى دخت. وذلك في غيبة المثنى. وكان شغل الفرس

١. وفي الطبري (٤: ٢١٦٣): .. وقد كانت بوران أهدت للنبي (ص) قبيل [هديتها].

طول غيبته في ما بينهم. وكانت بوران دعت رستم، وشكت إليه تضعضع فارس، ودعته إلى القيام بأمرهم، وتوجته.

فقال رستم: «أنا عبد سامع مطيع.»

فولته أمر فارس وحربها، وأمرت فارس أن يسمعوا له ويطيعوا. فقتل رستم سياوخش، ودانت له الفرس، وذلك بعد قدوم أبي عبيد.

ثم إنَّ عمر [331] لما فصل المثنى وأبا عبيد^(١)، استعجلهما، وقال لهما:

«النجاء، النجاء، بمن معكم، فأني معكم بالناس.»

ثم ندب أهل الردّة، وأذن لهم في الغزو، ورمى بهم العراق والشام.

فقدم المثنى قبل أبي عبيد بنصف شهر، ونزل خفّان^(٢) لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه. وكتب رستم إلى دهاقين السواد: أن يثوروا بالمسلمين. ودس في كل رستاق رجلاً ليتور بأهله. وبلغ ذلك المثنى، وعجل جابان، وكان اجتمع إليه بشر كثير، بالنمارق^(٣)، ولحق أبو عبيد، فأجمّ الناس، ثم تعبى: فجعل المثنى على الخيل، وعبى الميمنة والميسرة. فنزلوا على جابان بالنمارق، فقاتلهم قتالاً شديداً، ثم انهزم جابان، فأسر. فكان آمنه من أسره، فخلّى عند أبو عبيد. فأخبروه أنه ملك. فأشاروا بقتله. فأبى أبو عبيد، وقال:

«إنَّ المسلمين في التواء والتناصر كالجسد الواحد، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم.»

قالوا: «إنه ملك.»

قال: «وإن كان، لا أغدر.»

فتركه، وقسم الغنائم، وكان فيها مال وعطر [332] كثير، وبعث بالأخماس إلى

١. في الأصل: «أبو عبيد» وما أثبتناه يوافق مط.

٢. خفّان (بالفتح والتشديد): موضع قرب الكوفة، فوق القادسية (مع).

٣. النمارق: موضع قرب الكوفة (مع).

عمر.

السَّقَاطِيَّةُ بِكَسْكَرٍ

وَنَارُ نَرْسَى بِكَسْكَرٍ، وَكَانَ رَسْتَمُ أَمْرَهُ بِذَلِكَ. وَنَرْسَى هَذَا ابْنُ خَالَةِ كَسْرَى، وَكَانَتْ كَسْكَرٌ قَطِيعَةٌ لَهُ، وَكَانَ النَّرْسِيَانُ لَهُ يَحْمِيهِ لَا يَأْكُلُهُ وَلَا يَشْرِبُهُ وَلَا يَغْرُسُهُ غَيْرُ آلِ كَسْرَى إِلَّا مِنْ أَكْرَمُوهُ بِشَيْءٍ مِنْهُ.

فَلَمَّا انْهَزَمَتِ الْفَرَسُ يَوْمَ النَّمَارِقِ اجْتَمَعَتِ الْفَالَّةُ إِلَى نَرْسَى، وَهُوَ فِي عَسْكَرِهِ، وَنَادَى أَبُو عُبَيْدٍ بِالرَّحِيلِ، وَقَالَ لِلْمَجْرَدَةِ:

«اتَّبِعُوا الْفَالَّةَ حَتَّى تُدْخِلُوهُمْ عَسْكَرَ نَرْسَى أَوْ تَبِيدُوهُمْ.»

وَمَضَى أَبُو عُبَيْدٍ حِينَ ارْتَحَلَ مِنَ النَّمَارِقِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى نَرْسَى بِكَسْكَرٍ - وَنَرْسَى يَوْمَئِذٍ بِأَسْفَلَ كَسْكَرٍ، وَالْمَثْنَى مَعَهُ فِي تَعَبُّتِهِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا جَابَانَ؛ وَنَرْسَى عَلَى مَجْنَبَيْهِ ابْنَا^(١) خَالِهِ وَهُمَا: ابْنَا خَالَ كَسْرَى بَنْدُويَه وَتِيرُويَه ابْنَا بَسْطَامٍ؛ وَأَهْلُ بَارُوسْمَا وَنَهْرِ جُوبَرِ وَالزَّوَابِي مَعَهُ إِلَى جَنْدِهِ.

وَكَانَ قَدْ أَتَى الْخَبَرَ بَوْرَانَ وَرَسْتَمُ يَهْزِمُ جَابَانَ. فَبِعَثُوا الْجَالْنُوسَ^(٢)، وَبَلَغَ ذَلِكَ نَرْسَى وَمَنْ مَعَهُ، فَرَجَوْا أَنْ يَلْحَقَ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَعَاجَلَهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ، فَالْتَقَوْا أَسْفَلَ مِنْ كَسْكَرٍ فِي مَكَانٍ يَدْعَى السَّقَاطِيَّةَ، فَاقْتَتَلُوا فِي صَحَارَى^(٣) مُلْسٍ قِتَالًا

[333] شَدِيدًا. مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كَامِلِ تَوْحِيدِ عِلْمِ رَسْمِي

ثُمَّ انْهَزَمَ نَرْسَى، وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ، وَغَلِبَ عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَرْضِهِ، وَجَمَعَ أَبُو عُبَيْدٍ

١. كَذَا فِي مَط: ابْنَا خَالِهِ. وَانْظُرْ أَيْضًا الطَّبْرِي (٤: ٢١٦٩).

٢. فِي الْأَصْلِ وَمَط: فَبِعَثُوا الْجَالْنُوسَ. وَفِي الطَّبْرِي: فَبِعَثُوا إِلَى الْجَالْنُوسِ.

٣. فِي الْأَصْلِ وَمَط: «فِي صَحَارٍ» فَأَتَبْتَنَاهَا «فِي صَحَارَى» - كَمَا فِي الطَّبْرِي (٤: ٢١٦٩) - بِأَثْبَاتِ الْيَاءِ. لِأَنَّ الْكَلِمَةَ مَعْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ، فَهِيَ مَفْتُوحَةٌ فِي حَالَةِ الْجَرِّ، وَغَيْرُ مَنْوُتَةٍ. فَلَا التَّشَاءُ لِسَاكِنِينَ وَلَا حَذْفٍ، وَلَا يَقَاسُ بِقَوْلِكَ: «فِي وَادٍ».

الغنائم. وهناك رأى المسلمون من الأطعمة ما لم يروا مثله، وأخذت خزائن نرسى. فلم يكونوا بشيء أفرح منهم بالترسيان. لأنه كان حمي، فاقسموه، وجعلوا يطعمونه الفلاحين، وبعثوا بخمسة إلى عمر، وكتبوا إليه:

«إن الله أطعمنا مطاعم كان الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروها، وتشكروا إنعام الله وإفضاله.»

وأقام أبو عبيد، وسرح المثنى إلى باروسما، وعاصماً إلى نهر جوبّر. فأخربوا، وسبوا، وهرب ذلك الجند إلى الجالنوس. وسار أبو عبيد واستقبله الجالنوس، فنهد إليه أبو عبيد في المسلمين على تعبته. فهزمهم المسلمون، وهرب الجالنوس، وأقام أبو عبيد^(١) قد غلب على تلاك البلاد.

ولما رجع الجالنوس إلى رستم ومن أفلت معه قال رستم:

«أيّ العجم أشدّ على العرب؟»

قال: «بهمن جاذويه.»

وهو ذو الحاجب. فوجهه ومعه فيلة، وردّ معه الجالنوس، وقال له:

«قدّم الجالنوس، فإن عاد لمثلها [334] فاضرب عنقه.»

فأقبل بهمن جاذويه ومعه «درفش كايان»، وكانت من جلود النمر، عرض ثمانى أذرع، وطول اثني عشر ذراعاً. وأقبل أبو عبيد، ونزل المروحة موضع البرج والعاقول. كتحقيق كايون علوم رسي

فبعث إليه بهمن جاذويه: «إمّا أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإمّا أن تدعونا نعبر إليكم.»

فقال الناس: «لا تعبر يا باعبيد^(٢)! ينهاك عن العبور، قل لهم: فليعبروا!»

وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك سليط.

١. كذا: قد غلب بدون «و» كما في الطبري أيضاً (٤: ٢١٧٢).

٢. كذا في الأصل ومط. وفي الطبري: يا أبا عبيد (٤: ٢١٧٥).

فلج أبو عبيد، وقال: «لا يكونون أجراً على الموت منا، بل نعبر إليهم». فعبروا إليهم في منزل ضيق المطرد. فاقتتلوا يوماً، حتى إذا كان آخر النهار، واستبطاً رجل من ثقيف الفتح، ألف بين الناس، فتصافحوا بالسيوف في أهل فارس، وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ولم يبق إلا الهزيمة. فحمل أبو عبيد على الفيل، وضربه، فخطب الفيل أبا عبيد، وقام عليه، وجال المسلمون جولة، ثم تموا^(١) عليها وركبهم أهل فارس. [335]

خطأ في الرأي

فكان من خطأ الرأي والعجلة فيه^(٢) أن بادر رجل من ثقيف الجسر فقطعه. فأنتهى الناس إليه، والسيوف تأخذهم من خلفهم، فتهافتوا في الفرات. فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف بين غريق أو قتيل، وحمى الناس المثنى وعاصم ومذعور، وقد كان سليط - كما قدمنا الخبر عنه - يناشد أبا عبيد مع وجوه الناس، ويقولون^(٣) :

- «إن العرب لم تلق مذ كانوا، مثل جنود فارس، وقد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهاء والعدة، بما لم يلقنا به [أحد] قبل، وقد نزلت^(٤) منزلاً لنا فيه مجال ومرجع من فرة إلى كرة».

فقال: لا أفعل، جيتت يا سليط.

فقال سليط: «أنا والله أجراً منك، نفساً، وقد أشرنا عليك بالرأي، فستعلم».

١. كذا في مط والطبري (٤: ٢١٧٥). وفي الأصل: «نموا». تم على الأمر: استمر عليه.

٢. «فكان... فيه» سقطت من مط.

٣. في الطبري (٤: ٢١٧٧): «... فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس، وقالوا: إن العرب...».

٤. كذا في الأصل ومط والطبري: وقد نزلت. وربما يكون الصحيح: لو نزلت.

رؤيا رأتها امرأة أبي عبيد

وكانت امرأة أبي عبيد رأت رؤيا وهو^(١) في المروحة: أن رجلاً نزل من السماء بآناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد وابنه وجماعة من أهل بيته. فأخبرت أبا عبيد، فقال:

«هذه الشهادة.»

وعهد أبو عبيد إلى [336] الناس، فقال:

«إن قتلتم فعلى الناس فلان، فإن قتل فعليكم فلان.»

إلى أن أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء.

ثم قال: «إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى.»

ثم نهّد بالناس وعبر، وعَضَلَتْ^(٢) الأرض بأهلها، والتحمت الحرب. فلمّا

نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل، والخيل عليها التجافيف، والفرسان^(٣)

عليهم الشُّعْر^(٤)؛ رأت شيئاً منكراً لم تر مثله، فجعل المسلمون إذا حملوا لم تُقدّم

خيولهم، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرّقت بين كراديسهم لا

تقوم لها الخيل إلّا على نفار. وخرقهم الفرس بالنشاب، وعض المسلمين الأُلم،

وترجّل أبو عبيد، وترجّل معه الناس، فصافحوهم بالسيوف، فصارت الفيلة إذا

حملت دفعتهم.

فنادى أبو عبيد:

١. كذا في الأصل ومط: وهو. وفي الطبري: وهي (٤: ٢١٧٨).

٢. في مط: غَصَّت. عَضَلَتْ: غَصَّت.

٣. الكلمة غير واضحة في الأصل، وما أثبتناه من مط ويؤيده الطبري.

٤. «الشُّعْر» غير مشكولة في الأصل وضبطناها حسب الطبري. وجاء ضبطها في بعض الأصول «الشُّعْر» أيضاً.

- «احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها^(١)، واقلبوا عنها أهلها».

وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه فقطعه، ووقع الذين عليه. وفعل القوم مثل ذلك: فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله وقتلوا [337] أصحابه. وأهوى الفيل لأبي عبيد، فنفع مشفره بالسيف، فاتقاء الفيل بيده ووقع، فخبطه الفيل. وأخذ اللواء، الذي كان أمره بعده. فقاتل الفيل حتى تنحى عنه، فأجتره إلى المسلمين، وأحرزوا شلوه. ثم تجرثم الفيل فاتقاء بيده، دأب أبي عبيد، وخبطه وقام عليه. وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثنى وهرب عنه الناس.

فلما رأى عبدالله بن مرثد الثقفي ما يصنع الناس، بادرهم الجسر، فقطعه. فلما توافاه الناس تهافتوا في الفرات، فغرق من لم يصبر، وقتل من صبر. وهذا الخبر تصديق لدريد حيث قال: «إن المنهزم لا يرده شيء». ونادى:

- «أيها الناس! أنا دونكم، فاعبروا».

وعقد لهم الجسر وقال:

- «لا تدهشوا اعبروا على هينتكم، فإننا لن ندع الموضع ولن نزايل حتى نراكم

من ذاك الجانب».

وأتى بعبدالله بن مرثد، وكان يمنع الناس من العبور. فضربه المثنى وقال:

- «ما حملك على ما فعلت؟»

قال: «ليقاتلوا».

فلما ضمت السفن، وعبر الناس كان آخر [338] من قتل عند الجسر سليط بن قيس. وعبر المثنى، وحمى جانبه، واضطرب عسكره، وارفض عنه أهل المدينة، حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم فنزلوا البوادي، وبقي المثنى في قلّة.

١. وفي بعض الأصول: وضنها. والبطن جمع مفردة: البطن: حزام يشد على البطن. وأما الوضن فمفردة: الوضين: البطن العريض المنسوج من سيور أو شعر، وقيل: إن الوضين للهودج بمنزلة الحزام للسرير.

ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم لاعتراض الفرات، وقطع الجسر. وهلك يومئذ من المسلمين أربعة آلاف من بين قتيل وغريق، وهرب ألفان، وبقي مع المثنى ثلاثة آلاف، فكأن الجميع كانوا تسعة آلاف. وجرح المثنى جراحة شديدة، وأثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح^(١). ولما بلغ عمر ما صنعه أهل المدينة، وأخبر عمّن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة اشتدّ عليه، ورحمهم، وقال:

«اللهم إنّ كلّ مسلم في حلّ منّي، أنا فتنة لكلّ مسلم، يرحم الله أبا عبيد، لو انحاز إليّ لكنت فتنة له.»

فبينما ذو الحاجب يروم أن يعبر إلى المسلمين أتاه الخبر باضطراب الفرس. فرجع بعد أن أرفضّ عنه جنده، وأتاه الخبر أنّ الناس في المدائن ثاروا برستم، ونقضوا ما بينهم وبينه، وصاروا فرقتين: الفهلوج على رستم، وأهل فارس على الفيرزان. [339]

ثمّ إنّ جابان ومردانشاه خرجا حتى أخذوا بالطريق وهم يرون أنّهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس.

وبلغ المثنى فعلة جابان ومردانشاه. فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو، وخرج في جريدة خيل يريد هما وظنّا أنه هارب، فأخذهما أسيرين، وخرج أهل أليس^(٢) على أصحابهما، فأتوه بهم أسرى، وعقد المثنى لهم بها ذمّة وقدمهما وضرب أعناقهما وأعناق الأسرى، ثمّ رجع إلى عسكره. وكان جرير بن عبد الله البجلي يسأل قديماً في بَجيلة أن تلتقط من القبائل، وكان النبيّ - صلى الله عليه - وعده ذلك، فلمّا ولي عمر دعاه بالبيّنة، فأقامها. فكتب له إلى عمّاله في العرب

١. انظر الطبري ٤: ٢١٨٠.

٢. أليس، مصغر على وزن فليس: موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية وقيل: قرية من قرى الأنبار وهي بتشديد اللام (مع). وانظر الطبري (٤: ٢١٨٢).

كلّها ممن كان فيه أحد ينسب إلى بجيلّة في الجاهلية، وثبت عليه في الإسلام بغير ذلك فأخرجوه إلى جرير. فلما أعطى جرير حاجته في استخراج بجيلّة من الناس وجمعهم، أخرجوا إلى المثنى مدداً له. وكتب عمر يستنفر الناس من أهل الردة وغيرهم، فلم يرّد عليه أحد إلا رمى به المثنى. [340]

يوم البويب ويُسمّى يوم الأعشار

وبعث المثنى بعد الجسر في من يليه من الممّدين، فتوافوا إليه في جمع عظيم. وبلغ رستم والفيروزان ذلك، وأتتهم العيون به، وبما ينتظرون من الأمداد، فاجتمعوا على أن يبعثا بمهران الهمداني حتى يريا من رأيهما ويجتمع أمرهما. فخرج مهران في الخيول، وأمره^(١) بالحيرة. وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بين القادسية وخفّان في الذين أمّده من العرب. فاستبطن فرات بادقلى، وأرسل إلى جرير وعصمة، وإلى كلّ قائد أظله أنه:

- «جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا، فعبّجوا اللحاق بنا، وموعدكم البويب»^(٢).

وسلك المثنى وسط السواد، وسلك جرير على الجوف ومن كان معه، حتى انتهوا إلى المثنى وهو على البويب، ومهران من وراء الفرات بإزائه، وكان عمر عهد إليهم ألاّ يعبروا بخرأ ولا جسراً إلاّ بعد ظفر. فاجتمعوا بالبويب، واجتمع العسكر على شاطئ البويب الشرقي. وكان البويب مغيضاً للفرات أيام المدود أزمان فارس يصب^(٣) في الجوف [341].

١. في الطبري (٤: ٢١٨٤): فأمره. وفي حواشيه: وأمره، وأمرأه.

٢. والبويب نهر بالعراق يأخذ من الفرات، وقد يسمى يوم مهران، ويوم الأعشار. كان على المسلمين المثنى بن حارثة، وعلى الفرس مهران الهمداني وذلك سنة ٦٣ هـ.

٣. مط والطبري أيضاً (٤: ٢١٨٧): يصب.

وقدم على عمر غزاة بنى كنانة، والأزد، فأمر على بنى كنانة غالب بن عبد الله، وعلى الأزد عرفجة بن هرثمة، وأمرهم بالعراق. فقدموا على المثنى، وقدم عليه هلال بن علفه فيما اجتمع إليه من الرباب^(١). فأمره عمر وسرحه، فقدم على المثنى، وكذلك فعل بغزاة كل قبيلة من جشم وخثعم وبنى حنظلة وبنى ضبة وغيرهم. فاجتمعوا عند المثنى.

واجتمع رستم والفيروزان معاً، واستأذنا بوران - وكذلك كانا يعملان إذا أرادا شيئاً استأذنا من حجابها فكلماها به - فأخبرها بعدد الجيش وكثرة الذين يُنفذون مع مهران، وكانت فارس لا تكثُر البعوث. فقالت بوران: «ما بال فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم؟»

قالا: «إن الهيبة كانت قبل اليوم مع عدونا وإنها اليوم فينا». فعرفت رأيهم واستصوبته.

ولما نزل مهران في جنده وراء الفرات - والفرات بينهما - قال: - «إمّا أن تعبروا إلينا، وإمّا أن نعبر إليكم».

فقال المسلمون: «اعبروا إلينا».

فعبروا، وأقبلوا إلى المسلمين [342] في صفوف ثلاثة مع كل صف فيل، ورجلهم أمام فيلهم، وجاؤوا لهم زجل. فقال المثنى للمسلمين: - «إن هذا الزجل وجل!».

قالوا: «أجل».

١. مط: الرباب. وفي الطبري أيضاً الرباب. وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة، ومصبه في الجوف العتيق، وكان مغيضاً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصيناً، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السفن ترفأ إلى الجوف (يا).

قال: «فألزموا الصمت واثمروا»^(١) همساً.

فدنا من المسلمين وجاءوهم من قبل نهر بنى سليم اليوم. فلما دنوا زحفوا، وركب المثنى فرسه الشموس، وكان لا يركبه إلا إذا قاتل. ودعى الشموس^(٢) للين عريكته وطهارته، فوقف على الرايات يحضهم ويذكر أحسن ما فيهم ويقول:

- «إني أرجو ألا يؤتى العرب اليوم من قبلكم، والله ما يسرنى اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم».

فيجيبونه بمثل ذلك، وأنصفهم المثنى بالقول والفعل، وخلط الناس في المكروه والمحبوب، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً.

ثم قال:

- «إني مكبر ثلاثاً، فتهتأوا، ثم احملوا مع الرابعة».

فلما كبروا أول تكبيرة أعجلهم فارس، فعاجلوهم وخالطوهم مع أول تكبيرة. وركدت الحرب ملياً. فرأى المثنى خللاً في بعض صفوفه، فأرسل إليهم:

- «الأمير يقرأ [343] السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم».

فقالوا: «نعم». واعتدلوا.

وكانوا يرونه قبل ذلك وهو يمدّ بلحيته لما يرى منهم! فلما اعتبروه رأوه يضحك فرحاً. مركز تحقيق تاريخ علوم اسلامی

فلما طال القتال، نظر المثنى إلى نفر من الثعلبيين نصارى وفيهم جلاب خيل قدموا مع أنس بن هليل. فقال:

١. مط: واهتمروا. في الأصل: واثمروا. وفي الطبري (٤: ٢١٩٠): ائتمروا. كما أثبتناه.

٢. والمعروف أن «الشموس» معرب أصله الفارسي: «چموش» ومعناه في اللغتين: الفرس الذي لا يمكن أحداً من ظهره، ولا من الإسراج والإلجام، ولا يكاد يستقر (حب، قب). فكيف يمكن القول: دعى الشموس «اللين عريكته»!

- «يا أنس، إنك امرؤ عربي وإن لم تكن على ديننا، فإذا رأيتني قد حملت

على مهران، فاحمل معي.»

وقال لابن [مردى] ^(١) الفهر مثل ذلك. فأجابوه إليه. فحمل المثنى على مهران حتى أزاله، فدخل في ميمنته. ثم خالطوهم واجتمع القلبان، وثار الغبار والمجئبات تقتتل، لا يفرغون لنصر أمرائهم، ولا يستطيعون ذلك، لا المشركون ولا المسلمون. وقتل غلام تغلبى نصراني مهران. ووقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر وقد فنى قلب ^(٢) المشركين. فأما المجئبات فهي بحالها، فجعل المثنى يدعو لهم، ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول:

- «المثنى [يقول] ^(٣): عادتكم في أمثالهم!»

حتى هزموهم. فسابقهم المثنى إلى الجسر، فسبقهم وأخذ الأعاجم [344] يفترقون بشاطئ الفرات مصعدين ومصويين، واعتورتهم خيول المسلمين فجعلهم جثاءاً.

فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رمة منها، كانوا يحرزونها ^(٤) مائة ألف، وما عفى عليها إلا أدفان البيوت ^(٥).

فيحكى أهل تلك الناحية: أنهم كانوا يأتون البويب، فيرون في ما بين موضع السكون اليوم وبينى سليم عظماً بيضاً تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم، يعتبر بها. وسمى يوم البويب يوم الأعراس: أحصى مائة رجل قتل كل واحد منهم عشرة يومئذٍ.

١. مط: «مودن» والأصل غير واضح (مودى؟ نودى؟ نوبى؟) وما أثبتناه من الطبرى (٤: ٢١٩٢).

٢. مط: غالب المشركين. ٣. ما بين [تكملة زيدت عن الطبرى (٤: ٢١٩٤)].

٤. حرزه: قدره بالحدس، وخمته. ليس في مط: «كانوا يحرزونها مائة ألف».

٥. كذا في الأصل. في مط: ادفان البويب. وفي الطبرى: وما عفى عليها حتى دفنها ادفان البيوت (٤: ٢١٩٣) وفي موطن آخر: وكانت وقعة البويب رمضان سنة ثلاث عشر، قتل الله عليه مهران وجيشه، وأفعموا جنبتي البويب عظماً حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب أزمان الفتنة. (٤: ٢١٩٩).

وندم المثنى على أخذه الجسر، وقال:

- «قد عجزت عجرة وقى الله شرّها بمسابقة القوم إلى الجسر حتى أخرجتهم وإني غير عائد. فلا تعودوا ولا تعتدوا بي أيها الناس، فإنّها كانت زلّة، ولا ينبغي إخراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع.»

وكان المثنى أصاب نزل مهران غنماً، وبقراً، ودقيقاً، فبعثوا إلى عيالات الناس، وكانوا خلفوهنّ بالقوادس مع عمرو بن عبدالمسيح بن بقليلة. فلما رفعوا للنساء [345] فرأين الخيل، تصايحن وحسبها غارة. فقمّن دون الصبيان بالحجارة والعمد. فقال عمرو:

- «هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش أن يكنّ.» وبشّرنّ بالفلاح^(١).

وعقد المثنى الجسر، وسرّح في طلب المنهزمين أصحاب الجسر، فأصابوا غنائم كثيرة وتبعوهم. وكتب القواد والرؤساء منهم إلى المثنى:

- «إنّ الله سلّم ووجه لنا ما رأيت، وليس دون القوم شيء، أفأذن لنا في الإقدام.»

فأذن لهم. فأغاروا حتى بلغوا ساباط، وتحصّن منهم أهل ساباط، واستمكنوا من الغارة على من بينهم وبين دجلة، ومخروها لا يخافون كيداً، وانتقضت مسالح العجم، فرجعت إليهم، واعتصموا بساباط.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

المثنى يُغير على قرية بغداد غارةً

ثمّ إنّ المثنى بلغه خبر قرية^(٢) يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد، ويجتمعون بها في كل سنة مرّة ومعهم فيها من الأموال كبيت المال، وتلك أيام سوقهم. فاستدعى المثنى من وثق به من أهل الحيرة فاستشاره.

٢. أنظر الطبري ٤: ٢٢٠٣.

١. مط: الفلاح. والطبري: الفتح (٤: ٢١٩٧).

فقال له:

«إن أنت قدرت أن تغير عليهم وهم لا يشعرون، أصبت فيها مالاً فيه غنى المسلمين دهرهم وقووا على أعدائهم أبداً.»

قال: «وكم بينها وبين مدائن كسرى؟» [346]

قال: «بعض يوم أو عامة يوم.»

قال: «فكيف لي بها؟»

قالوا: نشير عليك أن تأخذ طريق البرّ حتى تنتهي إلى الخنافس، فإنّ أهل الأنبار يضربون إليها ويخبرونك فيأمنون، وتأخذ دهاقين الأنبار بالأدلاء، وتسير سواد ليلتك حتى تأتيهم صباحاً، فتصّبّحهم غارة.»

ففعل المثنى ذلك، فلما انتهى إلى الأنبار، تحصّن منه صاحبها وهو لا يدري من هو، وذلك ليلاً. فلما عرفه نزل إليه، فأطعمه المثنى واستكتمه وسأله الأدلاء إلى بغداد حتى يعبر منها إلى المدائن.

قال: «أنا أجىء معك.»

قال: لا أريدك معي، إبعث معي من هو أدلّ منك.»

فزوّدهم الأطعمة والأعلاف، وبعث معهم الأدلاء، فساروا.

فلما كانوا بالنصف، قال المثنى:

«كم بيني وبين هذه القرية بغداد؟»

قال: «خمسة فراسخ.»

فندب من أصحابه جماعة للحرس، وبعث طلائع فحسبوا الناس لئلا يسبق

الخبر وقال:

«أيها الناس، اطعموا وتوضّأوا وتهيّأوا.»

ثم سرى آخر الليل فصّبّحهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فأخذوا ما شاؤوا.

وقال المثنى:

«لا تأخذوا إلا الذهب [347] والفضة والخز من كل شيء».

ثم انكفأ راجعاً حتى نزل بنهر السيلحين^(١) بالأنبار، فسمع همساً في ما بين

الناس:

«ما أسرع القوم في طلبنا».

فخطبهم وقال:

«أيها الناس، احمدا الله وتناجوا بالبر والتقوى، ولا تناجوا بالإثم والعدوان،^(٢) انظروا في الأمور وقذروها، ثم تكلموا. ما بلغ النذير مدينتهم بعد، ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم إن للغارات روعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل. ولو طلبكم المحامير من رأى العين ما أدركوكم وأنتم على العراب، حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم؛ ولو أدركوكم لقاتلتهم ورجوت النصر والأجر. فثقوا بالله، وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله عليهم في مواطن كثيرة وهم أعد منكم، وسأخبركم عنى أن أبا بكر أوصانا أن نقلل العرجة ونسرع الكرة في الغارات».

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

ثم أقبل بهم ومعهم الأدلاء حتى انتهى بهم إلى الأنبار.

ثم إن المثنى أغار على حمى من تغلب على دجلة، وعلى قوم كانوا بتكریت،

وأصابوا ما شاؤوا [348] من النعم.

١. السيلحين: طسوج قرب بغداد بينه وبينها ثلاثة فراسخ. وقرية وراء عفر قوف تسميها العامة «الصالحين» وهي التي بات بها المثنى بن حارثة، وصبح فأغار على سوق بغداد (مع).

٢. انظر: س ٥٨ المجادلة: ٩.

القادسية وأيامها^(١)

فقال أهل فارس لرستم والفيروزان:

«إنه لم يبرح منكما الاختلاف حتى أوهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم، ولم يبلغ من خطركما أن تقركما على هذا الرأي وأن تعرضا فارس للهلكة. ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن، والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت شامت، ونشفين نفوسنا منكما.»

تمليك يزْدَجُرد

فاجتمع رستم والفيروزان عند بوران وقال^(٢) لها:

«اكتبي لنا نساء كسرى وسرارية.» - ففعلت.

فأرسلوا في طلبهن، فلم تبق امرأة إلا أتوا بها، فأخذوهن بالرجال، ووضعوا عليهن العذاب يستدلون على ذكر من أبناء كسرى. فلم يوجد عندهن أحد. فقالت إحداهن:

«لم يبق إلا غلام يدعى يزْدَجُرد من ولد شهریار بن أبرويز، وأمه من أهل بادوريا^(٣)».

١. انظر: الطبري (٤ : ٢٢٠-٨). أيام القادسية أربعة: الأول يوم أرمات، والثاني يوم أغواث، والثالث يوم عماس، والرابع: يوم القادسية (يا) والليلة التي تلت يوم أرمات تسمى ليلة الهدأة، والليلة التي تلت يوم أغواث تسمى ليلة السواد عند المؤرخين كما سيأتي ذكره.

٢. وفي الأصل ومط: قالوا.

٣. بادُريا (= بادُريا، بادُوريا): طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد (يا).

فأرسلوا إليها، فأخذوها به، وكانت قد أنزلته [فى أيام شيرى] ^(١) حين جمعهنّ فى القصر الأبيض، وقتل الذكور إلى أخواله وكانت واعدتهم، ثم دلّته إليهم فى زيبيل ^(٢). فلما أخذت أمّه به، دلّتهم عليه، فأرسلوا، فجاؤوا به، فملكوه وهو ابن إحدى [349] وعشرين سنة، واجتمعوا عليه واطمأنت فارس، واستوسقوا، وتبارى الرؤساء فى طاعته ومعونته. فسَمّى الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر. فسَمّى جند الحيرة وجند الأنبار والأبلة والمسالخ، وأظهروا الجَدَّ والنصيحة.

وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم المثنى والمسلمين، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون منهم. فلم يصل الكتاب إلى عمر، حتى كفر أهل السواد كلهم: من كان له عهد ومن لم يكن له عهد. فكتب عمر إليهم:

«فاخرجوا من بين ظهرانى الأعاجم، وتفرّقوا فى المياه التى تليهم على حدود أرضهم، ولا تدعوا فى ربيعة أحداً ولا مُضر ولا حلفاءهم من أهل النجدات، ولا فارساً، إلّا اجتلبتموه، فإن جاء طائعا، وإلّا حشرتموه. إحملوا العرب على الجَدِّ إذا جدّ العجم.»

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

فنزّل المثنى بذى قار، ونزل الناس بالحلّ، وبشراف إلى غُضّى - وغُضّى جبل ^(٣) البصرة - فكان فى أمواه العرب ^(٤) من أولها إلى آخرها مسالغ ينظر

١. تكملة زیدت عن الطبری (٤: ٢٢١١).

٢. فى الطبرى ومط: زيبيل، وفى بعض الأصول: «زنبيل». والزيبيل بمعنى الزنبيل.

٣. مط: حدّ البصرة. الطبرى: حبال البصرة. وفى حواشى الطبرى: جبل البصرة، جبال البصرة (٤: ٢٢١١).

بعضهم إلى بعض ويعين بعضهم بعضاً إن كان كون. وذلك في ذي العقدة من سنة ثلاث عشرة [350] للهجرة.

وكتب عمر إلى عمّال العرب على الكور والقبائل أن:

«لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة إلا انتخبتموه، ثم وجهتموهم إليّ، والعجل العجل^(١)».

فمضت الرسل، ووافاه هذا الضرب من القبائل، وأخبروه عمّن وراءهم بالحثّ والجذّ.

وخرج عمر في أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة حتى نزل ما يدعى صراراً، فعسكر به ولا يدرى الناس ما يريد. وكان عثمان أجراً عليه، فقال له:

«ما بلغك؟ ما الذي تريد؟»

فنادى: «الصلوة جامعة».

فاجتمع إليه الناس، فأخبرهم الخبر، ثم نظر ما يقول الناس.

فقام العامة: سير وسير بنا معك!

فدخل معهم في رأيهم، وكره أن يدعه حتى يخرجهم منه في رفق، فقال:

«استعدّوا، فأنّي سائر، إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك».

ثم جمع أهل الرأي ووجوه أصحاب النبي - صلى الله عليه - فقال:

«أحضروني الرأي».

فأجمع ملأهم أن يقيم، ويبعث رجلاً من أصحاب رسول الله، ويرميه بالجنود.

فنادى عمر: «الصلوة جامعة».

٤. مط: أقواه العرب! الطبري: أمواه العراق، وفي حواشيه: أمواه العرب (٤: ٢٢١١).

١. هذا الكتاب «أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد» (الطبري ٤: ٢٢١١).

فاجتمع إليه الناس. فأرسل إلى عليّ، وكان استخلفه [351] على المدينة، فأتاه، وإلى طلحة، وكان على مقدمته، فرجع إليه، وإلى الزبير وعبدالرحمان بن عوف، وكانا في المجنبتين. ثم قام فيهم، فقال:

- «إن الله جمع على الإسلام أهله، فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً، فالمسلمون فيما بينهم كالجسد، لا يخلو منه شيء مما أصاب غيره، وكذلك يحقّ عليهم أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم. فالناس تبع لمن قام لهذا الأمر ما اجتمعوا عليه، ورضوا به، وما رءاه أولوا الرأي لزم الناس، وكانوا له تبعاً، فمن قام بهذا الأمر فهو تبع لأولى الرأي. أيها الناس! إني كنت كرجل منكم، حتى صرفني ذوو الرأي عن الخروج، فقد رأيت أن أقسم وأبعث رجلاً وقد أحضرت هذا الأمر من قديم ومن خلقت.»

فكان طلحة ممن تابع وعبدالرحمان ممن نهاه وقال:

- «بأبي أنت وأمي...»

قال عبدالرحمان: فما قديت أحداً بأبي وأمي بعد النبي صلى الله عليه غيره^(١)، وقلت:

- «... اجعل عجزها بي^(٢)، وأقم، وأبعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك فإن يهزم جيشك [352] فليس كهزيمتك، وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت على المسلمين.»

١. انظر الطبري (٤: ٢٢١٤).

٢. كذا في مط والطبري. وفي حواشيه: «لي» (نفس الصفحة).

قال عمر:

«فأشيروا عليَّ برجل!»

قال عبدالرحمان: «وجدته.»

وكان ورد كتاب سعد بن أبي وقاص وهم في تلك الحال، جواباً عن كتاب

عمر:

«إني قد انتخبت لك ألف فارس^(١) كامل كلهم له نجدة ورأى وصاحب

حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم، إليه^(٢) انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك

بهم.»

ووافق كتابه مشورتهم.

وقال عبدالرحمان: «وجدته لك^(٣).»

قال: «من؟»

قال: «الأسد عادياً، سعد بن مالك.»

فأرسل إليه، فقدم، فأمره على حرب العراق، وأوصاه، وقال:

«يا سعد سعد بنى وهيب! لا يغرتك من الله أن قيل: خال رسول

الله! ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس شريفهم ووضيعهم

في ذات الله سواء: الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية،

ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله

صلى الله عليه - منذ بعث إلى أن فارقنا - عليه، فالزمه، فإنه الأمر.

١. الطبري: ألف فارس مؤد (٤: ٢٢١٦).

٢. كذا في الأصل ومط: إليه. وفي الطبري (٤: ٢٢١٦): إليهم.

٣. الطبري: فقالوا: قد وجدت بدون «لك».

[353] ^(١) هذه ^(٢) عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك
وكننت من الخاسرين.»

فسار سعد، ومات المثنى من انتقاض جراحته قبل أن يصل إليه سعد. وذلك أن جرحه كان ينتقض ويبرأ حتى مات. وقدم سعد، فأغار فى ما يليه، ولم يزل كذلك، إلى أن ألحّ يزدجرد على رستم، وقال:
«لابد أن تلى حرب العرب بنفسك.»

فخرج رستم فى العدة والعديد والخيول والفيول، وراسله سعد بالمغيرة بن شعبة وغيره من دهاة العرب وأصحابه من ذوى الهيئات والآراء، فجرت بينهم مخاطبات، لا تجربة فيها ولا فائدة فى المستأنف، فتركنا ذكرها.
إلى أن صافهم رستم وعبر إليهم. وكان فى القلب الذى فيه رستم ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال، وفى المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال، وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته، والفيرزان بينه وبين ميسرته، وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والمشركون.

تدبير دبره يزدجرد

للإسراع فى تسلّم أنباء الحرب

وكان يزدجرد وضع بينه وبين رستم رجالاً: فأولهم على باب إيوانه والآخر [354] ^(٣) على دعوة منه، بحيث يسمعه، والآخر كذلك إلى أن انتظم بينه وبين

١. حصل تقديم وتأخير فى الأصل بين الصفحتين 353 و 354 فصحناه. أنظر الطبرى ٤: ٢٢١٧، السطر الثانى.

٢. كذا فى الأصل ومط: «بعده». وفى الطبرى: «هذه» كما هو الصحيح.

٣. أنظر: الحاشية الخاصة بالصفحة 353 من الأصل.

رستم بالرجال. فلما نزل رستم بسباط قال الرجل الذي بسباط: «نزل!» وقال الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يقوله من يلي الإيوان ويسمعه يزدجرد. فكان كلما ارتحل، أو نزل، أو حدث أمر، جرى الأمر فيه على ما شرحته، وترك البرد. وكان ذلك شأنه إلى أن انقضى الحرب.

وكان بسعد حُبون^(١) وخراجات يومئذ لا يستطيع أن يركب. فإِنما هو على وجهه، في صدره وسادة وهو مكبٌ عليها، مشرف على الناس من القصر، يرمى بالزقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة، وكان الصف إلى جانب القصر. فشَغِبَ قوم من وجوه الناس على سعد، ولم يرضوا بما صنع خالد. فهُمَّ بهم سعد وشتهم. ثم خطبهم، واعتذر إليهم، فرضوا، وأمر الرؤساء حتى خطبوا في من يلونهم، ففعلوا، وتحاضوا وتواصوا.

فأما الفرس فإِنهم تعاهدوا، وتواصوا، واقتربوا بالسلاسل. فكان المقترنون ثلاثين ألفاً، وجملتهم مائة وعشرون ألفاً، وثلاثون فيلاً عليها المقاتلة، [355] وقيلة عليها الملوك وقوف لا تقاتل.

يوم أرمات

وأمر سعد فقرأ سورة الجهاد. وقال سعد:

- «إني مكبر، فإذا سمعتم التكبير الأولى فشدوا شسوع نعالكم، فإذا كبرت الثانية فتهيأوا، فإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الأضراس واحملوا.»
فلَمَّا فرغ القراء، كبر سعد وكبر الناس، ثم ثنى فتهيأ الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشبوا القتال.

١. مط: «جنون» - وهو خطأ - و«جراحات». وفي حواشي الطبري: حبوب، جنون! (٤: ٢٢٨٧).
والحبون جمع مفردة الحبن: الدملة المقيحة. والخراجات ومفردها الخرجة: كل ما يخرج بالبدن كالدمل.

وخرج أمثالهم من أهل فارس، فاعتوروا الضرب والطعن. وخرج هرمز إلى غالب بن عبدالله - وكان هرمز من ملوك الباب متوجاً - فأسره غالب أسراً، وجاء به إلى سعد، فأدخل، وانصرف إلى المطاردة. فبينما الناس ينتظرون التكسيرة الرابعة، قام صاحب رجالة بني نهد، فقال:

«يا بني نهد، إنما سميتم نهداً لتفعلوا.»

فبعث إليه سعد خالد بن عرفة:

«والله لتكفن، أو لأولين عملك غيرك.»

ولما تطاردت الفرسان خرج رجل ينادي:

«مرد ومرد»^(١).

فانتدب له عمرو بن معدى كرب، فرماه الفارسي بنشاب، فما أخطأت سية^(٢) قوسه - وكان متنكبها - فحمل عليه [356] عمرو، فاعتنقه، ثم أخذ منطقته فاحتمله فوضعه بين يديه. ثم جاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه، ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه، ثم ألقاه.

ثم قال: «أنا هكذا، فاصنعوا بهم، إنما الفارسي إذا فقد قوسه تيس!»

فقلنا: «يا باثور^(٣) من يستطيع أن يصنع كما تصنع؟»

وخرج إلى طليحة عظيم منهم، فبارزه، فما لبثه طليحة أن قتله. وقام الأشعث

بن قيس، فقال: *بحقيق كاپيور علوم رسدي*

«يا معشر كندة! لله در بني أسد، أي فزي يفرون^(٤)، وأي هذ يهدون!»

وكذلك كانوا، لأنهم حبسوا الفيلة بالضرب والطعن.

١. كذا في مط والطبري. مرد: رجل. أي: رجل ورجل [يتبارزان].

٢. الأصل غير واضح. وفي مط: سية. والعبارة في الطبري (٥: ٢٢٩٧): فما أخطأت «سية» قوسه «وهو»

متنكبها. سية القوس وسوتها: طرفها المعطوف المعرقب (لع: «سأى»).

٣. أي: يا باثور. ٤. مط: أي فزي يفرون، وأي هذ يهدون.

«... يا معشر كندة! أراكم تنتظرون من يكفيكم الناس. العرب منذ اليوم يقاتلون وأنتم جُثاة على الرُّكَب تنتظرون.»
فوثب إليه عدّة، وقالوا:

«عثر جدّك إنك لتؤبّخنا»^(١) ونحن أحسن الناس موقفاً، ها نحن معك.»
فنهّد ونهّدوا فأزالوا من بإزائهم. ولما رأى فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد، رموهم بحدّهم كلّهم، وبدروا الشدّة على المسلمين عليهم ذو الحاجب والجالنوس والمسلمون ينتظرون [357] التكبيّة الرابعة من سعد. فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم الفيلة قد ثبتوا لهم. وكبّر سعد الرابعة، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول، فكانت الخيول تُحجم عنها وتحيد.
فأرسل سعد إلى عاصم بن عمر، فقال:

«يا معشر بنى تميم. أستم أصحاب الإبل والخيول، أمالكم لهذه الفيلة من حيلة؟»

قالوا: «بلى والله.»

ثم نادى في رجال من قومه رماة، وآخرين أهل ثقافة، فقال لهم:

«يا معشر الرماة، ذبّوا ركبنا الفيلة بالنبل.»

وقال: «يا معشر أهل الثقافة استديروا الفيلة، فقطعوا وضّنها.»

وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد. وأقدم أصحاب عاصم بن عمرو على الفيلة، فأخذوا بأذنانها وأذناناب توأبيتها، فقطعوا وضّنها وارتفعت عن ظهورها. فما بقى لهم يومئذ فيل إلا عرّى وقتل أصحابها، ونُقّس عن أسد، فردّوا عنهم فارس إلى مواقفهم، ولم يزالوا [358]

١. في الطبري (٥: ٢٣٠٠)، عثر الله جدّك، إنك لتؤبّخنا. وفي حواشي الطبري: لتؤبّخنا، لتؤبّخنا، لتؤبّخنا.

يقتتلون حتى غربت الشمس، ثم حتى ذهب هداة من الليل. ثم رجع هؤلاء ورجع هؤلاء، وأصيب في أسد تلك العشيّة خمسمائة، وكانوا ردةً للناس. وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم. فهذا يومها الأول وهو يوم أرمات.

يوم أغواث^(١)

ولما أصبح القوم على تعبئة من غد وقفوا. ووكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب، وإسلام الرثيث إلى النساء، يقمن عليهم، والناس ينتظرون بالجملة نقل الرثيث. فلما استقلت بهم الإبل، وتوجهت بهم نحو العذيب، طلعت بوادي الخيل من الشام، الذين صرفهم عمر بعد دمشق إلى العراق. وكان أبو عبيدة، لما قدم عليه كتاب عمر: أن يصرف أهل العراق أصحاب خالد بن الوليد ولم يذكر خالدًا، ضنّ بخالد، واحتبس عندة، وسرح الجيش - وهم ستة آلاف - [359] وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو. فعجله أمامه، فانجذب القعقاع وطوى وتعجل، فتقدم على الناس يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه وهم ألف، أن يتقطعوا أعشاراً: فكلما بلغ عشرة مدى البصر، سرحوا في آثارهم عشرة. فتقدم القعقاع أصحابه في عشرة، فأتى الناس، فسلم عليهم، وبشرهم بالجنود، وقال:

«أيها الناس! أتى قد جئكم في قوم والله لو كانوا بمكانكم ثم أحسوكم، لحسدوكم بخطوتها، وحالوا أن يظفروا^(٢) بها دونكم. فاصنعوا كما أصنع.»

فنادى: «من يبارز؟»

فسكن الناس، وتذاكروا قول أبي بكر فيه: «لا يهزم جيش فيه مثل هذا.» فخرج إليه ذوالحاجب، فقال له القعقاع:

١. أنظر الطبري ٥: ٢٣٠٣.

٢. في الطبري: أن يظفروا.

- «من أنت؟»

قال: «أنا بهمن جاذويه.»

فنادى: «يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر.»

ثم اجتلدا، فقتله القعقاع.

وجعلت خيل القعقاع ترد قطعاً إلى الليل وينشط الناس، فكأن لم يكن بالأمس [360] مصيبة، وكأنها استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القطع، وانكسرت الفرس لذلك.

ونادى القعقاع أيضاً: «من ينازل؟»

فخرج إليه رجلان أحدهما الفيرزان والآخر البندوان. فانضمَّ إلى القعقاع الحارث بن ظبيان، فبادر القعقاع الفيرزان فضربه، فإذا رأسه مطروح؛ وبادر ابن ظبيان البندوان فضربه، فإذا رأسه كذلك، وتورّدهم فرسان المسلمين، وجعل القعقاع يقول:

- «يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فإنما يحصد الناس بها.»

فتواصى الناس واجتلدوا بها حتى المساء. فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل، لأنّ توابعها تكثرت بالأمس، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا، فلم ترتفع حتى كان من الغد. وفي هذا اليوم حمل بنو عمّ القعقاع عشرة عشرة من الرجال على إبل قد ألبسوها، فهي مجلّلة مبرقة، [361] وأطافت بهم خيولهم فحموهم، وأمرهم أن يحملوها على خيلهم بين الصّفين يتشبهون بالفيلة، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرمات. فجعلت الإبل لا تصمد لقليل ولا كثير إلا نفرت خيلهم، وركبتهم سيوف^(١) المسلمين. فلمّا رأوا ذلك استنّوا بهم، فلقى أهل

١. مط: خيول المسلمين. الطبري: إلا نفرت «بهم» خيلهم وركبتهم «خيول» المسلمين (٥: ٢٣٠٩).

فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرمات.
وجعل رجل من بني تميم يتعرّض للشهادة، فأبطأت عليه حتى تعرّض لرستم
يريده، فأصيب دونه.

وخرج رجل من فارس ينادى: «من يبارز؟»
فبرز له علباء^(١)، فأسجده ونفحه الفارسي فأمعاه، فلم يستطع القيام، فعالجها،
فلم يتأت له حتى مرّ به رجل من المسلمين، فقال:
- «يا هذا أعنّي على بطني.»

فأدخله له، فأخذ بصفاقيه، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت على
المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى صفّ فارس،
وقال:

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنَا بُوَاباً قَدْ كُنْتُ [مَتْن] ^(٢) أَحْسَنَ الضَّرَابَا [362]

وخرج رجل من أهل فارس ينادى^(٣): «من يبارز؟»
فبرز له الأعراف بن الأعلم العقيلي فقتله، ثم برز له آخر من فارس فقتله، ثم
برز آخر فقتله، فأحاطت به فوارس منهم، فصرعوه، ونדר سلاحه عنه، فأخذوه،
فجعل يغتبر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه وقال:

[و] ^(٤) إِنْ تَأْخُذُوا بَزَي، فَإِنِّي مَجْرَبٌ ^(٥) خَرُوجٌ مِنَ الْغَمَاءِ، مُحْتَضِرُ النَّصْرِ

١. الطبري: علباء بن جحش العجلي فأسحره فنفحه الفارسي.. (٥ : ٢٣١٠).

٢. الأصل «كنت مما»، مط: «كنت ما» وما أثبتناه من الطبري (نفس الصفحة).

٣. الأصل: فينادى. فحذفنا الفاء كما في مط.

٤. الأصل ومط بدون «و» فزدناها كما في الطبري (٥ : ٢٣١٠).

٥. وفي بعض الأصول: محارب.

وإنسى لحام من وراء عشيرتي رَكوبٌ لآثارِ الهوى مُحفَلُ الأمرِ

وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة من الخيل حمل حملة فيصيب فيها. فقتل في يوم أغواث ثلاثين فارساً، وكان آخرهم بُزُرْجَمَهْرُ الهمداني، وقال القعقاع فيه:

حَبَوْتُهُ جَيَّاشَةً بِالنَّفْسِ هَذَارَةٌ مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِ أَغَوَاثٍ قَلِيلٍ ^(١) الْفَرَسِ أَنْحُسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّحْسِ
حَتَّى تَفِيضَ ^(٢) مَعْشَرِي وَنَفْسِي [363]

واقْتل الناس صتيتاً حتى انتصف الليل. فكانت ليلة أرمات تدعى «الهداة»، وليلة أغواث تدعى «السواد». ولم يزل المسلمون يرون الظفر يوم أغواث في القادسية، وقتلوا عامة أعلامهم، وجالت فيهم خيل القلب، وثبت رجلهم، فلولا أن خيلهم كرت، لأخذ رستم أخذاً وانتفى المسلمون لدن ^(٣) أمسوا. فلما أمسى سعد وسمع ذلك نام، وقال لبعض من عنده:

«إن تم الناس على الإنتماء فلا توقظني، فإنهم أقوىاء على عدوهم، فإن سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظني، فإنهم على السواء؛ وإن سمعتهم ينتمون، فأيقظني، فإن انتماءهم لشر.»

١. في الأصل ومط: «قليل»، وفي الطبري (٥: ٢٣١١): «فليل» مجروراً. الفليل: الجماعة.

٢. في الطبري ومط: تفيض. تفيض: تموت.

٣. في الأصل: لدى. في الطبري: لدن أمسوا. مط: الذين أمسوا.

قصة أبي محجن مع سلمى وسعد

فلما اشتد القتال بالسواد، سأل أبو محجن سلمى بنت خصفة، وكان محبوساً مقيداً في القصر. فقال:

«يا ابنة خصفة، هل لك إلى خير؟»

قالت: «وما ذاك؟»

قال: «تخليين عني وتعيرينني البلقاء، فله عني، إن سلمني الله أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي.»!

فقالت: «وما أنا وذاك؟»

فجعل يرسف في قيده وقال: [364]

كفى حزنًا أن تردى الخيل بالقتال وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قمت غنائي^(١) الحديد وغلقت مصاريع من دوني تصم المسانيد

قالت سلمى: «إني استخرت الله، ورضيت بعهدك.»

فأطلقته وقالت:

«أما الفرس فلا أعيرها.»

فرجعت.

«فاقتادها رويداً، وأخرجها من باب القصر، فركبها. ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة، ثم حمل على الميسرة ميسرة الفرس، يلعب برمحه وسلاحه بين الصقيين - وقد حكى أن الفرس كانت عرباً، وحكى أنها كانت بسرجهها - ثم رجع من خلف صف المسلمين إلى الميسرة، فكبر، وحمل على ميمنة القوم، يلعب بين

١. الأصل «غنائي» وما أثبتناه يؤيده مط والطبري (٥: ٢٣١٣).

الصفين برمحه وسلاحه، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب، فبدر أمام الناس، فحمل على القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه. فكان يقصف الناس ليلتشد قصفاً منكراً، وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالنهار.

فقال بعض الناس: «هذا من أوائل أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه.» [365]

وانتبه سعد وهو منكبٌ مشرف من فوق القصر، فقال:

«والله لولا محبس أبي محجن لقلت: إنه هو وهذه البلقاء.»

وقال بعض الناس: «إن كان الخضر يشهد الحروب فهذا الخضر.»

وقال بعضهم: «لولا أن الملائكة لا تباشر [القتال] ^(١) لقلنا: ملك بيننا!»

فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج منه، ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجله في قيده، وقال في أبيات:

لقد علمت ثقيف غير فخر	بأننا نحن أكرمهم سُيوفاً
وأكثرهم دُرُوعاً سابغاتٍ	وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً
وأنا وفيدهم في كل يومٍ	فإن عميوا فسل بهم عريفاً ^(٢)
وليلة قادمٍ لم يشعروا بي	ولم أشعر بمخرجي الزحوفاً
فإن أحبس فذلكم بلاءي	وإن أترك أذيقهم الحتوفاً

وإنما حبس في أبيات قالها وهي:

١. كلمة «القتال» مأخوذة من الطبري ٥: ٢٣١٤.

٢. البيت تكملة من الطبري ٥: ٢٣١٥.

إذا متُّ، فادفني إلى أصلِ كرمٍ (١)

فلما أصبحت سلمى أتت سعداً، وكانت مغاضبة له، وصالحته وأخبرته [366]
خبرها مع أبي محجن. فدعا به، وأطلقه، وقال:

«إذهب، فما أنا مؤخذك بشيء تقوله، حتى تفعله».
قال: «لا جرم والله، لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً».

يوم عِساس

أصبح الناس اليوم الثالث على مواقفهم وبينهم كالرجلة الحمراء ميل فى
عرض الصقيين، وقد قتل من المسلمين ألفان، ومن المشركين عشرة آلاف، وكان
أهل الدين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ويبلغون الرثيث إلى النساء
والصبيان، و[النساء و] (٢) الصبيان يحفرون القبور فى اليومين: يوم أغواث ويوم
أرمات. وبات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذى فارقهم
بالأمس. ثم قال لهم:

«إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة، كلما توارت مائة فليتبّعها مائة. فإن
جاء هاشم فذاك، والّا جدّدتم للناس رجاءاً وجداً».
ففعّلوا ولا يشعر بذلك أحد.

١. والأبيات كما فى الطبرى (٥: ٢٣١٦) هي:

إذا متُّ فادفني إلى أصلِ كرمٍ
ولا تدفني بالفلاة فإنني
وتروى بخمر الحصّ لحدى فإنني
أسير لها من بعد ما قد أسوقها
أخاف إذا ما متُّ ألا أذوقها
تروى عظامى بعد موتى عروقها

٢. تكملة من الطبرى.

فأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلهم: فأما [367] قتلى المشركين فقد أضيعوا، لأنهم لا يعرضون لأمواتهم، وكان ذلك مما صنع الله للمسلمين مكيدة ليشدّ بها أعضادهم.

فلما ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل طلعت نواصيها. فكبر، وكبر الناس وقالوا: «جاء المدد» وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها. فجاءوا من قبل خفّان. فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى لهم هاشم في سبعمئة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع في يوميه، فعبّئ أصحابه سبعين سبعين.

فلما نجز^(١) أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه، فيهم قيس بن هُبيرة، حتى إذا خالط القلب كبروا، وقد أخذ المسلمون الفرخ^(٢)، فكبروا جميعاً وقد أصلح المشركون توابيت الفيلة معها الرّجالة يحمونها أن تقطع وضئها ومع الرّجالة فرسان يحمونهم، إذا رأوا كتيبة دلفوا إليها بفيل واتباعه لينفروا به الخيل. فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس، لأنّ الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد، كان أوحش [368] وأهول، وإذا طاف به الناس كان آنس. فكان القتال كذلك. وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديداً، العجم والعرب فيه سواء، ولا يكون بينهم لفظة^(٣) إلّا تعاورها الرجال حتى تبلغ يزدجرد، فكان يبعث إليهم بأهل النجدات ممن بقى عنده فيقوون بهم، وتجيئهم الأمداد على البرّد. فلولا الذي صنع القعقاع في اليومين، ومجيئ هاشم بعقبه كسر ذلك المسلمين، وما كان عامّة جنن المسلمين إلّا براذع الرجال، قد أعرضوا فيها الجريد، ومن لم تكن له وقاية

١. كذا في الأصل. مط: نحر. وفي حواشي الطبري: نجر، نجز، وفي الطبري: «فلما جاء آخر أصحاب القعقاع» (٥: ٢٣١٩).

٢. مط: وتداخل المسلمون الفرخ! وفي الأصل: وقد أخلّى المسلمون الفرخ (الفرج؟) وفي عبارة الأصل غموض، وما أثبتناه كان مكتوباً على هامش الأصل فرجحناء.

٣. مط: لقطه. في الطبري: نقطه، وفي هامشه: بقطه.

لرأسه، عَصَبَ رأسه بالأنساع. وأبلى يومئذ قيس بن هبيرة بن مكشوح.
وقال عمرو بن معدى كرب:

- «إني حامل على الفيل بازائهم، فلا تدعوني أكثر من جزر جزور، فإن
تأخرتم فقدتم أبا ثور، وأين لكم مثل أبي ثور، وإن أدركتموني وجدتموني وفي
يدي السيف.»!

فحمل، فما انثنى حتى ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه:
- «ما تنتظرون؟ ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون
فارسهم.»

فحلموا، فأفرج [369] المشركون عنه بعدما صرعوه وطعنوه وإن سيفه لفي
يده يضاربهم به، وقد طعن فرسه. فلما انفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فارس
عليه فارسي، فحرّكه الفارسي، فاضطرب الفرس، فالتفت إلى عمرو، فهمّ به،
فغشيه المسلمون. فنزل عنه، وحاضر إلى الفرس^(١)، وقال عمرو لأصحابه:
- «أمكنوني من لجامه.»

فأمكنوه منه فركبه.

اتفاق جرى يوم عماس ويحذر أن يقع مثله
ومن الاتفاق الذي جرى في يوم عماس ويحذر أن يقع مثله: أن رجلاً من
الفرس خرج بين الصّفين فهدر وشقشق ودعا إلى البراز.
قال: فبرز رجل منا يقال له: شبر بن علقمة، وكان قصيراً دميماً، وقال:
- «يا معشر المسلمين! قد أنصفكم الرجل.»
فلم يجبه ولم يخرج إليه أحد.

١. الطبري: وحاضر إلى أصحابه (٥: ٢٣٢٣). وضبط الأصل: الفرس.

فقال: «أما والله، لولا أن يزدروني لخرجت إليه.»
 فلما رأى أن المسلمين لا يمنعونَه أخذ سيفه وخجفته، وتقدم. فلما رآه
 الفارسي نزل إليه، فاحتمله، وجلس على صدره وأخذ سيفه ليذبحه وقد كان شدَّ
 مقود فرسه بمنطقته. فلما سلَّ السيف [370] حاص الفرس حيصة، فجذبه المقود،
 فقلبه عنه. فأقبل عليه وهو يُسحب، فافترشه. وجعل أصحابه يصيحون به، فقال:
 - «صيحوا ما بدا لكم، فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلمه.»
 فذبحه وسلمه، ثم أتى به سعداً، فقال:
 - «إذا كان حين الظهر فائتني.»
 فوافاه، فحمد سعد الله، وأثنى عليه، ثم قال:
 - «إني قد رأيتُ أن أنقله إياها، وكل من سلب سلباً فهو له.»
 فباعه بائني عشر ألفاً.

ما جرى في يوم عِماس أيضاً
 ولما عادت الفيلة لفعالها يوم أرمات تفرق بين الكتائب، راسل قوماً ممن
 أسلموا من الفرس، فدخلوا عليه، فسألهم عن الفيلة: «هل لها مقاتل؟»
 قالوا: «نعم! المشافر والعيون. لا ينتفع بها بعدها.»
 فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني مذعور: «اكفياني الأبيض.» وذاك أن الفيلة
 كانت تألفه، وكان بإزائهما؛ وأرسل إلى حمّال والرّبيل: «اكفياني الأجرب.» - وكان
 بإزائهما.
 فأما القعقاع وعاصم فائهما أخذا رمحين أصمّين لئنين، ثم دبّا في خيل
 ورجل، وقالوا:

- «اكتنفوه لتحيروه.»

فنظر الفيل يمنة ويسرة وهما يريدان أن يخبط^(١). فحمل القعقاع وعاصم - والفيل متشاغل بمن حوله - فوضعا رمحيهما [371] فى عيني الفيل الأبيض، فقبع، ونفض رأسه، فطرح ساسته، ودلّى مشفره، فبادره القعقاع، فنفضه بالسيف، فرمى به، وألقى الفيل، فقتلوا من كان عليه.

وأما حمّال والرّيّيل فأنهما قالوا:

- «يا معشر المسلمين، أىّ الموت أشدّ؟»

قالوا: «أن تشدّا على هذا الفيل.»

قال: «فتزّقا فرسيهما حتى إذا قاما على السنايك ضرباهما على الفيل الذى بازائهم. فطعن أحدهما عينه فوطئ الفيل من خلفه، ويضرب الآخر مشفره، فيضربه سانس الفيل ضربة شائلة فى وجهه بالطبرزين، فأفلت بها هو والرّيّيل^(٢)، فبقى الفيل متلدداً بين الصّفين كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه، وإذا أتى صفّ المشركين نخسوه، وصاح الفيّلان صياحاً عظيماً. ثم ولّى الأجرى الذى عور، فوثب فى العتيق فاتّبعته الفيلة فخرقت صفّ الأعاجم، وعبرت العتيق فى إثره، فبيّنت^(٣) المدائن فى توابيتها، وهلك من فيها، وخلص المسلمون بأهل فارس، ومال الظّلّ، فتزاحفوا، واجتلدوا بالسيف حتى أمسوا. فلمّا طعنوا فى الليل اشتدّ القتال [372] وصبر الفريقان، ولم يسمع إلّا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء، فسَمِيت «ليلة الهرير» لم يكن بعدها قتال بليل بالقادسيّة.

ثم إن سعداً وجّه طليحة وعمرو بن معدى كرب إلى مخاضة كانت أسفل منهم، وخشى أن يؤتى المسلمون منها بعبور الفرس، ووصّاهما أن يقفا هناك، فإن أحسّا بكيد أنذرا المسلمين. فانتھيا إلى هناك، فلم يجدا أحداً. فأما طليحة فرأى

١. فى الأصل: يخبط. فى الطبرى (٢٣٢٥: ٥): يتخبطا.

٢. الأصل ومط: بها وهو الرّيّيل بتقديم «و» على «هو» وما أثبتناه يؤيده الطبرى (٢٣٢٥: ٥).

٣. وفى الطبرى: فأتت المدائن، وفى حواشيه: فبيّنت (٢٣٢٦: ٥).

أن يعبر، وأما عمرو فقال: «ما أمرنا بذلك».

فعبّر طليحة حتى إذا صار وراء صفّ المشركين كبر ثلاث تكبيرات، فدهش القوم، وكفّوا عن الحرب لينظروا ماهو، وطلبوه فلم يدروا أين سلك! وسفل حتى غاص، وأقبل إلى العسكر فأتى سعداً خبره، فاشتدّ ذلك على الفرس، وفرح المسلمون. وقال طليحة للفرس: «لا تعدموا أمراً ضعضعكم».

ثم إنهم عادوا، وجدّدوا تعبئة، وأخذوا في أمر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة والمسلمون على تعبئتهم، فطاردهم فرسان العرب، فإذا القوم لا يشدّون، ولا يريدون إلا الزحف [373] فقدّموا صفّاً له أذنان، وأتبعوا آخر وآخر حتى تمّ صفوفهم ثلاثة عشر صفّاً في القلب والمجنّبتين. فرماهم فرسان العسكر فلم يعطفهم ذلك. ثم لحقت بالفرسان الكتائب، فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها مزدلفاً. فقاموا على ساق والناس على راياتهم، بغير إذن سعد.

فقال سعد: «اللّهم اغفرها له وانصره، واتمّيمه سائر الليلة».

ثم قال: «إنّ الرأي ما رآه القعقاع. فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا».

فلما كبروا^(١) واحدة حملت أسد، فقال: اللّهم اغفرها لهم وانصرهم. وا أسداه سائر الليلة».

ثم حمل الناس وعصوا سعداً. فقام قيس بن المكشوح في من يلية - ولم يشهد شيئاً من لياليها إلا تلك الليلة، لأنّه كان آخر من ورد مع هاشم - فقال: «إنّ عدوكم قد أبى إلا المزاحفة، والرأي رأي أميركم، وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجل».

قال القوم: «إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقّروا^(٢)

١. في الأصل: كبروا، وما أثبتناه من مط.

٢. في الأصل: عقّروا. وما أثبتناه يؤيده الطبري ومط (٥: ٢٣٣١).

بهم، ولم يطيقوا أن يقدموا عليهم. تيسروا للحملة، وانتظروا التكبير. - وإن شباب الأعاجم لتجوز [374] صف المسلمين. -

فتكلم الرؤساء. فقال دريد بن كعب النخعي - وكان معه لواء النخع - :
- «إن المسلمين قد تهيأوا للمزاحفة، فاستبقوا المؤمنين الليلة إلى الله والجهاد،
نافسوهم الشهادة، وطيبوا نفساً بالموت، فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون
الحياة، وإلا فالآخرة ما أردتم.»
وتكلم الأشعث بن قيس، فقال:

- «لا ينبغي أن يكون هؤلاء أجراً على الموت مثلاً، ولا أسخى نفساً عن الدنيا،
لا تجزعوا من القتل، فإنه أمانى الكرام، ومنايا الشهداء.»
وترجل وتكلم طليحة فقال مثل ذلك، وتكلم غالب وحمال وأهل النجدات،
فقالوا قريباً من ذلك، وفعلوا فعلهم. وقامت حربهم على ساق، حتى الصباح.
فتلك ليلة الهرير.

وحكى أنس بن الحليس، قال: شهدت ليلة الهرير، فكان صليل الحديد فيها
كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً، وبات سعد بليلة لم
يبت بمثلها، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط، وانقطعت الأصوات عن
رستم وسعد. فبعت سعد نجاراً^(١) - وهو [375] غلام - إلى الصف لم يجد رسولاً،
فقال:

- «أنظر ما ترى من حالهم.»

فرجع، فقال: «ما رأيت يا بنى؟»

قال: «رأيت قوماً يلعبون ويجدون.»

فأول شيء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الأخير،

١. الأصل: مهمل النقط مع تشديد الثانى. فى مط: زالت نقطة النون. وفى الطبرى: بجاد، وفى حاشيته:
نجار (٥: ٢٣٣٤).

صوت القعقاع بن عمرو، وهو يقول:

نحن قتلنا معشراً وزائداً أربعة وخمسةً وواحداً
تحسب^(١) فوق اللبد^(٢) الأساودا حتى إذا ماتوا دعوتُ شاهداً^(٣)
الله ربّي واحتردت^(٤) جاهداً

وأصبحوا ليلة القادسية - وهي ليلة الهرير. سميت بليلة القادسية من بين تلك الليالي والأيام - والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها. فسار القعقاع في الناس، فقال:

- «إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ اليوم، فاصبروا فإن النصر مع الصبر». فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، فصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه. ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال، فقام قيس بن عبد يغوث المكشوح، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معدى كرب، وأشباههم، فحضوا الناس وحرضوا. [376]

فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والهندوان^(٥)، فتأخرا وثبتا حيث انتهيا. وانفرج القلب، وركد عليهم النقع، وهبت ريح عاصف، فقلعت طيارة رستم عن سرير، فهوت في العتيق وهي كبور، ومال الغبار عليهم. وانتهى القعقاع وأصحابه إلى السرير، فعبروا به، وقد قام رستم حين طارت الريح بالطيارة إلى

١. كذا في الأصل وحواشي الطبري: تحسب، وفي الطبري ومط: «نحسب».

٢. اللبد: بساط من صوف، أو ما يجعل على الفرس تحت السرج.

٣. الطبري: جاهداً، وفي حواشيه: شاهداً.

٤. الأصل: «اجتردت» بقرينة مط، لأن نقطة الجيم فيه زائلة تقريباً. في الطبري: «احترزت عامداً» وفي

حواشيه: «احتردت جاهداً». ٥. وفي الطبري: «البيزان» (٥: ٢٣٣٦).

بغال قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة. فاستظل في ظل بغل وحمله. فقصده هلال بن علفه، وولّى عنه رستم، فاتبعه هلال، فرماه رستم، فشكّ قدمه في الركاب، وقال بالفارسية:

- «بپای^(١)». - يقول: «كما أنت ارفق».

فحمل عليه هلال، فضربه ضربة نفحت مسكاً. ومضى رستم نحو العتيق، فرمى بنفسه فيه، واقتحمه هلال عليه، فتناولوه وقدم عام وهلال قائم. فأخذ رجله، ثم خرج به، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم جاء به حتى رمى به بين يدي رحله وأرجل البغال، وأخذ سلبه، ثم صعد السرير، ونادى:

- «قتلت رستم وربّ الكعبة، إلّٰى إلّٰى!»

فأطافوا به، وكثروا وما يحسون السرير، ولا يرونه، وانهزم المشركون. [377]
وقام الجالنوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور، وأسفر الغبار. فأما المقترنون فإنهم جشعوا. فتهافتوا في العتيق، فوخزهم المسلمون برماحهم، فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفاً.

درفش الكابيان وغيره من الأسلاب

وأخذ ضرار بن الخطّاب درفش الكابيان، فعوّض منها ثلاثين ألفاً، [٣٠,٠٠٠]
وكانت قيمتها ألفى ألف ومائتى ألف [٢,٢٠٠,٠٠٠]. وجمعت الأسلاب والأموال، فجمع منها شيء لم يجمع قبله ولا بعده.
وأرسل سعد إلى هلال، فدعى، فقال:

١. بپای = بپای: فعل أمر من المصدر الفارسي: «پاییدن» والباء زائدة في صيغة الأمر. ومعناه: انتبه! (وفي هذا المعنى تشدّد الباء الفارسية، أى حرفه الثانى) أو: إبق، دُم، أو: قاوم، أو: ارسد؛ وفي الطبرى: فشكّها في الركاب وقال بپایه. وفي الهامش: «بپایه، بپایه، بپایه»، أى: اصبر. (٥: ٢٣٤٣). وفيه أيضاً: «فشكّها» ورستم يقول بالفارسية: «بپایه» أى: كما أنت، وفي الحاشية: «كما أنت» (٥: ٢٣٥٦).

- «أين صاحبك؟»

قال: «رميت به تحت أبغل كانت هنالك.»

قال: «إذهب، وجئ به.»

فأمضى له سلبه. وبعث زهرة بن الحويّة^(١) يتبع الجالنوس ومن لحق به، وأمر القعقاع بمن سفل، وشرحبيل بمن علا. وأمر بدفن الشهداء. فخرج زهرة بن الحويّة في آثارهم. فلما انتهى إلى الردم وجده ميثوقاً، ليمنعوه من الطلب. فقال زهرة:

- «يا بكير - وكان معه - أقدم فرسك!» وكان بكير يقاتل على الإناث، وقال:

- «نبي أطلال!»

فتجمعت ووثبت. وأوثب زهرة فرسه [378] - وكان على حصان - فاتبعه وتتابع على ذلك ثلاثمائة فارس. ونادى زهرة حين كاعت^(٢) الخيل:

- «خذوا أيها الناس على القنطرة فعارضونا!»

ففعل الناس ذلك ومضى زهرة، فلحق الفرس، وقد نزلوا الخرّارة وطمعوا، وهم يتعجبون من رميهم وأنه لم يعمل في العرب. وكان الجالنوس قد رفع له كُرّة^(٣)، فهو يرميها ويشكّها بالنشاب. فشذّ زهرة على الجالنوس، فقتله، وانهزمت الفرس. وقد قيل: إن الجالنوس كان راكباً يحمي الفرس حين لحقهم زهرة، فشاوله، واختلفا ضربتين سبقه زهرة، فقتله.

وأما القعقاع وشرحبيل فإنهما خرجا في طلب من ارتفع وسفل، فقتلوهما في كل قرية وأجمة وشاطئ نهر، وراجعوا، فتوافوا عند صلاة الظهر، وهنأ الناس

١. في الطبري: الحويّة (٥: ٢٣٣٨). مط: الجويّة.

٢. كاعت الخيل: مشت وتمايلت على أكواعها. من شدة الحرّ، أو لأنها عقرت. الكاع: طرف الزند الذي يلي الإبهام.

٣. وفي الطبري: الكرة وفي حواشيه: الكرة (٥: ٢٣٤٢، ٢٣٥٧).

بعضهم بعضاً، وأثنى سعد على كلِّ حيٍّ، وذكر خيراً.

وتدرّج زهرة ما كان على الجالنوس، فبلغ بضعة وسبعين ألفاً. فلما رجع إلى سعد نزع سلبه وقال:

«ألا انتظرت إذني؟»

فكتب عمر إلى سعد:

«تعمد إلى مثل زهرة وقد صلي بما صلي به [379] وقد بقي من حربك ما بقي، تكسر قوّته^(١)، وتفسد قلبه! أمض له سلبه، وفضّله عند العطاء بخمسمائة.» وقد حكى أن عامة من شهد القادسية فضّلوا عند العطاء بخمسمائة. وأمّا أهل الأيام، فإنهم فضّلوا على أهل القادسية، فإنهم فرض لهم على ثلاثة آلاف. فقليل لعمر:

«لو ألحقت بهم أهل القادسية، أو فضّلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائهم.»

فقال: «كيف أفضلهم وهم شجى^(٢) العدو، فهلاً فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوهم بفنائهم مثل هذا.»

فحكى عن رجل من عبس قال:

أصاب أهل فارس يومئذ بعدما انهزموا ما لم يصب الناس قبلهم. لقد كان الرجل من المسلمين يدعو الفارس منهم وعليه السلاح التام، فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه ويأخذ سلاحه، وربما قتله بسلاحه، وربما أمر الرجلين أحدهما بصاحبه، وكذلك في العدة. وكان ممن هرب: الهرمزان، وقارن، وأهود. وكان ممن استقتل: شهریار بن كنارا، وابن الهرّيد، والفرخان، وخسروشوم^(٣). [380] وباع هلال بن علفة سلب رستم - وكان تخفّف لما وقع في الماء - بسبعين

١. الطبري: تكسر قرنه (٢٣٤٢: ٥). ٢. الطبري: شجن العدو (٢٣٤٣: ٥).

٣. مهمل النقط وبدون الواو الأولى في الأصل ومط، وما أثبتناه هو من الطبري (٢٣٥٦: ٥).

ألفاً، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف [١٠٠,٠٠٠] لو ظفر بها.
وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد، فقالوا:
- «أيها الأمير، رأينا جسد رستم على باب قصرك، وعليه رأس غيره.»
وكان الضرب قد شوّهه، فضحك.

ومن أنباء الشام

وأما جند الشام فإن حمص افتتحت، وتوجّه علقمة إلى غزّة، وتوجّه معاوية إلى قيساريّة، وصمد عمرو بن العاص إلى الأربطون^(١) بأجنادين، وكان الأربطون أدهى الروم، أبعدها غوراً، وأذكاهها فعلاً، وكان على الروم، وقد وضع بالرملة جنداً عظيماً^(٢)، وكتب عمرو إلى عمر [بالخبر]^(٣).
فقال عمر:

- «قد رمينا أربطون الروم بأربطون العرب، فانظروا عمّا تنفرج.»

ذكر خديعة عمرو لأربطون

وجعل عمرو يُنفذ إلى الأربطون رسلاً فلا يشفونه^(٤). ولا يقدرّون من أربطون على سقطة. فعزم على أن يتولّاه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول. فأبلغه ما [381]
يريد، وسمع كلامه، وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد.
وقال أربطون في نفسه:

- «والله إن هذا لعمرو، أو الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم
بأعظم عليهم من قتله.»

١. أربطون، بالياء المشدّة (لد). وفي الطبري أيضاً بالياء الموحدة (٥: ٢٣٩٨).

٢. وزاد في الطبري: وبالياء جنداً عظيماً. ٣. تكملة من الطبري.

٤. وفي الطبري: فلا تشفيه الرسل (٥: ٢٣٩٩).

ثم دعا حرسياً، فسأره بقتله، وقال:

«أخرج بمكان كذا وكذا، فاذا مرّ بك هذا فاقتله.»

وفطن له عمرو فقال:

«قد سمعت منى وسمعت منك. فأما ما قلت فقد وقع منى موقعاً، وأنا واحد

من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكاتفه ويُشهدنا أموره. فأرجع،

فأتيك بهم الآن. فإذا رأوا فى الذى عرضت مثل رأىى فقد رآه أهل العسكر

والأمير، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم، وكنت على رأس أمرك.»

فقال: «نعم.»

ودعا رجلاً، فسأره وقال:

«أذهب إلى فلان فردّه إلى.»

فرجع الرجل. وقال لعمرو:

«انطلق، فجئ بأصحابك.»

فخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها، وعلم الرومى أنه قد خدعه. فقال:

«خدعنى الرجل. هذا أدهى الخلق.»

فبلغت عمر فقال:

«خدعه عمرو وغلبه. لله عمرو.»^(١)

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

سعد بن أبى وقاص يقدم زهرة إلى بهر سير

ثم إن سعد بن أبى وقاص [382] قدّم زهرة بهر سير^(٢). فمضى زهرة من كوئى

فى المقدمات حتى نزل بهر سير، فتلقاء شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزى.

١. تجد التفاصيل عند الطبرى (٥: ٢٤٠٠).

٢. فى الأصل ومط: بهر سير. وبهر سير من نواحى بغداد قرب المدائن ويقال: «بهر سير الرومقان»، وقال

حمزة: هى إحدى المدائن السبعة التى سميت بالمدائن وهى غربى دجلة (مع).

فأمضاه إلى سعد، فأقبل معه وتبعته المجنّبات. وخرج هاشم وخرج سعد في أثره وقد فلّ زهرة كتيبة كسرى بوران [حول] ^(١) المظلم ^(٢)، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط، ووقف لسعد حتى لحق به، وكانت به كتائب كسرى تدعى: «الأسود»، يحلفون بالله كلّ يوم:

«لا يزول ملك فارس ما عشنا.»

فتنادوا ورئيسهم المقرط. وقال المقرط:

«إلى إلى.»

وذلك لما انتهى إليه. فنزل إليه هاشم فقتله. فقبل سعد رأس هاشم، وقبل هاشم قدم سعد. وقدم سعد إلى بهر سير، فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوالٍ﴾ ^(٣) ثم ارتحل فنزل بهر سير، وجعل المسلمون كلّما قامت طائفة على بهر سير، وقفوا، ثمّ كتبوا كذلك، حتى انجز ^(٤) آخر من مع سعد، فكان مقامه على بهر سير شهرين. وعبروا في الثالث، وذلك أنّهم أقاموا شهرين يرمونهم بالمجانيق، ويدبّون إليهم بالدبابات، ويقاتلونهم بكلّ عدّة. وكان [383] سعد استصنع شيرزاد عشرين منجنيقاً، فشغلوهم بها. وكانت العرب مطيفة بهر سير والعجم متحصّنة فيها. وربما خرج الأعاجم يمشون على المسنّيات المشرفة على دجلة في العدّة والعديد لقتال المسلمين، فلا يقومون لهم. فكان آخر ما خرجوا في رجالة، وناشبة تجرّدوا للحرب، وتبايعوا على الصبر، فقاتلهم المسلمون ولم يلبّثوهم ^(٥)، فكذبوا وتولّوا.

١. تكملة من الطبرى.

٢. المظلم: مظلم ساباط: موضع مضاف إلى ساباط التي بقرب المدائن (مع).

٣. س ١٤ إبراهيم: ٤٦.

٤. الطبرى: «نجز» وفي حواشيه: «انجز». (١، ٢٤٢٥).

٥. الطبرى: «ولم يثبتوا لهم» (٥: ٢٤٢٨).

ذكر استهانة في الحرب عادت بهلكة

هكذا وجدت في التاريخ وهو سهو، لأنّ زهرة بن الحويّة عاش بعد هذا، وشهد مواقف كثيرة، وسيرد جميعه على الأثر. ولعلّ هذا زهرة بن خالد، فليُنظر في ذلك.

كان في ذلك اليوم على زهرة بن الحويّة درع مفصومة، فقبل له:

«لو أمرت بهذا الفصم فسُرد.»

فقال: «ولم؟»

قال: «نخاف عليك منه.»

قال: «إني لكريم على الله، إن ترك سهمُ فارس^(١) الجندَ كلهم، ثمّ أتاني من هذا

الفصم حتى يثبت فيّ.»

فكان أول رجل من المسلمين يومئذ أصيب هو [384] بنشابة ثبتت فيه من

ذلك الفصم.

فقال بعضهم: «إنزعوها عنه.»

فقال: «دعوني، فإن نفسي معي مادامت فيّ، لعلّي أصيب منهم بطعنة، أو

ضربة، أو خطوة.»

فمضى نحو العدو، فضرب بسيفه شهربراز من أهل إصطخر، فقتله، وأحيط به

فقتل، وانكشفوا. وتنادى أهل بهر سير، فعبروا. فلما رأهم سعد والمسلمون

يعبرون، زحفوا إلى السور والمجانيق تأخذه. فناداهم رجل:

«الأمان.»

فآمنوه، فقال:

١. كذا ضبط في الأصل «فارس»، والضبط عند الطبري: «فارس» (٥: ٢٤٢٨).

- «أى شيء ترمون؟ ما بقى فى المدينة أحد.»
فتسوّروا، ودخلوا بهر سير، وفتحوا أبوابها، وتحول العسكر إليها، وحاولوا العبور، فوجدوهم قد ضمّوا السفن إليهم فى ما بين البطائح وتكريت.

بهر سير^(١) وأبيض كسرى

ولما دخل المسلمون بهر سير لاح لهم الأبيض، فقال ضرار بن الخطاب:
- «الله أكبر، هذا ما وعد الله ورسوله: أبيض كسرى.»
والله لتتابعوا بالتكبير حتى أصبحوا. وخبرهم ذلك الرجل الذى نادى بالأمان:
أنكم حصرتهم القوم حتى أكلوا الكلاب والسنانير.
ولما نزل سعد بهر سير - وهى المدينة التى كان فيها منزل كسرى - طلب السفن [385] ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى، فلم يقدر على شيء، وأقام أياماً يصعد ويصوب. فأتاه أعلاج يدلّونه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادى، فأبى وأبقى على المسلمين وفجّتهم المدّ، فرأوا أمراً هائلاً فى سنة جود صيفها^(٢) متتابع.
فجمع سعد الناس وخطبهم وقال بعد حمد الله:

- «إنّ عدوّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فيناوشونكم فى سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد كفاكموهم أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم. وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو

١. وهى المدينة الدنيا (الطبرى ٥: ٢٤٣٢).

٢. فى الأصل: «فى سنة جود صيفها متتابع» ولكنّا أثبتناه كما فى الطبرى (٥: ٢٤٣٢) الجود: المطر الغزير.

بنياتكم قبل أن تحصدكم^(١) الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم».

فقالوا جميعاً:

«عزم الله لنا ولك على الرشد».

فندب سعد الناس إلى العبور، فقال:

«من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى لا يتلاحقوا^(٢) ويلحق الناس، فلا يمنعوا من الخروج من الماء؟».

فانتدب له عاصم بن عمرو وجماعة من ذوى البأس. ثم انتدب بعدهم ستمائة من أهل [386] النجدات. فاستعمل عليهم عاصماً، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة، وقال:

«من ينتدب معي لمنع الفراض من عدوكم لنحميكم حتى تعبروا؟»

فانتدب له ستون، فجعل نصفهم على خيول إناث، ونصفهم على ذكورة. ثم اقتحموا دجلة، واقتحم بقية الستمائة على أثرهم. فكان أول من فصل من الستمائة، رجل يعرف بأصم التيم وشرحبيل وعدة من معه.

فلما رأهم الفرس وما صنعوا، أعدوا للخيول التي عبرت مثلها، فاقتحموا دجلة فأعاموها إليهم. فقال عاصم وقد لقوه في السرعة وقد دنا من القرصة:

«الرماح، الرماح أشرعوها، وتوخوا بها العيون».

فالتقوا، وتوختى المسلمون عيونهم. فولوا بأجمعهم والمسلمون يشمسون^(٣)

بهم خيلهم ما يملك رجالها منع شيء منها، فلحقوهم في الجد فقتلوا عامتهم، ونجا من نجا منهم عورانا، وتزلزلت بهم الخيل، وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين

١. في الطبري: تحصركم، تحصدكم، تخضدكم. ٢. في الأصل ومط: لا يتلاحقون.

٣. الطبري: يشمسون (٥: ٢٤٣٣).

غير متعتين، وأذن سعد للناس في الإقتحام وأمرهم بالاقتران، فتلاحق عظيم الجند، فركبوا من دجلة اللجة وإنها لترمى بالزبد [387] وهي مسودة، وإن الناس ليتحدّثون في عومهم، وقد اقترنوا ما يكثرثون، كما يتحدّثون في مسيرهم على الأرض. ففجئوا^(١) أهل فارس بما لم يكن في حسابهم، فأعجلوهم عن جمهور أموالهم.

وكان يزدرج قد قدّم عياله وما خفّ من ذخائره معهم حين نزل المسلمون بهر سير إلى حلوان. وبلغ ذلك سعداً. جاءه بالخبر بعض الأعلاج^(٢) وقال: - «ما تنتظر إذا كان بعد ثلاث لم يبق بالمدائن مال لكسرى، ولا لأهله».

فكان ذلك مما هيج سعداً وحمله على ما فعل. فكان قرين سعد الذي يسايره في الماء سلمان الفارسي، وكان سفيرهم، والمترجم لهم وعنهم.

وحكى: أن ذلك الخيل عبر بأجمعه، وقد اسودّت منه دجلة حتى ما يرى الماء، فسلموا بأجمعهم، ما فقدوا رجلاً واحداً، ولا أداة. غير أن رجلاً كانت له علاقة في قدح رئة، فانقطعت، وذهب القدح في الماء، والتقطه رجل من الماء كان أسفل، تناوله برمحه، وجاء به إلى العسكر يعرفه، فأخذه صاحبه.

وزال رجل من بارق يومئذ [388] يدعى غرقدة عن ظهر فرس له شقراء، فنظر إليها المسلمون غريباً^(٣) تنفض أعرافها والغريق طاف، فشئى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده، وجرّه حتى عبر، وكان البارقي من أشدّ الناس، فقال: أعجزت الأخوات^(٤) أن يلدن مثلك يا قعقاع؟ - وكان للقعقاع فيهم

١. وفي مط: ففجئوا. في الطبري أيضاً: ففجئوا: (٥: ٢٤٢٤).

٢. جمع العليج: العير، الحمار، حمار الوحش السمين القوي، الرجل الضخم القوي من كفار العجم، وبعضهم يطلقه على الكافر عموماً.

٣. مهمل في مط والأصل، فرس عري: غير مسرج، ويقال: خيل أعراء. قيل: ولا يقال: فرس عريان، كما

لا يقال: رجل عري (قب). ٤. والضبط في الأصل: أعجزت الأخوات.

خؤولة.

وما زالت حماة فارس يقاتلون على الفراض حتى أتاهم آتٍ فقال:
- «علامَ تقاتلون، ولمَ تقتلون أنفسكم؟ فوالله ما فى المدائن أحد.»

مبادرة يزديجرد إلى حلوان

وبادر يزديجرد إلى حلوان، وخلف مهران الرازى والنخیرجان^(١) - وكان على بيت المال بالنهروان - وخرجت الفرس بما قدرت عليه من حرّ المتاع وخفيفه وبالنساء والذراري، وتركوا فى الخزائن من الثياب، والأمتعة والآنية، والفضول، والألطف، والعطر، ما لا يدرى: ما قيمته. وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من الأطعمة، والأشربة، وأصناف المأكول والحيوان من البقر، والغنم.

دخول المدائن

فدخل المسلمون المدائن، وأخذوا فى سككها لا يلقون فيها أحداً ولا يحسونه، إلا من كان فى القصر الأبيض. فأحيط بهم [389] ودعوهم. وكانوا قد اتعظوا بأهل بهرسير. وذلك أن المسلمين لما نزلوا عليهم أجّلوهم ثلاثاً، ودعوهم إلى ثلاث خصال: إما الاسلام، وإما الجزية، وإما الحرب. فلما لم يجيبوا فى [اليوم] الثالث أبادوهم. ولما دعوا أهل القصر الأبيض إلى مثل ذلك اختاروا الجزية. وكان المخاطب لهم سلمان الفارسى.

وملك المسلمون الغنائم، واحتوى سعد على بيوت المال، فوجد فيها ثلاثة آلاف ألف ألف [٣٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠]. فنزل سعد القصر الأبيض، واتخذ الإيوان مصلى. وقدم جيشاً إلى النهروان، عليهم زهرة، وتراجع إلى المدائن أهلها على

١. الأصل ومط: الكلمة مهملة إلا فى النون الأخيرة. فى الطبرى: النخیرجان (٥: ٢٤٣٩).

الأمان والرضا بالجزية.

ووجدوا بالمدائن قباباً تركية مملوءة سلالاً مختمة بالرصاص، قالوا: فما حسبناها إلا طعاماً من حلواء، فإذا هي آنية الذهب والفضة! وقسمت بعد في الناس.

قال حبيب: لقد رأيت رجلاً يطوف ويقول:

- «من معه بيضاء بصفراء».

ولقد أتينا على كافور كثير. فما حسبناه إلا ملحاً، فجعلنا نعجن به الدقيق حتى وجدنا مرارته في الخبز!

ولما انتهى زهرة في المقدمة إلى النهروان [390] وجدهم قد ازدحموا، فوقع بغل في الماء كلبوا عليه. فقال زهرة:

- «إني أقسم بالله إن لهذا البغل لشأناً ما كلب عليه القوم، ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لأمر».

وإذا الذي عليه خرزات كسرى ووشائحه، وعليها من الجواهر ما لا تعرف قيمته، وكان يجلس فيها يوم المباهاة.

فترجل زهرة يومئذ حتى أزاحهم عن البغل، فاحتمله هو وأصحابه، وجاءوا بما عليه إلى صاحب الأقباض، لا يدرون ما عليه حتى فتح هناك.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

تاج كسرى وأدراعه

وحكى هبيرة بن الأشعث عن جدّه قال:

كنت ممن خرج في الطلب، فإذا ببغليين فزاد راكباهما عنهما بالنشاب^(١)، ونظرت، وإذا لم يبق معهما غير نشابين. فألححت بهما، فاجتمعا، فقال أحدهما

١. مط: مكان «فزاد» إلى «بالنشاب»: «قد أدركناهما عنهما بالنشاب» وفي الطبري: قد ردّا (ذئبا) الخيل

عنهما بالنشاب (٥: ٢٤٤٦).

لصاحبه:

- «على ما أرى، إرمه وأحميك، أو أرميه واحمنى!»

فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بهما. ثم إني حملت عليهما، فقتلتهما، وجئت بالبغلين ما أدرى ما عليهما، حتى أتيت بهما صاحب الأقباض وإذا هو يكتب ما يأتى به الناس وما يجمع من الخزائن والدور، فقال:

- «على [391] رسلك حتى ننظر ما معك!»

فأطلت الوقوف بعدما حصلت عنهما، فإذا سفطان على أحد البغلين فيهما تاج كسرى مفسخاً^(١)، وكان لا يحمله إلا أسطوانتان، وفيهما الجواهر، وإذا على الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى منسوجة بالذهب المنظوم بالجواهر.

وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ فى الطلب، فلحق بفارسى يحمى الناس، فاقتلا، فقتله، وإذا مع المقتول جنيبة عليها عيبتان وغلافان، وفي أحد الغلافين خمسة أسياف^(٢)، وفي الآخر ستة أسياف^(٣)، وإذا فى إحدى العيبتين أدراع: درع كسرى، ومغافره، وساقاه، وساعده، ودرع هرقل، وفى الآخر درع سياوخش، ودرع خاقان، ودرع داهر^(٤)، ودرع بهرام شوبين، ودرع النعمان، وكان الفرس استلبوها من أربابها أيام خالفوا كسرى.

وحكى عاصم بن الحارث قال:

خرجت فى الطلب، فأخذت طريقاً مسلوكة، وإذا حمار. فلما رآنى صاحبه حثه، فلحق بآخر أمامه، فمالا، وحثا حماريهما، فانتھيا إلى جدول قد كسر [392] جسره، فثبتا حتى أتيتهما، ثم تفرقا ورماني أحدهما، فألظظت^(٥) حتى

١. كذا فى الطبرى (٥: ٢٤٤٦)، وفى مط: منسجاً.

٢. مط: أسياف. ٣. مط: أيضاً: أسياف.

٤. كذا فى مط والطبرى، وفى الأصل: كلمة مطموسة لا تقرأ.

٥. ألظظ فى الحرب: ألح.

قتلته، وأفلت الآخر، ورجعت إلى الحمارين، فأتيت بهما صاحب الأقباض. فنظرنا، فاذا على أحدهما سفطان، في أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة، على ثفره ولبيبه الياقوت والزمرّد منظوماً على الفضة، ولجامه كذلك، وفارس من فضة مكلّل بالجوهر؛ وإذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب، وبطان من ذهب، ولهما^(١) شناق أو زمام من ذهب، وكلّ ذلك منظوم بالجوهر؛ وإذا عليها رجل من ذهب مكلّل بالياقوت كان كسرى يضعهما إلى أسطوانتي التاج.

وحكى غيره: أنّ رجلاً أقبل بحقّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال هو والذين معه:

«ما رأينا مثل هذا قطّ، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه.»

ثمّ سألوه عن نفسه، فأبى أن يخبرهم، وقال:

«لا والله، لا أخبركم لتحمدوني، ولا لتقرّظوني، ولكنّي أحمد الله وأرضى

بثوابه.»

وقال سعد:

«لولا ما سبق به أهل بدر^(٢)، لقلت: إنكم أفضل منهم وأكرم [393] وأيم الله،

لقد تتبعت من أهل بدر هنات وهنات فيما أحرزوا، وما أحسّها^(٣) ولا أسمعها من

هؤلاء القوم. مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم إسلامي

وقال جابر بن عبد الله:

«والله الذي لا إله إلا هو، ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنّه يريد الدنيا

مع الآخرة. ولقد اتّهمنا ثلاثة أنفس فما رأينا كأمّانتهم وزهدهم وورعهم: طليحة

١. كذا في مط: لهما. وفي الطبري، لها (٥: ٢٤٤٨).

٢. كلمة مطموسة في الأصل، وما أثبتناه يؤيده الطبري ومط.

٣. كذا في مط: أحسّها، وفي الطبري: أحسّها، وفي حواشيه: أحسّها (٥: ٢٤٤٩).

بن خويلد، وعمرو بن معدى كرب، وقيس بن المكشوح.»

عمر وتاج كسرى

ولما قدم على عمر بن الخطاب بتاج كسرى وبزّته، وزبرجه، ومنطقته، وسلاحه، قال:

«إِنَّ قَوْمًا أَدَّوْا هَذَا لِدُو أَمَانَةٍ.»

فقال على صلوات الله عليه:

«إِنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ.»

ولما قسم سعد الفيء أصاب الفارس اثنا عشر ألف درهم، وكلّهم كان فارساً يوم المدائن، وليس فيهم راجل، وكانت الجنائب كثيرة. ولما نزل سعد المدائن بعث إلى العيالات، فأنزلهم الدور وفيها المرافق، فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء، وحلوان، وتكريت، والموصل. ثم تحوّلوا إلى الكوفة.

بساط يساوى جريباً

ولما قسم سعد الفيء أخذ يسأل بعد القسم وإخراج الخمس [394] [عن] (١) القطف، فلم تعدل قيمته، فقال للمسلمين:

«هَلْ لَكُمْ فِي أَنْ نَطْيِبَ نَفْسًا عَنْ أَرْبَعَةِ أَخْمَاسِهِ وَنَبْعَثَ بِهِ إِلَى عَمْرٍ، فَيُضْعَهُ

حَيْثُ يَرَى، فَأَنَا لَا نَرَاهُ يَنْفَقُ بَيْنَنَا؟»

فقالوا: «نعم، هاء (٢) الله إذا.»

فبعث. وكان ستّين ذراعاً في ستّين ذراعاً، بساطاً واحداً مقدار جريب، فيه: طرق كالصور، وفصوص كالأنهار، وخلال ذلك كالدير، وفي حافات كالأرض

١. تكملة منّا. والعبارة في الطبري: «وَفُضِّلَ بَعْدَ الْقِسْمِ ... الْقُطْفُ فَلَمْ يَعْتَدِلْ قِسْمَتَهُ» (٥: ٢٤٥٢).

٢. هاء بالكسر: هات: أي اعط الله. هاء بالفتح: خذ. وضبط في الطبري: هاء الله ولم أنّه إلى وجه له.

المزروعة المبجلة بالنبات، وعليه ما كانوا يعدّونه في الشتاء، إذا ذهبت الرياحين، وكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه، وكانهم في رياض، لأنّ الأرض - أرض البساط - مذهب، ووشيه فصوص، وعليه قضبان الذهب، عليها أنوار من الذهب والفضة، وأوراق كذلك من حرير قد أجرى فيه ماء الذهب، وكانت العرب تسميه القطف^(١).

فلما قدم به على عمر جمع الناس، وخطبهم، واستشارهم في البساط، وأخبرهم خبره. فاختلف عليه الناس، فمن مشير بقبضه وآخر مفوّض إليه، وآخر مرقّق.

فقام علىّ عليه السلام فقال:

- «لم تجعل [395] علمك جهلاً، ويقينك شكاً؟ إنك إن تقبله على هذا، اليوم، لم تعدم في غد من يستحلّ به ما ليس له.»

فقال: «صدقتنى ونصحتنى.»

فقطعه وقسمه. وأصاب عليّاً قطعة منه باعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع^(٢).



١. وفي الطبري: القطف، القطفه (٥: ٢٤٥٣).
٢. وعند الطبري روايتان:

الاولى: ثمّ قسم [عمر] الخمس في مواضعه، ثم قال: أشيروا عليّ في هذا القطف! فأجمع ملاءهم على أن قالوا: «قد جعلوا ذلك لك، فرأيتك»، إلّا ما كان من عليّ، فإنّه قال: «الأمر كما قالوا، ولم يبق إلّا التروية، إنك إن تقبله على هذا، اليوم، لم تعدم في غد من يستحقّ به ما ليس له»، قال: «صدقتنى ونصحتنى»، فقطعه بينهم.

والثانية: فقام عليّ - حين رأى عمر يأبى - حتى انتهى إليه، فقال: «لمّ تجعل علمك جهلاً، ويقينك شكاً؟ إنه ليس من الدنيا إلّا ما أعطيت فأعطيت، أو لبست فألبيت، أو أكلت فأفئيت»، قال: «صدقتنى ونصحتنى»، فقطعه، فقسمه بين الناس، فأصاب عليّاً قطعة منه، فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القطع. (الطبري ٥: ٢٤٥٣).

زى كسرى على محلم

ولما عرض على عمر - رضى الله عنه - حلى كسرى وزيه فى المباهاة - وكانت له عدة أزياء لكل حالة زى - قال:

- «على بمحلم»-

وكان أجسم عربى يومئذ بالمدينة، فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب عليه أوشحته وقلائده وثيابه، وأجلس للناس. فنظر إليه عمر والناس، فرأوا أمراً عظيماً من أمر الدنيا وفتنتها، ثم أقيم عن ذلك، وألبس زيه الآخر، فنظروا إليه، ثم كذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها، ثم ألبسه سلاحه، وقلده سيفه، فنظروا إليه فى ذلك.

فقال عمر:

- «إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة»-

قال: «أحمق بامرئ من المسلمين غرته الدنيا، هل يبلغن مغرور منها إلا دون هذا؟ وما خير امرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه، إن [396] كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته، فجمع لزوج امرأته، أو زوج ابنته، أو امرأة ابنه، ولم يقدم لنفسه، فقدم أمرو لنفسه، ووضع الفضول مواضعها تحصل له، وإلا حصلت للثلاثة بعده، وأحمق من جمع لهم أو لعدو جارف»-

وقعة جلولا

ثم إن سعداً أتاه الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولا^(١) وخندق عليه، وأن أهل

١. فى الأصل وفى مط وفى بعض أبيات الشعر بالقصر أى بدون الهمزة فصحننا الأصل استناداً إلى ياقوت والطبرى (٥ : ٣٤٥٦). جلولا بالمدة: طسوج من طساسيج السواد بينها وبين خانقين سبعة

الموصل قد عسكروا بتكريت. وكتب إلى عمر بذلك. فكتب إليه عمر: - «قدّم هاشماً إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً من وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتدّ، ومن لم يرتدّ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو.» وكان الفرس لما انتهوا بعد الحرب من المدائن إلى جلولاء، رأوا الطريق يفترق بأهل آذربيجان والباب وبأهل الجبال وفارس. فتذا مروا، وقال بعضهم لبعض: - «يا معشر الفرس، إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، هذا مكان يفرّق بيننا، فهلمّوا، فلنجتمع للعرب به، ولنقاتلهم بجميع عزائنا. فإن كانت لنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى، [397] كنّا قد أبلينا العذر.»

فاحتفروا الخندق، واجتمعوا فيه، على مهران، ونفذ يزدجرد إلى حلوان، ورماهم بالرجال، وخلف فيهم الأموال. فأقاموا في خندقهم وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقهم.

فلما قدم هاشم أحاط بهم، وطاولهم أهل فارس، وكانوا لا يخرجون إلا إذا أرادوا. وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفاً كلّ ينصر المسلمون، ويغلب المشركون، حتى غلبوهم على حسك الخشب، فاتخذوا حسك الحديد، وتركوا للمجال وجهاً. فخرجوا على المسلمين منه، واقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير، إلا أنه كان أكمش وأعجل، ولم ير المسلمون ولا المشركون مثله في موطن قطّ حتى أنفذوا النبل، وقصفوا الرماح، وصاروا إلى السيوف والطبرزيّات، فكانوا بذلك إلى بين الصلاتين، وصلّى الناس إيماءً.

ثمّ خنس كتيبة للمشركين وجاءت أخرى، فوقفت مكانها، ثمّ كذلك، فكسر المسلمين ما رأوا.

فقال القعقاع بن عمرو:

ـ «أيها الناس، أهالكم [398] هذه؟»

فقالوا: «وكيف لا يهولنا ونحن مكلّون وهم مريحون.»

فقال القعقاع: «إصبروا إلى الساعة، فإنّي حامل عليهم، فاحتملوا معي ولا يكذبن^(١) أحد حتى يحكم الله بيننا.»

ثمّ حمل، وحمل معه الناس، وانتهى بالقعقاع وجهه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم، فأخذه. وأمر منادياً فنادى:

ـ «يا معشر المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق وأخذ به، فأقبلوا إليه، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله.»

وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به، ولئلا يتحاجزوا. فحمل المسلمون ولا يشكّون إلّا أنّ هاشماً في الخندق. فلم يقم لحملتهم شيء، حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع قد أخذ به، والمشركون يمنة ويسرة على المجال الذي بحيال خندقهم. فهلكوا فيما أعدّوا للمسلمين من الحسك، وعقرت دوابهم وعادوا رجالة، ويتّبعهم المسلمون. فلم يفلت إلّا من لا يعدّ، وقتل منهم يومئذ مائة ألف أو يزيدون، فجلّلت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه، فسمّيت: «جلولاء الواقعة». [399]

واقسم الناس في جلولاء مثل ما اقتسموا في المدائن. ويقال: إنهم اقتسموا على ثلاثين ألف ألف، [٣٠٠٠٠٠٠٠] وكان الخمس منه ستة ألف ألف [٦٠٠٠٠٠٠٠]. واقسم السبايا، فاتخذن، وولدن في المسلمين.

استيذان عمر في الإنسياح

ولما بلغت الهزيمة يزدجرد، سار من حلوان نحو الجبل، وقدم القعقاع حلوان.

١. لا يكذبن أحد: لا يحجمن عن الحملة هيبة. كذب عن أمر: أحجم عنه هيبة. وفي مط: لا يكذبين. وأيد قراءة الأصل ما في الطبري (٥: ٢٤٦٢).

وكتب عمر بفتح جلولاء ونزول القعقاع حلوان، واستأذنه في اتباعهم، فقال: «وددت أن بين السواد وبين الجبل سداً من نار لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم. حسبتنا من الريف السواد. إني قد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.» وبعث بالأخماس مع جماعة فيهم زياد بن أبي سفيان، وكان هو الذي يكتب للناس ويدونهم. فلما قدموا على عمر، كلم زياد عمر فيما جاء له من الاستيذان في التقدم، ووصف له الحال.

فقال عمر: «هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به؟» فقال: «والله، ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك، فكيف لا أقوى [400] على هذا من غيرك!»

فقام في الناس بما أصابوا، وبما صنعوا، وبجميع ما يستأذنون فيه من الإنسيح في البلاد.

فقال عمر: «هذا الخطيب المصقع.»

وقال: «إن جندنا بالفعال أطلقوا ألسنتنا بالمقال»^(١)

ثم إن عمر لما نظر إلى الأخماس المحمولة من جلولاء قال:

«والله، لا يحمنه سقف بيت حتى أقسمه.»

فبات عبدالرحمان بن عوف، وعبدالله بن الأرقم يحرسانه في سقف المسجد.

فلما أصبح جاء في الناس، فكشف عنه الأنطاع. فلما نظر إلى ياقوته، وزبرجده، وجوهره، بكى.

فقال له عبدالرحمان:

«ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله، إن هذا لموطن شكر وسرور.»

١. وفي الطبري: إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا (٥: ٢٤٦٦).

فقال عمر: «ماذا يبكينى؟ والله، ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا، وتباغضوا. ولا تحاسدوا إلا وقع بأسهم بينهم.»
ولما فرض عمر العطاء، قال قائل:
- «يا أمير المؤمنين، لو تركت فى بيوت الأموال عُدَّة لكون إن كان.»
فقال: «كلمة ألقاها الشيطان على فيك، وقانى الله [401] شرَّها، وهى فتنة لمن بعدى. بل أعدّ لهم ما أعدَّ الله ورسوله. طاعة الله ورسوله، فهما عدتنا التى بها أفضينا إلى ما ترون.»

ما عامل به عمر خالد بن الوليد

وفى سنة سبع عشرة، أدرب^(١) خالد بن الوليد وعياض، وكان خالد على قنَّسرين من تحت يد أبى عبيدة، فأصابوا أموالاً عظيمة. فانتجع خالد أ رجال. وكان الأشعث بن قيس فيمن انتجع خالداً بقنَّسرين، فأجازه بعشرة آلاف، وكان عمر لا يخفى عليه شىء فى عمله، فكتب إليه بخروج من خرج من تلك الغزاة من الشام، وبجائزة من أجيز.
فدعا البريد وكتب معه إلى أبى عبيدة:

أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث: أمن ماله، أم من إصابة، فإن زعم أنها من إصابة أصابها، فقد أقرَّ بخيانه، وإن زعم أنها من ماله، فقد أسرف، فاعزله على كلِّ حال، واضمم إليك عمله.

١. أدرب القوم: دخلوا أرض العدو.

فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه. ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر، فقام [402] البريد، فقال:

- «يا خالد! أمن مالك أجزت بعشرة آلاف، أم من إصابة؟»

فلم يجبه حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً.

فقال بلال بعد أن قام إليه:

- «إن أمير المؤمنين أمر بكذا وكذا.»

وتناول عمامته فنقضها^(١)، لا يمنعه سمعاً وطاعة. ووضع قلنسوته، ثم أقامه،

فعقله بعمامته وقال:

- «ما تقول، أمن مالك، أم من إصابة؟»

قال: «لا. بل من مالى.»

فأطلقه، وأعاد قلنسوته، ثم عممه بيده وقال:

- «نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخّم ونخدم موالينا.»

وأقام خالد متحيراً لا يدري: أمعزول أم غير معزول، وجعل أبو عبيدة يكرمه

ويزيده تفخيماً ولا يخبره. فلما طال على عمر أن يقدم خالد، ظنّ الذي كان.

فكتب إليه بالإقبال.

فأتى خالد أبا عبيدة، فقال:

- «رحمك الله، ما أردت إلى ما صنعت؟ كتمتني أمراً كنت أحب أن أعرفه قبل

اليوم.»

فقال أبو عبيدة:

- «إني والله ما كنت لأرورك: ما وجدت بداً، وقد علمت أن ذلك يروحك.»

فرجع [403] خالد إلى قنّسرين فخطب أهل عمله، وودّعهم، وتحقّل، ثم

١. في الأصل: فنقضها. وصححناه بما في مط.

خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر، فشكاه، وقال:
 - «لقد شكوتك إلى المسلمين، وبالله، إنك في أمرى غير مجمل يا عمر.»
 فقال له عمر:
 - «من أين هذا الشراء؟»
 قال: «من الأنفال والسهمان.»
 ثم أخذ منه عشرين ألف درهم، فأدخلها بيت المال. ثم قال:
 - «يا خالد، والله إنك علىّ لكريم، وإنك إلىّ لحبيب، ولن تعاتبني بعد اليوم
 على شيء.»
 وكتب عمر في الأمصار:

- «إنني لم أعزل خالدًا عن سخط ولا خيانة ولكن المسلمين فتنوا
 به، فخفت أن يוכלوا إليه ويبتلوا [به] ^(١) وأحببت أن تعلموا أن الله
 هو الصانع، وألا نكون بعرض فتنة.» ^(٢)

وحجّ عمر في هذه السنة، وبنى المسجد الحرام، ووسّع فيه، وأقام بمكة
 عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال
 حتى أخذوها.

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

علاء بن الحضرمي وعاقبة عصيانه

وكان علاء بن الحضرمي بالبحرين والياً من قبل أبي بكر ثم من قبل عمر
 [404] وكان يبارى ^(٣) سعداً، فطال ^(٤) العلاء على سعد في الردّة بالفضل. فلما

١. تكملة من الطبري. ٢. راجع الطبري (٥: ٢٨ - ٢٥٢٦).

٣. الكلمة مطموسة في الأصل وأثبتناها كما في مط والطبري (٥: ٢٥٤٦).

٤. كذا في الأصل ومط: فطال، وفي الطبري: فطار.

ظفر سعد بالقادسيّة، وأزاح الأكاسرة، وأخذ حدود ما يلي السواد وغيرها، واستعلى، وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به؛ أحبّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم، ورجا أن يدال كما قد أدب.

ولم ينظر العلاء في ما بين فضل الطاعة والمعصية بجذ. وكان عمر لما ولّاه نهاء عن البحر، فلم يفكر في الطاعة والمعصية وعواقبهما، وطمع في فارس من جهته.

فندب أهل البحرين إلى فارس، فتسرّعوا إلى ذلك، وفرّقهم أجناداً؛ على أحدها الجاورد بن المعلّى، وعلى الآخر السوار بن همام، وعلى الآخر خليلد بن المنذر بن ساوى، وخليد على جماعة الناس. فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر. فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا في إسطخر وبازاتهم أهل فارس وعلى أهل فارس الهريذ، اجتمعوا عليه، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم.

فقام خليلد في الناس فقال:

«أما بعد، فإن الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير [405] حتى يصيبه، وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن يدعوكم إلى حربهم، وإنما جئتم لمحاربتهم والأرض والسفن لمن غلب، فاستعينوا بالصبر والصلاة.»

فأجابوه إلى ذلك وصلّوا الظهر، ثم ناهدوهم في موضع يقال له: طاؤوس. فقتل جماعة من المسلمين فيهم السوار والمنذر بن الجارود. وتزجّل خليلد بن

المنذر وارتجز:

يَا تَمِيمٌ^(١) جَمَّعُوا النِّزُولَ قَدْ كَادَ^(٢) جَيْشُ عَمْرِو يَزُولُ
وَكُلُّكُمْ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ

«وانزلوا!»

فنزّلوا، فقاتلوا القوم، فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها، وهزم الباقون. ثم خرجوا يريدون البصرة، ففرقت سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع سبيلاً. فوجدوا سَهْرَكَ^(٣) قد أخذ على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم ذلك. وبلغ عمر ما صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر، فألقى في روعه نحو من الذي كان. فاشتد غضبه على العلاء، وكتب إليه بعزله، وتوعّده، وأمره بأنقل الأشياء عليه، وقال له:

«إلحق بسعد بن أبي وقاص في من قبلك، فهو [406] أمير عليك.»

فخرج بمن معه نحو سعد.

وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان:

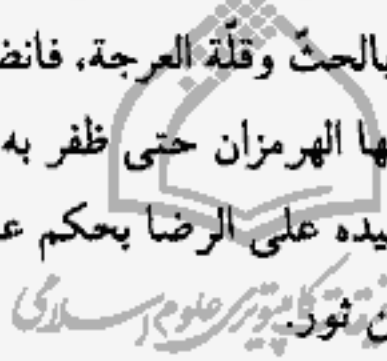
«أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ حَمَلَ جَنْدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَقْطَعَهُمْ أَهْلُ
فَارِسَ وَعَصَانِي، وَأَظْنَنَّهُ لَمْ يَرِدِ اللَّهَ بِذَلِكَ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمْ أَلَّا
يَنْصُرُوا، وَأَنْ يَغْلِبُوا، وَيَنْشِبُوا. فَانْدَبَ إِلَيْهِمُ النَّاسَ وَاضْمَمْتُهُمْ إِلَيْكَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَجْتَاكُوا.»

١. الطبري: «يال تميم أجمعوا». (يال = يا آل)، وفي الأصل: يال تميم.

٢. الطبري: «وكاد» (٥: ٢٥٤٨).

٣. كذا في مط: سهرك. وفي الطبري: شهرك، سهرك (٥: ٢٥٤٨).

فندب عتبة الناس إليهم وأخبرهم بكتاب عمر. فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة وجماعة يجرون مجراهم كالأحنف بن قيس، وسعد بن أبي العرجاء، وصعصعة بن معاوية، فخرجوا في اثني عشر ألفاً على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم. فسار أبو سبرة بالناس وساحل لا يلقاه أحد ولا تعرّض له حتى التقى مع خليلد، بحيث أخذ عليهم الطريق غبّ وقعة القوم بطاؤوس، وإنما كان ولي قتالهم أهل إصطخر والشاذ من غيرهم، وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا بالطرق على المسلمين وأنشبوهم، استصرخوا أهل فارس كلهم، فضربوا إليهم من كل وجه وكورة.

فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاؤوس وقد توافقت إلى [407] المسلمين أمدادهم، وإلى المشركين أمدادهم، وعلى المشركين سُهرك. فاقتتلوا، ففتح الله على المسلمين، وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا، وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الأمصار، ثم انكفأوا بما أصابوا. وكتب إليهم عتبة بالحثّ وقلة العرجة، فانضمّوا إليه بالبصرة، وقبل ذلك فتح عتبة الأهواز، وقاتل فيها الهرمزان حتى ظفر به بتستر بعد وقعات أسرفى آخرها الهرمزان وأعطى بيده على الرضا بحكم عمر. وقتل الهرمزان بيده البراء بن مالك^(١) ومجزأة بن ثور.  علوم إسلامي

إرسال الهرمزان إلى المدينة

ووفد أبو سبرة وفداً فيهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، فأرسل الهرمزان معهم فقدموا^(٢) مع أبي موسى البصرة، ثم خرجوا نحو المدينة.

١. في الأصل: ثور، وهو خطأ، وما أثبتناه يؤيده مط والطبري (٥: ٢٥٥٦).

٢. كذا في مط: فقدموا. والأصل غير واضح.

فلما دخلوها هَيَّأُوا الهرمزان في هِيَأَتِهِ^(١)، وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب، ووضعوا على رأسه تاجاً يدعى الـ «آذين» مكللاً بالياقوت، وعليه حلته كي ما يراه عمر والمسلمون. ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله، فلم يجدوه. فسألوا عنه، [408] ف قيل لهم: «جلس^(٢) في المسجد.» ولم يروه. فلما انصرفوا، مَرَّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون. فقالوا لهم:

ـ «ما تلذدكم^(٣)، تريدون أمير المؤمنين؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد، متوسد بُرُؤْسِهِ^(٤)»

وكان عمر جلس لوفد الكوفة في بُرُؤْسٍ. فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه، نزع بُرُؤْسَهُ، ثم توسده فنام. فانطلقوا معهم النظارة، حتى إذا رأوه جلسوا دونه، وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره، والدرّة في يده معلقها^(٥).

فقال الهرمزان: «أين عمر؟»

قالوا: «ها هو ذا!»

وجعل الوفد يشيرون إلى الناس: أن اسكتوا عنه. وأصغى الهرمزان إلى الوفد.

فقال: «أين حرسه وحجابه عنه؟»

قالوا: «ليس له حاجب ولا حارس ولا كاتب ولا ديوان.»

١. وفي الأصل: هِيَأَتِهِ. وما أثبتناه يؤيده مط الطبري.

٢. كذا في مط والطبري (٥: ٢٥٥٧)، والأصل مطموس.

٣. مط: ما تلذدهم. والطبري: ما تلذدكم. والأصل غير واضح، وما أثبتناه عن الطبري: تلذد: تلفت يميناً وشمالاً.

٤. قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام. كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءاً منه متصلاً به.

٥. كذا في الأصل ومط. وفي الطبري: والدرّة في يده معلقة. والدرّة: السوط يضرب به.

قال: «فينبغي أن يكون نبياً».

فقالوا: «لا، ولكنه يعمل عمل الأنبياء».

وكثر الناس وكلامهم، فاستيقظ عمر بالجلبة^(١)، فاستوى جالساً. ثم نظر إلى

الهرمزان،

فقال: «الهرمزان؟»

فقالوا: «نعم!»

فتأمله، وتأمل ما عليه، ثم قال:

«أعوذ بالله من النار، الحمد لله الذي أذلّ بالإسلام هذا وأشياعه. يا معشر

المسلمين! تمسّكوا بهذا الدين، واهتدوا [409] بهدى نبيّكم، ولا تبطرنكم الدنيا،

فإنها غرّارة».

فقال الوفد: «هذا ملك الأهواز، فكلمه!»

قال: «لا، حتى لا يبقى عليه من حليته شيء».

فرمى عنه بكل شيء إلا ما يستره، فألبسوه ثوباً صفيقاً.

فقال عمر: «هي يا هرمزان! كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله؟»

فقال: «يا عمر! إنا وإياكم في الجاهلية كان الله خلق بيننا وبينكم، فغلبناكم، إذ

لم يكن معنا ولا معكم؛ فلما صار معكم غلبتمونا».

فقال عمر: «إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرّقنا».

ذكر خديعة للهرمزان وحيلة له حتى آمنه عمر

ثم قال عمر: «ما عذرك وما حجّتك في انتقاضك مرة بعد مرة؟»

فقال: «أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك».

١. كذا في الطبري. وفي الأصل ومط غموض. الجلبة: اختلاط الأصوات والصياح.

قال: «لا تخف ذلك.»

واستسقى ماءً، فأتى به فى قدح. فقال:

«لو متّ عطشاً لم أستطع الشرب فى مثل هذا.»

فأتى به فى إناء يرضاه. فجعلت يده ترعد؛ وقال:

«إنى أخاف أن أقتل وأنا أشرب.»

فقال له عمر: «لا تخف، فلا بأس عليك حتى تشربه.»

فألقاه. فقال عمر:

«أعيدوا عليه، ولا [410] تجمعوا عليه القتل والعطش.»

فقال: «لا حاجة لى فى الماء، إنما أردت أن أستأمن به.»

فقال له عمر: «إنى قاتلك.»

قال: «قد آمنتنى.»

فقال: «كذبت.»

فقال أنس: «صدق يا أمير المؤمنين!»

فقال: «ويحك! أنا أومن قاتل مجزأة والبراء؟ لتأتينى^(١) بمخرج ما قتلت!»

قال: «قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرنى. وقلت: لا بأس عليك حتى

تشربه.»

وقال جلّة الصحابة ممن حوله مثل ذلك.

فأقبل على الهرمزان وقال: «تكلم بحجّتك.»

قال: «كلام حى أم كلام ميت؟»

قال: «بل كلام حى.»

قال: «قد آمنتنى ثلاثة.»

١. وفى الطبرى: «والله لتأتينى بمخرج، أو لأعاقبك، قال: قلت له.» (٥: ٢٥٥٩).

قال عمر: «خدعتني! لا والله، لا أومنك إلا أن تُسلم.»
 فقيل له: «أسلم! وإلا قُلت.»
 فأسلم، ففرض له على ألفين، وأنزله المدينة.

عمر واللغة الفارسية

وكان المغيرة بن شعبه يترجم بينهما إلى أن حضر الترجمان.
 فقال عمر للمغيرة: «سله: من أية أرض أنت؟»
 فقال المغيرة: «أز كُدام أرضيه؟»
 فقال: «مهرجاني.»

وكان المغيرة يفقه شيئاً [من الفارسية] ^(١).
 فقال له عمر: «ما أراك حاذقاً بها. ما أحسنها منكم أحد إلا خبّ ^(٢)، وما خبّ
 إلا دقّ. إياكم وإياها ^(٣)، فإنها تنقص ^(٤) الإعراب.»
 وأقبل زيد بعد ذلك، فجعل يترجم بينهما. [411]

ذكر رأي صحيح للأحنف بن قيس

وقال عمر للوفد: «لعلّ المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى، أو بأمور لها ما
 ينتقصون بكم.»
 فقالوا: «ما نعلم إلا حسن ملكة.»
 قال: «فكيف هذا؟»

١. ما في [تكملة من الطبري (٥: ٢٥٦٠)]. ٢. وفي الطبري: خبّ، وفي حواشيه: حبّ.

٣. مط: أباكم وأباهم!

٤. كذا في مط. وفي الطبري: فإنها تنقص الإعراب. وفي حواشيه: فإنها تنقص الاعراف (٥: ٢٥٦٠).

فلم يجد عند أحد ما يشفيه ويبصر به مما^(١) يقولون، إلا ما كان من الأحنف
فإنه قال:

«يا أمير المؤمنين، أخبرك أنك نهيتنا عن الإنسياع^(٢) في البلاد،
وأمرتنا بالإقتصار على ما في أيدينا، وأنّ ملك فارس حتى بين
أظهرهم، وأنهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع
ملكان حتى يفنى أحدهما صاحبه. وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد
شيء إلا بانبعاثهم مرة بعد مرة، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم. ولا
يزالون هذا دأبهم حتى تأذن لنا فنسيح^(٣) في بلادهم، حتى نزيله
عن بلادهم، ونخرجه من مملكته وعزّ أمته^(٤)، فهناك ينقطع رجاء
أهل فارس ويضربوا^(٥) جاشاً».

فقال عمر: «صدقني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه».
فكان هذا سبب إذنه لهم في الإنسياع.

يزدجرد يمضي إلى إصطخر وسياه يشترط للإسلام

ومضى 'يزدجرد' بمشورة الموبذ إلى إصطخر فينزلها، لأنّها دار المملكة [412]
ويوجّه الجنود. فلما بلغ إصبهان أقام أياماً وقدم سياه لينتخب من كلّ بلدة مرّ بها

١. مط: «يتصر ما يقولون». في الأصل: «وينصر به ما يقولون» وكلاهما تحريف، فأثبتنا العبارة حسب
الطبري: «ويبصر به مما يقولون» (٥: ٢٥٦٠).

٢. مط: الانسياع.

٣. وفي الطبري: فلنّسح (٥: ٢٥٦١). مط: فنسيح. ونقطنا الياء مطموستان في الأصل.

٤. كذا في الطبري أيضاً. وفي حواشيه: «وعرامته»، «وعن أمته» (٥: ٢٥٦١).

٥. في الأصل: «يضربوا» وهو خطأ. وأضرب جاشاً لأمر كذا: وطّن نفسه عليه (مد).

من أحبب. فمضى سياه واتبعه يزدجرد حتى نزلوا بإصطخر، ووجه سياه^(١) إلى السوس. ولم يزل كذلك حتى قدم عمار بن ياسر وأبو موسى يومئذ بتستر.

سياه يرى الدخول في الإسلام

فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من إصيهان، وقال:

«قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس، سيغلبون على هذه المملكة، وتروث دوابهم في أبواب إصطخر ومصانع الملوك، ويشدون خيلهم بشجرها، وقد غلبوا على ما رأيتم، وليس يلقون جنداً إلا فلوله، ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه. فانظروا لأنفسكم.»

قالوا: «رأينا رأيك.»

قال: «فليكني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين إليه، فإني أرى أن ندخل

في دينهم.»

ووجهوا شبرويه في عشرة من الأساورة إلى أبي موسى يأخذ لهم شروطاً

على أن يدخلوا في الإسلام.

فقدم شبرويه على أبي موسى فقال:

«إننا قد رغبتنا في دينكم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل

معكم [413] العرب؛ وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منهم،

١. وصرف الاسم في بعض الأصول قليل: «سياهاً»، و«سياه». أنظر الطبري ٥: ٢٥٦٢.

وننزل حيث شئنا، ونكون في من شئنا منكم، وتلحقوننا بأشرف^(١)
العطاء، يعقد لنا بذلك الأمر، الذي هو فوقك.»

فقال أبو موسى: «لكم ما لنا، وعليكم ما علينا.»

قالوا: «لا نرضى.»

وكتب أبو موسى إلى عمر بذلك. فقال: «أعطيهم ما سألوك.»

فكتب لهم أبو موسى فأسلموا، وشهدوا معه حصار تستر. فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدًّا ولا نكايَةً.

فقال لسياه: «يا أعور، ما أنت وأصحابك كما كنّا نرى قبل اليوم!»

قال: «لسنا مثلكم في هذا الدين، ولا بصائرنا كبصائركم، وليس لنا فيكم حرم

نحامي عنهم، ولم تلحقونا بأشرف العطاء، ولنا سلاح وكراع وأنتم حتر.»

فكتب أبو موسى في ذلك إلى عمر. فكتب إليه عمر أن:

«ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء، وأكثر شيء أخذه أحد من

العرب.»

ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين، ولستة منهم في ألفين وخمسمائة: لسياه

وخسرو - ولقبه مقلاص - وشهريار، وشيرويه، وسارويه، وأفريزون^(٢). [414]

مركز تحقيق تراثنا في علوم اسلامی

ذكر مكيدة في فتح حصن

فأمّا سياه فمشى إلى حصن. ويقال: إنه تُستر في زى العجم، حتى رمى بنفسه

١. وفي الطبري: بأشرف العطاء.

٢. في الطبري: «شهرويه وأفروذين» بدل «سارويه وأفريزون». وفيه أيضاً:

[و] لما رأى الفاروق حسن بلائهم وكان بما يأتى من الأمر أبصرا

فمن لهم ألفين فرضاً، وقد رأى ثلاث مئتين فرض عك وجميرا

إلى جنب الحصن ونضح^(١) ثيابه بالدم. فأصبح أهل الحصن، فرأوا رجلاً في زِيهم صريعاً، فظنّوه منهم أصيبوا به، ففتحوا باب الحصن ليدخلوه، فثار وقاتلهم حتى خلّوا عن باب الحصن وهربوا. ففتح الحصن وحده، ودخله المسلمون. وأمّا خسرو فمشى إلى حصن آخر حاصروه، فأشرف عليه رجل رئيس منهم، فكلّمه، ثمّ رماء خسرو بنشابة فقتله.

ذكر حيلة قوم في الحصار خرجوا بها من حصارهم وسياسة لعمر

وأما جنديسابور فإنّ أبا سبرة لمّا فرغ من السوس خرج في جنده حتى نزل عليها، وحاصره أياً ما يغادونه ويرأوحونه القتال. فرمى إليهم بأمان من عسكر المسلمين وفتح بابها. فلم يفجأ المسلمين إلّا أبوابها^(٢) تفتح. ثم خرج السرح^(٣) وخرجت الأسواق وانبت أهلها.

فأرسل المسلمون [415] أن: «مالككم؟»

قالوا: «رميتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزى على أن تمنعونا.»

فقالوا: «ما فعلنا.»

فقالوا: «ما كذبنا.»

فتساءل المسلمون بينهم، فإذا عبد يدعى مكناً كان أصله منها هو الذي كتب لهم.

فقالوا: «إنّما هو عبد.»

فقالوا: «نحن لا نعرف حرّكم من عبدكم، قد جاءنا أمان، فنحن عليه، قد

١. وفي الطبري: «نضح»، «نضح» (٥ : ٢٥٦٤). وكلاهما صحيح، فهما مشتركان في المعنى الملائم هنا:

نضح البيت بالماء: رشه، نضح الجلد: بلّّه كي لا يتكسر؛ ونضح الشيء: رشه. بلّّه.

٢. وفي الطبري: إلّا وأبوابها، إلّا بأبوابها. ٣. السرح: الماشية.

قبلناه ولم نبذل. فإن شئتم فاغدروا.»

فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر. فكتب إليهم:

«لم تكونوا أوفياء، حتى تفوا على الشك، أجزوهم و قوا لهم.»^(١)

ثم عمل عمر برأى الأحنف، وعقد الأولوية للأمراء والجنود من أهل الكوفة وأهل البصرة. فكان لواء الأحنف على خراسان.

يوم نهاوند: فتح الفتوح

ولما خرج يزدجرد من الجبل، وصار إلى مرو، وكاتب الجيوش بالأطراف، فكتب إلى أهل الجبال، ممن بين الباب والسند وخراسان وحلوان، فتحركوا وتكاثبوا وركب بعضهم إلى بعض، فأجمعوا أن يوافوا نهاوند، ثم يبرموا فيها أمورهم. فتوافى إليها من بين حلوان [416] وخراسان ومن بين الباب وحلوان، ومن بين سجستان إلى حلوان، فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج وأهل الجبال وهم مائة وخمسون ألفاً.

ثم تأمر الرؤساء عند الفيرزان وكان عليهم، فقالوا:

«إن محمداً الذي جاء العرب بالدين^(٢) لم يعرض عرضنا^(٣). ثم ملكهم أبو بكر من بعده، فلم يعرض عرض^(٤) فارس إلّا في غارة تعرض^(٥) لهم فيها، وإلّا في ما يلي ديارهم. ثم ملك عمر فطال ملكه وعرض^(٦) حتى تناولكم، وأخذ السواد كله، والأهواز. ثم لم

١. انظر الطبري (٥: ٢٥٦٨).

٢. مط: الكلمة ساقطة من مط.

٣. مط: «عرضاً» وفي الطبري: «لم يعرض عرضنا».

٤. وفي الطبري: «لم يعرض عرض فارس». ٥. كذا في الطبري: تعرض.

٦. كذا في الطبري: وعرض (٥: ٢٦٠٨). والأصل غير مشكول في كل ذلك.

يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوه. وقد أخرج بيت مملكتكم، واقتحم بلاد ملككم، وليس بعنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده، وتقطعوا^(١) هذين المصريين وتشغلوه في بلاده وقراره.»

فتعاهدوا وتواثقوا، وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً، وتمالأوا^(٢) عليه. وبلغ الخبر سعداً، وخرج إلى عمر ليشافهه بذلك، ولأن قوماً من جنده شغبوا عليه، وسعوا به إلى عمر، فاستخلف عبدالله بن عبدالله بن عتيان، فكتب [417] عبدالله بن عبدالله إلى عمر أنه:

«قد جمعت الفرس مائة وخمسين ألفاً مقاتلة مستعيتين، فإن جاؤونا قبل أن تبدرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة، وإن نحن عاجلناهم كان ذلك لنا عليهم.» وكان الرسول بذلك قريب بن ظفر. ولما قدم الرسول بالكتاب على عمر وبالخبر قرأه، وسمع منه، وقال:

— «ما اسمك؟»

قال: «قريب.»

قال: «ابن من؟»

قال: «ابن ظفر.»

فتفأل بذلك وقال:

— «ظفر قريب، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.»

١. كذا في مط: تقطعوا، وفي الطبري: تقطعوا. (٥: ٢٦٠٩).

٢. في الأصل ومط: «تمالوا»، وفي الطبري: «تمالوا».

ذكر آراء صحّ منها واحد

ونودى فى الناس: «الصلاة جامعة..»

فاجتمع الناس ووافاه سعد فقال:

- «إلى سعد بن مالك!»

وقام عمر على المنبر خطيباً، فأخبر الناس الخبر، واستشارهم، وقال:

- «هذا يوم له ما بعده، فاسمعوا لى، ثمّ أجيّبونى، وأوجزوا، ﴿ولا

تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا، وَتَذْهَبَ رِجَاكُمْ﴾^(١)، ولا تكثروا ولا تطيلوا

فتفشخ لكم الأمور، ويلتوى عليكم الرأى، إني قد رأيت أن أسير

[418] فى من قبلى^(٢) ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلاً من هذين

المصرين وسطاً، ثم أستنفرهم، ثم أكون لهم رداءً، حتى يفتح الله

عليهم ويقضى ما أحب..»

فقام طلحة بن عبيدالله فقال:

- «يا أمير المؤمنين، قد أحكمتك التجارب، وأنت وشأنك ورأيك..»

فى كلام طويل يشبه هذا، ثم جلس

فعاد عمر فقال:

- «هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلّموا..»

فقام عثمان بن عفان، فتشهد، وقال:

٢. تكررّت: «قبلى» فحذفنا احداهما.

١. س ٨ الأنفال: ٤٦.

- «أرى - يا أمير المؤمنين - أن تكتب إلى أهل اليمن، فيسيروا من يمنهم، وإلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وتسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة، فتلقى جميع المشركين بجميع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك، قلّ في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعزّ عزّاً. يا أمير المؤمنين، إنك لا تستبقى من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتنع^(١) من الدنيا بعزیز، ولا تلوذ منها بحريز. إنّ هذا يوم له ما بعده من الأيام [فاشهد به برأيك وأعوانك ولا تغب عنه]^(٢)، فتكلّموا».

فقام عليّ عليه السلام فقال:

- «أما بعد، فإنك [419] إن أشخّصت أهل الشام من شامهم، سارت الروم إلى ذراريهم؛ وإن أشخّصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم؛ وإنك إن أشخّصت أهل الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى تكون ما تدع وراءك، أهمُّ إليك مما بين يديك من العورات والعيالات. أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليفترقوا ثلاث فرق: فلتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم؛ ولتسير فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم، لأنّ الأعاجم إن ينظروا إليك ويقولوا: هذا أمير العرب وأصل العرب؛ كان أشدّ لكلّهم، وألبتّهم عليك. فأما ما ذكرت من مسير القوم، فإنّ الله هو أكره لمسيرهم منك، ولهو أقدر على تغيير ما

١. كذا في مط: تمتنع، وفي الطبري: لا تمنع، لا تمتنع (٥: ٢٦١٢).

٢. ما بين [] تكملة عن الطبري.

يكره؛ وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثره، ولكننا كنا نقاتلهم بالنصر.»

فقال عمر:

«أجل، هذا الرأي. والله أين سرتُ لينتقضنَّ على الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت [420] إلى الأعاجم لا يفارقوا العرصة وليمدنَّهم من لم يمدَّهم، وليقولنَّ: هذا أصل العرب، فإن اقتطعتموه فقد اقتطعتم أصل العرب. فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر، واجعلوه عراقياً.»

فقالوا: «أنت أعلم يا - أمير المؤمنين - بجندك وأهل عراقك، فقد وفدوا عليك، ورأيتهم وكلمتهم.»

ابتداء وقعة نهاوند

وكان النعمان بن مقرن على كسكر، ولأه سعد الخراج بها. فكتب إلى عمر: «إن مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب إلى جنبه مؤسمة تلون له وتعطر، فأشددك الله لما عزلتني وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين.»

فلما كان هذا اليوم الذي خطب فيه عمر، وجرى ما جرى مما كتبته، قال عمر:

«أما والله لأولينَّ أمرهم رجلاً ليكون أول الأسنة إذا لقيها غداً.»

فقال: «من، يا أمير المؤمنين؟»

فقال: «النعمان بن مقرن.»

قالوا: «هو لها.»

فكتب إليه عمر أن: «إئتِ نهاوند، فأنت على الناس بها.»
 فلما التقوا كان أول قتيل. وسنحكي خبره في موضعه.
 وردَّ عمر [421] قريب بن ظفر، وردَّ معه السائب الأقرع وكان السائب يومئذ
 مندوباً للأمانة وقسمة الفيء، لأنه كان كاتباً حاسباً، كما كان محمد بن مسلمة
 مندوباً لتتبع العمال والطواف عليهم.
 وقال عمر للأقرع:
 - «إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم، ولا تخذعني، ولا ترفع إليَّ
 باطلاً، وإن نكب القوم، فلا تراني ولا أراك، فبطن الأرض خير لك من ظهرها.»
 فقدم الكوفة بكتاب عمر بالإستحاثات. وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك
 الروادف، ليبلوا في الدين، وليدركوا حظاً^(١).

ذكر خديعة للهرمزان لم تتم له

وما جرى بعد ذلك

كان عمر بن الخطاب استدعى الهرمزان حين آمنه، فقال:
 - «انصح لي فقد آمنتك.»
 قال: «نعم، إنَّ القُرس اليوم رأس وجناحان.»
 قال: «فأين الرأس؟»
 قال: «بنهاوند مع بNDAR، ومعه أساور كسرى وأهل إصبهان.»
 قال: «فأين الجناحان؟»
 فذكر مكاناً. قال الهرمزان:
 - «فاقطع الجناحين يهن [422] الرأس.»

فقال عمر: «كذبت يا عدو الله بل أعمد إلى الرأس، فأقطعه، فإذا قطعه الله لم يقبض عليه الجناحان.»

فكتب إلى أبي موسى أن: سر بأهل البصرة، وإلى حذيفة أن: سر بأهل الكوفة. وبعث بعثاً من المدينة فيهم ابنه عبدالله بن عمر، وفيهم المهاجرون والأنصار، وقال:

«إذا التقيتم فأمركم النعمان بن مقرن.»

فخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمان بالطزر^(١) وجعلوا بمرج القلعة خيلاً عليها النسيير، وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرملة وزر بن كليب وقواد المسلمين الذين كانوا بين فارس والأهواز أن: «اشغلوا فارس عن إخوانكم، وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين الأهواز وفارس حتى يأتيكم أمرى.»

وبعث مجاشع بن مسعود السلمى إلى الأهواز، وقال له: انصل منها على ماء. فلما صار بغضى شجر ناحية مرج القلعة، أمره النعمان أن يقيم بمكانه [423] ونصل سلمى وحرملة وزر، فكانوا في تخوم إصبهان وفارس، فقطعوا بذلك عن نهاوند الأمداد من فارس.

وورد على النعمان، وهو بطزر، كتاب عمر:

«إن معك حد العرب ورجالهم فاستعن بهم وبرأيهم، وسل طليحة وعمرأ، ولا تولهم شيئاً.»

فبعث من بطزر طليحة وعمرأ، وعمر بن أبي سلمى ليؤاتوه بالخبر. فأما عمرو وعمر بن فائهما رجعا من الطريق آخر الليل. فقال طليحة: «ما الذى يرجعكما؟»

١. كذا بالأصل والطبرى (٥: ٢٦١٦)، وفي مط وحواشى الطبرى: الطرز.

قالا: «سرنا يوماً وليلة ولم نر شيئاً، وخفنا أن يؤخذ علينا بالطريق.» ولم يحفل بهما^(١). ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند، وبينها وبين الطزر بضعة وعشرون فرسخاً.

فقال الناس: «إرتدّ الثانية.»

فلما علم طليحة علم القوم، رجع، حتى إذا انتهى إلى الجمهور كثر الناس. وقال: «ما شأن القوم؟» فأخبروه بالذي خافوا عليه.

فقال: «والله لو لم يكن [دين]^(٢) [424] إلا العربية فقط، ما كنت لأجزر هذه العرب العاربة لهذه العجم الطماطمة.»

فأتى النعمان، فدخل إليه، وأخبره أن ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه. فنادى النعمان بالرحيل وعبّأهم، وجعل على المجردة القعقاع بن عمرو، وكذلك جعل على ميمنته وميسرته ومقدمته أهل النجدات.

إرسال المغيرة بن شعبة إلى الفرس

فلما اجتمعوا بنهاوند أرسل إليهم الفرس أن: أرسلوا رجلاً نكلمهم. فأرسلوا المغيرة بن شعبة.

فلما رجع سأله عما جرى.

فقال: وجدت العليج قد استشار أصحابه:^(٣)

«بأي شيء تأذنون لهذا العربي، بالشارة والبهجة أو بتقشّف له؟»

فاجتمع رأيهم على أفضل ما يكون من الشارة والعدّة. فتهيأوا بها. فلما أتيناهم كادت تلك الحراب والنيازك يلتصق منها البصر، وإذا هم على رأسه مثل الشياطين،

١. كذا في مط والطبري (٥: ٢٦١٧)، وما في الأصل: لهما.

٢. أنظر الطبري ٥: ٢٦٤٢.

٣. تكملة عن الطبري.

وإذا هو على سرير من ذهب، على رأسه التاج.
 قال: فمضيت كما أنا، ونكست رأسي. فدفعت، ونهيت.
 فقلت: «الرسول لا يفعل بهم هذا» [425]
 فقالوا: «إنما أنت كلب».
 فقلت: «معاذ الله، لأننا في قومي أشرف من في قومه».
 فانتهروني وقالوا:
 - «اجلس!».

فأجلسوني، ثم قال - وترجم لي قوله - :

- «إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير، أطول الناس جوعاً،
 وأشقاهم شقاءاً، وأقذرهم قدراً، وأبعدهم داراً، وما منعتني أن آمر
 هؤلاء الأساورة حولى أن ينتظموكم من الشباب بمثل شوك القنفذ،
 إلا تتجسأ لجيفكم، فإنكم أرجاس. فإن تذهبوا نخل عنكم، وإن
 تأبوا، نركم مصارعكم».

قال: فحمدت الله وأثنيت عليه، ثم قلت:
 - «والله، ما أخطأت من صفتنا شيئاً. إن كنا لكذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً،
 فوعدنا النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. فوالله مازلنا نتعرف من ربنا، منذ جاء
 رسوله، الفتح والنصر حتى أتيناكم. وإنا والله لانرجع إلى ذلك الشقاء أبداً، حتى
 تغلبكم على ما في أيديكم، أو نقتل بأرضكم».

فقال: «والله لقد صدقكم الأعور ما في نفسه».
 فقلت [426] وقد أزعجت العليج. فأرسل إلينا العليج:
 - «إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم».

فقال النعمان: «اعبروا».

وكانوا قد انتهوا إلى الإسبيذهان وهم وقوف دون وادي خُرد على تعبيتهم، وأمرهم إلى الفيرزان، وقد جعل بهمن جاذويه مكان ذى الحاجب، فهو على مجنبته، وقد توافى إليه كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور، وأمرائها، وأعلامهم. وأنشب النعمان بعدما حطَّ الأثقال وضرب الفسطاط القتال، فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس وهم كأنهم جبال الحديد، وقد تواثقوا ألا يفروا من العرب وألقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا: من فرّ منا عقره حسك^(١) الحديد.

فقال المغيرة حين رأى كثرتهم:

- «لم أر كالיום فشلاً، إن عدونا يتركون يتأهبون لا يعجلون، أم والله لو أن الأمر إلى لأعجلتهم».

وكان النعمان رجلاً لئناً، فقال:

- «قد كان الله يُشهدك أمثالها، فلا يُخزيك. إنه والله ما منعى من المناجزة إلا شيء شهدته [427] من رسول الله - صلى الله عليه - إذا غزا فلم يقاتل أول النهار، ولم يعجل حتى تحضر الصلاة وتهبّ الأرواح ويطيب القتال، فما منعى إلا ذلك. اللهم إني أسألك أن تُقرّ عيني بفتح يكون فيه عزّ الإسلام وذللّ الكفار، ثمّ اقبضني إليك على الشهادة، إئمنوا^(٢) يرحمكم الله».

فأمنّا وبكىنا. ثمّ أقدم بعد الصلاة للقتال.

قال: ولمّا كان يوم الجمعة انجحروا^(٣) في خنادقهم، وذلك لما رأوا صبرنا أنّا لا نبرح العرصة فصبروا معنا. ثمّ إنهم لم يصبروا، فحصرهم المسلمون، فأقاموا عليهم ما شاء الله، والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا. فاشتدّ ذلك على

٢. في الأصل: أمنوا. وفي مط: وامنوا.

١. الحسك: الشوك.

٣. من قولهم: انجحرت الضبّ أو السبع: دخل جحره.

المسلمين حدّاً، وخافوا أن يطول أمرهم.

ذكر آراء صحّ أحدها على طريق المكيّدة

حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع، تجمّع أهل الرأى من المسلمين، فتكلّموا، وأتوا النعمان، وقالوا:
«نراهم بالخيار والقوّة»^(١).

وهو يروى فيما روّوا فيه. فقال:

- «على رسلكم، لا تبرحوا».

وبعث إلى من بقى من أهل النجدات [428] والرأى في الحرب، فتوافوا إليه.
فتكلّم النعمان فقال:

- «قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخرجون إلّا إذا شاؤوا، ولا يقدر المسلمون على إنفاضهم وابتعائهم قبل مشيئتهم، وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق الذى هم فيه وعليه من الخروج. فما الرأى الذى به نحملهم»^(٢) ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل؟»

فتكلّم عمرو بن أبى سلمى وكان أسنّ القوم، فقال:

- «التحصّن أشدّ عليهم من المطاولة عليكم، فدعهم ولا تُخرجهم وطاولهم
وقاتل من أتاك منهم».

فردّوا جميعاً رأيه، وقالوا:

- «إنّا على يقين من إنجاز ربّنا وعده لنا».

وتكلّم عمرو بن معدى كرب، فقال:

١. كذا في مط، وفي الأصل: «القوّة» وهو تصحيف.

٢. أى: نفضيهم ونهيجهم.

«ناهذهم ولا تخف وكأثرهم.»

فردّوا جميعاً عليه رأيه، وقالوا: ^(١)

«إنما نناطح الجدران.»

وتكلّم طليحة فقال:

«قد قالوا ولم يصيبا تفسير ما أرادوا. فأما أنا فأرى أن تبعث خيلاً مؤدية ^(٢)

فيحدقوا بهم، ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم، فاذا استحمشوهم واختلطوا

بهم [429] وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطراداً، فإننا لم نستطرد لهم في طول ما

قاتلناهم إلى اليوم، فإنهم إذا أرادوا ذلك طمعوا في هزيمتنا ولم يشكّوا فيها،

وخرجوا، فجادّونا، وجاددناهم حتى يقضى الله بيننا.»

فأمر النعمان بن عمرو، وكان على المجرّدة بذلك، ففعل، وأنشب القتال بعد

احتجاز من العجم، وأنغضهم. فلمّا خرجوا نكص، ثم نكص، واغتنمها العجم.

ففعلوا كما ظنّ طليحة، وقالوا: «هى، هى» ^(٣). فخرجوا، فلم يبق أحد إلا من يقوم

لهم على الأبواب، وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس وانقطع القوم عن

حصنهم بعض الإنقطاع والنعمان بن مقرّن والمسلمون على تعبئتهم.

وفى يوم جمعة وفى صدر النهار، وقد عهد النعمان عهده وقال: إن أصبت

ففلان، فإن أصيب ففلان. وأمرهم أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم.

ففعلوا واستتروا ^(٤) بالحجف ^(٥) من الرمي، وجعل المشركون يرمونهم حتى أفسوا

فيهم الجراحات، وشكا بعض الناس ذلك [430] إلى بعض ثم قالوا للنعمان:

١. فى الأصل: «قال» فصحّناه كما فى مط.

٢. فى الأصل ومط: مؤذنة. آذن فلاناً: أعلمه. وآذن الولد: عرك أذنه. وما أثبتناه عن الطبرى (٥: ٢٦٢١)

وهو الصحيح. أدى إيداءاً: قوى وتهيأ، أو: تسلح بشكّة السلاح (متن اللغة) أى بالسلاح التام.

٣. كذا فى الأصل. وما فى الطبرى غير مشكول، وفى حواشيه: «هى هيه» (٥: ٢ - ٢٦٢١).

٤. مط: واستقرّوا. ٥. والحجفة: المجنّ.

«ألا ترى ما نحن فيه؟ ائذن لنا في الحملة.»
 فقال لهم النعمان: «رويداً رويداً.»
 قالوا ذلك مراراً، فأجابهم بمثل ذلك.
 فقال المغيرة: «لو إلی هذا الأمر، علمت ما أصنع.»
 فقال: رويداً، ترى^(١) أمرك وقد كنت تلى الأمر فتُحسن، فلا يخذلنا الله ولا
 إِيَّاك، ونحن نرجو في المكث مثل ما نرجو في الحث.»
 وانتظر النعمان أحبّ الأوقات كان إلى رسول الله - صَلَّى الله عليه.
 فلما كان قريباً من تلك الساعة وهي الزوال، سار فوقف على الرايات،
 ومدحهم، وحضّهم. ثمّ عاد إلى موقفه^(٢)، وكبّر الأولى والثانية والثالثة والناس
 على غاية السمع والطاعة. وحمل النعمان والناس معه، فالتقوا بالسيوف، فاقتتلوا
 قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة قطّ كانت أشدّ منها، لا يوم القادسية لا
 غيرها مما تقدّم، قتلوا فيها من الفرس فيما بين الزوال والإعتماد ما طبّق أرض
 المعركة وما يزلق فيه الناس والدواب، وزلق بالنعمان فرسه وصرع، فأصيب.
 وتناول [431] الراية أخوه نعيم بن مقرن، وسجّى النعمان بثوب، وأتى^(٣) حذيفة
 بالراية، وكان عهد إليه بعده، فأقام اللواء. وقال المغيرة:
 «اكتموا مصاب أميركم حتى تنظروا ما يصنع الله فينا لكيلا يهن الناس،
 واقتتلوا.»

فلما أظلم الليل انكشف المشركون، وتركوا قصدهم، وأخذوا نحو اللّهب^(٤)
 الذي كانوا نزلوا دونه بإسبيذهان. فوقعوا فيه، وجعل لا يهوى فيه أحد إلا قال:

١. مط: نرى. وفي الطبري أيضاً: ترى (٥: ٢٦٢٢).

٢. كذا في مط: موقفه، والميم في الأصل مطموسة.

٣. ما في الأصل ومط غير واضح، فأثبتناه حسب الطبري (٥: ٢٦٢٥).

٤. اللّهب: الفرجة والمهواة بين الجبلين أو الصدع في الجبل.

«وأي خُرد»^(١)، فسُمّي بذلك «وأيهِ خُرد» إلى اليوم. فمات فيه منهم نحو مائة ألف، وقتل في المعركة أعدادهم، ولم يفلت إلا الشريد. ونجا الفيرزان من الصرع في المعركة، فهرب نحو همذان في ذلك الشريد، فأتبعه نعيم بن مقرن، وقَدَم القعقاع قدامه، فأدركه حين انتهى إلى ثنية همذان، وكانت الثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلاً، فحبسته الدواب على أجله. فلما غشيه القعقاع وهو لا يجد طريقاً فتوقّل^(٢) في الجبل، وتوقّل القعقاع في أثره حتى أخذه، ومضى الفلّال حتى انتهوا إلى مدينة همذان والخیل [432] في آثارهم، فدخلوها. وسمّيت الثنية: ثنية العسل، وقال المسلمون:

«إِنَّ اللَّهَ جَنُوداً مِنْ عَسَلٍ.»

واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الأحمال.

دخول نهاوند

ودخل المسلمون بعد هزيمة الفرس نهاوند،^(٣) واحتوا على ما فيها، وجمعوا الأسلاب إلى صاحب الأقباض السائب الأقرع. فبيناهم كذلك، أقبل الهربذ صاحب بيت النار على إتان، فأبلغ حذيفة؟

فقال: «أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم؟»

قال: «نعم!»

فقال: «إِنَّ النخیرجان وضع عندی ذخيرة كسرى، وأنا مخرجها لك على أمانی وأمان^(٤) من شئتُ.»

١. وفي الطبري: «وأيهِ خُرد» (نفس الصفحة).

٢. مط: «فتوغل» وهو خطأ. توقّل في الجبل: صدق فيه.

٣. والعبارة في الطبري: «ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يومَ نهاوند، مدينة نهاوند (٢٦٢٦: ٥).

٤. وفي الطبري: أمان، إتان (٢٦٢٧: ٥).

سفطان ملؤهما اليواقيت واللؤلؤ

فأعطاه ذلك، وأخرج له الذخيرة سفطين عظيمين ليس فيهما إلا اليواقيت واللؤلؤ. فلما فرغ السائب من قسمة الأموال اجتمع رأى المسلمين على دفعهما^(١) إلى عمر.

قال السائب: فأصاب سهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفان. فلما فرغت قدمت على عمر ومعى السفطان، فقال:

«ما وراءك يا سائب!»

فقلت: «خير، يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك - فأعظم الفتح - واستشهد النعمان بن مقرن.» [433]

فقال عمر: «إنا لله وإنا إليه راجعون»^(٢).

ثم بكى فنشج^(٣) حتى إنى لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتفه^(٤). قال: فلما رأيت ما لقى قلت:

«يا أمير المؤمنين، ما أصيب بعده رجل يعرف وجهه.»

فقال: «المستضعفون من المؤمنين، لكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم، وأنسابهم، وما يصنعون بمعرفة ابن أم عمر.»

ثم قام ليدخل، فقلت: «فقلت: «

«إن معى مالاً عظيماً جئت به.»

ثم أخبرته الخبر عن السفطين، فقال:

«أدخلهما بيت المال حتى ننظر فى شأنهما، والحق بجندك.»

قال: فأدخلتهما بيت المال، وخرجت سريعاً إلى الكوفة، وبات تلك الليلة التى

١. وفى الأصل: دفعها.

٢. س ٢ البقرة: ١٥٦.

٣. نشج الباكي: غص من غير انتخاب.

٤. الكتيد والكتد: مجتمع الكتفين من الانسان.

خرجت فيها. فلما أصبح بعث أثنى رسولاً، فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة، فأنخت بعيري، وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري، وقال:

«إلحق بأمر المؤمنين، فقد بعثني في طلبك ولم أقدر عليك إلا الآن.»

قال: قلت: «ويلك! ولماذا؟»

قال: «لا أدري والله.»

فركبت معه حتى قدمت عليه. فلما رآني قال:

«مالي ولا بن أم السائب، بل ما لابن السائب وما لي!»

قال: قلت: [434]

«وما ذاك يا أمير المؤمنين؟»

قال: «ويحك! والله، إن هو إلا نمت في تلك الليلة التي خرجت فيها، فباتت ملائكة الله تسحبني إلى ذينك السفطين يشتعلان ناراً، يقولون: لنكوينك بهما؛ فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، فخذهما عني لا أباً لك، فالحق بهما، فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم.»

قال: فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيتني [التجار^(١)] فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف [٢,٠٠٠,٠٠٠] درهم، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعها بأربعة آلاف ألف [٤,٠٠٠,٠٠٠] درهم. فما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعد.

وقسم حذيفة لأهل المسالح جميعاً في نهاوند، مثل الذي قسم لأهل المعركة، لأنهم كانوا رداءً للمسلمين لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه، وكان خلف قوماً على قلاع يحاصرون من فيها لئلا ينزلوا فيؤتى المسلمون من قبلهم، فقسم لهم أيضاً. وسمى يوم نهاوند فتح الفتوح^(٢) ولم تكن للفرس بعد قائمة.

١. في الأصل: التجار وما أثبتناه عن مط.

٢. أفتتحت مدينة نهاوند أول سنة ١٩ لسبع سنين من إمارة عمر (الطبري ٥: ٢٦٣٢).

ومن عجيب ما مرّ في حصار نهاوند أنّ رجلاً [435] يقال له: جعفر بن راشد، قال لطليحة:

«لقد أخذتنا خلّة^(١)، فهل بقي من أعاجيبك شيء تنفعنا به؟»

فقال: «كما أنتم، حتى أنظر.» فأخذ كساءاً، فتقنّع به غير كثير، ثم قال:

«البيان، البيان، غنم الدقان^(٢) في البستان، مكان أرونان^(٣)».

فدخلوا البستان، فوجدوا الغنم مسمنة.

ثم جاء دينار إلى حذيفة، فصالحه عن ماه، فنسب إليه ماه^(٤). فكان يوافي

الكوفة كل سنة، فقدم الكوفة في إمارة معاوية، فقام في الناس جميعاً، فقال:

«يا معشر أهل الكوفة، إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس، فغيرتم

بذلك زمان عمر وعثمان، ثم تغيّرتم وفشت فيكم خلال أربع: بخل، وخب^(٥)،

وغدر، وضيق، لم تكن فيكم واحدة منهنّ. فنظرت في ذلك، فإذا ذلك في

مولديكم، فعلمت من أين أتى، فإذا الخب من قبل النبط، والبخل من قبل فارس،

والغدر من قبل خراسان، والضيق من قبل الأهواز».

فتح الرّى

ثم إنّ نعيم بن مقرّن فتح همذان، وسار إلى الرّى، وكان بالرّى يومئذ

سياوخش ملكاً عليها وهو سياوخش [436] بن مهران بن بهرام شوبين.

[فاستمدّ]^(٦) أهل دنباوند، وطبرستان، وقومس، وجرجان، وقال:

١. الخلّة: الجوع والفقر.

٢. في مط: «الدقان» بالفاء. وفي الطبري (٥: ٢٦٣٠): «الدقان»، وفي حواشيه: «الدوان»، «الربان».

٣. لا إجماع في الأصل إلّا في النون الأخيرة. في مط: أروبان بالباء الموحدة. في الطبري: «أرونان» وفي

حواشيه: «اونان». والأرونان: الصعب الشديد من كل شيء.

٤. فقيّل: «ماه دينار» (الطبري ٥: ٢٦٢٨). ٥. الخب: الخدعة والغش.

٦. فاستمدّ: مطموسة في الأصل، فأخذناه عن مط.

- «قد علمتم أن هؤلاء إن حلّوا بالرّى إنّهم لا مقام لكم.»

فاحتشدوا له. فناهده سیاوخش، فالتقوا في سفح جبل الرّى إلى جنب مدينتها، فاقتتلوا به. وكان الزينبيّ متوحّشاً من سیاوخش، فكاتب نعيم بن مقرّن، وصالحه وعاونته، وكان الزينبيّ قال لنعيم:

- «إنّ القوم كثير وأنت في قلّة، فابعث معي رجلاً أدخل بهم مدينتهم من

مدخل لا يشعرون به، وناهدهم أنت، فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لذلك.»

فبعث معه خيلاً من الليل عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو. فأدخلهم الزينبيّ المدينة ولا يشعر القوم، وبيّتهم نعيم بياتاً، فشغلهم عن مدينتهم، فاقتتلوا، وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم. ثم إنّهم انهزموا فقتلوا مقتلة عظيمة، فأفاء الله على المسلمين بالرّى نحواً من فيء المدائن، وصالحه الزينبيّ على أهل الرّى ومرزبه^(١) عليهم. [437] وكتب نعيم بالفتح وبعث بالأخماس إلى عمر.

توجّه بكير إلى آذربيجان

وكان بكير بن عبدالله قد توجه إلى آذربيجان، فأمدّه نعيم بعد فتح الرّى بسماك بن خرشة الأنصاري.

مرکز تحقیق کتابت مؤدانشاه یراسل نعیماً فی الصلح

فأما المصمغان - وهو مردانشاه صاحب دنباوند والخزر والأرز والسرو^(٢) - فإنّه راسل نعیماً فی الصلح على شيء يفتدى منه به، من غير أن يسأله النصر والمنعة. فقبل منه، وكتب على غير نصر ولا معونة على أحد، فجری ذلك لهم.

فتح قومس

وقدّم سويد بن مقرّن أخاه بأمر عمر إلى قومس، فلم يقيم له أحد، وأخذها مسلماً، وكتب لهم أماناً، وقبل جزيتهم.

فتح جرجان وطبرستان وآذربيجان

ثم كاتب ملك جرجان رزيان^(١) صول. ثم صار إليها، فبادره بالصلح، وتلقاه، فدخل معه جرجان، وعسكر بها، وجبى إليه الخراج، وسمّى له فروعها، فسدّها بترك دهستان. فرفع الجزئ عمن أقام بمنعتها، وأخذ الخراج من باقى أهلها، وكتب بينهم كتاباً^(٢) بالأمان وقبول الجزية ما نصحوا وقرروا المسلمین، وعلى أن من سبّ مسلماً [438] بلغ جهده، ومن ضربه حلّ دمه. وراسله الإصبهيدى فى الصلح أن يتوادعا ويجعل له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد. فكتب له بذلك كتاباً على ألا يؤوا للمسلمين بغية^(٣)، ولا يسألوا لهم^(٤) إلى عدوّ، ولا يدخل

١. فى الأصل ومط: ررمان، من دون نقط. وما أثبتناه عن الطبرى (٥: ٢٦٥٨).

٢. والكتاب كما جاء فى الطبرى (٥: ٣٦٥٨):

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من سويد بن مقرّن لرزيان صول بن رزيان [روزيان، رزيان، رربان؟] وأهل دهستان، وسائر أهل جرجان؛ أن لكم الذمة، وعلينا المنعة، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال، ومن استعنا به منكم، فله جزاءه فى معونته عوضاً من جزائه، ولهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، ومللهم، وشرائعهم، ولا يغيّر شيء من ذلك، هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السيل، ونصحوا، وقرروا المسلمین، ولم يبد منهم سل، ولا غل، ومن أقام فيهم، فله مثل ما لهم، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه؛ وعلى أن من سبّ مسلماً بلغ جهده، ومن ضربه حلّ دمه. شهد سواد بن قطبة وهند بن عمرو وسماك بن مخزومة وعتيبة بن النّهاس. وكتب فى سنة ١٨». وأضاف الطبرى: «وأما المدائنى فإنه قال فى ما أنبأنا أبو زيد عنه: فتحت جرجان فى زمن عثمان سنة ٣٠».

١. مط: بهم.

٣. مط: تبعة.

عليه إلا بإذنه، وكذلك سبيلهم.

وكان بكير سار حين بعث إلى آذربيجان حتى إذا طلع بجبال خرشدان^(١) طلع عليهم اسفندياذ بن الفرخزاذ مهزوماً من واجرود. فكان أول قتاله لقيه بآذربيجان، فاقتتلوا، فهزمه، وأخذ بكير اسفندياذ أسيراً.

فقال له اسفندياذ:

«الصلح على آذربيجان أحب إليك أم الحرب؟»

قال: «بل الصلح.»

قال: «فأمسكني عندك. فإن أهل آذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجىء لم يقيموا، وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبيج والروم. ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما.»

فأمسكه عنده، فأقام وهو في يده، وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة، وقد صار اسفندياذ في إيساره. [439] وفتح عتبة بن فرقد من جهته ما يليه.

فقال بكير لسماك بن خرشة كالممازح:

«ما الذي أصنع بك وبعتبة؟ أريد أن أمضى قدماً فأخلفكما، فإن شئت

فاذهب معي، وإن شئت أتيت عتبة، فقد أذنت لك.»

وكاتب عمر في ذلك. فكتب إليه في الإذن على أن يتقدم نحو الباب، وأمره أن يستخلف على عمله. فاستخلف عتبة على ما افتتح. ومضى قدماً، وقدم اسفندياذ إلى عتبة، وأقر عتبة سماك بن خرشة، وليس بأبي دُجانة، على عمل بكير الذي كان افتتح.

وجمع عمر آذربيجان كلها لعتبة، وقد كان بهرام بن الفرخان أخذ بطريق عتبة بن فرقد، وأقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبة، فهزمه عتبة وهرب بهرام. فلما بلغ خبر هزيمته إسفندياذ وهو في الإسار عند بكير، قال: «الآن تمّ الصلح وطفئت الحرب وعادت آذربيجان سلماً.» فبعث بالأخماس. وكان بكير سبق عتبة بفتح ما ولي، وتمّ الصلح بعدما هزم عتبة بهرام. فكتب عتبة بينه وبين أهل آذربيجان كتاباً - حيث جمع له عمل بكير إلى عمله - [440] بالأمان وشروط الجزية وقرى المسلمين وغير ذلك.

فتح الباب والفتوح التي كانت بعده

وأنفذ عمر سراقه بن عمرو - وكان يكتنّى ذا النون^(١) - إلى الباب وجعل على مقدّمته عبدالرحمن بن ربيعة، وسمى لإحدى مجنّبتيه حذيفة بن أسد، وسمى للآخرى بكير بن عبيدالله اللثي، وهو الذي كان بإزاء الباب قبل قدوم سراقه عليه. فلما قدم سراقه قدّم بكيراً في أداني الباب، فدخل بكير بلاد الباب والملك يومئذ شهربراز^(٢) الذي أفسد بني إسرائيل وأعرى^(٣) الشام منهم.

فكتب عبدالرحمن شهربراز، واستأمنه على أن يأتيه. ففعل، فأتاه، فقال له: «إني بإزاء عدوّ كلّب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب، وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الأحساب^(٤) والأصول، وذو الحسب قريب ذى الحسب حيث كان، ولست من الأرمن في

١. في الطبري (٥: ٢٦٦٣): ذا النور.

٢. وزاد في الطبري: رجل من أهل فارس، وكان على ذلك الفرج، وكان أصله من أهل شهربراز [كذا] (٥: ٢٦٦٣).

٣. في مط: أغز. في الطبري أيضاً: أعرى. وفي حواشيه أغرى، أغزى.

٤. في الأصل: ذوو الحسب. فصححناه.

شيء ولا من القَبَق^(١)، وإنكم قد غلبتم على بلادى وأمتى، وأنا اليوم منكم، ویدی مع أيديكم، وصفوى معكم، وجزيتنا إليكم، والنصر لكم، والقيام بما تحبون، فلا تذَلُّونا بالجزية [441] فتوهنونا لعدوكم.

فقال عبدالرحمن: «فوقى أمير قد أظلك، فسر إليه.»

فجوزه فسار إلى سراقه، فلقيه بمثل ذلك.

فقال سراقه: «قد قبلت ذلك ممن كان معك على هذا ما دام عليه، ولا بد من

الجزى ممن يقيم ولا ينهض.»

فقبل ذلك، وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك، فأجازه، وحسنه، وصارت سنة فيمن يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزى أن يستنفروا، ثم يوضع عنهم جزى تلك السنة.

ووجه سراقه بعد ذلك بكير بن عبدالله، وحبيب بن مسلمة، وحذيفة بن أسد، وسلمان بن ربيعة إلى الجبال المطيفة بأرمينية، ووجه بكيراً إلى موقان، وحبيباً إلى تفلّيس، وحذيفة إلى جبال اللان، وسلمان إلى الوجه الآخر، وكتب سراقه بالفتح وبمن وجه من هؤلاء النفر. فأتى عمر بن الخطاب أمر لم يكن يرى أنه يستمر بتلك السرعة بغير مؤونة. فلما استوسق الأمر بتلك الناحية واستحلوا عدل الإسلام مات سراقه واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة.

فأقرّ عمر عبدالرحمن على فرج الباب، وأمره بغزو الترك. فخرج [442]

عبدالرحمن بالناس حتى قطع الباب.

فقال له شهربراز: «ما تريد أن [تصنع]؟^(٢)»

قال: «أريد بَلْثَجَر.»

قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب.»

٢. يياض في الأصل، وما أثبتناه عن مط.

١. في الطبري: القبيح.

قال: «لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم. والله إن معنا لأقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الروم.»
قال: «وما هم؟»

قال: «قوم صحبوا رسول الله - صلى الله عليه - ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم أمر، أو يلفتوا عن حالهم بمن يغيرهم.»

فغزا بلنجر - غزاه في زمن عمر - لم تتم فيها امرأة، ولا يتم فيها صبي. وبلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ثم غزا فسلم أيضاً، وغزا [غزوات] ^(١) في زمن عثمان، وأصيب عبدالرحمن حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان، لما استعمل من كان ارتد واستعان بهم، فساد من طلب الدنيا، وعضلوا بعثمان حتى كان يتمثل:

وكنـت وعمرأ ^(٢) كالمسـن كلبـة فخذشه أنيابه وأظافره [443]

وكان عبدالرحمن بن ربيعة لما غزا الترك، قالوا:
- «ما اجتراً علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة يمنعهم من الموت.»
فتحصنوا منه، وهربوا. فرجع بالغنم.

فلما كان بعد ذلك غزا تلك الغزوات الأخر على تلك العادة، حتى إذا كان في زمن عثمان بعد السنين الست منه، غزا غزوة. وكان من الترك طائفة في الغياض مختفين، فرمى رجل منهم مسلماً على غرة، فقتله وهرب عنه أصحابه، فتجاسروا

١. تكملة من الطبري.

٢. في الأصل: وكنـت وعمرؤ. في مط: وكتب عمرو! فصحناه كما في الطبري (٥: ٢٦٦٨).

بعد ذلك وتنادوا.

فأمّا عبدالرحمن فقتل، واشتدّ القتال، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة، وخرج بالناس على جيلان إلى جرجان، واجترأ الترك بعدها، ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبدالرحمن، فهم يستسقون به حتى الآن.

ما جرى بين يزدجرد وآبان جاذويه في الرّى

ولما انتهى يزدجرد في مسيره بعد جلولاء إلى الرّى كان عليها آبان جاذويه، فوثب عليه، فأخذه فقال:

«يا آبان جاذويه، تغدر بي؟»

قال: «ولكنك تركت ملكك وصار في يد غيرك وأريد أن أكتب على ما كان لي من شيء، وما أردت من غير ذلك»^(١).

وأخذ خاتم يزدجرد [444] وكتب الصكاك على الأدم، وسجل السجلات بكل ما أعجبه، ثم ختم عليها، وردّ الخاتم. ثم أتى بعد سعداً فردّ عليه كلّ شيء في كتابه. واستوحش يزدجرد من آبان وكرهه. فخرج هارباً إلى أصبهان ومعه النار^(٢)، وأراد كرمان. ثم عزم على خراسان ليستمدّ الترك والصين وهو قريب منهم. فأتى مرو، فنزلها، وبنى للنار بيتاً، واطمأن في نفسه.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

غزو خراسان وهزيمة يزدجرد في بلخ

وخرج عبدالله بن عامر من البصرة في هذه السنة، وهي سنة إحدى وثلاثين، غازياً إلى خراسان. ففتح نيسابور وطوس ونسا، حتى بلغ سرخس، وعلى مقدّمته الأحنف بن قيس. فلقية الهياطلة، وهم أهل هراة، فهزمهم الأحنف، فبعثه

١. وفي مط: من غيرك.

٢. وفي الطبري (٥: ٢٦٨٢): فأراد أن يضعها في كرمان.

ابن عامر إلى طخارستان. فلما دنا الأحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد نحو مرو الروذ، فنزلها، ونزل الأحنف مرو الشاهجان، وكتب يزدجرد إلى خاقان من مرو الروذ يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده. فخرج رسوله إليهما، وكتب إلى ملك الصين يستعينه.

وخرج الأحنف [445] من مرو الشاهجان، واستخلف عليه بعدما لحقته الأمداد من أهل الكوفة قاصداً مرو الروذ. فلما بلغ مسيره يزدجرد خرج إلى بلخ. ونزل الأحنف مرو الروذ، وقدم أهل الكوفة، فساروا إلى بلخ، واتبعهم الأحنف، فالتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فهزم يزدجرد، وتوجه في أهل فارس إلى النهر، فعبر، ولحق الأحنف بأهل الكوفة وقد فتحوا بلخ، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ.

وكتب عمر إلى الأحنف:

«أما بعد، فلا تجوزوا النهر، واقتصروا على ما دونه.»

وبلغ رسولا يزدجرد خاقان وعارك^(١)، فلم يستتب لهم^(٢) إنجاده، حتى عبر إليهم النهر مهزوماً. فأنجده خاقان، فأقبل في الترك، وحشر أهل فرغانة والصغد، حتى خرج بهم راجعاً إلى خراسان. فعبر إلى بلخ، وعبر معه خاقان، فأرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ، إلى الأحنف.

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

ذكر رأي صحيح في وقت شدة

فاستشار الأحنف المسلمين. فاختلفوا، فبين قائل يقول: «نرجع إلى أبرشهر»^(٣) [446]؛ وقائل يقول: «نقيم ونستمد.» وقائل يقول: «نناجزهم.»

١. مط: عادل. في الطبري (٥: ٢٦٨٥): «غوزك» وفي حواشيه: عورك، على زل.

٢. في الطبري: لهما.

٣. قرأنا ما في الأصل «أبرشهر» مع غموض فيه. وما في مط: «أبرانشهر». وهما أي: أبرشهر Abarshahr

وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف مرو الرّوذ. وكان الأحنف حين بلغه عبور خاقان نهر بلخ غازياً له، خرج في عسكره ليلاً يتسمع: هل يسمع برأى ينتفع به؟ فلما خرج مرّ برجلين ينقيان علفاً، إمّا تبناً، وإمّا شعيراً، وأحدهما يقول لصاحبه:

«الرأى للأمير أن يلقي العدو حيث لقيهم أولاً، فإنه أرعب لهم». فقال له صاحبه:

«أخطأت الرأى، إن لقي العدو مصحراً في بلادهم لقي جمعاً كثيراً بعدد قليل، فإن جالوا جولة اصطلمونا. ولكن الرأى للأمير أن يسندنا إلى هذا الجبل، ليكون النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا، نأمن أن نؤتى من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد، [و] ^(١) رجونا أن ينصرنا الله».

فرجع، واجتزأ بها. وذلك في ليلة مظلمة. فلما أصبح جمع الناس، ثم قال: «إنكم قليل، وعدوكم كثير، فلا يهولتكم: ﴿فَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٢)، إرتحلوا من مكانكم، فاستندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه [447] في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقاتلوه من وجه واحد».

ففعّلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم في عشرة آلاف من أهل البصرة، وأهل الكوفة نحو منهم. وأقبلت الترك ومن اجتلبت من الصفد وغيرهم حتى نزلوا بهم. فكانوا يغادونهم ويرأحونهم ويتنحّون عنهم بالليل ما شاء الله.

وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل. فخرج ليلة بعد ما علم علمهم طليعة لأصحابه حتى كان قريباً من عسكر خاقان، فوقف. فلما كان في وجه الصبح خرج فارس الترك بطوقه، وضرب بطبله، ووقف من العسكر موقفاً يقفه مثله.

→ ويرانشهر اسمان كانا يطلقان على نيسابور في أوائل الاسلام (لسترنج: ٤٠٩).

٢. س ٢ البقرة: ٢٤٩.

١. تكملة اقتضاها السياق.

فحمل عليه الأحنف، فاختلفا طعنتين سبقه الأحنف، فقتله. قال الأحنف:
فارتجزتُ:

إِنَّ عَلَى الرَّئِيسِ حَقًّا حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًّا

ثم وقف موقف التركي، وأخذ طوقه، وخرج آخر من الترك، ففعل فعل
صاحبه، فحمل عليه الأحنف، فقتله. ثم وقف موقف التركي الثاني. [448] قال
الأحنف: فارتجزتُ:

إِنَّ الرَّئِيسَ يَرْتَبِي وَيُطْلَع وَيَمْنَعُ الْجَلَاءَ^(١) إِمَّا أَرْبَعُوا

وأخذ طوق التركي، ثم خرج ثالث، ففعل فعل الرجلين، ووقف دون الثاني
منهما، فحمل عليه الأحنف، فقتله، قال: وارتجزتُ:

جَزَى الشَّمْسُ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ مُحْتَفِلٍ فِي جَزِيهِ^(٢) مَشَارِزِ

ثم انصرف إلى عسكره ولا يعلم بذلك أحد. وكان من شيمة الترك أنهم
لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من كبارهم وفرسانهم يضربون بالطبول، ثم
يخرجون بعد خروج الثالث. فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث على فرسانهم
مقتلين. فتشاءموا، وتشاءم خاقان وتظير وقال:

«قد طال مقامنا وأصيب هؤلاء القوم بمكان لم يُصَب بمثله أحد منا، مالنا

١. كذا في الأصل: الحلاء. في مط: الحلاء. وفي الطبري: الحلاء. وفي حواشيه: الجلاء.

٢. في الطبري (٥: ٢٦٨٧): محتفلاً في جريه، وفي حواشيه: محتفل بحريه.

في قتال هؤلاء القوم من خير، انصرفوا بنا.»

فكان وجوههم راجعين، وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئاً. وأتاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ، وقد كان يزدجرد [449] ترك خاقان بمرور الرود، وخرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة بن النعمان خليفة الأحنف، فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان ببلخ ينتظره مقيم له.

فقال المسلمون: «نحن نتبع خاقان.»

فقال: «بل أقيموا مكانكم.»

ولما جمع يزدجرد ما كان في يديه مما وضع بمرور وأعجل عنه، وأراد أن يستقل منها، حاول أمراً عظيماً من خزائن أهل فارس، وكان أراد اللحاق بخاقان. فقال أهل فارس: «ما تريد أن تصنع؟»

قال: أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين.»

فقالوا له: «مهلاً، فإن هذا رأي سوء. إنك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك، ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم، فإنهم أوفياء وأهل دين، وهم يلون بلادنا، وإن عدواً يلينا في بلادنا أحب إلينا من عدو يلينا في بلادنا، ولا دين لهم، فلا ندرى ما وفاءهم.»

فأبى عليهم، فأبوا عليه. قالوا:

«فدع خزائنتنا نردّها إلى بلادنا ومن يليها، [450] لا تُخرجها من بلادنا إلى غيرها.»

فأبى. فقالوا: «فإننا لا ندعك.»

فاعتزلوا وتركوه في حاشيته. ثم اقتتلوا، فهزموه، وأخذوا الخزائن واستولوا عليها، ونكبوه، وكتبوا إلى الأحنف بالخبر. فاعترضهم المسلمون والمشركون بمرور، فقاتلوه، وأصابوه في آخر القوم، وأعجلوه عن الأثقال ومضى حتى قطع النهر إلى فرغانة وترك، فلم يزل مقيماً زمان عمر كلّ يكاتبهم ويكاتبونه إلى

زمان عثمان.

فأقبل أهل فارس إلى الأحنف، فصالحوه، وعاقدوه، ودفعوا الخزائن والأموال، وتراجعوا إلى بلدانهم وأموالهم، على أفضل ما كانوا في زمان الأكاسرة. فكانوا كأنهم في ملكهم. إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم. وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية. ولما سمع خاقان ما لقي يزدجرد وخروج المسلمين مع الأحنف من مرو الروذ نحوه، ترك بلخ وعبر النهر، وأقبل الأحنف حتى نزل [451] بلخ، وأنزل أهل الكوفة في كورها الأربع، ثم رجع إلى مرو الروذ، فنزل بها، وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر، وبعث إليه بالأخماس. ووفد الوفود إليه.

حوار بين خاقان ورسول يزدجرد

ولما عبر خاقان النهر، وعبر معه حاشية آل كسرى مع يزدجرد لقوا رسول يزدجرد الذي كان نفذ إلى ملك الصين، فسأله عما وراءه. فقال: لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون. - وأراهم هديته وجوابه عن كتاب يزدجرد إليه - قال لي:

- «قد علمت أن حقاً على الملوك إنجاز الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإني أراك، تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف [منكم] ^(١) معما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم.»

فقلت: «سلني عما أحببت أخبرك.»

قال: «أيوفون بالعهد؟» [452]

١. في الأصل: معكم، فصححناه بما في الطبري (٥: ٢٦٩١)؛ وفي مط: بدون «منكم».

قلت: «نعم».

قال: «وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟»

قلت: «يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم،

أو الجزية والمنعة، أو المنابذة».

قال: «فكيف طاعتهم أمراءهم؟»

قلت: «أطوع قوم لمرشدهم».

قال: «فما يحرمون وما يحلون؟»

فأخبرته.

قال: «أفيحلون^(١) ما حُرِّم عليهم، أو يحرمون^(٢) ما حُلِّل لهم؟»

قلت: «لا».

قال: «فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يبذلوا».

ثم قال: «أخبرني عن لباسهم». فأخبرته، «وعن مطاياهم» فقلت:

«الخيال العراب» ووصفتها.

فقال: «نعمت الحصون هذه».

ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها.

فقال: «هذه صفة دواب طوال الأعناق».

وكتب معه إلى يزيد بن جندب: علوم ربي

«إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو، وآخره بالصين،

الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك

صفتهم، لو يحاولون الجبال لهدّوها، ولو خلى سربهم أزالوني

٢. في مط: أفتحرمون.

١. في مط: أفتحلون.

ماداموا على ما وصف، فسالمهم وارضَ منهم بالمساكنة، ولا تُهجم
مالهم يهيجوك.» [453]

وأقام يزدجرد وآل كسرى بفرغانة معهم عهد بخاقان. ثم جرى ما جرى من
قبل عمر، رضى الله عنه.

ذكر كتاب عمر وجمل من سياسته

□ كان يكتب لعمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الأرقم، وعبدالله بن خلف
الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة، وأبو حبيزة بن الضحاك
الأنصاري على ديوان الكوفة. فأما زيد بن ثابت فإنه كان كاتب النبي - صلى الله
عليه - فكان يخلو به عمر. فقال له يوماً:

- «إني استصحبتك لكتب أسراري الذي رأيت رسول الله - صلى الله عليه -
يفعله بك. فأخبرني عن كتبه كيف كانت إلى الملوك وغيرهم.»

فقال زيد: «أعفى يا أمير المؤمنين.»

فقال له: «ممّ ذاك؟»

قال زيد: «إن رسول الله (ص) قال لي: يا زيد! إني انتخبتك، فاحفظ أسراري،
واكتم ما استحفظتك. فضمنت له ذلك.»

فأمسك عمر عن معاودته، لكن كان يملئ عليه ويستعين برأيه. وكان زيد ذا
رأى [454] ونفاذ.

□ وكان عمر يقول لكتابه ويكتب إلى عمّاله:

- «إن القوة على العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك
تداكت الأعمال عليكم، فلا تدرون بأيها تبدأون، وأنها تؤخرون.»

تدوينه الدواوين

□ وكان عمر أول من دوّن الدواوين من العرب. وكان سبب ذلك أنّ أبا هريرة قدم عليه من البحرين ومعه مال، فلقى عمر. فقال له عمر:

«ماذا جيت؟»

قال: «خمسمائة ألف درهم.»

فقال عمر: «أتدرى ما تقول؟»

قال: «نعم، مائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف، ومائة ألف.»

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيّها الناس، قد جاء مال عظيم، فإن شئتم كلنا كيلاً، وإن شئتم أن يعدّ عددنا.»

فقام رجل فقال: «يا أمير المؤمنين، هؤلاء الأعاجم يضبطون هذا بالديوان.»

قال: «فدوّنوا الدواوين.»

وكان عمر بعث بعثاً بعد أن آمن الفيرزان^(١) وحضره فقال:

«يا أمير المؤمنين، هذا البعث قد أعطيت أهله الأموال، فإن تخلف منهم رجل

وأخل [455] بمكانه ما يدري صاحبه به؟»

وأشار عليه بالديوان وفتّره له، فوضع عمر الديوان.

□ وكان أبو موسى الأشعري كتب إلى عمر رضى الله عنه:

«إنّ المال كثر وكثر من يأخذه، فلسنا نحصيه إلّا بالأعاجم، فاكتب إلينا

برأيك.»

فكتب إليه عمر: «لا تُعذّهم في شيء سلبهم الله إياه، أنزلوهم حيث أنزلهم الله

١. كذا في الأصل: الفيرزان. في مط: الهرمزان. لم نجده عند الطبري. أنظر (٥: ٢٧٤٩).

وتعلموا.»

فاستكتب أبو موسى زياداً، وكتب عمر إلى أبي موسى يستقدمه. فاستخلف زياد عمران بن حصين وقدم عليه. فقال عمر:

«لئن كان أبو موسى استخلف حدثاً لقد استخلف الحدث كهلاً.»

ثم دعا بزياد وقال: «أكتب إلى خليفتك بما يجب أن يعمل به.»

فكتب إليه كتاباً ودفعه إلى عمر، فنظر فيه، ثم قال: «أعد»، فكتب غيره، ثم قال: «أعد»، فكتب الثالث.

فقال عمر بعد ذلك:

«لقد بلغ ما أردت في الكتاب الأول، ولكنني ظننت أنه قد روي فيه؛ ثم بلغ في الثاني ما أردت، فكرهت أن أعلمه ذلك لئلا يدخله العجب، فوضعت منه [456] لئلا يهلك.»

□ وكان عمر يُعَلِّم على كاتب بين يديه وزياد حاضر. فكتب الكاتب غير ما

قال عمر.

فقال له زياد: «يا أمير المؤمنين، إنه يكتب غير ما قلت له.»

فقال عمر: «أنتي علمت هذا.»

فقال: «رأيت رجوع فيك وخطئه؛ فرأيت ما أجارت كفه غير ما رجعت به

شفتيك.»

فاستحسنه عمر.

□ ثم قال له يوماً: «يا زياد، هل أنت حامل كتابي إلى أبي موسى في عزلك

عن كتابته؟»

قال: «نعم، يا أمير المؤمنين. ولكن أعجز أم خيانة؟»

قال: «لا عن واحد منهما، ولكنني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرعية.»

وضعه التاريخ

□ وكان عمر أول من كتب التاريخ من الهجرة، لأنّ أبا موسى كتب إليه أنه: «تأثينا منك كتب ليس فيها تاريخ». وكانت العرب تؤرّخ بعام الفيل. فجمع عمر الناس للمشورة.

فأشار بعضهم: أن يؤرّخ بمبعث النبي - صلى الله عليه، وقال بعضهم: «بمهاجرته». فأرّخ به. وكان ذلك في سنة سبع عشرة، أو ثمانى عشر من الهجرة.

ثم قالوا: «بأى الشهور نبدا؟» [457]

فقال بعضهم: «بشهر رمضان».

فقال عمر:

- «بل بالمحرّم، فهو منصرف الناس من حجّهم، وهو شهر حرام».

فأجمعوا على المحرّم.

□ ودخل كاتب لعمر بن العاص على عمر، فحاوره فأحسن الكلام، فقال

عمر:

- «أأنت ابن القين بمكة؟»

فقال: بلى.

فقال عمر: «لا يلبث القلم، أو يبلغ بصاحبه»^(١)

□ وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من

المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل ما لا يقدر عليه

أوساط رعيّته، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس.

١. كذا في مط. وفي الأصل غموض.

أنتم المؤمنون وأنا أميركم

□ وهو أول من خطب بـ «أمير المؤمنين» وذلك أن أبا بكر خطب بـ «خليفة رسول الله» - صلى الله عليه - فلما خلف عمر خطب بـ «خليفة خليفة رسول الله».

قال عمر: «أمر يطول. إذا جاء خليفة آخر قلت: «خليفة خليفة خليفة رسول الله»، بل أنتم «المؤمنون» وأنا «أميركم».

□ وهو أول من جمع الناس على إمام [يصلّى بهم التراويح] ^(١) [458] في شهر رمضان، وكتب به إلى البلدان وأمرهم بذلك، وزاد في مصابيح المساجد.

□ وهو أول من حمل الدرة وضرب بها.

فمن ذلك ما روينا أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أتى بمال، فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه. فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة، وقال:

- «إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض. فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك».

□ ورأت الشفاء بنت عبد الله قوماً يقصدون في المشى، ويتكلمون رويداً.

فقالت: «ما هذا؟»

قالوا: «نسأك».

فقالت: «كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع. هو والله الناسك حقاً».

□ وذكر قوم رجلاً بين يدي عمر، ووصفوه وقالوا:

- «هو فاضل لا يعرف الشر».

قال: «أجدر له أن يقع فيه».

□ واستعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة، فقدم عليه بمال. فقال عمر:

- «ما هذا يا عتبة؟»

قال: «هذا مال خرجتُ به معي فتجرتُ فيه».

قال: «ومالك تُخرج المال معك في هذا الوجه، فصيّره في بيت المال».

فلما ولي عثمان [459] قال لأبي سفيان:

- «إن طلبتَ ما أخذ عمر من عتبة رددته عليك».

فقال أبو سفيان: إنك إن خالفت صاحبك الذي تقدّمك ساء رأى الناس فيك،

إياك أن تردّ على من قبلك فيردّ عليك من يجيء بعدك.

كان معجباً بسياسات ملوك العجم

□ وكان عمر يكثر الخلوة بقوم من الفرس يقرأون عليه سياسات الملوك

وسيّما ملوك العجم الفضلاء، وسيّما أنوشروان؛ فإنه كان معجباً بها، كثير الاقتداء

بها. وكان أنوشروان مقتدياً بسيرة أردشير آخذاً نفسه بها، وبعهده الذي كتبناه فيما

مضى، مطالباً به غيره. وكان أردشير متبعاً لبهمن وكورس، مقتدياً^(١) بهما. فهؤلاء

جلّة ملوك الفرس وفضلاؤهم الذين ينبغي أن يقتدى بأفعالهم وسيرهم وتتعلم

سياساتهم ويتشبه بهم.

□ وروينا عن عمران بن سودة أنه قال: دخلت على عمر، فذكرت أشياء مما

عابه^(٢) بها الناس فأصغى إليّ: وضع رأس درّته في ذقنه، ووضع أسفلها على

فخذه يستمع إلى ما أقول، إلى أن قلت:

١. في مط: مقيداً.

٢. عابت أمتك فيك أربعاً... (الطبري ٥: ٣-٢٧٧٢).

- «وإنَّ الرعيَّة يشكون منك عنف السياق.»

فشرع الدرّة، ثم مسحها حتى أتى على آخرها، ثم قال:

- «أمّ والله، إنني لأرتع فأشبع، وأسقى فأروى، وأنهز^(١) [460] العروضَ

وأؤدّب^(٢) (أؤرب؟) قدرى، وأزجر اللقوف^(٣)، وأسوق خطرى^(٤)، وأضمّ

الهيوب^(٥)، وألحق القُطوف^(٦)، وأكثر الزجر، وأقلّ الضرب، وأشهر العصا، وأدفع

باليد^(٧)».

فبلغ ذلك معاوية بعد، فقال: «كان والله عالماً برعيّته.»



مركز تحقيق نصوص علوم إسلامي

١. مط: أنهز. في الطبري: أنهز اللقوف. ٢. مط: أؤرب قدرى. في الطبري: أؤدّب قدرى.

٣. مط: أزجر اللقوف.

٤. مط كذا في مط: أسوق خطرى. في الطبري: أسوق خطوى.

٥. في الطبري: أضمّ العنود. ٦. في الطبري: وألحق القُطوف.

٧. وزاد في الطبري: «لولا ذلك لأعذرت.»

خلافة عثمان بن عفان

ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب
لما قُتل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قيل له حين طعن:
- «استخلف».

فأبى أن يسمي رجلاً بعينه وقال:

- «عليكم هؤلاء الرهط الذين توفى رسول الله، صلى الله عليه، وهو
عنهم راض: علي، وعثمان ابنا عبد مناف، وعبدالرحمان، وسعد
خالا رسول الله - صلى الله عليه - والزبير بن العوام حوارى رسول
الله - صلى الله عليه - وابن عمته، وطلحة الخير. فليختاروا رجلاً
منهم، ويشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم
الثالث إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبدالله بن عمر مشيراً، ولا
شيء له من الأمر، وطلحة شريككم فى الأمر، فإن قدم فى الأيام
الثلاثة فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه
فاقضوا أمركم.» [461]

وقال لأبى طلحة الأنصارى: «إن الله تعالى طال ما أعز الإسلام بكم، فاختر

خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً.»
وقال لصهيب:

«صَلِّ بالناس ثلاثة أيام، وأدخل عليّاً، وعثمان، والزبير، وسعداً،
وعبدالرحمان بن عوف، وطلحة - إن قدم - وأحضر عبدالله بن
عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم. فإن اجتمع خمسة
ورضوا واحداً منهم وأبى واحد فاشدخ رأسه واضرب رأسه
بالسيف؛ وإن اتفق أربعة فترضوا واحداً وأبى اثنان فاضرب
رؤوسهما؛ وإن رضى ثلاثة منهم رجلاً واحداً وثلاثة رجلاً منهم
فحكموا عبدالله بن عمر، فأبى الفريقين حكم فليختاروا رجلاً منهم،
فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم
عبدالرحمان بن عوف، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه
الناس.»

فخرجوا من عنده، فقال لعلّ قوم كانوا معه من قریش^(١): «ما ترى؟»
فقال عليّ: «إن أطيع فيكم قومكم، لم تؤمروا أبداً.»^(٢)
وتلقاه العباس، فقال له عليّ: «عدلت عنا.»
قال: «وما علمك؟»^(٣) قال:

«قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضى رجلان

١. في الطبري (٥ : ٢٧٨٠): «من بني هاشم.»

٢. كذا في الطبري أيضاً: «إن أطيع فيكم قومكم، لم تؤمروا أبداً.»

٣. كذا في الأصل: «وما علمك» والضبط في الطبري: «وما علمك.»

رجلاً^(١) [462] ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف. فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمان، وعبدالرحمان صهر عثمان لا يختلفون؛ فيوليها عثمان أو يوليها عثمان عبدالرحمان، فلو كان الآخرون معي لم ينفعاني، بله أني لا أرجو إلا أحدهما.»

فقال العباس:

- «لم أدفعك في شيء إلا رجعت إليّ مستأخراً بما^(٢) أكره، أشرت عليك عند وفاة رسول الله - صلى الله عليه - أن تسأله فيمن هذا الأمر، فأبيت، ثم أشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر، فأبيت، ثم أشرت عليك حين سَمَاكَ عمر في الشورى ألا تدخل معهم، فأبيت. احفظ عني واحدة: كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به غيرنا، وأيم الله، لا نناله إلا بشر لا ينفع معه خير.»

فأجابه عليّ بما سَمِعَ بعضه ولم يسمع بعضه، وتمثل بأبيات^(٣). والتفت، فرأى أبا طلحة، فكره مكانه. فقال أبو طلحة:

١. «فقال له عليّ... فإن رضى رجلان رجلاً»: سقطت من مط.

٢. في الأصل: لما. والتصحيح من الطبرى.

٣. في الطبرى (٥: ٢٧٨١):

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ عشيةً	غدونَ خفافاً فابتدرنَ المسحَبَا
ليختلنَ رهطُ ابنِ يعمرَ مارناً	نجيماً بنو الشداخِ ورداً مُصلبَا

- «لم تُرْعَ»^(١) أبا الحسن.

وكان خلع عبدالرحمان نفسه، ورضوا أن يكون هو الذى يختار للمسلمين، [463] وقد كان جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والقوم فى البيت يتشاورون، فجلسا بالباب فحصبهما^(٢) سعد وأقامهما.

ولما كان اليوم الرابع صعد عبدالرحمان المنبر فى الموضع الذى كان يجلس فيه رسول الله - صلى الله عليه - ثم قال:

«أيها الناس، إني قد سألتكم سرّاً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد الرجلين: إما عليّ وإما عثمان. فقم إليّ يا عليّ!»

فوقف تحت المنبر، وأخذ عبدالرحمان بيده، فقال:

- «هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبى بكر؟»

قال: «اللّهم لا، ولكن على جهدى وطاقتى.»

قال:

فأرسل يده، ثم نادى: «قم يا عثمان!»

فأخذ بيده وهو فى موقف عليّ الذى كان فيه، فقال:

- «هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيّه وفعل أبى بكر؟»

قال: «اللّهم نعم.»

فرفع رأسه إلى سقيف المسجد ويده فى يد عثمان، ثم قال:

- «اللّهم اسمع واشهد، اللّهم اسمع واشهد: إني جعلت ما فى رقبتي من ذاك فى

رقبة عثمان.»

فازدحم الناس يبائعون عثمان، وكان عبدالرحمان [464] قعد مقعد النبيّ -

صلى الله عليه - من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية.

١. الأصل والطبرى: لم ترع. فى الأصول الأخرى: لن ترع، لن ترع.

٢. حصبهما: رماهما بالحصباء.

قال:

وجعل الناس يبائعونه، وتلكأ عليّ، فقال عبدالرحمان: ﴿وَمَنْ^(١) نَكَثَ، فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.
فرجع عليّ يشقّ الناس حتّى بايع عثمان وهو يقول:
«خدعة وأيّما خدعة».

ذكر هذه الخدعة

كان سبب قول عليّ: «خدعة» أن عمرو بن العاص كان لقي عليّاً في ليالى الشورى فقال:

«إِنِّي أَحْبَبْتُ وَأُرِيدُ نَصْحَكَ: إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَجُلٌ مُجْتَهِدٌ، وَمَتْنِي أُعْطِيَتْهُ الْعَزِيمَةُ كَانَ أَزْهَدَ لَهُ فِيكَ، فَلَا تَظْهَرُ كُلُّ الرِّغْبَةِ، وَلَا تَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا الْجُحْدَ وَالطَّاقَةَ، وَلَا تَضْمَنُ لَهُ كُلَّ مَا يَسْأَلُكَ وَأَوْمِرُ إِلَى التَّوَاضُعِ»^(٢)
ثمّ أتى عثمان، فقال له:

«إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَيْسَ وَاللَّهِ يَبَايِعُكَ إِلَّا بِالْعَزِيمَةِ، فَاقْبَلْ مَا يَعْطِيكَ، وَأَعْطِهِ مَا يَسْأَلُكَ».

فلذلك قال عليّ: «خدعة».

وقد قيل: إِنَّ عَلِيّاً قَالَ ذَلِكَ لِأَجْلِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ اقْتِرَانِ عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ.
قال: ثمّ انصرف عثمان [465] إلى بيت فاطمة بنت قيس، والناس معه، فقام المغيرة بن شعبه خطيباً، فقال:

«يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَكَ. مَا كَانَ لَنَا غَيْرُ عُثْمَانَ - وَعَلِيٍّ جَالِسٍ.

فقال عبدالرحمان:

١. في الأصل، مط، والطبرى: ومن نكث. وفي التنزيل، فمن نكث... (س ٤٨ الفتح: ١٠).

٢. لم نجد الرواية في الطبرى.

- «يابن الدبّاغ، ما أنت وذاك، والله ما كنت أباع أحداً من هؤلاء إلا قلت فيه هذه المقالة».

وكان أول ما كتبه عثمان إلى أمراء الأجناد في الفروج:
«أما بعد، فأنكم حماة المسلمين، وذادتهم، وقد وضع عنكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملأ منا، فلا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل، فيغيّر الله ما بكم، ويستبدل بكم غيركم».

وكتب إلى عمّال الخراج كتاباً يحضّهم فيه على العدل، وكتاباً إلى العامة يأمرهم فيه بالطاعة والافتداء وترك الإبتداع.

مقتل يزدجرد وما تمّ عليه من الاتفاقات الطريفة

إنّ يزدجرد لما وقع إلى أرض فارس بقي سنين. ثم أتى كرمان، فأقام بها مثل ذلك. فطلب إليه دهقان كرمان شيئاً، فلم يجبه إليه، فطرده عن [466] بلاده. ثم أجمع أن ينزل خراسان، فأتى سجستان، فأقام بها، ثم سار إلى مرو، ومعه الرهن من أولاد الدهاقين، ومعه من رؤسائهم فرّخزاد.

فلما قدم مرو، واستغاث منها الملوك، وكتب إليهم يستمدّهم مثل صاحب الصين، وملك فرغانة، وملك كابل، وملك الخزر، كان الدهقان بمرو ماهويه، وكان له ابن يسمّى نزار، فوكل ماهويه ابنه نزار^(١) بمدينة مرو، وتقدّم إليه وإلى أهل المدينة ألا يفتحوا الباب ليزدجرد، وقال لهم:

- «ليس هذا لكم بملك لأنّه قد سلّم بلاده وجاءكم مفلولاً مجروحاً، ومرو لا تحتمل ما تحتمل غيرها من الكور. فإذا جئتمكم غداً فلا تفتحوا الباب».

فلما أتاهم فعلوا ذلك.

١. الأصل هنا: من دون نقط وفي المواضع الأخرى: نزار. مط: بزاز. وفي الطبري (١: ٢٨٧٦) وابن الأثير

(٣- ١٢١- ١٢٣): بزاز - ولعله هو الصحيح - وفي حواشيها: نزار، بران، بزاز.

وانصرف [فرخزاد]^(١)، فجثا بين يدي يزدجرد وقال:

«استصعبت عليك مرو، وهذه العرب قد أتتك.»

قال: «فما الرأي؟»

قال: «أن تلحق ببلاد الترك، فتقيم بها، حتى يتبين لنا أمر العرب، فإنهم

لا يدعون بلدة إلا دخلوها.»

قال: «لست أفعل، ولكن أرجع عودي على بدئي.»

فعصاه ولم يقبل رأيه. فسار يزدجرد، [وأتى نزار دهقان مرو]^(٢)، وأجمع على

صرف الدهقنة عن [467] ابنه نزار إلى سنجان^(٣) ابن أخيه.

فبلغ ذلك ماهويه وهو أبو نزار وعمل في هلاك يزدجرد، وكسب إلى نيزك

طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه مفلولاً، ودعاه إلى القدوم عليه، ليكون

أيديهما معاً في أخذه والاستيثاق منه، فيقتلوه، ويصالحوا عليه العرب، وجعل له

في كل يوم ألف درهم، وسأله أن يكتب إلى يزدجرد مما كراً له لينحى عامّة جنده،

ويحصل في طائفة من خواصّه، فيكون أضعف لركنه وأهون لشوكته، وقال:

«تعلمه في كتابك إليه الذي عزمت عليه في مناصحته ومعوثته على العرب:

أن يشتقّ لك اسماً من أهل الدرجات بكتاب مختوم بالذهب، وتعلمه أنك لست

قادماً عليه حتى تنحى عنه فرخزاد.»

فكتب نيزك بذلك إلى يزدجرد، فلمّا ورد عليه كتابه بعث إلى عظماء مرو،

فاستشارهم.

فقال له سنجان: «لست أرى أن تنحى عنك أصحابك ولا فرخزاد لشيء.»

١. في الأصل ومط: خرزاد، حرزاد، وما أثبتناه يؤيده السياق والطبري (١: ٢٨٧٧).

٢. التكملة من الطبري.

٣. الطبري: سنجان، سنجان (٥: ٢٨٧٧). وهو قريب إلى الصحة. وفي موضعين من الأصل: سنجان، وفي سائر المواضع: سنجان فوحدنا الضبط.

وقال نزار: «بل أرى أن تبايعه^(١) يعني نيزك - وتجييه إلى ما سأل». فقبل رأيه، وفرّق عنه جنوده، وأمر [468] فرّخزاد [أن يأتي]^(٢) لأجمة سرخس، فصاح فرّخزاد، وشق جييه وتناول عموداً بين يديه يريد ضرب نزار به، وقال:

«يا قتلة الملوك، قتلتم ملكين، وأظنكم قاتلي».

هذا، ولم يبرح فرّخزاد. حتى كتب له يزدجرد كتاباً بخط يده، نسخته: «هذا كتاب لفرّخزاد: إنك قد أسلمت يزدجرد وأهله وولده وحاشيته وما معه،

إلى ماهويه دهقان مرو».

وأشهد عليه بذلك.

فأقبل نيزك إلى موضع من مرو يقال له حلبندان^(٣). فلما أجمع يزدجرد على لقائه والمسير إليه، أشار عليه أبو نزار ألا يلقاه في السلاح فيرتاب به وينفر عنه، ولكن يلقاه بالملاهي والمزامير. ففعل، وسار إليه كذلك، وتقاعس عنه أبو نزار، وكرّس نيزك أصحابه كراديس.

فلما تدانيا استقبله نيزك ماشياً ويزدجرد على فرس له. فأمر لنيزك بجنيبة من جنائبه، فركبها، فتوسط عسكره، فتواقفا.

فقال له نيزك في ما يقول: «زوّجني إحدى بناتك لأناصحك وأقاتل معك عدوك».

فقال له يزدجرد: «علّي تجترئ يا كلب!»

فعلاه نيزك بمخففته. وصاح يزدجرد: [469]

«غدر الغادر».

١. كذا في مط: «أن تبايعه»، وفي الأصل طموس.

٢. كذا في مط: «أن تأتي»، وفي الأصل طموس.

٣. مط: خلّسدان. والأصل مهمل إلا في النون، وكذلك الطبري (٥: ٢٨٩٧) وفي حواشيه. حلبندان.

وركض منهزماً، ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم، فأكثروا القتل.

يزدجرد والطحان

وانتهى يزدجرد في هزيمته إلى مكان من أرض مرو، فنزل عن فرسه، ودخل بيت طحان، مكث فيه ثلاثة أيام.

فقال له الطحان: «أيها الشقي، اخرج فاطعم شيئاً فإنك جائع منذ ثلاث.» قال: «لست أصل إلى ذلك إلا بزمزمة.»

وكان رجل من زمامة مرو قريباً منه، فأتاه الطحان، وسأله أن يزمزم^(١) عليه ليأكل. ففعل ذلك. فلما انصرف إلى مرو سمع أبا نزار يذكر يزدجرد ويطلبه، فأتاه، فسأله وأصحابه عن حليته، فوصفوه. فأخبرهم أنه رءاه في بيت طحان وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا مقرط مسور.

فوجه إليه رجلاً من الأساورة، وأمره أن يخنقه بوتر ويطرحه في نهر مرو. فلقوا الطحان، فضربوه ليدلّ عليه، فلم يفعل وجحدهم أن يعرف أين يتوجّه. فلما أرادوا الانصراف عنه، قال رجل منهم:

«إني أجد ريح المسك فلو تتبّعته.»

فنظر إلى طرف ثوب من ديباج في الماء، فاجتذبه إليه، فإذا هو يزدجرد، فسأله ألا يقتله ولا يدلّ عليه: [470] ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته.

فقال: «أعطني أربعة دراهم^(٢) وأخلى عنك.»

قال: «ويحك! خاتمي لك وثمنه لا يحصى!»

فأبى عليه.

١. زمزم المغنى: ترنم. زمزم العلوج: تراطنوا عند الأكل وهم لا يستعملون اللسان ولا الشفة في كلامهم لكنه صوت يديره في خياشيمهم وحلقهم فيفهم بعضهم عن بعض.

٢. وفي الأصل أربعة درهم.

قال يزدجرد: «قد كنتُ أخبرتُ أني سأحتاج إلى أربعة دراهم، وأُضطرُّ إلى أن يكون أكلِي أكل الهرِّ، فقد عانيتُه.»

ثم انتزع أحد قرطيه، وأعطاه الطحَّان مكافأةً لكتمانه عليه، ودنا منه كأنه يكلمه بشيء، فأنذر الرجل أصحابه، وأتوه، فطلب إليهم يزدجرد ألا يقتلوه، وخوفهم ما عليهم من دينهم من ذاك^(١). وقال:

«آتوني الدهقان أو سرَّحوني إلى العرب، فإنهم يستحيون مثلي من الملوك.»

فأخذوا ما كان عليه من الحلَّى، فجعلوه في جراب، وختموا عليه، ثم خنقوه بوتر، وطرحوه في نهر مرو، فجرى به الماء حتَّى انتهى إلى فوهة الدريق^(٢)، فتعلَّق بعود، فأخذ من هناك. ثم تفقَّد أبو نزار أحد قرطيه، فأخذ الذي دلَّ عليه، فضربه حتَّى أتى على نفسه، وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ، فأغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود.

رواية أخرى في ذلك

وقد حُكي في رواية أخرى: أن نزار وسنجان كانا متباغضين [471] متحاسدين، وخصَّ به نزارَ فحسده سنجان، فظهر ذلك لنزار، فجعل يوغر صدر يزدجرد ويسعى في قتله، ولم يزل يُغري يزدجرد بسنجان حتَّى عزم على قتله، وأفشى ما كان عليه عزم من ذلك إلى امرأة من نسائه كان نزار واطأها. فأرسلت إلى نزار^(٣) تبشِّر بإجماع يزدجرد على قتل سنجان، وفشا الحديث وبلغ سنجان. فجمع جموعاً وتوجَّه نحو القصر الذي فيه يزدجرد، وبلغ ذلك نزار، فنكص عن سنجان لكثرة جمعه، وأرعب ذلك يزدجرد. فخرج ذاهباً على وجهه راجلاً ينجو

١. أنظر الطبري (٥ : ٢٨٨١).

٢. مط: الدريو. وفي الطبري: الرزيق، وفي حواشيه: الزريق (٥ : ٢٨٨١).

٣. الأصل: نزاراً، فمتعناه من الصرف. كما في سائر المواطن من الأصل.

بنفسه، فمشى نحواً من فرسخين حتى وقع إلى رحي من ماء، فدخل بيت الرحي، فجلس فيه كالاً لغياً، فرآه صاحب الرحي ذا هيثة، وطرة، وبزة كريمة. ففرش له وأتاه بطعام. فطعم ومكث عنده يوماً وليلة. فسأله صاحب الرحي أن يأمر له بشيء، فبذل له منطقته، وكانت مكللة بجوهر. فأبى صاحب الرحي أن يقبلها وقال:

«إنما يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم آكل بها وأشرب».

فأخبره ألا ورق معه، فتملقه صاحب الرحي حتى إذا [472] أغفى، قام إليه بفأس، فضرب بها هامته، فقتله، وأخذ ما كان عليه من ثياب وحلى، وألقى جيفته في النهر وبقر بطنه، فأدخل فيه من أصول طرفاء كانت نابتة على النهر ليحبس^(١) جثته في الموضع الذي ألقاها فيه، فلا ينتقل^(٢) فيعرف ويطلب وما أخذ من سلبه، وهرب على وجهه.

وبلغ قتل يزدجرد رجلاً من الأهواز كان مطراناً على مرو يقال له: إيليا، فجمع من كان قبله من النصارى، وقال:

«إن ملك الفرس قتل وهو ابن شهريار بن كسرى وإنما شهريار ولد شیرين المؤمنة التي عرفتم حقها وإحسانها إلى أهل ملتها وكانت بنت قيصر. ثم لهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى في ملك جدّه من الشرف، حتى بنى لهم البيع، وشدّ^(٣) ملتهم، فيبغى أن تجزى هذا الملك بقدر طاقتنا من الكرامة، وقد رأيت أن أبني له ناووساً وأحمل جثته في كرامة، حتى أجعلها فيه». فقال النصارى: «أمرنا لأمرك تبع».

فأمر المطران، فبنى له في جوف بستانه بمرو ناووس، ومضى بنفسه ومعه نصارى [473] مرو حتى استخرج جثة يزدجرد، وكفنها في تابوت، وحمله ومن

١. مط: فحبس.

٢. الطبري: فلا يفل (٥: ٢٨٨٣).

٣. الطبري: سدّد (٥: ٢٨٨٣).

كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناوروس، وواروه فيه، وردموا بابه.

وقيل: بل حمله إلى إصطخر فوضع في الناوروس هناك. وذلك في سنة إحدى وثلاثين للهجرة.

وكان مُلك يزدجرد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه، ومحنته بهم، وغلظتهم عليه. وكان آخر ملك ملك من آل أردشير بن بابك، وصفا المُلك بعده للعرب.

ما جرى في خلافة عثمان مما تستفاد منه تجربة

وقد كنّا ذكرنا ما يجب ذكره من خلافة عثمان - رضى الله عنه - وما تمّ منه على الوجه الذى اقتصصناه.

ثم جرى بعد ذلك مما تستفاد منه تجربة أنّ قوماً من المسلمين أنكروا منه أشياء، فكانوا يتذكرونها بينهم، وذلك بالعراق خاصّة وبالمدينة دون غيرها. ثم انتشر منهم طائفة في سائر الأعمال ينعون^(١) على عثمان أموراً ويشتّعون عليه. فسير عثمان منهم نفرًا إلى الشام ليذلّهم بمعاوية، وجرى لهم معه خطب طويل. ثم تكاتبوا [474] بعد ذلك، وجميع ذلك شبيهه بالسّر^(٢).

إلى أن شرب الوليد بن عتبة، وهو وال على الكوفة خمرًا وشهد عليه به من لم يمكن ردّ شهادته، فاستقدمه عثمان المدينة وجلده الحدّ، وردّ مكانه سعيد بن العاص، فورد سعيد، وأمر بغسل المنبر من مقامه، فكلّمه في ذلك قوم من قريش، فأبى عليهم، وغسل الموضع ودارى الناس، فلم يتمّ له ما أراد، وشغّب عليه الناس.

١. النعى على الرجل: إظهار عيبه وتشهيره. ٢. مط: بالستر.

ثم أجمع رأى الناس على أن يبعثوا إلى عثمان رجلاً يكلمه ويخبره بأحداثه. فأرسلوا إليه عامر بن عبد القيس التيمي، وكان يعدّ من النّسّاك. فأتاه فدخل عليه فقال:

«إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا ونظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً عظيماً، فاتق الله، وتب إليه، وانزع عنها.»

فقال عثمان: «انظروا إلى هذا، فإنّ الناس يزعمون أنه قارىء، ثم يجئ فيكلمنى في المحقّرات^(١) ويزعم أنها عظائم، فوالله ما يدرى أين الله.»

قال عامر: «أنا لا أدرى أين الله؟»

قال: «نعم، والله لا تدرى أين الله.»

قال عامر: «بلى والله، إنى لأدرى أن الله لك بالمرصاد.»

فأرسل عثمان إلى معاوية [475] بن أبي سفيان، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عمرو بن العاص وأمثالهم، فجمعهم يشاورهم ويخبرهم بما بلغ منه. فلما اجتمعوا عنده قال:

«إنّ لكل امرئ وزراء نصحاء، وإنّكم وزرائى ونصحائى وأهل تقى، وقد

صنع الناس ما رأيتم، وطلبوا إلى أن أعزل عمّالى وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون. فاجتهدوا لى رأيكم ثم أشيروا علىّ.»

فقال عبد الله بن عامر: *تاريخ علوم رضى*

«رأيت لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمّهم فى

المغازى حتى يذلّوا لك، فلا تكون همّة أحدهم إلّا نفسه، وما هو فيه من دبر دابّته وقمل فروته.»

ثم أقبل على سعيد بن العاص فقال: «ما رأيك؟»

١. انظر ابن الأثير ٣: ١٤٨، والطبرى ٦: ٢٩٣١.

قال: «يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد رأينا فاحسم عنا الداء، واقطع ما تخاف من الأصل، واعمل برأى.»

قال: «وما هو؟»

قال: «إن لكل قوم قادة متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر.»

فقال عثمان: «إن هذا الرأي لولا ما فيه.»

ثم أقبل على معاوية، فقال: «ما رأيك؟»

قال: «رأى يا أمير المؤمنين أن ترد عمالك على [476] الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لما قبلي.»

ثم أقبل على عبدالله بن سعد، فقال: «ما رأيك؟»

قال: «يا أمير المؤمنين، الناس أهل طمع، فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.»

ثم أقبل على عمرو بن العاص، فقال: «ما رأيك؟»

قال: «أرى أنك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتزل، فإنك قد وليت الناس بنى أمية وحملتهم على أرقابهم، فاعتزل، فإن أبيت فامض قدماً.»

فقال له عثمان: «مالك، قمل فروعك مذ عزلتك، أهذا الجذ منك؟»

فسكت عنه عمرو حتى إذا تفرق القوم قال عمرو:

«لا والله يا أمير المؤمنين، لآنت أعز علي من ذلك، ولكن قد علمت أن الناس قد علموا أنك جمعتنا لتستشيرنا، وسيبلغهم قول كل رجل منا. فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا^(١) بى لأقود إليك خيراً، وأدفع عنك شراً.»

فرد عثمان عماله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجميم^(٢) الناس فى البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه.

١. مط: فيثقونى.

٢. كذا فى الطبرى: بتجميم الناس (٦: ٢٩٣٤) مط: بتجهيز الناس وكذلك ابن الأثير: بتجهيز الناس (٣:

ورد سعيد بن العاص أميراً على الكوفة.

أهل الكوفة يردون سعيد بن العاص

فخرج أهل الكوفة [477] عليهم السلاح يقدمهم مالك بن الحارث الأشتر، فتلقوه وردوه وقالوا:

«لا، والله، لا تلي^(١) علينا حُكماً، ولا تدخلها علينا ما حملنا سيوفنا.»

فرجع سعيد وقال للناس:

«أما اختلفتم إلّا لي؟ إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلاً

وتضعوا لي رجلاً، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل؟»

ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره الخبر.

فقال عثمان: «ما يريدون، أخلعوا يداً^(٢) عن الطاعة؟»

قال: «أظهروا أنهم يريدون البذل.»

قال: «فمن يريدون؟»

قال: «أبا موسى.»

قال: «أثبتنا أبا موسى عليهم، والله لا نجعل لأحد منهم عذراً، ولا نترك لهم

حجة، ولنصيرن كما أمرنا حتى يبلغ الله ما يريد.»

وكان يزيد بن قيس لما استغوى^(٣) الناس على سعيد بن العاص، خرج منه

ذكر قبيح^(٤) لعثمان. فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه.

→ (١٥٠). والأصل غير واضح.

١. مط: إن تلي. وفي الطبري: لا يلي... ولا يدخلها (٦: ٢٩٣٤).

٢. مط: ما تريدون اخلعوا أيداً!

٣. كذا في الأصل ومط. استغوى: أضلّ، وفي الطبري: استغوى: استغاث، نعق بهم إلى الفتنة.

٤. في مط: ذكر فتح لعثمان. وقد جعل عنواناً وبحرف أحمر. الطبري: ذكر لعثمان، بدون «قبيح» (٦:

٢٩٣٥).

فقال: «ما تريد يا قعقاع، ألك علينا في أن نستعفى سبيل؟»

قال: «وهل إلا ذاك؟» قال: «لا.»

وإنما قال ذلك لما لم يتم له جميع ما يريد - فقال له [478] القعقاع:

- «فأمسك عن الكلام واستعف كيف شئت.»

كثر الناس على عثمان وكلموا علياً فيه

فلما كانت سنة أربع وثلاثين كتب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه - بعضهم إلى بعض أن: «أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد.» وكثر الناس على عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون، ليس منهم أحد يذب ولا ينهى.

فاجتمع الناس فكلموا علي بن أبي طالب، عليه السلام. فدخل علي على عثمان فقال:

- «إن الناس ورائي، وقد كلموني فيك، ووالله ما أدري ما أقول لك،

وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما

نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغه

وما يخصنا بأمر دونك» قد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله -

صلى الله عليه - ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق

منك، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك وأنت أقرب إلى

رسول الله، صلى الله عليه، رحماً. فالله الله في نفسك. فإنك والله ما

تبصر من عمي ولا تعلم من جهل، [479] وإن الطريق لواضح بين،

وإن أعلام الدين لقائمة. تعلم يا عثمان، أن أفضل عباد الله عند الله

إمام عادل هدى وهدي، واستقام وأقام سنة معلومة، وأما بدعة

معلومة. فوالله إنَّ كلاً لبين، وإنَّ السنن لقائمة لها أعلام، وإنَّ البدعة لقائمة لها أعلام. وإنِّي أحذرك الله وسطوته ونقماته، وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمة الذي سمعنا به، فإنه كان يقال: ^(١) يقتل في هذه الأمة إمام يُفتح ^(٢) به عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس عليهم أمورهم، ويتركهم شيعاً لا يبصرون الحق لعلو الباطل، يمجون فيها موجاً.»

قال عثمان: «قد والله علمت أنك تقول [الذي قالوه] ^(٣) أما والله لو كنت بمكاني ما عثفتك، ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، وإنِّي ما جئت منكراً ^(٤) إن وصلت رحماً، وسددت خلّة، وأويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان يولي عمر. أنشدك الله يا عليّ، هل تعلم أن مغيرة بن شعبة ليس هناك؟

قال: «نعم.»

قال: «فتعلم أن عمر ولّاه.»

قال: «نعم.»

قال: «فلِمَ تلومني أن [480] ولّيت عبدالله بن عامر في رحمه وقرابته؟» قال عليّ: «سأخبرك. إنَّ عمر كان كلّ من ولّى قائماً يظاً على صماخه، إن بلغه حرف خلعه ^(٥)، ثم بلغ أقصى الغاية، وأنت لا تفعل. ضعفت ورققت على أقربائك.»

١. مط: بدون «يقال».

٢. مط: يفتح الله به. انظر الطبري ٦: ٢٩٣٨. والكامل ٣: ١٥١.

٣. الذي قالوه: غير واضحة في الأصل فصحبناها بمقتضى السياق وما في الطبري. في مط: الذي قلت.

٤. إنّي ما جئت منكراً: العبارة غير واضحة في الأصل، فقرأناها في ضوء ما في مط والطبري.

٥. الطبري: جليه، (٥: ٢٩٣٩).

قال عثمان: «هم أقرباؤك أيضاً.»

قال عليّ: «أجل. لعمرى إنّ رحمهم منى لقريبة، ولكن الفضل في غيرهم.»

قال: هل تعلم أنّ عمر ولي معاوية خلافته كلها، فقد وليته.»

قال عليّ: «أنشدك الله، هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف من عمر، من يرفأ غلام

عمر، منه؟»

قال: «نعم.»

قال عليّ: «فإنّ معاوية يقطع الأمر^(١) دونك، وأنت تعلم؛ فيقول للناس: هذا

أمر عثمان، فيبلغك، فلا تغير على معاوية.»

ثمّ خرج عليّ من عنده وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فقال:

أما بعد، فإنّ لكلّ شيء آفة ولكل أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأمة

وعاهة هذه النعمة عيّابون طعانون يرونكم ما تحبون ويُسرون ما

تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق،

أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون [481] إلّا تبرّضاً^(٢) ولا

يردون إلّا عكراً، لا يقوم لهم رائد، قد أعيتهم الأمور، وتعدّرت

عليهم المكاسب، ألا والله عبتم عليّ بما أقررتم لابن الخطّاب

بمثله، ولكنّه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم

له على ما أحببتهم أو كرهتم، ولنت لكم، ووطأت لكم كنفى، وكففت

يدى ولسانى، فاجترأتم عليّ. أما والله، لأنّا أعزّ نفراً، وأقرب ناصراً،

وأكثر عدداً وأقمن. إن قلت: هلمّ، أتى إليّ،^(٣) ولقد أعددت لكم

١. الطبرى: يقتطع الأمور.

٢. وفي الطبرى: نفصاً، بعضاً. تبرّض الماء: ترشّفه. نفصه: حرّكه.

٣. الأصل: هلمّ إليّ، إليّ. مط: هل إليّ إليّ! وما أثبتناه يؤيده الطبرى (٦: ٢٩٤٠)، وكذلك ابن الأثير (٣):

أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم [منى] ^(١) خُلُقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به. فكفّوا عليكم ^(٢) ألسنتكم وطعنكم وعيبيكم على ولاتكم. فقد كفت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيت منه بدون منطقي هذا. ألا، فما تفقدون من حقكم. والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من قبلي، ومن لم تكونوا تختلفون عليه، فضل فضل من مال، فمالي لا أصنع في الفضل ما أريد، فلم كنت إماماً؟»

فقام مروان بن الحكم فتكلّم، فقال عثمان:
 - «اسكت لا سكت» ^(٣)، [482] دعني وأصحابي، ما منطقتك في هذا، ألم أتقدم إليك ألا تنطق بحرف؟»
 فسكت مروان ونزل عثمان.

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

فيها كان ظهور السبائية ^(٤) وخروج أهل مصر إلى المدينة لقتل عثمان وكان سبب ذلك أن عبد الله بن سبا كان يهودياً من أهل صنعاء، وأمّه سوداء. فأسلم أيام عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول بدعة. فبدأ بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم بالشام. فلم يجتمع له أمر على ما يريد، فمضى نحو مصر.

→ (١٥٢). ١. التكملة من الطبري (٦: ٢٩٤٠).

٢. في الأصل والطبري (٦: ٢٩٤٠): عليكم. وفي حواشي الطبري: عني.

٣. في الطبري: لا سكت، لا أسكت (٦: ٢٩٤١).

٤. أنظر الطبري (٦: ٢٩٤١). وابن الأثير (٣: ١٥٤).

فلما أتاهما، قال لأهلها في ما يقول:

«أنا أعجب ممن يصدق بأن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً لا يرجع، وقد قال الله: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد.»^(١) فمحمداً أحق بالرجوع.» فوضع لهم الرجعة.

ثم قال: «ما من نبي إلا وله وصي، وعلي وصي محمد.

ثم قال: «من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله - صلى الله عليه - ووثب على حق ليس له، وتناول [أمر]^(٢) الأمة؟»

ثم قال: «هذا عثمان قد غصب علياً، وغير وبدل، وكان وكان، فانهضوا [483] في الأمر، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واطعنوا على أمرائكم تجدوا مقالاً، وادعوا إلى هذا الأمر.»

وبث دعاة في الأمصار، وكاتب من استفسده في الأمصار وكاتبوه. ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف، وتكاتب أهل الأمصار، حتى أوسعوا الأرض إذاعة، وتناولوا المدينة.

فدخل قوم على عثمان، فقالوا:

«يا أمير المؤمنين، أيا تيك ما يأتينا؟»

قال: «لا، ما جاءني إلا السلامة.»

قالوا: «فإننا قد أتانا كيت وكيت.»

قال: «فأشيروا علي.»

قالوا: «نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم.»

فدعا جماعة من وجوه الصحابة فيهم عمار بن ياسر، فأرسل أحدهم إلى

الكوفة، وأرسل آخر إلى البصرة، وأرسل عماراً إلى مصر، وأرسل ابن عمر إلى الشام، وفرّق الباقيين في البلاد. فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا: «أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين، ولا عوامهم، والناس ساكتون [484] قارون.»

فاستبطن الناس عماراً، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبدالله بن أبي سرح يُخبرهم: أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم: عبدالله بن السوداء، وسودان بن حمران، وفلان وفلان. فكتب عثمان إلى أهل الأمصار:

«أما بعد، فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، فاقدموا عليّ.»
فقدم عليه عبدالله بن عامر، ومعاوية، وعبدالله بن سعد، وأدخل في المشورة سعداً وعمرأ. فقال:

«ويحكم! ما هذه الشكاة، وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يُعصب هذا إلا بي.»

فقالوا: «لا والله، ما صدقوا ولا برّوا، ولا يجلّ الأخذ بها، والإنتهاء إليها.»
قال: «فأشيروا عليّ.»

قالوا: «هذا أمر يصنع في السرّ، ثم يلقي إلى غير ذي المعرفة، فيخبر به، فيتحدّث به الناس في مجالسهم.»
قال: «فما دواء ذلك؟»

قالوا: «طلب هؤلاء القوم، ثم قتل الذين يخرج هذا من عندهم.»
وقال معاوية: «وليتني، فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير.»
قال: «فما الرأي؟»

قال: «حسن الأدب.»

قال: «فما ترى [485] يا عمرو؟»

قال: «أرى أنك قد لنت لهم، وأرخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تصنع كما كان يصنع عمر.»

فتكلم عثمان بكلام لئن ونقر، فشخص معاوية وعبدالله بن سعد، ورجع ابن عامر وسعيد معه، ورد سائر الأمراء إلى أعمالهم.

وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودّعه:

- «يا أمير المؤمنين، انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإن أهل الشام على الأمر، لم يزولوا.»

فقال: «أنا أبيع جوار رسول الله - صلى الله عليه - وإن كان فيه قطع خيط عنقي؟»

قال: «فأبعث إليك جنداً منهم يقيم بين ظهرائي أهل المدينة لنائبة إن نابت.»

قال: «أنا أقتر على جيران رسول الله - صلى الله عليه - الأرزاق بجند يساكنهم وأضيّق على دار الهجرة والنصرة!»

قال: «والله يا أمير المؤمنين لتقاتلن^(١)، ولتغزين.»

قال: «حسبي الله ونعم الوكيل.»

فقال معاوية: «يا أيسار الجزور، وأين أيسار الجزور!»

ثم خرج.

ثم إن السبائية كاتبوا أهل الأمصار أن يتوافوا المدينة لينظروا في ما يريدون، وأظهروا [486] أنهم يأمرّون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير^(٢) في الناس، ولتحقق عليه. فتوافوا المدينة، وأرسل عثمان رجلين فقال:

- «انظرا^(٣) ما يريدون، واعلما علمهم.»

فأتياهم وداخلاهم حتى أمّوهم، فأخبروهم بما يريدون، فقالا:

١. الطبري: لتقاتلن ولتغزين (٦: ٢٩٤٩).

٢. مط: لتطهر.

٣. وفي الأصل: انظروا.

- «من معكم من أهل المدينة؟»

قالوا: «ثلاثة نفر.»

قالا: «[فهل إلّا؟]»^(١)

قالوا: «لا.»

قالا: «فكيف تريدون أن تصنعوا؟»

قالوا: «نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنقول: إنا قرّرنا به. فلم يخرج منها ولم يتب^(٢)، ثم نخرج بعد ذلك كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنختلعه، فإن أبى قتلناه فكانت إياها.»

فرجعا إلى عثمان بالخبر، فضحك وقال:

- «اللهم سلّم هؤلاء النفر^(٣)، أما عمار فحمل على ذنب غيري وعركه^(٤) بي، وأما محمد بن أبي بكر، فإنه رجل معجب يرى أن الحقوق لا تلزمه، وأما ابن [سهله]^(٥) فإنه يتعرض للبلاء.»

ثم خطب عثمان، فجمع أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وخبرهم بما جاء به الرجلان، واعتذر مما تجنى الناس عليه، واستشارهم. فأشار قوم بقتلهم، ولان عثمان، فأبى أولئك إلّا قتلهم، وأبى إلّا تركهم. [487]

فرجعوا إلى بلادهم وفي ثيابهم أن يغزوه مع الحجاج كالحجاج. فتكاتبوا وقالوا: موعدهم في ضواحي المدينة في شوال. فلما كان ذلك الوقت اجتمعوا، فنزلوا قرب المدينة - وذلك سنة خمس وثلاثين - وعدّتهم ألفا رجل، ينقصون

١. الأصل غير واضح وما أثبتناه هو من الطبري (٦: ٢٩٥٠). مط: فهل قالوا لا، قال فكيف تريدون.

٢. كذا، وما أثبتناه يؤيده الطبري. مط: ولم يثبت.

٣. وزاد في الطبري نهائك إن لم تسلمهم شقوا (٦: ٢٩٥١).

٤. مط: وغدر بي. وفي الطبري: وأما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه (٦: ٢٩٥١).

٥. غير واضحة في الأصل. مط: سار. وفي بعض الأصول: ساره، وما أثبتناه من الطبري.

قليلاً أو يزيدون، من أهل البصرة والكوفة. وخرج أهل مصر ومعهم ابن السوداء، وكنانة بن بشر، وسودان بن حمران، وفي أهل الكوفة زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وفي أهل البصرة حكيم بن جبلة وبشر بن شريح وأميرهم حرقوص بن زهير، ثم تلاحق بهم الناس.

فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون علياً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير^(١). وكان خروجهم جميعاً، وقلوبهم شتى في من يختارون، ولا تشكّ فرقة إلا أنّ الفلج معها، حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث، تقدّم ناس من أهل البصرة، فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الكوفة، فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم [488] بذى المروة، وقالوا:

«لا تعجلوا ولا تُعجلونا! حتى ندخل المدينة ونرتاد، فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا. فوالله إن كان أهل المدينة استحلّوا قتالنا، وهم لم يعلموا علمنا^(٢) لهم إذا علموا علمنا أشدّ، وإنّ أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلّوا قتالنا، ووجدنا الذي بلغنا باطلاً لرجعنا إليكم بالخبر.»
قالوا: «فاذهبوا!»

فدخل رجلان، فلقيا أزواج النبي - صلى الله عليه - وطلحة، والزبير، وعلياً، وقالوا:
«إنما نؤمّ هذا البيت، ونستعفى هذا الوالي من بعض عمّالنا، ما جئنا إلا لذلك.»

[واستأذناهم]^(٣) للناس بالدخول، فكلّهم أبى ونهى^(٤).

١. أنظر الطبري (٦: ٢٩٥٥).

٢. مط: علمنا لهم. والطبري: علمنا فهم...

٣. في الأصل ومط: فاستأذنوهم. وما أثبتناه عن الطبري.

٤. وزاد في الطبري: وقال بيض ما يفرغن (٦: ٢٩٥٦).

فاجتمع قوم من أهل مصر، فأتوا عليّاً، ونفر من أهل البصرة، فأتوا طلحة، ونفر من أهل الكوفة، فأتوا الزبير.

فأما المصريون فأنهم لما أتوا عليّاً وجدوه في عسكر عند أحجار الزيت^(١)، فسلم المصريون على عليّ وعرضوا، فصاح بهم، وطردهم، وقال: «ارجعوا لا صحبتكم الله».

فانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى حيث [489] هو، وقد أرسل ابنه إلى عثمان. فسلم البصريون عليه، وعرضوا له، فصاح بهم وطردهم، وقال قريباً مما قال عليّ.

وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة وقد سرح ابنه عبدالله إلى عثمان، فسلموا عليه، وعرضوا له، فصاح بهم وقال مثل ما قال صاحبه.

فانصرف القوم إلى عساكرهم وهي على ثلاث مراحل كي يفرق أهل المدينة، ثم يكرّوا راجعين. فافترق أهل المدينة وكرّوا راجعين. فلم يفجأ أهل المدينة إلّا والتكبير في نواحي المدينة، فنزلوا في مواضع عساكرهم. وأحاطوا بعثمان وقالوا:

«من كفّ يده فهو آمن».

وصلّى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتهم، ولم يمنعوا أحداً من الكلام. فأتاهم الناس فكلّموهم وفيهم عليّ، فقال:

«ما ردّكم بعد ذهابكم؟»

قالوا: «أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا».

١. وزاد في الطبري: عليه حلّة أفواف معتم بشقيقة حمراء يمانية متقلّد السيف، ليس عليه قميص وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان وعليّ عند أحجار الزيت. فسلم عليه المصريون... (٦: ٢٩٥٧).

وأَتَاهُمْ طَلْعُهُ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَأَتَاهُمُ الزَّبِيرُ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَعْتَزَلَ عَثْمَانُ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَصَلِّي بِهِمْ، وَهُمْ يَصَلُّونَ خَلْفَهُ، وَيَغْشَى [490] عَثْمَانُ مِنْ شَاءَ وَهُمْ فِي عَيْنِهِ أَدَقُّ مِنَ التُّرَابِ.

وَكُتِبَ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْتَمِدُّهُمْ، وَيَشْكُو مَا يَلْقَى، بِكِتَابٍ^(١) بَلِيغٍ. فَأَتَاهُمُ الْكِتَابُ، وَخَرَجُوا عَلَى الصَّعْبِ وَالذُّلُولِ. فَبَعَثَ مُعَاوِيَةُ حَبِيبَ بْنِ مُسْلِمَةَ الْفَهْرِيَّ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَدِيدِجٍ السَّكُونِيَّ، وَخَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو.

وَكَانَ بِالْكُوفَةِ جَمَاعَةٌ يَحْضُرُونَ عَلَى إِغَاثَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَ حَسَنُظَّةَ بْنِ الرَّبِيعِ وَأَشْبَاهِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - فَكَانُوا يَطُوفُونَ عَلَى مَجَالِسِهَا وَيَقُولُونَ:

- «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْكَلَامَ الْيَوْمَ وَلَيْسَ بِهِ غَدًا، وَإِنَّ النَّظَرَ يَحْسُنُ الْيَوْمَ وَيَقْبَحُ غَدًا، انْهَضُوا إِلَى نَصْرَةِ خَلِيفَتِكُمْ».

وَقَامَ بِالْبَصْرَةِ عِمْرَانُ بْنُ الْحَصِينِ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ فِي أُمَثَالِهِمَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ وَقَامَ بِالشَّامِ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ فِي أُمَثَالِهِمَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - يَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ وَقَامَ بِمِصْرَ خَارِجَةٌ فِي أَشْبَاهِ لَهُ.

وَلَمَّا جَاءَتْ الْجَمْعَةُ الَّتِي [عَلَى]^(٢) أَثَرِ [نَزُولِ]^(٣) الْمَصْرِيِّينَ مَسْجِدَ الرَّسُولِ [491] خَرَجَ عَثْمَانُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ثُمَّ قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ:

- «اللَّهُ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْغَزَى^(٤)! فَاْمَحُوا الْخَطَأَ بِالصَّوَابِ».

١. أنظر الطبري (٦: ٢٩٥٨).

٢ و ٣. الكلمتان من الطبري (٦: ٢٩٦٠)، والعبارة في الأصل ومط: التي أثر فيها نزول المصريين.

٤. كذا في الأصل. وفي مط: الغزى. الطبري: العدى، العذى، الغزاء (٦: ٢٩٦٠). وفي الكامل: يا

هؤلاء (٣: ١٦١).

فقام محمد بن مسلمة فقال: «أنا أشهد بذلك.»
فأخذه حكيم بن جبلة، فأقعدده.

فقام زيد بن ثابت، فقال: «أبغنى^(١) الكتاب.»

فثار إليه محمد بن أبي بكر فنثره^(٢) وأقعدده وقال: «اقطع!»

وقام الناس بأجمعهم نائرين بأهل المدينة، فحصبوهم، حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه، فاحتل وأدخل داره.

وكان المصريون لا يطمعون في مساعدة أحد من أهل المدينة إلا في ثلاثة فإنهم كانوا يرأسلونهم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، وعمار بن ياسر. وسار ناس مستقتلين منهم: سعد بن مالك، والحسن^(٣) بن علي، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا؛ فأنصرفوا.

وأقبل عليٌّ وطلحة والزبير حتى دخلوا على عثمان يعودونه [492] من صرعته، ثم رجعوا إلى منازلهم. وكان الناس قبل ذلك وافقوه على أشياء وجد فيها اعتذاراً، وعلى أشياء لم يجد فيها مقالاً^(٤)، فقال:

«أستغفر الله وأتوب إليه.»

وأخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم. ثم قالوا: «نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاءً، فإنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد.»

١. الطبري: يغنى الكتاب.

٢. في الطبري: محمد بن أبي قنيرة فأقعدده وقال فأقطع وثار القوم. (نفس الصفحتين). نثره: جذبه بشدة.

٣. وفي بعض الأصول: الحسين بن علي (حواشي الطبري ١: ٢٩٦١).

٤. لم تكن العبارة واضحة تماماً في الأصل. انظر الطبري ٦: ٢٩٦٤.

فرضوا، وأقبلوا معه حتى خطب عثمان، وقال:
«ألا من كان له زرع فليحرق بزرعه، ومن كان له زرع فليحلب، ألا! إنه لا
مال لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب
محمد، صلى الله عليه.»
فغضب الناس وقالوا:
- «هذا مكر بني أمية.»

راكب له شأن

ورجع وفد المصريين راضين، فبيناهم في الطريق إذا هم براكب يستعرض،
فمرّة يرونها، ومرّة يغيب عنهم، فقالوا: «إن لهذا الرجل لشأناً.»
فأخذوه، وقرّروه، فقال: «أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر.»
ففتشوه فإذا هم بكتاب [493] على لسان عثمان، عليه خاتمه، إلى عامله
بمصر، قد جعل في إداوة [يابسة] ^(١) يأمر بأن يقتلهم، أو يقطع أيديهم وأرجلهم،
أو يصلبهم.

فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا عليّاً، فقالوا:
- «ألم تر إلى عدوّ الله! إنه كتب فينا بكذا وكذا، بعد الميثاق الذي بيننا وبينه،
وإن الله قد أحل لنا دمه، قم معنا إليه.»
قال: «والله لا أقوم معكم!»

قالوا: «فلِمَ كتبت إلينا؟»
قال: «والله ما كتبت إليكم كتاباً قط.»
فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قال بعضهم لبعض:

١. الكلمة غير واضحة في الأصل.

- «ألهذا تقاتلون؟ أم لهذا تغضبون؟»

فخرج عليٌّ من المدينة إلى قرية، وانطلق القوم حتى دخلوا على عثمان، فقالوا:

- «كتببت فينا بكذا وكذا».

فقال عثمان: «إنما هما ثنتان: إما أن تقيموا عليَّ رجلين من المسلمين، أو يميني بالله، الذي لا إله إلا هو، ما كتببت، ولا أملت، ولا علمت، وقد علمتم أن الكتاب يكتب على لسان الرجل، وينقش الخاتم على الخاتم».

فقالوا: «لئن كنت كاذباً في يمينك فقد أحلَّ الله دمك، ولئن كنت صادقاً لقد ضعفت عن الأمر، حين لا تضبط [494] من أمرك هذا المقدار».

وقد حاصروه، وقد ذكر الناس في هذه الروايات أشياء شناعة لم نذكرها. وقد كان عثمان لما أحسَّ بانصراف المصريين إليه من الطريق، أتى عليّاً في منزله، فقال:

- «يا ابن عمّ! إنه ليس منزل، وإنّ قرابتي قريبة، ولي حقّ عظيم عليك، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم، وهم مصبّحى، وأنا أعلم أنّ لك عند الناس قدراً، وأنهم يستمعون منك، فأنا أحبّ أن تركب إليهم، فتردّهم عني. فإنّي لا أحبّ أن يدخلوا عليّ، فإنّ تلك جرأة منهم عليّ، ويسمع بذلك غيرهم».

فقال عليٌّ: «عليّ م أردّهم؟»

قال: «عليّ أن أصير إلى ما أشرت به عليّ، ورأيتك لي، ولست أخرج من يدك».

فقال عليٌّ: «إنّي قد كنت كلمتك مرّة بعد مرّة، وكل ذلك تخرج فتتكلم وتقول وتقول، وذلك كلّ فعل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص وعبدالله بن عامر، ومعاوية، تطيعهم وتعصيني».

قال: وأمر الناس المهاجرين والأنصار، فركبوا معه، وأرسل عثمان إلى عمار

بن ياسر، فكلّمه أن يركب مع عليّ، فأبى. ومضى عليّ في [495] المهاجرين والأنصار، وهم ثلاثون رجلاً. فكلّمهم عليّ ومحمد بن مسلمة حتى رجعوا. فلما رجع عليّ إلى عثمان وأعلمه أنهم رجعوا، وكلّمه عليّ كلاماً كان في نفسه، وخرج إلى بيته، مكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءه مروان بن الحكم، فقال له:

«تكلم، وأعلم الناس أن أهل مصر علموا أنّ ما بلغهم عن إمامهم كان باطلاً، وقد رجعوا، فإنّ خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلّب^(١) الناس عليك من أمصارهم، فيأتيك أمر لا تستطيع دفعه.»

[فأبى]^(٢) عثمان، ولم يزل به مروان حتى خرج، فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، فإنّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمر، فلما تيقنوا أنه باطل رجعوا إلى بلادهم.»

فقال له عمرو بن العاص:

«إتق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهائير^(٣) وركبناها معك، فتبّ إلى الله نتبّ معك.»

فناداه عثمان: «وإنّك هناك يا ابن النابغة قعلت جبّتك منذ عزلتكَ عن العمل.»

فنودى من ناحية أخرى: «أظهر [496] التوبة يا عثمان يكفّ الناس عنك.»

ونودى من ناحية أخرى بمثل ذلك.

فرفع عثمان يده واستقبل القبلة، فقال:

«اللّهمّ إني أول تائب إليك.»

١. كذا في الطبري (٦: ٢٩٧٢). وفي مط: يجتلب.

٢. الأصل مطموس في هذه الكلمة، فأخذناها من مط.

٣. جمع مفردة نهبور ونهورة: المهلكة.

ورجع إلى منزله.

ثم إن علياً جاءه، فقال له:

- «تكلّم كلاماً يسمعه الناس عامّة ويشهد الله على ما فى قلبك من النزوع والإناية، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركباً آخر يقدمون من الكوفة أو البصرة، فتقول لى: اركب إليهم، فلا أركب، ولا أسمع لك عذراً، وترانى قد قطعت رحمك واستخففت بحقّك.»

فخرج عثمان، فخطب الخطبة المشهورة التى يقول فيها:

- «إنى نزعمت وتبت مما فعلت، إذ التوبة خير من التمادى فى الهلكة، والله أيها الناس، لئن ردّنى الحق عبداً، لأذلّن ذلّ العبد، ولأكوننّ كالمرقوق الذى إن ملك صبر، وإن عتق شكر. فليأتنى وجوهكم. فوالله لأنزلنّ عند رأيكم، ولأنتهينّ إلى حكمكم.»

فرقّ له الناس وبكى من بكى منهم، وعلت الأصوات بالنشيج.

فقال له سعيد بن زيد:

«إتق الله [497] يا أمير المؤمنين فى نفسك، وأتمم على ما قلت.»

فلما نزل عثمان وجد فى منزله مروان، وسعداً، ونفراً من بنى أميّة لم يشهدوا الخطبة.

قال مروان: «يا أمير المؤمنين، أتكلّم، أم أصمت؟»

فقال بعض أهله: «لا، بل اصمت، فأنتم والله قاتلوه، إنّه قال مقالة مشهورة لا

ينبغى أن ينزع عنها.»

فأقبل عليها^(١) مروان بكلام قبيح إلى أن سكّتها عثمان. ثم قال مروان:

«أتكلّم، أم أصمت؟»

١. فى الأصل ومط: عليه. فصحبناها بالطبرى.

قال: «بل تكلم».

فقال مروان: «بأبى وأمى، لوددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممتنع منيع، وكنت أول من رضى بها، وأعان عليها، ولكنك قلت حين بلغ الحزام الطبيين، وحين أعطى الخطة الغليظة^(١) الدليل، والله لإقامة على خطيئة تستغفر منها، أجمل من توبة تجبر عليها، وقد اجتمع بالباب مثل الجبل من الناس».

فقال عثمان: «فاخرج إليهم، فكلّمهم، فإني أستحي أن أكلّمهم».

فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال:

«ما شأنكم؟ [498] قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب، كل إنسان آخذ^(٢) بأذن

صاحبه، شاهت الوجوه، ألا، من أريد؟ جئتم أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟ اخرجوا عنا، أما والله لئن رتمونا لتلقون ما لا يسركم ارجعوا، فوالله ما نحن بمغلوبين على ما فى أيدينا».

فرجع الناس إلى عليّ يشكون إليه. فجاء عليّ مغضباً حتى دخل على عثمان، فقال:

«أما رضيت من مروان ولا رضى منك، إلا بإخراجك عن دينك وعقلك، مثل

جمل الظعينة، يقاد حيث شاء ربّه^(٣)؟. والله ما مروان بذى رأى فى دينه، ولا فى نفسه، وإني لأراه سيوردك ولا يصدرك، وما أنا بعائد بعد هذا لمعاتبتك، فقد أكثرت وأكثر، أذهب^(٤) شرفك وغلبت على أمرك».

فلما خرج عليّ دخل إليه بعض أهله فقال:

«إني سمعت قول عليّ لك، وإنه ليس يعاودك، فقد خالفته مراراً وأطعت مروان».

٢. كذا فى الطبرى (٦: ٢٩٧٥).

١. وفى الطبرى: الخطة الذليلة الدليل.

٣. فى الطبرى حيث يسار به (٦: ٢٩٧٦). مط: «حيث ساريت». والظعينة: اليهودج، أو المرأة التى فيه.

٤. فى الطبرى: أذهبت.

قال: «فما أصنع؟»

قال: «تتقى الله وحده وتطيعه يرشدك، فإن مروان ليس له [499] عند الناس قدر، ولا هيبة، ولا محبة، وأراه سيقتلك، فأرسل إلى عليّ واستصلحه، فإنه يعطف عليك ولا يعصى، وقوله مقبول.»

فأرسل عثمان إلى عليّ، فأبى أن يأتيه وقال:

«قد أعلمته أني غير عائد إليه.»

ومكث عثمان لا يخرج ثلاثة أيام حياءً من الناس. ثم ذهب عثمان بنفسه حتى أتى عليّاً في منزله ليلاً، وجعل يقول:

«إني غير عائد، وإني فاعل، وإني فاعل^(١)».

فقال له عليّ: «أبعدما تكلمت به عليّ منبر رسول الله - صلى الله عليه - وأعطيت من نفسك، وبكيت حتى اخضلت لحيتك بالدمع، وأبكيت الناس، ودخلت منزلك، وخرج مروان إلى الناس يشتمهم عليّ بابك، ويتلقاهم بما يكرهونه؟»

وانصرف من عند عليّ، ولم يزل عليّ متنكباً عنه، لا يفعل ما كان يفعل، إلا أنه لما منع الماء وحصر امتعض له وغضب غضباً شديداً، وكلم طلحة وغيره حتى دخلت الروايا إلى عثمان.

ولما رأى عثمان ما نزل به وما قد أبعث عليه من الناس كتب إلى معاوية، وهو بالشام. يسأله أن يبعث له مقاتلة الشام على كل صعب وذلول. [500] فلما جاء معاوية كتابه تربص، وكره إظهار مخالفة أصحاب النبي - صلى الله عليه - فلما أبطأ نصره علي عثمان كتب إلى أهل الشام يستنفرهم، ويعظم حقّه، ويذكر

١. التكرار من النص في «وإني فاعل». ويضيف الطبري هنا: وهو يقول: قطعت رحمي، وخذلتني، وجرأت الناس، فقلت: [والقائل عليّ] والله إنني لأذب الناس عنك، ولكني كلما جئتكم بهنة أظنها لك رضى جاء بأخرى، فسمعت قول مروان عليّ واستدخلت مروان (٦: ٢٩٧٩).

أمر الخلفاء، وما أمر الله به من طاعتهم ويقول:

- «والعجل، العجل، فإنَّ القوم معاجليّ».

فقام قوم يحضّضون على نصره، وانتدب خلق كثير.

وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر بالبصرة: أن اندب إلى أهل البصرة؛ وكتب

إلى أهل البصرة نسخة كتابه إلى الشام. فقامت الخطباء من أهل البصرة بحضرة

عبدالله بن عامر يحضّضون على نصر^(١) عثمان، وعلى المسير إليه، فيهم مجاشع بن

مسعود، وهو يومئذ سيّد قيس في البصرة. فتسارع الناس، وكان أشار مروان

على عثمان بمقاربة من حوله من أهل مصر وغيرهم حتى يقوى، وقال له:

- «أعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك، وأرسل إلى عليّ يكلمهم».

فراسل عليّاً وقال:

- «إنَّ الأمر بلغ القتل، فاردد الناس عني، فإن الله لهم أن أعتبهم من كلّ ما

يكرهون؛ وأعطيتهم الحقّ من نفسي وغيري، وإن كان في ذلك سفك دمي».

فراسله عليّ بأن:

- «الناس إلى عدلك! أحوج منهم [501] إلى قتلك، وإنّي لأرى قوماً لا

يرضون إلّا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في المرة الأولى من العهود ما نقضته، ولم

تف به لهم».

فقال عثمان: «أعطيتهم اليوم ما يحبّون، فوالله لأفين».

فخرج عليّ إلى الناس، فقال:

- «أيها الناس! إنكم إنما طلبتم الحقّ وقد أعطيتموه. إنَّ عثمان يزعم أنه

منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه».

قال الناس:

١. نصر: سقطت من مط.

«قد قبلنا، فاستوثق لنا، فإننا لا نرضى بقول دون فعل.»

فقال عليّ: «ذلك لكم.»

وأخبر عثمان الخبر، فقال عثمان: «إضرب بيني وبينهم أجلاً تكون لي فيه مهلة، فإنّي لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد.»

فقال عليّ: «ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب، فأجله وصول أمرك.»

قال: «نعم، ولكن أجلني في ما في المدينة ثلاثة أيام.»

فقال عليّ: «نعم.»

فخرج عليّ، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً على الأجل، شرط فيه أن يرّد كل مظلّمة، ويعزل كلّ عامل كرهه المسلمون، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد أو ميثاق، وأشهد ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار. [502] فكفّ المسلمون عنه، ورجوا أن يفي لهم بما أعطاهم.

يوم الدار

فجعل يتأهب للقتال، ويستعدّ بالسلاح، وكان اتّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس. فلمّا انقضت الأيام الثلاثة، وهو على حاله، لم يغيّر شيئاً مما كرهه، ولا عزل عاملاً ثار به الناس وهجموا. فدخلوا يومئذ وما سلّموا عليه بالخلافة، وقالوا:

«سلام عليكم.»

فقال من حضره: «عليكم السلام.»

فتكلّم الناس، وذكروا ما صنع عبدالله بن سعد بمصر من استيثاره بغنائم المسلمين، وتحامله عليهم وعلى أهل الذمة، فإذا قيل له في ذلك، قال:

«هذا كتاب أمير المؤمنين.»

ثم ذكروا ما أحدثه بالمدينة وأطالوا، وقالوا:

- «إنا رحلنا من مصر، لا نريد إلّا دمك أو تنزع الخلافة، فردّنا علىّ ومحمد بن مسلمة، وضمّنا له^(١) النزوع عن كل ما تكلمنا فيه.. (ثم أقبلوا على محمد وقالوا: «هل قلت^(٢) لنا ذلك؟» قال محمد: «نعم»).. فرجعنا إلى بلادنا حتى إذا كنّا بالبويب، أخذنا غلامك على راحلة من صدقات المسلمين ومعه كتابك وخاتمك إلى عبدالله بن سعد تأمره فينا بهجلد ظهورنا والمثلة بنا بالقطع والحبس الطويل، [503] وهذا كتابك، ثم فعلت وفعلت.»

فحمد الله عثمان وأثنى عليه وقال: «والله ما كتبْتُ ولا أمرْتُ ولا شوورتُ^(٣)».

قالوا: «فمن كتبه؟»

قال: «لا أدري.»

قالوا: «فيجترأ عليك، ويُبعت بغلامك، وجمل من صدقات المسلمين، ويُنقش^(٤) خاتمك، ويكتب إلى عاملك في إعلام المسلمين بهذه العظائم وأنت لا تعلم! ليس مثلك^(٥) من يلي الخلافة، إخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه.»

فأبى وقال: «لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله، ولكنّي أتوب من كلّ ما تكرهون.»

قالوا: «قد فعلت ذلك وكذبت، وقد وقعت عليك التهمة مع ما بلونا منك في مرات كثيرة، من الجور في الحكم والأثرة في القسم، والعقوبة لمن أمر بالمعروف، وإظهارك التوبة مرة بعد مرة، ثم رجوعك إلى كلّ منكر. ولقد كنّا رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعتك ونستبدل بك من نرضاه، ومن لم نجرب عليه ما جربناه عليك، فاردد خلافتنا.»

١. كذا في الأصل: ضمّنا له. وما في مط: ضمنا لنا. ولكلا الضبطين وجه من الصحة.

٢. في مط: هل أنت قلت.

٣. في مط: ولا شاورت.

٤. في مط: فيفتق.

٥. في مط: منك.

فأجابهم عثمان بجوابه الأول، فأذنوه^(١) بالحرب، وشدّدوا عليه الحصار. فصعد بعض عبید [504] عثمان إلى سطح داره، فدلى منه حجراً، فقتل رجلاً يقال له: دينار.

فأرسلوا إلى عثمان أن:

«أمكنّا من قاتله.»

فقال عثمان: «والله ما أعرف قاتله^(٢).»

فباتوا تلك الليلة. فلما أصبحوا، وهو يوم الجمعة، أحضروا ناراً ونفطاً، ودخلوا من ناحية الحرم^(٣)، فأضرموا جوانب الدار، فاحترقت. فقال عثمان لأصحابه:

«ما بعد الحريق شيء، فمن كانت لى عليه طاعة فليمسك يده، فإنما يريدنى القوم، ولو كنت فى أقصاكم لتخطّوكم إلىّ، ولو وجدونى فى أدناكم ما تخطّونى إليكم.»

فأبى مروان وقال: «والله لا وصلوا إليك وفىّ روح.»

وخرج إلى الناس بسيفه وعليه درع. فناوشوه القتال. ثم خرج إليه غلام شاب طوال، فضربه مروان على ساقه، وضرب الغلام مروان على رقبتة، فسقط لا ينبض منه عرق، وقتل المغيرة بن الأحنس، وجرح عبدالله بن الزبير، وانهمز من فى الدار، وخرجوا هرباً فى طرق المدينة، وخُص إلى عثمان، فقتل قبل أن يلحقه الغوث من الأمصار.

أسماء كتاب عثمان [505]

كتب له مروان بن الحكم، وكتب له عبدالملك بن مروان على ديوان المدينة،

١. فى مط: فأذنوه بالحرب.

٢. فى مط: ما أعرف قاتل (!)

٣. مط: من ناحية إلى الحرم.

وأبو جبيرة على ديوان الكوفة، وعبدالله بن الأرقم على بيت المال، وكتب أهيب مولاه^(١)، وكتب له حُمران مولاه، فأنكر عليه شيئاً، فنفاه إلى البصرة، فلم يزل بها حتى قتل عثمان.

سبب سقوط هذا الكاتب من عين عثمان

وكان سبب نفيه إتياء أن عثمان اشتكى شكاة، فقال له:

«اكتب العهد بعدى لعبدالرحمان بن عوف.»

فانطلق حُمران إلى عبدالرحمان بن عوف فقال له:

«البشرى!»

فقال: «لك البشرى، فماذا؟»

فأخبره الخبر. فصار عبدالرحمان إلى عثمان، فأخبره بما قال حمران، فقلق عثمان، وخاف أن يشيع، فنفاه لذلك.

ذكر تدبير تم لعثمان بمعاونة علي رضي الله عنه^(٢)

ورأيه لما حصر عثمان الحصار الأول

كان علي بخيبر، فلما قدم أرسل إليه عثمان، فذهب إليه، فكلّمه عثمان، وأذكره بحقه من الإسلام والقرابة والصهر، وماله في عنقه من العهد. ثم قال له:

«ولو لم يكن من هذا شيء، ثم كنّا نحن [506] في جاهليّة، لكان عيباً على

عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم ملكهم^(٣)».

يعنى طلحة، وقد كان اجتمع إلى طلحة قوم وطمع فيها.

فتكلّم عليّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

١. وكتب أهيب مولاه: سقطت من مط. ٢. في الأصل: رضي الله عنه، وفي مط بدونها.

٣. في الأصل: مالههم. ولعلّه تصحيف. في مط: ملكهم.

- «أما بعد، فكلّ ما ذكرت من حقك علىّ كما ذكرت، وأما قولك: لو كنّا في جاهلية لكان عيباً على عبد مناف أن يبتزّهم أخو بني تيم؛ فصدقت وسيأتيك الخبر.»

ثم خرج فدخل المسجد، فرأى أسامة جالساً، فدعاه، واعتمد عليه، وخرج يمشى إلى طلحة، فلمّا دخل عليه، وجد داره معتلّة بالرجال، فقام عليه وقال:

- «يا طلحة! ما هذا الأمر الذي وقفت فيه؟»

فقال: «ياباحسن، أبعث ما منّ الحزام الطيبين؟»
فسكت علىّ وانصرف حتى أتى بيت المال، فقال:

- «افتحوا هذا الباب.»

فلم يقدر على المفاتيح، وتأخّر عنه صاحب المفاتيح، فقال:

«أكسروه.»

فكسر باب بيت المال، وقال:

- «أخرجوا المال.»

وجعل يعطى الناس. فبلغ الذين في دار طلحة ما صنع علىّ، فجعلوا يتسلّلون إليه، حتى ترك طلحة وحده، وبلغ الخبر عثمان، فسرّ به، ثم أقبل طلحة [507] عامداً إلى دار عثمان. فقال بعض الصحابة:

- «والله لأنظرنّ ما يقول هذا.»

قال:

فتبعته، فاستأذن على عثمان، فلمّا دخل عليه، قال:

- «يا أمير المؤمنين، أستغفر الله وأتوب إليه. أردت أمراً، فحال الله بيني وبينه.»

فقال عثمان:

- «إنك والله، ما جئت تائباً، ولكنك جئت مغلوباً. الله حسبيك يا طلحة.»



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

خلافة الإمام عليّ

ذكر بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام
لما قُتل عثمان اجتمع عامة المهاجرين والأنصار على عليّ^(١)، فأتوه، فتأبى
عليهم، وقال:

«أنا وزيراً خير لكم مني أميراً^(٢)».

فارتدّ الناس عنه وأتوا طلحة والزبير فتكلّما في قتل عثمان بما ظنّوه توعداً،
فقالوا لطلحة والزبير:

«إنّ كلامكما لو عيد..»

ثم انصرفوا عنهما وقال بعضهم لبعض:

«إن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يبق بعد قائم بهذا الأمر، لم
نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة».

فعادوا إلى عليّ وخاطبوه. فأخذ الأشر بيدي عليّ، فقبضها عليّ.

فقال الأشر: «ما لك تتعسر، [508] وأنت ترى ما فيه الناس؟»

فقال عليّ: «أبعد ثلاثة؟»

١. في الأصل: رضى الله عنه، وفي مط: عليه السلام.

٢. في الأصل ومط: «أنا وزير خير لكم من أمير». وفي الطبري (٦: ٣٠٦٦): «إني أكون وزيراً خير من أن
أكون أميراً».

فقال له الأشر: «أما والله لئن تركتها لتعصرن عينيكَ عليها حيناً.» فبايعوه.
وفى ما رواه صاحب التاريخ، قال:
اجتمع أهل الأمصار وقالوا:
- «دونكم يا أهل المدينة، فقد أجلناكم ثلاثاً^(١)، فوالله لئن لم تفرغوا لنفعلن
ولنفعلن.»

فغشى الناس علياً وقالوا:
- «ترى ما نزل بالناس وما ابتلينا به من بين تلك القرى؟»
فقال علي: «دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه. لا تقوم له
القلوب، ولا تثبت عليه العقول.»

فقالوا: «نشدك بالله. ألا ترى ما نرى؟، ألا ترى الفتنة؟ أما تخاف الله؟»
قال: «اعلموا أنني - إن أجبتكم - ركبتمكم^(٢) ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا
كأحدكم، ألا، إني أسمعكم، وأطوعكم لمن وليتموه.»
فاfterقوا على ذلك، واتعدوا لغد، وتشاور الناس في ما بينهم، وقالوا:
- «إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت.»

فبعث المصريون بصرياً إلى الزبير وقالوا: «احذر لا تحابه.^(٣)» - وكان
رسولهم حكيم بن جبلة في نفر - فجاءوا يحدونه بالسيف. وبعثوا إلى طلحة
[509] كوفياً وقالوا: «احذر لا تحابه.» وبعثوا بنفر، فجاءوا يحدونه بالسيف.
وبعثوا الأشر إلى علي، وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل
مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد صار أهل الكوفة والبصرة
كالأتباع، وهم جشعون.

فلما أصبحوا يوم الجمعة حضر الناس المسجد، وجاء علي حتى صعد المنبر،

١. كذا في مط، وفي الأصل شطب واضطراب في الرسم.

٢. مط: رأيت ما بكم! ٣. مط: لا تخافه (وكذلك في الموضع الآتي).

فقال:

«يا أيها الناس، عن ملأ وإذن، إنَّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقٌّ إلا من رضيتم وأمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أحد على أحد.»

قالوا: «نحن على ما افترقنا عليه بالأمس.»
وقام الأشتر، فقدم طلحة، وقال له:
«بايع.»

فقال: «أمهلني أنظر.»

فجرّد سيفه وقال: «لتبايعن، أو لأضعنّه بين عينيك.»
فقال طلحة: «وأين المذهب^(١) عن أبي حسن.»

فصعد المنبر، فبايعه. فنظر رجل من بعيد يقتاف، فقال:

«إنّا لله، أول يد^(٢) بايعت أمير المؤمنين يد سلاء، لا يتمّ هذا الأمر أبداً.»
وكان طلحة وفي رسول الله بيده حين رأى سهماً أقبل نحو وجهه، فأصاب السهم يده، وشلّت يده.

ثم قدّم الزبير، [510] فبايع، وفي الزبير خلاف، ثم تتابع الناس بالبيعة لا يكرهها أحد، وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين. وخطب على - رضي الله عنه - خطبته المشهورة^(٣)؛ واجتمع إلى عليّ عدة من الصحابة فيهم طلحة والزبير، فقالوا:

«يا عليّ، إنّا اشترطنا إقامة الحدود، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل، وأحلّوا^(٤) بأنفسهم.»

١. وفي الطبري (٦: ٣٠٦٩): «أين المهرب منه.» وفي مط: «فقال طلحة واذهب (١) عن أبي حسن.»

٢. يد: سقطت من مط. ٣. أنظر الطبري ٦: ٣٠٧٨.

٤. كذا في الأصل والطبري: «وأحلّوا» بالهاء المهملة وفي مط: «وأخلّوا» بالخاء المعجمة.

فقال لهم: «يا إخواناه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم. ها هم هؤلاء، وقد ثارت معهم عبيدكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم، يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟»

قالوا: «لا.»

قال: «فإني والله لا أرى إلا رأياً ترونه، إلا أن يشاء الله. إن الناس من هذا الأمر - إن حرك - على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة لا ترى ما ترون، وفرقة لا ترى لا هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق. فاهدأوا^(١) عني، وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا.» [511]

ثم إن بنى أمية تهاربت وخرجت عن المدينة. فاشتد على - عليه السلام - على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها تلك. ثم خرج علي في اليوم الثاني فقال:

- «يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الأعراب.» وقال:

- «يا أيها الأعراب، إلحقوا بميأهكم.»

فأبت السبائية، وأطاعهم الأعراب. ودخل علي بيته، ودخل عليه عدة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه - فيهم طلحة والزبير. فقال لهم علي: «دونكم تأركم، فاقتلوه.»

فقالوا: «قد عسوا^(٢) عن ذلك.»

فقال لهم: «هم والله بعد اليوم أعسى^(٣)، وتمثل:

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ أَمَرْتُهُمْ أَمراً يُدِيخُ الْأَعَادِيَا

١. مط: فاهدأوا.

٢ و ٣. كذا في الأصل، وفي مط: عسوا، أعسى. وفي الطبري: عتوا، أعتنى (٦: ٣٠٨١). عسى: جف وغلظ.

وقال طلحة: «تدعني، فأتى البصرة، فلا يفجأوك إلّا وأنا في خيل.»
 وقال الزبير: «أتى الكوفة، فلا يفجأوك إلّا وأنا في خيل.»
 فقال: «حتى أنظر.»
 وسمع المغيرة بذلك المجلس.

ذكر رأى جيّد للمغيرة

فجاء المغيرة حتى دخل على عليّ - عليه السلام - فقال:
 - «إنّ حولك من يشير ويرى، ولك عليّ حقّ الطاعة، وأنّ النصح رخيص،
 وأنت بقية الناس، [512] وأنا لك ناصح. واعلم أنّ الرأى اليوم تحوز^(١) به ما في
 غد، وأن الضياع اليوم يضيع به ما في غد. أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن
 عامر على عمله، واردد عمّال عثمان عامك هذا، واكتب بإثباتهم على أعمالهم،
 فاذا بايعوا لك واطمأنّ الأمر عزلت من أحببت، وأقررت من أحببت.»
 فقال عليّ: «والله، لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأى^(٢)، ولا وليت
 أمثال هؤلاء [ولا مثلهم يولّى^(٣)]، وما كنت متخذ المضلّين عضداً^(٤).»
 فقال المغيرة: «فإذ قد أبيت فترك معاوية، فإنّ له جرأة، وأهل الشام يطيعونه،
 ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطّاب قد ولّاه الشام كلّها.»
 فقال عليّ: «لا والله لا أستعمله يومين.»
 فقام المغيرة وانصرف، ثم عاد إليه بعد ذلك، فقال:

١. وفي الأصل ومط: تحور. وفي الطبري: تحرز (٦: ٣٠٨٢) فأعجمنا الحرف الأخير بأمانة ما في
 الطبري.
 ٢. مط: رأياً.

٣. تكملة تطلبها السياق وهي من الطبري ٦: ٣٠٨٣.

٤. س ١١ الكهف: ١٨.

- «إني أشرت عليك أول مرة بالذى أشرت، وخالفتنى. ثم رأيت بعد ذلك رأياً، وأنا الآن أرى أن تصنع الذى رأيت، فتنزعهم، وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله أمرهم، وهم أهون شوكة من ذاك.»

رأى لابن عباس وما أشار به على على

وخرج المغيرة، وتلقاه ابن عباس خارجاً. فدخل إلى على، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، أخبرنى [513] عن شأن المغيرة، ولم خلا بك؟»

قال: «إنه جاءنى بعد مقتل عثمان بثلاثة أيام وقال: أخلنى. ففعلت. فقال: كيت

وكيت، فأجبتة بكيت وكيت. فانصرف من عندى وأنا أعرف فيه أنه يرى أنى

مخطئ. ثم عاد إلى الآن، فقال: كيت وكيت.

فقال ابن عباس: «أما فى المرة الاولى فقد نصحك، وأما فى المرة الأخرى فقد

غشك.»

قال له: «وكيف نصحنى؟»

قال ابن عباس: «لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تشبهتهم، لا

يبالون من ولى هذا الأمر؛ ومتى تغزلهم، يقولوا: أخذ الأمر بغير شورى وهو قتل

صاحبنا؛ وحملك ما قدر عليه من الذنب، فتنقض عليك الشام. ولا آمن طلحة

والزبير أن يكررا عليك.»

فقال على: «أما ما ذكرت من إقرارهم، فوالله ما أشك أن ذلك خير فى عاجل

الدنيا لإصلاحها، وأما الذى يلزمنى من الحق، والمعرفة بعمال عثمان، فوالله لا

أولى منهم أحداً أبداً، فإن أقبلوا فذلك خير، وإن أدبروا بذلت لهم السيف.»

قال ابن عباس: «فأطعنى، وادخل دارك، والحق بما لك بينى، وأغلق بابك،

فإن العرب تجول [514] جولة وتضطرب، ولا تجد غيرك. فإنك والله لو نهضت

مع هؤلاء القوم ليحملنك الناس غداً دم عثمان.»

فأبى عليّ وقال لابن عباس:

«سر إلى الشام، فقد وليتكها.»

فقال ابن عباس: «ما هذا والله برأى. معاوية رجل من بنى أمية، وهو ابن عمّ عثمان، وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم عليّ.»

قال عليّ: «ولم تظنّ ذلك؟»

قال: لقراءة ما بيني وبينك، ولأنّ كلّ ما عليك فهو عليّ؛ ولكن اكتب إلى معاوية، فمَنه، وعِذّه.»

فقال عليّ: «إنّ هذا ما لا يكون أبداً.» وتمثّل:

فما مِيتَةٌ، إن مِتُّها غيرَ عاجِزٍ بعارٍ، إذا ما غالتِ النفسُ غَوُلُها

فقال ابن عباس: «أنت - يا أمير المؤمنين - رجل شجاع، ولست بأرْبٍ في الحرب. أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه - يقول: الحرب خدعة؟» قال: «بلى.»

قال ابن عباس: «أنا والله، لئن أطعني لأصدرنّ بهم بعد ورد، ولأتركَنهم ينظرون في دُبُرِ الأمور، ولا يعرفون ما كان وجهها، في غير نقصان عليك ولا إثم [515] لك.»

فقال عليّ: «يا ابن عباس، لست من هُنَيَّاتِكَ وهُنَيَّاتِ^(١) معاوية في شيء، تشير عليّ وأرى، فإذا عصيتك فأطعني.»

فقال ابن عباس: «أفعل، إنّ أيسر ما لك عندى السمع والطاعة.»

١. والضبط في الطبري (٦: ٨٦-٨٧): «هَنَيَّاتِكَ وهَنَيَّاتِ معاوية» والأصل واحد. وفي مط: «هيناتك وهينات معاوية.»

على يفرّق عمّاله على الأمصار

وفرقّ على - عليه السلام - عمّاله في سنة ست وثلاثين، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعُمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيدالله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام. فأما سهل، فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل. فقالوا: «من أنت؟»

قال: «أمير^(١) على الشام.»

فردّوه، ولم يدعوه يتجاوزها.

وأما قيس بن سعد، فإنه لما انتهى إلى أيلة، لقيته خيل. فقالوا: «من أنت؟»

فقال: «من فآلة عثمان، أطلب من آوى إليه، وأنتصر به.» قالوا: «فمن أنت؟»

قال: «قيس بن سعد.»

قالوا: «امض.»

فدخل مصر فافترق الناس: فبعضهم دخل في الجماعة وكانوا معه، وفرقة

اعتزلت وقالت: *مركز تحقيق كابيتول علوم إسلامي*

«إن قُتل قتلة عثمان [فنحن معكم]^(٢)، وإلا فنحن على جديلتنا.»

وأما عثمان بن حنيف، فإنه سار، ولم يرده أحد عن دخول البصرة، ولم يوجد لابن عامر في ذلك رأى ولا تدبير، [516] وافترق الناس بالبصرة كما افترقوا بمصر.

١. ويضيف الطبري هنا: قالوا: على أي شيء؟ قال: ... (٦: ٣٠٨٧).

٢. تكملة أوردناها عن الطبري ٦: ٣٠٨٨.

وأما عمارة، فلمّا صار بزبالة، لقيه طليحة بن خويلد، وكان خرج يطلب بدم عثمان. وقال له:

- «ارجع، فإنّ الناس لا يريدون بأمرهم بدلاً، وإنّ أبيّت ضربت عنقك.»
فرجع وهو يقول: «أحرز الخطر ما تماسك الشرّ خير من شرّ منه»^(١) - فصار مثلاً.

وعلقه عمار بن ياسر إلى أن قُتل.
وانطلق عبيدالله بن عباس إلى اليمن. فجمع يعلى بن أميّة كلّ ما كان جباه،
وخرج وسار على حاميته إلى مكة، فقدمها بالمال.
فدعا عليّ طلحة والزبير فقال:
- «إنّ الذي كنت أحدثكم به قد وقع، وإنّما هي فتنة كالنار، كلما سُعرت
ازدادت واستثارت.»

فقالا له: «إئذن لنا نخرج من المدينة.»
فقال: «سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فأخر الداء الكيّ.»
وكتب إلى أبي موسى، وهو بالكوفة، وإلى معاوية، وهو بالشام. فأما أبو موسى
فكتب إليه بطاعة أهل الكوفة، وبين الكاره منهم لما كان، والراضى بما كان، حتى
كان عليّ على الواضحة^(٢) من أمر أهل الكوفة. [517]
وأما معاوية فلم يكتب بشيء، ولم يُجب الرسول، وجعل يردّده. وكان كلّما
تنجّزه تمثّل بشعر^(٣) لا يحصل منه على بيّنة، حتى أحكم أمر نفسه، وواطأ من
أراد. وأتى على الرسول ثلاثة أشهر. ثم دعا بأحد ثقاته، ووصاه، ودفع طوماراً
مختوماً إليه، عنوانه: «من معاوية إلى عليّ.»

١. وفي الطبري: إحدّر الخطر ما يماسك الشرّ خير من شرّ منه (٦: ٣٠٨٨).

٢. كذا في مط: الواضحة، وفي الطبري (٦: ٣٠٨٩): «المواجهة».

٣. تنجد الشعر عند الطبري (٦: ٣٠٩٠).

وقال: «إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ليقرأ الناس العنوان.»

ثم أوصاه بأشياء يفعلها، ويقولها، وسرح رسول عليّ معه.

فلما دخلا المدينة رفع رسول معاوية الطومار، ففترق الناس إلى منازلهم وقد علموا أنّ معاوية ممتنع، ومضى الرسول حتى دخل على عليّ، فدفع إليه الطومار، ففضّ خاتمه، فلم تجد في جوفه كتاباً.

فقال للرسول: «ما وراءك؟»

قال: «آمن أنا؟»

قال: «نعم، لعمرى إنّ الرسل لآمنة.»

قال: «ورائي أنى تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود.»

قال: «ممن؟»

قال: «من خيط رقبتك، ولقد تركت ستين شيخاً يبكي تحت قميص عثمان

وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق.»

فقال: «منى يطلبون دم عثمان، أأست موتوراً [518] كثره عثمان؟ اللهم إني

أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أمضاه، أخرج.»

قال: «وأنا آمن؟»

قال: «وأنت آمن.»

فخرج وصاحب السبائية واقف، فقالوا:

«هذا الكلب وافد الكلاب، اقتلوه.»

فنادى: «يا آل مضر، يا آل قيس^(١)، الخيل والنبل! أحلف بالله ليردّنها عليكم

أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحولة والركاب.»

١. وضبط في الطبري: يال مضر، يال قيس (= يا آل مضر، يا آل قيس) وفي الأصل: يالمضر، يالقيس. فأرجعنا الرسم إلى أصله.

فتغاؤوا^(١) عليه، ومنعته مضر، وجعلوا يقولون له:

«أسكت لا أبأ لك.»

فيقول: «والله، لا أسكت، فلقد أتاهم ما يوعدون.»

فيقولون له: «أسكت.»

فيقول: «لقد حلّ بهم ما يحذرون، انتهت والله أعمارهم، ذهبت والله ريحهم.» ولم يزل بذلك حتى تبين الذلّ فيهم، وتمّ لمعاوية تدبيره هذا.

عليّ يدبّر لقتال أهل الفرقة بالشام

واستأذن طلحة والزبير في العمرة، فأذن عليّ لهما، فلحقا بمكة، وأحبّ أهل المدينة [أن يعلموا]^(٢) ما رأى عليّ في معاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيقدم عليه، أم يجزع منه. وكان بلغهم أنّ الحسن ابنه دخل عليه، وحذّره، ودعاه إلى القعود وترك الناس. فدنّوا [519] زياد بن حنظلة التميمي، وكان منقطعاً إلى عليّ، فدخل عليه وجلس إليه ساعة. ثم قال له عليّ:

«يا زياد، تيسّر.»

قال: «لأى شيء؟»

قال: «لغزو الشام.»

قال زياد: «الأناة والرفق أمثل»، وقال:

ومن لا يُصانع في أمور كثيرة يضُرّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسَمٍ

فتمثّل عليّ وكأنه لا يريدُه:

١. في مط وفي الطبري: تعادوا. وفي الكامل (٢: ٢٠٣): تعاونوا.

٢. الأصل ومط بدون «أن يعلموا» والتكملة من الطبري (٦: ٩١-٩٣).

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس وهم ينتظرونه، فقالوا:

«ما وراءك؟»

قال: «السيف يا قوم.»

فعرفوا رأى عليّ.

ودعا عليّ محمد بن الحنفية، فدفع إليه اللواء، وولّى عبيدالله بن عباس، ميمنته، وعمر بن أبي سلمة ميسرته، وجعل عليّ مقدمته عمر بن الجراح ابن أخى أبي عبيدة بن الجراح، ولم يولّ أحداً ممن خرج على عثمان. واستخلف على المدينة قثم بن العباس، وكتب إلى أبي موسى، وإلى قيس بن سعد، وإلى عثمان بن حنيف أن يندبوا الناس إلى الشام، وأقبل يتجهّز، وخطب الناس، فدعاهم [520] إلى النهوض، وحضّهم على قتال أهل الفرقة.

ابتداء وقعة الجمل

طلحة والزبير يريدان البصرة للاصلاح

فبينما هو على ذلك، إذ أتاه من مكة عن عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير شيء آخر بخلاف ما هو فيه. ثم أتاه عنهم أنهم يريدون البصرة للاصلاح. فقال: «إن فعلوا فقد انقطع نظام المسلمين، وما كان عليهم فى المَقام [فينا مؤونة] ^(١) ولا إكراه.»

فتعباً ^(٢) للخروج نحوهم، وخطب وندب الناس، فتثاقلوا.

ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل الناس على عليّ انتدب وقال:

٢. مط: فتعبا.

١. النكملة من الطبرى (١: ٣٠٩٣).

«من تشاقل عنك يا أمير المؤمنين، فإننا نقاتل معك ونسحق بين يديك ما حملت أيدينا سيوفنا.»
وأجابه رجلاً من أعلام الأنصار.

عائشة تريد طلحة

ولما هرب بنو أمية لحقوا بمكة، فاجتمعوا إلى عائشة، وكانوا ينتظرون أن يلي الأمر طلحة، لأن هوى عائشة كان معه، وكانت من قبل تشنع على عثمان، وتحض عليه، وتخرج راكبة بغلة رسول الله - صلى الله عليه - ومعها قميصه وتقول:

«هذا قميص رسول الله، صلى الله عليه، ما بلى وقد بلى دينه، اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً.»

فلما صار [521] الأمر إلى عليّ كرهته وعادت إلى مكة بعد أن كانت متوجهة إلى المدينة، ونادت:

«ألا، إن الخليفة قتل مظلوماً، فاطلبوا بدم عثمان.»

من استجاب لعائشة ومن اعتزل

فأول من استجاب لها عبدالله بن عامر، ثم قام سعيد بن العاص والوليد بن عتبة وسائر بني أمية. وكان قدم عبدالله بن عامر قريباً، ويعلى بن أمية من اليمن، واجتمع رأيهم بعد نظر طويل، وخطاب كثير، على البصرة، وقالوا:

«معاوية قد كفاكم الشام.»

وكان مع يعلى ستمائة بعير، وستمائة ألف درهم، فأنفقهما في ذلك الوجه، وشتماوا عبدالله بن عامر، وقالوا:

«لا أنت مسالم ولا أنت محارب، هلاً أقمت بالبصرة فمنعت حوزتك كما

منع معاوية، أو هلاً أرفدتنا اليوم بمالك كما فعل يعلى بن أمية.»
فتكلم بما لم يرضوه في جوابهم. وسأل الناس غير عايشة من أزواج النبي
- صلى الله عليه - فأرادت حفصة الخروج، فأتاه عبدالله بن عمر بن الخطاب،
فطلب إليها أن تقعد، فقعدت. وبعثت أم الفضل بنت الحارث بن عبدالمطلب رجلاً
من جهينة، واستأجرته على أن يطوى ويأتي علياً بكتابها، فقدم من جهتها بالخبر
على علي. [522]

فأما المغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص، فإنهما خرجا من مكة مرحلة مع
القوم، ثم تشاوروا. فقال المغيرة:
- «عندي أن الرأي لنا أن نعتزل الجميع، فأيهم أظفره الله أتيناه وقلنا: كان هوانا
معك وصغونا إليك.»
فاعترلا وعادا إلى مكة ومعهما غيرهما.

موقف آخر لسعيد بن العاص

ويقال: إن سعيد بن العاص أتى طلحة والزبير فقال:
- «إن ظفرتما، لمن يكون الأمر؟»
قالا: «لأحدنا، أينما رضىه المسلمون.»
قال: «لا، بل اجعلوه لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون بدمه.»
قالا: لا والله، ما ندع مشايخ المهاجرين والأنصار ونجعل الخلافة في أبنائهم.»
فقال: «ما أراني أسعى إلا في إخراجها من ولد عبد مناف.»

سؤال وتنازع حول الإمرة

فرجع مع من رجع، واستمر بالقوم المسير. فلما نزلوا ذات عرق أذن مروان،
ثم جاء حتى وقف عليهما، فقال:

- «علي أيكما أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة؟»

فقال ابن الزبير: «علي أبي.»

وقال ابن طلحة: «علي أبي.»

وتنازعا. فأرسلت عايشة إلى مروان:

- «ما لك يا مروان! تريد أن تفرّق جماعتنا، ليصلّ ابن أختي بالناس.»

فكان يصلّي بهم عبدالله بن الزبير حتى قدموا [523] البصرة. فكانوا يقولون:

- «لو ظفرنا لافتتًا^(١)، وما كان ليخلى الزبيريون الأمر لطلحة، ولا الطلحيون

الأمر للزبير.»

وإنّ عليّاً تجهّز في من خفّ معه، يبادرهم ليعترض عليهم دون البصرة، وخرج

معه تسعمائة رجل في التعبئة التي كان تعباً بها إلى الشام، حتى انتهى إلى الربرة،

وبلغه ممرّهم وقد فاتوه. فأقام هناك ياتمر.

اتّفاق في ذلك الوجه

فمما اتفق في ذلك الوجه، أنّ صاحب الجمل - الذي يقال له: «عسكر» وخبره

مشهور - حكى أنه: لما اشترى منه الجمل بحكمه وركبته عايشة سأله عن

الطريق، وهل هو خير؟

قال، فقلت: «أنا أهدى من القطا^(٢)».

فأعطوني دنائير، وتقدّمهم، وكانوا يسألونني عن كلّ ماء، حتى نزلوا

الحوّب^(٣)، فكان الحديث المشهور، فبينما نحن كذلك، إذا بابن الزبير يركض

وينادي:

١. مط: لا بتلينا، ابن الأثير: لاقتلنا (٣: ٢٠٩).

٢. «أهدى من القطا» مثل يضرب لمن يجيد معرفة الطرق والمسالك في المجاهل والمفازل. وتجد

حكاية صاحب الجمل هذا عند الطبري ٦: ٣١٠٩.

٣. الحوّب، موضع في طريق البصرة وماء من مياههم (يا).

«أدرككم عليّ بن أبي طالب، النجا النجا.»
 وشتموني ورحلوا، وانصرفت، فما سرت إلا قليلاً حتى لقيت عليّ بن أبي
 طالب ومعه ركب، فقال:
 «عليّ بالراكب.»
 فأتيته.
 فقال: «أين لقيت الظعينة؟»
 فقلت: [524] «مكان كذا، وقد بعثهم جملي وأعطوني ناقتها وهي هذه تحتى،
 وأعطوني كيت وكيت.»
 قال: «وقد ركبتك؟»
 قلت: «نعم. وسرت معهم إلى الحووب وكان من أمرهم كذا وكذا، وارتحلوا
 وأقبلت.»
 قال عليّ: «فهل لك دلالة بذى قار؟»
 قلت: «نعم.»
 قال: «سر معنا.»



عليّ يستشير الناس

مركز الحسن يذكر له ما كان قد أشار به عليه قبل

فسرنا حتى نزلنا بذى قار. فأمر عليّ بجوالقين، فضمّ أحدهما إلى صاحبه، ثم
 جرى برحل، فوضع عليه، ثم صعد عليه، وخطب الناس وأعلمهم الخبر. ثم
 استشارهم، فقام الحسن، فبكى، وقال:
 «أشرت عليك فعصيتني، فقتل غداً بمضيعة^(١) لا ناصر لك.»

١. كذا في الأصل. وفي الطبري: بمضيعة (٦: ٣١١٠). وفي الكامل: بمضيعة، بمعصية (٣: ٢٢٢).

فقال له عليّ: «إنك لاتزال تحن^(١) حنين الجارية، وما الذي أشرت به عليّ فعصيتك؟ تكلم به ليسمعه الناس.»

قال: «كنتُ قلتُ لك يوم أحيط بعثمان: أن تخرج من المدينة فلا تشهد قتله فأبيت. وقلتُ لك يوم قتل: لا تباع حتى يأتيك وفود العرب وبيعة أهل الأمصار، فأبيت. ثم قلتُ لك حين فعل الرجال ما فعلا أن: تجلس في بيتك حتى يصطليح الناس، فإن كان فساد كان علي يدى غيرك [525] فعصيتنى في ذلك كله.»

فقال: «أى بنى! أمّا قولك: لو خرجت من المدينة، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به.

- «وأمّا قولك: انتظره حتى يأتيك الوفود وأهل الأمصار، فإنّ الأمر أمر أهل المدينة، وعقدهم جائز على المسلمين، وكرهنا أن نُضيع هذا الأمر فتكون فتنة.»
- «وأمّا قولك حين خرج طلحة والزبير أن اجلس في بيتك، فإنّ ذلك كان وهناً على أهل الإسلام لو فعلته. ووالله ما زلت مقهوراً منذ ولدت، منقوصاً لا أصل إلى حقّى، ولا إلى شيء مما ينبغى لى.»

- «وأمّا قولك: اجلس في بيتك، فكيف لى بما لزمنى؟ أتريد أن أكون كالضبع التى يحاط بها ويقال^(٢): داب داب، أمّ عامر ليست هاهنا، حتى يحلّ عرقوباها. إذا لم أنظر فى ما لزمنى ويعينى فمن ينظر فيه.»

فكفّ عليك يا بنى، إنّ النبىّ - صلى الله عليه - قبض وما أرى أحقّ بهذا الأمر منى، فباع الناس أبا بكر، فبايعت كما بايعوا. ثم هلك أبو بكر وما أرى أحقّ بهذا الأمر منى، فباع الناس عمر، فبايعت [526] كما بايعوا. ثم هلك عمر وما أرى أحقّ بهذا الأمر منى، فجعلنى سهماً من ستة أسهم. ثم عدل عنيّ إلى عثمان، فبايعت كما بايع الناس. ثم سار الناس إلى عثمان، فقتلوه، وأتوني طائعين غير

١. ابن الأثير: «تحنّ حنين (٣: ٢٢٢) والأصل يطابق الطبرى (٦: ٣١١٠).

٢. ابن الأثير: ويقال ليست هاهنا حتى يحلّ عرقوباها حتى تخرج (٣: ٢٢٣).

مكرهين، فبايعوني. فأنا مقاتل بمن اتبعني من خالفني حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.»

ولما قربت عائشة ومن معها من البصرة قدّمت عبدالله بن عامر وقالت: «أنت لك صنائع فاذهب إلى صنائعك، فليلقوا^(١) الناس.» وكتبت إلى رجال البصرة كالأحنف بن قيس وضبرة^(٢) بن شيمة ووجوه الناس، وأقامت بالحفير تنتظر الجواب.

عثمان بن حنيف

يبعث رسولين إلى عائشة وطلحة والزبير

ولما بلغ الخبر البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن الحصين، وكان رجل عامة، وأبا الأسود الدئلي وكان رجل خاصّة وقال:

«انطلقا إلى هذه المرأة واعلما علمها وعلم من معها.»

فانتهيا إليها والناس بالحفير، واستأذنا فأذن لهما، فسَلّما وقالا:

«إِنَّ أَمِيرَنَا بَعَثَنَا إِلَيْكَ نَسْأَلُكَ عَنْ مَسِيرِكَ، فَهَلْ أَنْتَ مُخْبِرَتُنَا؟»

فقالت: «والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم، ولا يمضى^(٣) لبنيه الخبر، إِنْ

الغوغاء»، [527] ونَزَّاع القبائل غزوا حرم رسول الله، ونالوا من قتل الامام، ما استحقّوا به لعنة الله، وفعلوا وفعلوا، فخرجتُ في المسلمين إلى هذا المصّر، لأعلمهم ما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم بأن يأتوه من الإصلاح، وقرأت: لا

١. كذا في الأصل والطبري، وفي مط: فليقوا. ٢. كذا في الأصل. وفي الطبري (٦: ٣١١٥) صبرة.

٣. كذا في الأصل: «لا يمضى». وما في القواميس: «مأى، مأياً» بفتح العين. والمأى: النخلة، الإغثياب،

الفساد بين الناس، ضرب بعضهم ببعض، المبالغة في الشيء. وفي مط: ولا يمضى لبنيه الخبر، وفي

بعض الأصول: «الحمر». وفي الطبري: «ولا يغطي لبنيه الخبر» (٦: ٣١١٦). وفي الكامل: «لا

يعطى...» (٣: ٢١١).

خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مَنْ نَجَّوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ^(١)، فَهَذَا شَأْنُنَا، نَأْمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَىكُمْ عَنْ مَنكَرٍ، وَنَحْتَكُمُ عَلَى تَغْيِيرِهِ.»
فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهَا، وَأَتَيَا طَلْحَةَ، فَقَالَا مَا قَالَا لِعَاشِئَةٍ وَسَأَلَاهُ: مَا الَّذِي أَقْدَمَهُ؟
قَالَ: «الطَّلَبُ بِدَمِ عَثْمَانَ.»

قَالَا^(٢): «أَلَمْ تَبَايِعْ عَلِيًّا؟»
قَالَ: «بَلَى، وَاللَّجَّ فِي عُنُقِي، وَمَا أَسْتَقِيلُ عَلِيًّا، إِنْ هُوَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَتْلِهِ عَثْمَانَ.»

ثُمَّ أَتَيَا الزُّبَيْرَ، فَقَالَا: «مَا أَقْدَمَكَ؟»
قَالَ: «الطَّلَبُ بِدَمِ عَثْمَانَ.»
قَالَا: «أَلَمْ تَبَايِعْ عَلِيًّا؟»
قَالَ: «بَلَى، وَاللَّجَّ فِي عُنُقِي، وَمَا أَسْتَقِيلُ عَلِيًّا إِنْ لَمْ يَحَامِ عَلَى قَتْلِهِ عَثْمَانَ.»
وَمَضَى الرَّجُلَانِ، حَتَّى دَخَلَا عَلَى عَثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ، فَبَدَرَ أَبُو الْأَسْوَدِ عِمْرَانَ وَأَنشَدَ:

يَا بَنَ حُنَيْفٍ قَدْ أَتَيْتَ فَانْفِرِ وَطَاعِنِ الْقَوْمَ وَجَالِدِ وَاصْبِرِ [528]
وَاهْرُزْ لَهُمْ مُسْتَلْتَمًا وَشَمْرِي

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٣)». دَارَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ وَرَبُّ
الْكَعْبَةِ، فَانْظُرْ أَيَّ زَيْفَانٍ تَزِيفُ.»
فَقَالَ عِمْرَانُ: «إِي وَاللَّهِ، لَتَعْرُكَنَّكُمْ عُرْكَاً طَوِيلًا.»
قَالَ: «فَأُشِرْ عَلَيَّ يَا عِمْرَانُ.»

٢. فِي الْأَصْلِ وَمَط: «قَالَ» فَصَحَّحْنَاهَا.

١. س ٤ النِّسَاء: ١١٤.

٢. س ٢ الْبَقَرَةُ: ١٥٦.

قال: «إني قاعد، فاقعد.»

قال: «بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين.»

فانصرف عمران، وقام عثمان في أمره، ونادى في الناس، وأمرهم بالتهيؤ. فلبسوا السلاح، واجتمعوا في المسجد الجامع، وأقبل عثمان بن حنيف على الكيد.

كيد كاد به عثمان بن حنيف

فما كاد به لينظر ما رأى الناس: أن دس رجلاً إلى الناس كوفياً قيسياً يقال له: قيس بن العقدية، فقام وقال:

«أيها الناس، إن هؤلاء القوم الذين جاءوكم إن كانوا جاءوا خائفين، فقد جاءوا من مكان بعيد يأمن فيه الطير؛ وإن جاءوا يطلبون بدم عثمان، فما نحن بقتلة عثمان. أطيعوني في هؤلاء القوم، فردوهم من حيث جاءوا.»

فقال الأسود بن سريع:

«أو زعموا أنا قتلة عثمان. إنما فزعوا إلينا [529] يستعينون^(١) بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا.»

فتكلم القيسي فحصبه الناس. فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً ممن معه. فكسره ذلك.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

إنتهاء عائشة ومن معها إلى المربد

وأقبلت عائشة في من معها، حتى انتهوا إلى المربد^(٢)، فدخلوا من أعلاه،

١. كذا في مط. وفي الطبري: يستعينوا (٦: ٣١١٨).

٢. المربد: مربد البصرة. كانت محلة من محال البصرة، وهي اليوم كالبدة المنفردة عن البصرة. بينهما ثلاثة أميال. كانت متصلة بها، فخرّب ما بينهما، فصارت منفردة، وبها كانت مجالس الخطباء والشعراء (مع، يا).

ووقفوا حتى خرج عثمان في من معه، وخرج إليها من أراد أن يكون معها. واجتمع الناس بالمربد، وجعلوا يتوثّبون، واغتصّ المكان بالناس.

فتكلّم طلحة وهو في ميمنة المربد، وعثمان في زهو^(١) ميسرته، فأنصتوا، فذكر فضل عثمان، والبلد، وما استحلّوا منه، وعظّم ما أتى إليه، ودعا إلى الطلب بدمه، وقال في آخر كلامه:

«إنه حدّ من حدود الله، فإن فعلتم أصبتم، وعاد أمركم، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان، ولم يكن لكم نظام.»

فقال من في ميمنة المربد: «صدقا وبرّا.»

وقال من في الميسرة: «فجرا وغدرا. قد بايعا، ثم جاءا يقولان ما يقولان.»
وتحاصب الناس، وتكلّموا. فتكلّمت عائشة. وكانت جبهة الصوت، فحضّت [530] على الطلب بدم عثمان والأخذ بالكتاب الذي يدعون إليه. وأقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال:

«يا أمّ المؤمنين، لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك عرضة للسلاح. فقد كان لك ستر من الله وحرمة: فهتكت سترك، وأبحت حرمتك، إنّ من رأى قتالك فهو يرى قتلك. فإن كنت خرجت طائعة فارجعي إلى بيتك، وإن خرجت كارهة فاستعيني بالناس.»

وخرج رئيس كل طائفة، فتكلّم فقال بعضهم:

«أمّا أنت يا زبير، فحواريّ رسول الله - صلى الله عليه -؛ وأمّا أنت يا طلحة

فوقيت رسول الله بيدك، وأرى أمّكما معكما، فهل جئتما بنسائكما؟»

قالا: «لا.»

قال: «فما أنا منكما.»

١. في مط والطبري (٦: ٣١١٨) والكامل (٣: ٢٠٦): «في ميسرته»، (بدون «زهو»).

واعتزل.

قتال وتوادع

وأقبل حكيم بن جبلة فأنشب القتال، فاقتتلوا إلى الليل، وقتل خلق. ثم إنهم توادعوا على أن يكتبوا إلى المدينة، ويستعلموا^(١) الناس: هل بايعا مكرهين؟ فإن بايعا مكرهين خرج عثمان بن حنيف، وإن كانا بايعا طائعين خرج طلحة [531] والزبير.

فجرى خطب طويل بالمدينة لما ورد الرسول من البصرة، ليس لذكره وجه في ما نحن بسبيله.

وكان الناس كتبوا بينهم كتاباً شرط فيه ألا يضار أحد بأحد في سوق ولا طريق إلى أن تعود الرسل. إلا أن محمد بن طلحة قام يوماً في المسجد مقام عثمان بن حنيف، فتعرض له عثمان، وجاء بعض الحرس، فنحاه، وظن أنه جاء في شر.

ووصل كتاب عثمان بن حنيف إلى علي بما كان من الناس. فكتب علي - رضي الله عنه - يعجزه ويقول:

- «ما أكرها على فرقة، وإنما أكرها على جماعة، فإن كانا يريدان الخلع، فلا عذر لهما»^(٢) «مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی»

ما جرى على عثمان بن حنيف

فقدم الكتاب على عثمان، واتفق أن تأخر ابن حنيف عن الصلاة، فقدما

١. مط: ويستعلمون!

٢. وزاد في الطبري: وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا (٦: ٣١٢٥). وانظر أيضاً الكامل (٣: ٢١٥).

عبدالرحمان بن عتاب، فشهر الزط^(١) السلاح ومنعوه. ثم اقتتلوا في المسجد، وصبر الرجال لهم، فقتلوهم عن آخرهم وهم أربعون رجلاً. وأدخلوا الرجال على عثمان؛ فما وصل إليه إلا بعد أن لحقه مكروه عظيم. [532]

وأرسلوا إلى عائشة يستشيرونها في أمره. فأمرت بقتله، فناشدها قوم فيه، وأذكروها بصحبته رسول الله - صلى الله عليه - فأشار مجاشع بن مسعود بضربه فضربوه أسواطاً، وנתفوا شعر لحيته ورأسه حتى حاجبيه وعينييه، وأشفار عينييه. ثم حبسوه. فغضب له قوم، وثار حكيم بن جبلة، وأصبح بيت المال والحرس في يدي طلحة والزبير.

وقال حكيم بن جبلة: «لست أخاف الله إن لم أنصر عثمان بن حنيف». فجاء في جماعة من عبدالقيس وبكر بن وائل، فأتى ابن الزبير في مدينة الرزق، فقال:

«ما لك يا حكيم، ما تريد؟»

قال: «أن نرتزق من هذا الطعام، وأن نُحلّوا عثمان، فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ. وأيم الله لو أجد أعواناً لألحقنكم بمن قتلتم. فقد أحلّ الله لنا دماءكم بمن قتلتم من إخواننا. أما تخافون الله، يمّ تستحلّون سفك الدماء؟»

قال: «بدم عثمان».

قال: «فألذين قتلتموهم قتلة عثمان! أما تخافون [533] الله ومقتنه وعقوبته؟» فقال ابن الزبير: «لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلى سبيل عثمان بن حنيف حتى نخلع عليّاً».

قال حكيم: «اللهم إنك حكم عدل».

ثم قال لأصحابه: «إنى لست في شك من قتال هؤلاء القوم».

١. وفي الطبري وابن الأثير الزط والسيابجة (نفس الصفحتين).

قتال شديد ضرب فيه رجل ساق حكيم
فاقتتلوا قتالاً شديداً. وضرب رجل ساق حكيم، فقطعها. فأخذ حكيم ساقه
ورماه بها، فأصاب عنقه، فصرعه. ثم حبا إليه فقتله واتكى عليه، فأنتهى إليه
رجل وقال له: «من قتلك؟» قال: «وسادتي.» وقتل سبعون رجلاً من عبدالقيس.
وقال حكيم حين قطعت رجله:

يا فَخْذُ لَنْ تُرَاعِيَ إِنَّ مَعِيَ ذِرَاعِي
[أحمى بها كُرَاعِي] ^(١)

فاحتمل الرجل حكيماً وضمه في ستين من أصحابه. فتكلم يومئذ وإنه لقائم
على رجل - وإن السيوف لتأخذهم - لا يتتع: -
«إنا خلقنا هذين، وقد بايعا علياً، وأعطياه الطاعة، ثم أقبلا مخالفين يطلبان
بدم عثمان، وهما كاذبان؛ وإنما أراغا ^(٢) المال والإمرة.»
وأخذته السيوف، فأنيم، وأنيم أصحابه، وأفلت حرقوص بن زهير وحده.
ونادى منادى عايشة:

- «ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا [534] المدينة، فليأتنا بهم.»
فجىء بهم كما يُجاء بالكلاب، فقتلوا. فما أفلت منهم غير حرقوص. فخشّوا
صدور بنى سعد، وإنهم لعثمانية، حتى انفردوا. وغضب عبدالقيس لمن قتل منهم
بعد الواقعة، ثم أمر للناس بأعطياتهم، وفضلاً أهل السمع.
فخرجت عبدالقيس وكثير من بكر بن وائل. فبادروا إلى بيت المال، وركبهم

١. تكلمة من الطبرى (٦: ٣١٣٠). وله رواية أخرى أيضاً. أنظر (٦: ٣١٣٦).

٢. مط: أرادوا المال. أراغا: أرادوا بالمكر والحيلة.

الناس، وخرجوا حتى نزلوا على طريق عليّ، وأقام طلحة والزبير بالبصرة ليس معهما مخالف.

وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا، وقصّوا القصة وأطالوا، وذكروا أنّهم أقاموا حدّ الله، وأنهم قد أعذروا، وقضوا ما عليهم، فنناشدكم الله في أنفسكم إلّا نهضتم بمثل ما نهضنا به. وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثل ذلك، وإلى أهل اليمامة بمثله. وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة كتاباً بليغاً طويلاً تحضّهم على إقامة كتاب الله، وتذكر لهم ما صنعوا بالبصرة. وكتبت إلى رجال بأسمائهم وقالت: - «تَبْطُوا الناس عن نصره هؤلاء القوم، والزمو بيوتكم».

ولما قتلوا حكيماً وأصحابه همّوا بقتل عثمان بن حنيف [535] فقال لهم عثمان:

- «ما شئتم، إن أخى سهلاً بالمدينة مع عليّ، وهو وإلٍ بها، فإن قتلتموني انتصر».

فخلّوا عنه، وصلى بالناس عبدالله بن الزبير. وكتبت عايشة بنت أبي بكر إلى زيد بن صوحان: «من عايشة أم المؤمنين وحبيبة الرسول إلى ابنه الخالص زيد بن صوحان. أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم وانصرنا على أمرنا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ بن أبي طالب».

فكتب إليها زيد بن صوحان: «إلى عايشة بنت أبي بكر. أمّا بعد، فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت من هذا الأمر، ورجعت إلى بيتك، وإلّا فأنا أوّل من نابذك».

وقال: «رحم الله عايشة. أمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به، وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه».

وكان عليّ - عليه السلام - حين انتهى إلى الربذة، أقام، وأرسل إلى أهل

الكوفة، وكاتبهم، واستدعى من المدينة ما أحب من سلاح وغيره. وقدم عثمان بن حنيف الربذة على عليّ منتوف شعر الوجه كله، وقال:
 - «يا أمير المؤمنين [536] بعثتني ذا لحية، وجئتك أمرد.»
 قال: «أصبت خيراً وأجراً. اللهم احلل ما عقدا، ولا تُبرم ما أحكما، وأرهما المساءة في ما عملا.»^(١)

ماذا جرى في الكوفة؟

فأما أهل الكوفة، فلما انتهى إليهم رسول عليّ استشاروا أبا موسى. فقال لهم:
 - «إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروج سبيل الدنيا.»
 وجعل يثبّط الناس. إلى أن أنفذ عليّ - عليه السلام - ابن عباس والأشتر، فلم يغنيا، وكان بعث بهاشم بن عتبة إلى أبي موسى يستنفر الناس. فكتب إليه هاشم:
 - «إني قدمْتُ علي رجل مشاقّ ظاهر الغلّ.»
 فبعث عليّ الحسن وعماراً، وكتب إلى أبي موسى:
 - «أما بعد، فكنت أرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله لك فيه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري. وقد بعثت الحسن بن عليّ، وعمار بن ياسر، وبعثت قرطبة بن كعب والياً. فاعتزل عملنا مذموماً مدحوراً.»
 فقدم الحسن بن عليّ وعمار بن ياسر، فلفظ الحسن وقال:
 - «أيها الناس! أجيئوا أميركم، وسيروا إلى إخوانكم. فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه. فوالله أن يليه أهل [537] النهي أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيئوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم.»
 فقام زيد بن صوحان فقال:

«يا قوم! سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وانفروا إليه أجمعين.»
فقام القعقاع بن عمرو، فقال:

«أيها الناس! إني لكم ناصح وعليكم شفيق، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحق، إنه لا بدّ لنا من إمارة تنظم الناس، وتردع الظالم، وتعزّ المظلوم؛ وهذا عليّ ولي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا، وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع.»

ثم تكلم سيحان، وقال مثل قول القعقاع، وتكلم عدّي بن حاتم في قومه لما بلغه كلام الحسن وجواب الناس وقال:

«قد بايعنا هذا الرجل، ودعانا إلى أمر جميل، ونحن سائرون.»

وتكلم هند بن عمرو، وحجر بن عدّي، والأشتر، وقالوا مثل ذلك، وقال الحسن:

«أيها الناس! إني غاد، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء.»

فنفر معه تسعة آلاف رجل، وروى أيضاً أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، [538] وأخرج أبو موسى من القصر، وشدّد عليه الأشتر.

مركز تحقيق تكلم عليّ يرسل القعقاع إلى أهل البصرة

فلما وردوا على عليّ ذاقار، تلقّاهم عليّ، فرحّب بهم، وأثنى عليهم. ثم دعا القعقاع بن عمرو، فأرسله إلى أهل البصرة، وقال:

«القي هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة.»
ووصاه بما أراد.

ثم قال له:

«كيف أنت صانع في ما جاءك منهم مما ليس عندك وصاة منّي؟»

قال: «نلقاهم بالذى أمرت به. فإذا جاءنا أمر ليس عندنا منك فيه وصاة اجتهدنا الرأى، وكلّمناهم على قدر ما نسمع منهم ونرى أنه ينبغي.»
قال: «أنت لها.»

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة. فبدأ بعائشة، فسلم عليها، ثم قال:
- «أى أمّه! ما أشخصك. وما أقدمك؟»

قالت: «أى بنى! الإصلاح^(١) بين الناس.»

قال: «فابعثى إلى طلحة والزبير، حتى تسمعى كلامى وكلامهما.»
فبعثت إليهما، فجاءا. فقال: سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت:

- «الإصلاح^(٢) بين الناس.»

[فقلت]: «فما تقولان أنتما: متابعان، أم مخالفان؟»

قالا: «متابعان.»

قال: [539] فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنُصلحن^(٣)،
وإن أنكرناه لا نُصلح.^(٤)
قالا: «قتلة عثمان. فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياءاً
للقرآن.»

قال: «قد قتلتم بالبصرة من زعمتم أنهم قتلة عثمان، وأنتم كنتم قبل قتلهم
أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلاً فغضب لهم ستة آلاف،
فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الواحد الذى أفلتت - يعنى

٢. فى الأصل: لصالح.

١. فى الأصل: صلاح.

٣. فى الأصل: ليصلحن.

٤. فى الأصل لا يصلح. وما أثبتناه يوافق الطبرى (٦: ٣١٥٦) والكامل (٣: ٢٣٣).

حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل^(١). فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوا فأديلوا عليكم، فالذي حذرتهم وقويتهم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون؛ وإن أنتم أحميتهم مضر وربيعه من أهل هذه البلاد، فاجتمعوا على حريككم وخذلانكم نصرة لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.»

قال: أقول: «إنّ هذا الأمر دواؤه التسكين، فإذا سكن احتلجوا. فإن أنتم تابعتُمونا فعلامة [540] خير، وتباشير رحمة، ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية لهذه الأمة. وإن أبيتم إلا مكاثرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شرّ، وذهاب هذا الثأر، وفناء هذه الأمة. فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم تكونون، ولا تتعرضوا للبلاء ولا نتعرض له فيصرعكم ويصرعنا. إنّ هذا الأمر الذي أنتم فيه، أمر ليس يُقدَّر، وليس كالأمور، ولا كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل.»

فقالوا: «إذا أحسنت وأصبت المقالة. فارجع، فإن قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.»

فرجع إلى عليّ، فأخبره الخبر، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه. وأقبلت وفود البصرة نحو عليّ حين نزل بذي قار. فجاء وفد تميم ويكير قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة وعلى أيّ حال نهضوا [إليهم]^(٢) وليعلموا^(٣) هم أنّ الذي عليه رأيهم الإصلاح، ولا يخطر قتالهم على بالهم.

فلما لقوا عشائريهم [541] من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائريهم من أهل

١. مط: دخل. وضبطه الطبري «رجل» (٦: ٣١٥٧). وضبط في الأصل «رجل».

٢. تكملة من الطبري (٦: ٣١٥٨).

٣. في الأصل ومط: وليعلمهم. فصححنا حسب الطبري.

البصرة، وقالوا لهم مثل مقاتلهم، فأدخلوهم إلى عليّ، فأخبروه بخبرهم. فسأل عليّ جرير بن شرس عن طلحة والزبير، وعن نياتهما، فأخبره بدقيق أمرهما وجليله، وحتى تمثل له [طلحة] ^(١)؛

ألا أبلغ بنى بكرٍ رسولاً فليس إلى بنى كعبٍ رسولٌ
سُرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضولٌ

فتمثل عليّ عندها:

ألم تعلم أبا سمعان أنا نردّ الشيخ مثلك ذا الصُّداعِ
ونذهل عقله بالحرب حتى يقوم، فيستجيب بغير ^(٢) داعٍ
فدافع عن خزاعة جمع بكرٍ ^(٣) وما بك يا سراقّة من دفاعٍ

وتحدّث الناس بهذه الأبيات، وتداولوها، لأنّ طلحة كان يديم إنشاد البيتين الأولين.

ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم. فجمع عليّ الناس، ثم قام عليّ الغرائر، فخطب، وذكر الجاهلية وشقاءها [542] والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة بالجماعة، وحضّ الناس على الألفة. ثم قال: «إنّ قوماً حسدوا هذه الأمة التي أفاء الله عليها ما أفاءه على الفضيلة، وأرادوا ردّ الأمور على أدبارها، والله مصيب أمره، وبالف ما أراد. ألا وإني راحل

١. تكملة من ابن الأثير ٣: ٢٣٤.

٢. وفي الطبري: لغير.

٣. وضبط المصراع في الطبري أيضاً: فدافع عن خزاعة جمع بكر (٦: ٣١٥٨) وما في الأصل: «فدافع.. جمع..».

غداً، فارتحلوا. ولا يرحلنّ أحد أعان علي عثمان بشيء، في شيء من أمور الناس، وليُغن سفيهاؤهم عني أنفسهم.»

ذكر السبب في نقض ما أشرف عليه القوم من الإصلاح

فاجتمع نفر منهم: علباء بن الهيثم، وعديّ بن حاتم، وشريح بن أوفى، والأشتر، وغيرهم من طبقتهم ممن سار إلى عثمان، أو رضى بسير من سار. وجاءهم ابن السوداء، وخالد بن ملجم، ومعهم المصريون، فتشاوروا.

ذكر آراء هؤلاء، وما تقرّر عليه الرأي

في ما اجتمعوا عليه، ودبّوا^(١) له من الحيلة في نقض الصلح فقال القوم: «هذا والله عليّ، وهو أعلم وأبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إليه إلا هم، والقليل من غيرهم. [543] فكيف به إذا شامّ القوم وشامّوه، ورأوا قلّتنا في كثرتهم. أنتم والله ترادون، وما أنتم بأنجي^(٢) من شيء.» فقال الأشتر:

«أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما. وأما عليّ فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأى الناس فينا واحداً، وإن يصطلحوا مع عليّ فعلى دماننا. فهلّموا نتوثب على عليّ^(٣) فتعود فتنة يُرضى منا فيها بالسكوت.» فقال عبدالله بن السوداء:

١. في مط: «دبّوا» بالذال المعجمة.

٢. في مط: وما أنتم فتعود ما يحى! وفي الطبري أيضاً بأنجي (٦: ٣١٦٣)، وفي الكامل: بالحي (٣: ٢٣٥).

٣. وفي الطبري (٦: ٣١٦٤) وفي الكامل أيضاً: «على عليّ فنلحقه بعثمان» وفي بعض الأصول: «على

عليّ وطلحة ونلحقهما بعثمان» (٣: ٢٣٥).

- «بئس الرأي رأيت. أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة. وهذا ابن الحنظليّة في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً فازق^(١) على ظلمك».

وقال علباء بن الهيثم:

- «إنصرفوا بنا ودعوهم، فإن قلّوا كان أقوى لعدوّهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، ارجعوا فتعلّقوا ببلد من البلدان، وامتنعوا من الناس».

فقال ابن السوداء:

- «بئس ما رأيت، ودّ - والله - الناس أنكم على جديلة، ولم تكونوا مع قوم برءاء، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطّفكم كلّ شيء».

فقال عديّ بن حاتم:

- «والله ما رضيت، ولا كرهت. ولقد عجبت [544] من تردّد من تردّد عن قتله في خوض الحديث. فأما إذا وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإنّ لنا عناقاً من خيول، وسلاحاً محمولاً. فإن أقدمتم أقدمنا، وإن أمسكنكم أمسكنا».

فقال ابن السوداء: «أحسنيت».

وقال سالم بن ثعلبة:

- «من كان أراد بما أتى الدنيا، فإنّي لم أرد ذلك. والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى شيء^(٢)، ولئن طال بقائي إذا أنا لقيتهم لا يزد عليّ جزر جزور^(٣). وأحلف بالله، إنكم لتفرقون السيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلّا إلى السيف».

فقال ابن السوداء: «قد قال قولاً».

١. إرق (أو إرقاً، أو: إربع) على ظلمك: إنّه عما لا تطيقه. أو: لا تجاوز حدّك في وعيدك وأبصر نقصك وعجزك، واسكت على ما فيك من العيب.

٢. في الطبري: إلى بيتي. وفي حواشيه: إلى شيء (٦: ٣١٦٥).

٣. في الطبري: لا يزد عليّ جزر جزور (نفس الصفحة). وفي الأصل: لا يردّ عليّ.

وقال شريح بن أوفى:

- «أبرموا أموركم، ولا تؤخّروا أمراً ينبغي لكم تعجيله، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخير، فإنّا عند الناس بشرّ المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا هم التقوا.»

وتكلّم عبدالله بن السوداء فقال:

- «يا قوم، إنّ عزّكم في خلطة الناس، فصانعوهم. وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرّغوهم للنظر الطويل. فإنّ من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ويشغل الله عليّاً وطلحة والزبير، ومن رأى رأيهم، عما تكرهون، [545] فأبصروا الرأي وتفرّقوا عليه والناس لا يشعرون.»

وأصبح عليّ على ظهر. فمضى ومضى الناس حتى انتهى إلى عبدالقيس فنزل بهم والناس يتلاحقون به وقد قطعهم. ولما بلغ أهل البصرة نزول عليّ حيث نزل اجتمعوا إلى طلحة والزبير، وأشاروا عليهما أن يبعثا خيلاً فتبيّت^(١) عليّاً قبل أن يجتمع الناس إليه.

فنهى الزبير وقال:

- «نرجو الصلح، وقد رددنا وأفدهم - يعني القعقاع - على أمر، وأرجو أن يتم.»

فقام ضبرة بن شيمان إلى طلحة فقال:

- «يا طلحة! أيتها بنا هذا الرجل؟ إنّ الرأي في الحرب خير من الشدة.» فقال:

- «يا ضبرة! إنّنا وهم مسلمون، وهذا أمر حدث، ولم يكن قبل اليوم، ولسنا ننتظر نزول قرآن فيه، ولا فيه من رسول الله - صلى الله عليه - سنة، وهو عليّ

١. في الطبري: فيمسوا هذا الرجل ويصّبّحوه قبل أن يوافي أصحابه (٦: ٣١٦٥).

ومن معه.»

فأما أصحاب عليّ فتحركوا. وقام^(١) عليّ فقال:

- «إنّ الذي ندعو إليه من إقرار هؤلاء هو شرّ، وهو خير من شرّ منه وهو كامن، وقد كاد يبين لنا، وجاءت الأحكام من المسلمين بإيثار أعمّهما منفعة وأحوطهما.»

وأقبل [546] كعب بن سور، فقال:

- «ما تنتظرون يا قوم بعد تورّدكم أوائلهم؟ اقطعوا هذا من العنق. فقالوا:

- «يا كعب! إنّ هذا أمر بيننا وبين إخواننا، وهو أمر ملتبس، وإنّ الشئ يحسن عندنا اليوم، ويقبح عند إخواننا. فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم، وإنّا لنحتجّ عليهم بالحجة، فلا يرونها حجة، ثم يحتجون بها على أمثالنا. ونحن نرجو الصلح إن أجابونا إليه، وإلا فإنّ آخر الداء الكيّ.»

ذكر فتوى

لعليّ بن أبي طالب عليه السلام في تلك الحال

وقام إلى عليّ - عليه السلام - جماعة من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم، وسألوه: ما الذي يرى. فقال عليّ: «الإصلاح وإطفاء النائرة، لعلّ الله يجمع شمل هذه الأمة بنا، ويضع حربهم. فقد أجابوني.»

قالوا: «فإن لم يجيبوا؟»

قال: «تركناهم ما تركونا.»

١. في الأصل: قاموا عليّ! فصححناه.

قالوا: «فإن لم يتركونا؟»

قال: «دفعناهم عن أنفسنا.»

وقام إليه أبو سلامة الدلائى^(١) فقال:

«أترى لهؤلاء القوم حجة [547] فى ما اجتمعوا له وطلبوه من هذا الدم؟»

قال: «نعم.»

قال: «فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟»

قال: «نعم، إن الشىء إذا كان لا يدرك، فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعاً.»

فقال: «ما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟»

قال: «إني لأرجو ألا يقتل أحد منا ومنهم تقي^(٢) قلبه لله بما يصنع، إلا دخل

الجنة.^(٣)»

عليّ يخطب سائلاً كَفَّ الألسن والأيدى

وقام عليّ فخطب وقال:

«أيها الناس! كفّوا ألسنتكم عن هؤلاء وأيديكم، فإنهم إخوانكم، وإياكم أن

تسبقونا. فإن المخصوم من خصم اليوم.»

ثم ارتحل على تعبته، حتى إذا أطلّ على القوم بعث إليهم:

«إن كنتم عليّ ما فارقتم القعقاع بن عمرو، فكفّوا حتى ننزل وننظر فى هذا

الأمر.»

١. وفى مط: الدلاى (الدلاى؟)، وفى الطبرى: الدلائى (٦: ٣١٦٧)، كما فى الكامل (٣: ٢٣٧). وفى

الأصل إهمال وقد أعجمنا النون بإمارة ما فى الطبرى.

٢. فى الطبرى: تقي قلبه (٦: ٣١٦٧).

٣. وأضاف الطبرى هنا: وقام إليه مالك بن حبيب. فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا

ولهم أن الإصلاح الكفّ عن هذا الأمر. فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبيننا إلا القتال، فصدع لا يلتئم. قال:

فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عزّ وجلّ نفعه ذلك وكان نجاءه (٦: ٣١٦٧).

فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال.
قال:

فكنا نرسل إليهم وندعوهم. وبعث عليّ تلك العشية عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير. وبعثا هما من العشيّ محمد بن طلحة إلى عليّ وأن^(١) يكلم كل واحد صاحبه.

فأرسل عليّ إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك الذين ساروا إلى عثمان، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما [548] وباتوا على الصلح ليلة لم يبيتوا بمثلها سروراً بالعافية مما أشرفوا عليه، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قطّ، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إمضاء ما كانوا همّوا به من إنشاء^(٢) الحرب في السرّ، واستسروا به خوفاً من أن يفتن لهم. فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم. فانسلوا انسلالاً وعليهم ظلمة. فخرج مضربهم إلى مضربهم، وربّعهم إلى ربّعهم، ويمانيهم إلى يمانهم، فوضعوا فيهم السلاح، فتنادى أهل البصرة، وثار كلّ قوم في وجوه أصحابهم الذين نهههم.

وخرج طلحة والزبير، ووجوه الناس من مضر، وبعثا إلى الميمنة والميسرة فعبّوهما، وقالوا:

«ما هذا؟» تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی
قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً.

فقالوا: «قد علمنا أنّ عليّاً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحلّ الحرمة، وأنه لن يطاوعنا.»

١. كذا في الطبري: وان يكلم.. (٦: ٣١٦٧).

٢. في الأصل: إنشاء. والتصحيح من الطبري (٦: ٣١٨٢).

ورجعا بأهل البصرة [وقصف أهل البصرة أولئك] ^(١) حتى ردّوهم إلى
عسكرهم. فسمع عليّ وأهل الكوفة الصوت. وقد كان ابن السوداء، والأشتر،
وأصحابهما قد وضعوا رجلاً قريباً [549] من عليّ، ووضّوه بما يريدون. وقالوا:
«إذا سمعت عليّاً يسأل عن الخبر، فتقدّم وقل كيت وكيت.»

فلما قال عليّ: «ما هذا؟» قال ذلك الرجل:

«ما فجعنا إلّا وقوم منهم قد بيّتونا، فرددناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم
على رجل فركبوا وثار الناس.»
وقال عليّ لصاحب ميمنته: «إيت الميمنة.» وقال لصاحب ميسرته: «إيت
الميسرة.»

وقال: «فلقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدم ويستحلا
الحرمة، وأنهما لن يطاوعانا.»
والسبائية لا تفتقر [إنشأباً] ^(٢).

فنادى عليّ: «يا أيها الناس كفوا، فلا شيء!»

وكان يحبّ أن يبدأ لتكون الحجّة على القوم.

وخرج الأحنف بن قيس وبنو سعد مشعرين قد بعثوا حرقوص بن زهير إلى
عليّ، فقال:

«يا عليّ، إنّ قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً، إنك تقتل

رجالهم وتسبي نساءهم.»

فقال: «ما مثلى يُخاف هذا منه. فهل أنت مغن عني قومك؟»

قال: «نعم. واختر مني واحداً من اثنين: إما أن آتيك، فأكون معك بنفسي، وإما

أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف.»

١. تكملة من الطبري (٦: ٣١٨٢).

٢. تكملة من الطبري (٦: ٣١٨٣) وهي ساقطة من الأصل ومط.

قال: «بل اكفف عني عشرة آلاف سيف.»
فرجع، [550] ودعا قومه إلى القعود والكف، ففعلوا.

ما جرى بين علي وطلحة والزبير من حديث
ثم إن الزبير خرج على فرس له، على سلاح، فقبل لعلي:
- «هذا الزبير.»

قال: «أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر.»
وخرج طلحة، فخرج إليهما علي، ودنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهما
فقال علي:

- «لعمري لقد أعددتما سلاحاً، وخيلاً، ورجالاً إن كنتما أعددتما عذراً عند
الله فاتقيا الله، ولا تكونا ﴿كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾^(١) ألم أكن أخاً
لكما في دينكما تحرّمان دمي وأحرّم دمكما؟ فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟»
قال طلحة: «ألبت علي عثمان.»

قال علي: ﴿يومئذ يوقّهم الله دينهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق
المبين﴾^(٢). يا طلحة، تطلب بدم عثمان، فلعن الله أشدنا كان عليه. يا زبير! أتذكر
يوم مررت مع رسول الله - صلى الله عليه - في بني غنم، فنظر إليّ وضحك
وضحكت إليه، فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه؛ فقال لك رسول الله: مه! إنه
ليس كذلك، ولتقاتلنه وأنت له ظالم؟»

فقال: «اللهم نعم. ولو ذكرت، ما سرت مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبداً.»

[551]

فانصرف علي، وحكى ذلك لأصحابه. ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها:

«ما كنت في موطن مذ عقلت وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا.»

قالت: «ما تريد أن تصنع؟»

قال: «أريد أن أدعهم وأذهب.»

قال له ابنه عبدالله: «جمعت هذين الغارين حتى إذا جرّد بعضهم لبعض أردت

أن تتركهم وتذهب. أحسست رايات بن أبى طالب وعلمت أنها فتية أنجاد.»

فغضب الزبير حتى أرعد، ثم قال:

«ويحك! إننى قد حلفت ألا أقاتله.»

قال: كفر عنيمينك.

فدعا غلاماً له يقال له: مكحول، فأعتقه. فقال عبدالله بن سليمان التيمي:

لم أرَ كالיום أخا إخوانٍ أعجبَ من مكفرِ الأيمانِ

بالمعتق فى معصية الرحمانِ

وإنما حكينا هذه الحكاية، لأن فيها تجربة تستفاد، وإن ذهب ذلك على قوم،

فإننا ننبه عليه، وذلك أن المحقق ربما سكّن بالكلام الصحيح، والساكن ربما أحقن

بالزور من الكلام، وذلك بحسب تأتى من يريد ذلك، وإتيانه من وجهه. [552]

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

ما يُحفظ من كلام الأحنف فى الاعتزال

وحضّ الناس عليه

إنه لما رجع من عند عليّ لقيه هلال بن وكيع، وهو سيّد رهطه، فقال:

«ما رأيك؟»

قال: «مكاتفة أمّ المؤمنين. أفتدعنا؟ وتعزل عنا؟ وأنت سيّدنا؟»

قال: «إنما أكون سيدكم غداً إذا قُلتَ وبقيتُ.»

فقال هلال: «سبحان الله، تقول هذا وأنت شيخنا؟»

فقال: «أنا الشيخ المعصيّ وأنت الشاب المطاع.»

ولما ابتدأ القتال قال علي لأصحابه:

ابتداء القتال

- «أيكم يعرض عليهم هذا المصحف ويدعوهم إلى ما فيه، فإن قطعت يده

أخذه بيده الأخرى، فإن قطعت أخذه بأسنانه؟»

فقال فتى شاب: «أنا.»

فطاف على أصحابه يعرض ذلك عليهم، فلم يقبله إلا ذاك الفتى.

فقال له علي:

- «إعرض عليهم هذا وقل: هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره، فالله الله في

دمائنا ودمائكم.»

فحمل القوم على الفتى وبيده المصحف، فقطعت يداه، فأخذه بأسنانه حتى

قتل. فقال علي لأصحابه:

- «قد طاب لكم الضراب.»

فقاتلوهم، فالتحمت الحرب، واشتد القتال إلى العصر. ثم انهزم أصحاب الجمل

وعائشة يومئذ في هودجها على الجمل الذي يقال له: [553] «عسكر». وانهزم

الزبير نحو وادي السباع، وتشاغل الناس عنه، واتبعه قوم. فلما رأى الفرسان

تتبعه، كثر عليهم. فلما عرفوه رجعوا عنه، وتركوه. وكان علي وصّاهم ألا يتبعوا

مدبراً، ولا يجهزوا على جريح.

وأصاب طلحة سهم، فشكّ ركبته بصفحة الفرس، فامتلاً موزجه دماً وضعف.

فانتهى إلى القعقاع في نفر وهو يقول:

- «إلّٰى عباد الله! الصبر الصبر.»

فقال له:

«يا با محمد! إنك لجريح، وإنك عما تريد لعليل، فادخل الأبيات.»
فقال: «يا غلام! أدخلني، وأبغني مكاناً.»

فأدخل ومعه غلام ورجلان. واقتتل الناس بعده، وأقبل الناس في هزيمتهم، فلما انتهوا إلى الجمل، عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا؛ وعادوا في أمر جديد، ووقفت الميمنة والميسرة.

وقالت عائشة لكعب بن سور وهو آخذ خطام الجمل:

«يا كعب: خلّ عن البعير، وتقدّم بكتاب الله، فادعهم إليه.»
ودفعت إليهم مصحفاً. فاستقبلهم بالمصحف.

وكانت السبائية أمام الناس يخافون أن يجرى الصلح. فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعليّ يزعمهم، ويأبون إلا إقداماً، فرشقوا كعباً رشقاً [554] واحداً، فقتلوه، ورموا الهودج. فجعلت عائشة تنادي:

«البقية، البقية يا نبيّ الله!»

فيأبون إلا إقداماً.

أول ما أحدثته عائشة

فكان أول ما أحدثته عائشة حين رأت الناس يأبون إلا قتالها أن قالت:

«أيها الناس! العنوا قتلة عثمان وأشياعهم.»

وأقبلت تدعو، وضجّ أهل البصرة بالدعاء. وسمع عليّ الدعاء، فقال:

«ما هذه الضجة؟»

قالوا: «عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان.»

فأقبل عليّ يدعو ويقول:

«اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم.»

وذمرت^(١) عائشة الناس لما رأت أن الناس لا يريدون غيرها ولا يكفون. فازدلفت مضر البصرة، فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم عليّ. فكانت الحرب صبيحة هذا اليوم مع طلحة والزبير، فلما انهزم الزبير، وأصيب طلحة، وذلك بعد الظهر، صارت الحرب مع عائشة.

قال محمد بن الحنفية: دفع أبي إليّ اللواء، وقال: - «احمل!»

فحملت حتى لم أر موضعاً لحملة - وقد كان زوحم عليّ. فنخس عليّ قفا محمد، وقال: «تقدّم!» وقال: فلم أجد متقدماً إلا علي سنان فقلت: - «لا أجد متقدماً.» [555]

فتناول الرمح من يدي متناول لا أدري من هو. فنظرت، فإذا أبي بين يدي. و [اقتتل] ^(٢) المجنبتان حين تراحفتا قتالاً يشبه مافيه القلبان، وارتجز الفرسان، وكثر القتلى وتنادى الكماة في عسكر عليّ وعسكر عائشة، لما رأوا الصبر الشديد:

- «يا أيها الناس! طرّفوا إذا فرغ الصبر ونزع النصر.»

فجعلوا يتوجّون ^(٣) الأطراف: الأيدي والأرجل، فما رأيت وقعة قطّ قبلها ولا بعدها، ولا سُمع بها، أكثر يداً مقطوعة ورجلاً مقطوعة منها، لا يدرى صاحبها. فكان الرجل من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب بشيء من أطرافه استقتل [إلى أن يقتل] ^(٤).

١. مط: وبرت.

٢. مط والأصل: وأقبلت. وما أثبتناه يؤيده الطبري (٦: ٣١٩٣).

٣. في الطبري: يتوجّون (٦: ٣١٩٤).

٤. في الأصل: إلا أن لا يقتل. وفي مط: إلى أن لا يقتل. وصحناه حسب الطبري (٦: ٣١٩٥).

ونادت عائشة من هودجها بصوت عال فيه كسرة^(١) :
 - «إيه، لله أنتم. جالدوا جلاداً يتفادى منه، بَخْ بَخْ، سيوف أبطحية، وسيوف
 قرشية.»

ونادت بنو ضبة: «ويهاً جمرة الجمرات.»
 وأحدقوا بجملها حتى أسرع فيهم القتل ورقوا. وكانت عائشة تقول:
 - «ما زال رأس الجمل معتدلاً حتى قتلت بنو ضبة حولي.»
 وضربوا ضرباً ليس بالتقدير، حتى إذا كثر القتلى وظهر في العسكر التطريف
 كره بعضهم بعضاً، وارتدت [556] المجنبتان، فصارتا في القلب. ثم تلاقوا جميعاً
 بقلبيهم. فأخذ ابن يثربى برأس الجمل، وارتجز وأدعى قتل علباء بن الهيثم، وزيد
 بن صوحان، وهند بن عمرو، فقال:

أنا لمن يُنكرني ابنُ يثربى قاتلُ علباء وهندِ الجمل
 وزيد صوحانِ عليّ دين عليّ

فناداه عمار: «لقد لُذت بخريز وما إليك من سبيل، فإن كنت صادقاً فاخرج
 من هذه الكتيبة إليّ.»

فترك الزمام، وبرز حتى كان بين صفّ عائشة وصفّ عليّ، وأقبل إليه عمار،
 وهو يومئذ ابن تسعين سنة وقد شدّ وسطه بحبل، وعليه فرو. فضربه ابن يثربى
 فنحا^(٢) له دُرْقَتَه، فنشب السيف فيها، وأسفّ عمار لرجليه، فضربه فقطعما، فوقع
 على إسته، وحماه^(٣) أصحابه فارتت^(٤) بعد، فأتى به عليّ بن أبي طالب. فقال:

١. مط: كدرة.

٢. في الطبري: فنحى له درقته (٦: ٣١٩٩)، والدرقة: الترس إذا كان من جلد، في رواية أخرى من
 الطبري: فائقاه عمار بدرقته (٦: ٣١٩٦). ٣. في الطبري: وحمله أصحابه (٦: ٣١٩٧).

٤. حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً.

- «استبقني يا أمير المؤمنين..»

فقال: «بعد ثلاثة تضرب وجوههم بسيفك؟»

وأمر به، فضربت عنقه.

وتتابع الناس على زمام الجمل حتى قتل أربعون رجلاً يرتجزون ويأخذون

[557] الخطام فيقتلون.

فحدث عبدالله بن الزبير قال:

أمسيت يوم الجمل وبى سبع وثلاثون جراحة من طعنة وضربة، وما رأيت

مثل يوم الجمل قط، ما ينهزم منا أحد وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلا قتل.

فأخذت بالخطام، فقالت عائشة:

- «من أنت؟»

قلت: «ابن الزبير.»

قالت: «واكل أسماء.»

ومرّ بى الأشر، فعرفته، وعانقته، وسقطنا جميعاً، وناديت:

- «أقتلوني ومالكاً.»

فجاء ناس منا، فقاتلوا عنا حتى تحاجزنا، وضاع منى الخطام. فسمعت علياً

وهو ينادى:

- «إعقروا الجمل، فإنه إن عُقر تفرقوا.»

فضربه رجل، فسقط، فما سمعت قط أشد من عجيج الجمل.

وفى رواية أبى بكر بن عيَّاش عن علقمة أنه قال:

قلت للأشر: «قد كنت كارهاً لقتل عثمان، فما أخرجك بالبصرة؟»

قال: «إنّ هؤلاء بايعوه، ثم نكثوا، وكان ابن الزبير هو الذى هزّ عائشة على

الخروج، فكنت أدعو الله أن يلقينيه، فلقينى كفة لكفة^(١). فما رضيت لشدة ساعدي أن قمت فى الركاب، فضربته ضربة على رأسه فصرعته.»
قلت: «فهو القاتل: اقتلونى ومالكاً؟»

قال: «لا. ما تركته وفى نفسى منه شىء.» [558] ذاك عبدالرحمان بن عتاب بن أسيد، لقينى، فاختلفنا ضربتين، فصرعنى وصرعته، فجعل يقول: نحن مصطرعون، أقتلونى ومالكاً، والناس لا يعلمون من مالك، فلو يعلمون لقتلونى.»
ثم قال أبو بكر بن عيَّاش: «هذا كأنك شاهد.»^(٢)

وتحدّث عوف بن أبى رجاء قال: رأيت رجلاً قد اصطلمت أذنه فقلت:
- «أخلقة، أم شىء أصابك؟»

قال: «أحدّثك: بينا أنا امشى بين القتلى يوم الجمل، فإذا رجل يفحص برجله، وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا ولم ننصرف إلا ونحن رواء^(٣)

قال: قلت: «يا عبدالله قل: لا إله إلا الله.»

قال: «أدن منى، ولقنى، فإن فى أذنى وقرأ.»

قال: فدنوت منه، فقال لى: «رسول الله»

- «ممن أنت؟»

قلت: «رجل من أهل الكوفة.»

قال:

١. مط كفة كفة. وفى الطبرى أيضاً كفة لكفة (٦: ٣٢٠٠).

٢. فى الطبرى: «هذا كتابك شاهد.» (٦: ٣٢٠٠). وفى مط: مشاهد.

٣. كذا فى مط والطبرى. ولكن الأصل يشبه أن يكون «رداء».

فوثب على، واصطلم أذنى كما ترى وقال:
 - «إذا رجعت إلى أمك، فأخبرها أن عمير بن الأهلبي الضببي فعل بك هذا.»
 وتعام أبيات عمير بن الأهلبي:

أطعنا بني تميم بن مُرَّة شَقَوَّةً وهل تميمٌ إلَّا أعبدٌ وإماءُ
 لقد كان عن نصر ابن ضَبَّةَ أُمَّةً وشيعتها مندوحةٌ وغَناءُ [559]

وروى عن الصعب بن عطية قال: كان منّا رجل يدعى الحارث، قال يومئذ:
 - «يا آل مضر، علامَ نقتل بعضنا بعضاً؟»
 فنادوا: «لا ندرى، إلّا أنا إلى قضاء.»
 وما يكفون.

وقال القعقاع بعد ذلك: ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل
 بقتال صفين. لقد رأيتنا ندافعهم بأستتنا، ونتكئ على أزجتنا^(١)، وهم مثل ذلك،
 حتى لو أن الرجال مشى عليها لاستقلت بهم.

وقال عبدالله بن سنان الكاهلي: لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى
 [فنيّت]^(٢) وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم، حتى لو
 سيرت عليها الخيل لسارت. ثم قال على:
 - «السيوف يا أبناء المهاجرين.»

قال الشيخ: فما دخلت دار الوليد بالبصرة وسمعت صوت القصارين يضربون
 إلّا ذكرت ذلك اليوم، وما شئت هودج عائشة إلّا بالقنفذ.

١. جمع مفردة الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح، ويقابله السنان، أو: نصل السهم، أو: الرمح من باب
 تسمية الكل باسم الجزء..
 ٢. كذا في مط، والأصل غير واضح.

حمل الهودج من بين القتلى

ثم أمر عليّ عليه السلام، بحمل الهودج من بين القتلى. وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر البعير، فوضعاها إلى جنب البعير. فأقبل محمد بن أبي بكر ومعه عمّار حتى احتملاه، وأدخل محمد يده.

فقالت: [560] «من أنت، ويلك؟»

قال: «أنا أخوك محمد.»

قالت: «هل مذمم!»

قال: «يا أختي! هل أصابك شيء؟»

قالت: «ما أنت من ذاك؟»

قال: «فمن إذا الضُّلال؟»

قالت: «هل الهداة.»

وانتهى إليها عليّ فقال: «كيف أنتِ أمّه؟»

قالت: «بخير.»

قال: «يغفر الله لك.»

قالت: «ولك.»

وأما الزبير فإنه تبعه ابن جرموز فقتله. وأما الأحنف فقصد عليّاً ومعه ابن جرموز.

فقال عليّ للأحنف: «تربّصت.»

فقال: «ما كنت أراني إلّا قد أحسنت، وبأمرك كان أمير المؤمنين، فافرق، فإنّ طريقك الذي سلكت بعيد، وأنت غداً أحوج منك أمس، فاعرف إحساني،

واستصف مودّتي، ولا تقولنّ مثل هذا. فأني لم أزل لك ناصحاً.^(١)»

وحملت عائشة إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعي. وكان عبدالله هذا قتل يوم الجمعة مع عائشة، وقتل عثمان أخوه مع عليّ. وأما الجرحى فإنهم انسلّوا في جوف الليل، ودخلوا البصرة من كان يطيق الإنبيعات.

وسألت عائشة عن غدة ممن كانوا معها وممن كانوا عليها. فكلّما نعي واحد منهم قالت: «رحمه الله». فأما عليّ فصلّى على قتلى هؤلاء، وجمع الأسلاب إلى [561] المسجد بالبصرة، ونادى: «من عرف شيئاً فليأخذه، إلّا سلاحاً كان في الخزائن عليها سمة السلطان.»

وصلّى عليّ في المسجد، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس. ثم راح إلى عائشة على بغلته، وهي في دار عبدالله بن خلف، وهي أعظم دار بالبصرة. فوجدوا النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف، وصفية بنت الحارث مختمة تبكي، فلما رآته قالت:

«يا عليّ، يا قاتل الأحبة، يا مفروق الجمع، أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبدالله.»

فلم يردّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله، حتى دخل عليّ عائشة. فسلم عليها، وقعد عندها. ثم قال:

«جبهتنا صفية. أما إنني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم.»

فلما خرج عليّ أقبلت عليه، فاعادت عليه الكلام. فكفّ بغلته ثم قال: «لهممت - وأشار إلى باب من أبواب الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا، وأقتل من فيه.»

وكان ناس من الجرحى لجأوا إلى عائشة. فأخبر عليّ بمكانهم فتغافل عنهم.

فسكتت صفيّة، وخرج عليّ.

فقال له رجل من الأزد: «ما تُفلتنا هذه المرأة.»

فغضب وقال: «مه! لا تهتكنّ سترأ، [562] ولا تدخلنّ داراً، ولا تهيجنّ امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسقهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهنّ ضعاف. ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب، فيعيّر به عقبه من بعده. فلا يبلغنّني عن أحد عرض لامرأة، فأنكل به شرار الناس.»^(١)

ومضى عليّ، فلاحق به رجل فقال: «يا أمير المؤمنين، قام رجلان ممن لقيت على الباب فتناولا من هو أمض لك شتيمة من صفيّة.»

قال: «ويحك، لعلها عائشة!»

قال: «نعم.»

فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب. فأقبل بمن كان عليه. فأحالوا على رجلين.

فقال: «أضرب أعناقهما..»

ثم قال: «بل أنهكهما عقوبة..»

ثم قال: «لا، بل أضربهما مائة أخرجهما من ثيابهما.»

ثم بايع أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة. فلما فرغ من بيعتهم نظر في بيت المال، فإذا فيه ستمائة ألف، فقسمها عليّ من شهد معه. فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائة.

فقال لهم: «لكم إن أظفركم الله بالشام، مثلها إلى أعطيائكم.»

فخاض في ذلك السبائية وطعنوا عليّ من وراء وراء.

سيرة عليّ في من قاتل يوم الجمل

وكان من سيرة عليّ ألا يقتل مدبراً، ولا يذفّف على جريح، ولا يكشف سترأ،
[563] ولا يأخذ مالاً.

فقال قوم يومئذ:

«ما يُحلّ لنا دماءهم، ويُحرّم علينا أموالهم؟»

فقال عليّ: «القوم أمثالكم. من صفح عنا فهو منا ونحن منه؛ ومن لجّ حتّى
يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر، وإنّ لكم في خمسة لغنى.»
فيومئذ تكلمت الخوارج.

وكتب كتاب البشارة إلى عامله بالمدينة. وكان زياد بن أبي سفيان ممّن
اعتزل. فلمّا انجلت الحرب، ذكره عليّ، واستبطأه. فقال ابن أخيه عبدالرحمان بن
أبي بكر، وكان ورد مستأمناً:

«هو مستأمن يا أمير المؤمنين.»

فقال: «إمش أمامي، فاهدني إليه.»

ففعل. فلمّا دخل عليه قال: «تقاعدت وتربّصت.»

فاعتذر زياد. فقبل عذره، واستشاره في من يولّيه البصرة، وأراد عليه.

فقال: «يا أمير المؤمنين، رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس، فإنّه أجدر أن
يطمئنّوا إليه، وسأكفيه وأشير عليه.»

فافترقا على ابن عباس، وولّى زياداً الخراج وبيت المال.

السبائية ترتحل بغير إذن عليّ

وأعجلت السبائية عليّاً عن المقام، وارتحلوا بغير إذنه. فارتحل على آثارهم
ليقطع عنهم أمراً إن كانوا أرادوه. وقد كان له مقام لولاهم. [564]

وكان عدّة القتلى يوم الجمل عشرة آلاف من الفريقين.
وتحدّث الناس:

إنّ أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس، وفيه كان القتال، وذلك من نسر مرّ بماء حول المدينة معه شيء متعلّق، فتأمّله الناس، فوقع، فإذا كفّ فيها خاتم نقشه: «عبدالرحمان بن عتاب». ثم جعل من بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد، قد علموا بالوقعة مما تنقل إليهم النسر من الأيدي والأقدام.

تجهيز عليّ عائشة

وجهّز عليّ عائشة لغزّة رجب سنة ستّ وثلاثين بكلّ شيء ينبغي لها، وأخرج معها كلّ من نجا ممن خرج معها إلّا من أحبّ المقام. واختار من نساء البصرة المعروفات أربعين امرأة، وأمر أخاها محمداً بالخروج معها، وخرج في تشييعها أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً.

ما جرى بين معاوية وقيس

وكان عليّ بن أبي طالب ولّى قيس بن سعد بن عبادة مصر لما قتل عثمان، فسار إليها، وبايع أهلها عليّ بن أبي طالب، ودارى الناس. فاستجاب له أهل مصر إلّا أهل قرية يقال لها: «خربنا»^(١)، فإنّ أهلها أعظموا قتل عثمان، وكانوا نحو عشرة آلاف رجل من الوجوه الفرسان [565] فكره قيس أن يهيجهم، فراسلهم قيس وراسلوه يقولون:

«إنّا لا نقاتلك، فابعث عمّالك، فالأرض أرضك، ولكن دعنا عليّ حالنا حتى

١. مط: حرتنا. وفي الطبري: خربنا (٦: ٣٢٣٨).

ننظر إلى ما يصير أمر الناس.»

فأمسك عنهم، وأرسل إليهم عمّاله، فجباهم، ثم توثّب عليه قوم بمصر، فداراهم، وكان قيس ذا حزم ورأى. فجبى الخراج لا ينازعه أحد. وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو على مصر، ورجع إلى أرض الكوفة من البصرة وهو بمكانه. فكان أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام مخافة أن يقبل إليه على أهل العراق ويقبل إليه قيس في أهل مصر فيقع معاوية بينهما.

فكتب إليه معاوية وعليّ بن أبي طالب بالكوفة يومئذ، يعظم عليه قتل عثمان، ويذكر له أن صاحبه أغرى به الناس، وحملهم على قتله، ويحمل قيساً على متابعتة، ويضمن له سلطان العراقيين إذا ظهر، ما بقى^(١)، ويشترط له سلطان الحجاز يوليّه من شاء من أهله، ويقول له بعد ذلك:

«وسلني غير هذا مما تحبّ، فإنك لا تسألني شيئاً إلا أجبتك إليه.»

فأجابه قيس بالإعتذار من قتل عثمان، وأنه لم يشهده [566] ولا صاحبه أمير المؤمنين، ولا رضىه، واستمهله مما عرض عليه من متابعتة، وقال:

«لى فيه نظر ورأى.»

فلما نظر في كتابه معاوية وقراه لم يره إلا مباعداً^(٢)، ولم يأمن أن يكون مكائداً، فكتب كتاباً آخر يقول له:

«لم أرك تدنو فأعدك مسلماً، ولم أرك تباعد فأعدك حرباً، وليس مثلى من يصانع بالخداع^(٣) ومعى أعنة الخيل، وعدد الرجال.»

فلما قرأ قيس كتابه ورأى أنه لا يقبل منه المدافعة^(٤)، أظهر له ذات نفسه

١. في كتاب معاوية: «... ولك سلطان العراقيين إذا ظهرت ما بقيت...» (الطبرى ٦: ٣٢٣٨-٣٢٣٩).

٢. في الطبرى: مقارباً مباعداً (٦: ٣٢٤٠). ٣. في الطبرى: من يصانع المخادع (نفس الصفحة).

٤. في الطبرى: المدافعة والمساطة.

وكتب إليه :

- «العجب من اغترارك بي وطمعك فيّ واستسقاطك رأيي، تسومني الخروج من طاعة أولى الناس بالإمارة، وأقولهم بالحقّ، وأقربهم إلى الرسول، وأهداهم سبيلاً، وتأمّرني بالدخول في طاعتك، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم بالزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من الله ورسوله وسبيله، ولد ضالّين مضلّين، طاغوت من طواغيت إبليس، فأما قولك: إنّي مالى عليك^(١) خيلاً ورجلاً، فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهمّ إليك، إنك لذو جدّ والسلام.» [567]

فلما أتى معاوية كتاب قيس بن سعد هذا. يش منه، وثقل عليه مكانه، وأخذ في طريق الحيلة عليه، والمكيدة له.

ذكر مكيدة معاوية لقيس وما تمّ له عليه

فأخذ معاوية يكيد قيساً من قبل عليّ، فيظهر مرة كتاباً يفتعله من قيس إليه بأنه: منكر لقتل عثمان، تائب إلى الله منه، وأنّ هواه وميله معه، في أشياء تشبه هذا الكلام، ومرة يظهر رسولاً يزعم: أنّه من قبله ويلقّنه وما يقوّى به قلوب شيعته من أهل الشام؛ ومرة يقول لثقافته: لا تسبّوا قيس بن سعد، فإنّه لنا شيعة^(٢) تأتينا نصيحته سرّاً، ألا ترون ما يفعل بإخوانكم من أهل حزيننا يُجرى عليهم أرزاقهم. ويؤمن سريتهم ويحسن إلى كل ركب قدم عليه منكم؟

فسمع جواسيس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وعيونه ذلك، فكتبوا إليه به. ولم يزل معاوية بأمثال هذا المكائد حتى اتهم عليّ قيساً، وجمع ثقافته، وقال لهم ما كتب إليه من أمر قيس، فقالوا:

- «يا أمير المؤمنين [568] ما يريبك إلى ما لا يريبك^(٣). إ عزل قيساً، وابعث

٢. كذا في مط.

١. عليك مصر... (الطبري ٦ : ٣٢٤١).

٣. سقط من مط: «إلى ما لا يريبك».

بثقتك مكانه.»

فقال عليّ: «إني والله ما أصدّق هذا على قيس.»

فقال عبدالله بن جعفر: «إعزله يا أمير المؤمنين، فوالله، لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك.»

فبينما هم كذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد يخبره:

«إن رجلاً قد سألوني أن أكفّ عنهم وأدعهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويروا، فرأيت أن أكفّ^(١) عنهم، وألا أتعجل حربهم، فلعلّ الله يعطف بقلوبهم^(٢)»
فقال عبدالله بن جعفر: «يا أمير المؤمنين، ما أخوفني أن يكون هذا ممالة منه لهم. فمره بقتالهم.»

فكتب إليه عليّ:

«أما بعد، فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا في ما دخل فيه المسلمون، وإلا فناجزهم، والسلام.»

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب، لم يتمالك أن كتب:

«أما بعد، يا أمير المؤمنين، فقد عجبت لأمرك بقتال قوم كافين عنك مفرّغيك لقتال عدوك، وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك. فأطعني يا أمير المؤمنين، واكفّ عنهم، فإن الرأي تركهم.»

فلما أتى عليّاً كتاب قيس قرأه على أصحابه. فقال عبدالله بن جعفر:

«أبعث محمد بن أبي بكر [569] على مصر يكفك، فقد بلغني عن قيس هتات وأقوال»^(٣)

يعني ما كان يشيعه معاوية عنه.

فكتب عليّ عهد محمد بن أبي بكر على مصر. فلما قدم محمد مصر، خرج

١. وفي الأصل: «أن أكفّ»! وفي مط: «أن أكفهم».

٢. تجد نص الكتاب عند الطبري (٦: ٣٢٤٤). ٣. أنظر نفس المصدر.

قيس، فلحق بالمدينة. فأخافه مروان والأسود بن البختري حتى إذا خاف أن يقتل، ركب راحلته وطمر^(١) إلى علي. وبلغ ذلك معاوية، فكتب إلى مروان والأسود يتغيظ عليهما ويقول:

«أمددتما علياً بقيس بن سعد ورأيه ومكانته، والله لو أنكما أمددتما بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك بأغيظ لي من إخراجكما قيس بن سعد إلى علي». ولما قدم قيس على علي وبأته، ثم جاءهم قتل محمد بن أبي بكر، عرف أن قيس بن سعد كان يداري أموراً عظيماً من المكاره، وأن من كان يحمله على عزل قيس لم يكن ينصح له. فأطاع علي قيس بن سعد بعد ذلك في الأمر^(٢) كله.

ابتداء وقعة صفين

قميص عثمان وأصابع نائلة

وكان أهل الشام قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه، وبأصابع زوجته «نائلة»، مقطوعة البراجم^(٣): إصبعان منها مع شيء من الكف، وإصبعان مقطوعتان من أصولهما، ونصف [570] الإبهام. فكان معاوية يضع القميص على المنبر، ويعلق منه الأصابع، ويشنع به، ويكاتب الأجناد، فتأب إليه الناس وبكوا سنة والقميص بتلك الحال. وآلى رجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء، ولا يمشيهم الماء للغسل إلا من الإحتلام، ولا يناموا على الفرش، حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض^(٤) دونهم بشيء، أو تفنى أرواحهم.

١. في مط: ظهر. وفي الطبري: ظهر، طمر، وتصحيفات شتى (٦: ٣٢٤٦). طمر: وثب. ظهر: سار في الظهيرة.

٢. كذا في مط، وفي الطبري: «في الأمر» (نفس الصفحة).

٣. البراجم: جمع مفردة البرجمة: مفاصل الأصابع أو العظام الصغار في اليد والرجل.

٤. مط: يعرض.

خروج عليّ بن أبي طالب إلى صفّين

وبلغ عليّاً خبر معاوية وما يصنعه، فبعث إليه برسل، وخرج من الكوفة، فعسكر بالنخيلة، وقدم عليه عبدالله بن عباس، بمن نهض معه من البصرة، وتهيأ منها إلى صفّين، واستشار الناس. فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم، وأشار آخرون بالمسير، فأبى إلا المباشرة. فجهّز الناس.

وبلغ الخبر معاوية، فدعا عمرو بن العاص واستشاره. فقال: «إذا بلغك أنه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك.» قال معاوية: «فجهّز الناس.»

فخرج عمرو إلى الناس، وحضّضهم وضعّف عليّاً وأصحابه وقال: - «إنّ أهل العراق قد فرّقوا جمعهم، وأوهنوا شوكتهم [571] وقطعوا حذهم. ثم إنّ أهل البصرة مخالفون لعليّ وقد قتلهم، ووترهم، وتفانت صناديدهم يوم الجمل، وإنما سار عليّ في شرذمة قليلة، منهم من قتل خليفتمكم، فالله في حقكم أن تضيّعوه، وفي دمكم أن تبطلوه.»

وبعث عليّ بن أبي طالب زياد بن النضر طليعة في ثمانية آلاف و [بعث معه] ^(١) شريح بن هانئ، ووجه من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ عليّ الموصل حتى يوافيه، وسار بنفسه حتى انتهى إلى الرقة، وقال لأهلها:

«اجسروا لي جسراً حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام.»

فأبوا. وكانوا ضمّوا إليهم السفن. فنهض عليّ من عندهم ليعبر من جسر منبج، وخلف عليهم الأشر، ورحل ليمضي بالناس ويعبر بهم.

فنادى الأشتر: «يا أهل هذا الحصن، إليّ، إنّي أقسم بالله، لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسراً حتى يعبر، لأجرّدن فيكم السيف، ثم لأقتلن الرجال، وأخرين الديار، ولأنهين الأموال.»
فلقى بعضهم بعضاً، فقالوا: «هو الأشتر، ويفي بما حلف عليه، ويأتى بما هو شر منه.»

فنادوه: «نعم، إنّنا ناصبون لكم جسراً، فأقبلوا.»
فجاء عليّ، فنصبوا له الجسر، فعبر عليّ بالأتقال [572] والرجال، ثم أمر عليّ الأشتر، فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلاّ عبر، ثم عبر آخر الناس رجلاً.

فأما زياد بن النضر وشريح بن هانئ، فسارا أمام عليّ - كما ذكرنا - من الكوفة، آخذين على شاطئ الفرات من قبل البرّ مما يلي الكوفة، حتى بلغا عانات، فبلغهما [أخذ عليّ] على طريق الجزيرة^(١)، وإنّ معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام، فقالا:

- «والله ما هذا لنا برأى: أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر، ومالنا خير في أن نلقى جنود الشام بقلّة من معنا منقطعين من المدد.
فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهل عانات، وحبسوا عنهم السفن. فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت^(٢)، ثم لحقوا عليّاً، فقال عليه السلام:
- مقدّمتي تأتيني من ورائي!»

فتقدّم إليه زياد وشريح، وأخبراه بما رأيا. فقال: «سُدّتما.»

١. في الأصل ومط: «فبلغهما عليّ أخذاً على طريق الجزيرة» وهي مضطربة، فأثبتناها كما في الطبري (٦: ٣٢٥٩).

٢. هناك ثلاثة مواضع مسماة «هيت»: الأول: بلدة على الفرات من نواحي بغداد. والثاني: دحل تحت عارض جبل باليمامة. والثالث: من قرى حوران من ناحية اللوى من أعمال دمشق (يا).

ثم مضى. فلما عبر الفرات قدّهما أمامه. وأرسل معاوية أبا الأعور السلمي في جند عظيم من أهل الشام، فأرسلا إلى عليّ: - «إنا قد لقينا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام ودعوناهم، فلم يجبنا منهم أحد، فمرنا بأمرك.»

وكان عليّ أمرهما ألاّ يبدءا بقتال حتى يدعوا إلى الحق، ويكون مبدأ القتال من غيرهما. [573] فأرسل عليّ عليه السلام الأشر، فقال: - «يا مال، إن زياداً وشريحاً أرسلا إليّ أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأخبرني الرسول أنهم متواقفون، فالتجأ إلى أصحابك النجاء، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم، وإياك أن تبدأهم، ولا يجرمك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم مرة بعد مرة، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بعد من يهاب الناس، حتى أقدم عليك، فأني حثيث^(١) السير في أثرك إن شاء الله.»

وكتب إلى زياد وشريح بالسمع له والطاعة. فخرج الأشر، والتقى مع القوم، وكفّ عن القتال إلى أن حمل أبو الأعور، فثبتوا له. ثم انصرف أهل الشام في تلك الليلة لما أدركهم المساء^(٢)، وأقبل من الغد، وجاء الأشر من المكان الذي كان فيه، ولم يزل يزحف حتى وقف في المكان الذي كان فيه بالأمس أبو الأعور.

فقال الأشر لسنان بن مالك:

- «انطلق إلى أبي الأعور، فادعه إلى المبارزة.»

فقال: «إلى مبارزتي، أو إلى مبارزتك؟»

فقال الأشر: «لو أمرتك بمبارزته فعلت؟»

قال: «نعم، والله لو أمرتني أن أعترض صفّهم بسيفي، ما رجعت حتى أضرب

فيهم بسيفي.»

فقال له الأشر: «يا ابن أخي، أطال الله بقاءك، [574] قد - والله - ازددت فيك رغبة. لا، ما أمرتك بمبارزته، وإنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي. إنه لا يبرز إلا لذوى الأسنان والكفاءة والشرف، وأنت - ولربك الحمد - من أهل الشرف والكفاءة، غير أنك في حدث السن. وليس [هو] بمبارز الأحداث، ولكن ادعه إلى مبارزتي.»

فأتاه ونادى: «آمنوني، فإني رسول.»

فأومن حتى جاء إلى أبي الأعور.

قال: فدنوت منه وقلت «إنّ الأشر يدعوك إلى المبارزة.»

قال: فسكت عني طويلاً ثم قال: «إنّ خفة الأشر، وسوء رأيه حمله على إجلاء عمّال عثمان بن عفّان من العراق، ومن خفة الأشر أن سار إلى بن عفّان في داره حتى قتله في من قتله، فأصبح متبعاً^(١) بدمه. ألا، لا حاجة لي في مبارزته.»

قال: قلت له: «إنّك قد تكلمت، فاسمع مني أجبك.»

قال: «لا حاجة لي في الإستماع منك ولا في جوابك، اذهب عني.»

وصاح به أصحابه، فأنصرف عنه، ولو سمع إليّ لأجيبته بحجة صاحبي.

فرجعت إلى الأشر، فأخبرته أنه قد أبى المبارزة. فقال:

- «لنفسه نظر.»

القتال على الماء

وأقمنا متحاجزين يوماً ونتحارس ليلتنا. فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد

١. أهملت الثانية والثالثة من الكلمة في الأصل، وهي في مط: «متبعاً» والضبط في الطبري: «متبعاً».

انصرفوا من تحت ليلتهم، ويصّبّحنا على غدوة. فقدّم الأشر في من كان معه في [575] تلك المقدمة. وجاء على في أثره حتى لحق بالأشر وانتهى إلى معاوية. قال: فلمّا انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل أفيح، قد اختاره قبل قدومنا، إلى جانب شريعة الفرات، ليس في ذلك الصقع كلّ شريعة غيرها، وجعلها في حيّزه، وبعث عليها بأبي الأعور يمنعها ويحميها. قال: فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغنى بها عن شريعتهم، فلم نجدها.

قال: فأتينا عليّاً، فأخبرناه بعطش الناس، وقال له الأشر: «إنّ القوم قد سبقوك إلى الشريعة وإلى سهولة المنزل^(١)، فإن رأيت سرنا حتّى نجوزهم إلى القرية التي خرجوا منها، فننزل في منزلهم، فإنهم يشخصون في إثرنا، فإذا لحقونا نزلنا فكنا [نحن]^(٢) وهم على السواء». فكره ذلك على وقال: «ليس كل الناس يقوى على المسير». ونزل بهم، فقال على: «قاتلوهم على الماء». وبعث إلى معاوية برسول يقول:

«إنّا سرنا إليك، ومن رأينا الكفّ، إلى أن تنظر لنفسك، وننظر، وامتنعنا من قتالك، فبدأتنا، وهذا الماء تمنعنا منه، فخلّ بين الناس وبين الشريعة حتّى ننظر^(٣)، وإن كان الأعجب إليك أن نترك ما جئنا له، ونترك الناس يقتتلون على الماء، حتّى [576] يكون الغالب هو الشارب».

فقال معاوية لأصحابه: «ما ترون؟»

فأما أكثر الناس قال: «ولا نعى عين، نمنعهم الماء كما منعه عثمان؛ فإن رجعوا كان ذلك فلاّ لهم».

١. في الطبري: إلى سهولة الأرض وسعة المنزل (٦: ٣٢٦٤).

٢. تكملة من الطبري (٦: ٣٢٦٤). ٣. مط: حتّى تنظروا فإن كان..

فقال عمرو: «خَلَّ بينهم وبين الماء، فَإِنَّ القومَ لَنَ يعطشوا [وأنتَ رِيَّانٌ]»^(١)
 ولكن بغير الماء، فانظر في ما بينك وبينهم.»
 فارتفع الصياح من كل جانب:
 - «إمنعوهم الماء، منعهم الله يوم القيامة.»
 وكان الرسول صعصعة بن صوحان، فقال صعصعة:
 - «إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة، والفسقة شرية الخمر: ضربكم من الناس.»
 فتوثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه.
 فقال معاوية: «كفّوا عن الرجل فإنه رسول.»
 قال صعصعة: «فخرجت من عنده ومن رأيه منع الماء. فما انتهيت إلى عليّ
 حتى رأيت الخيل تسرّب إلى أبي الأعور ليكفّنا عن الماء. فأبرز [نا]»^(٢) عليّ
 إليهم وقال:

- «قاتلوهم على الماء.»

فارتمينا، ثم أطعنا، ثم تجالдна بالسيوف، إلى أن انهزموا، وصار الماء في
 أيدينا.

قال: فقلنا: «لا والله، لا نسقيهموه بعد أن غلبنا عليه بالسيف.»

فأرسل إلينا عليّ أن: «خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكريكم،
 وخلّوا عنهم، فإن الله قد نصركم عليهم بغيرهم وظلمهم.»

ثم أقبل عليّ يأمر [577] ذا الشرف من الناس، فيخرج ومعه جماعة، ويخرج
 معاوية إليه مثله، فيقتتلان في خيلهما، ثم ينصرفان، وأخذوا يكرهون أن يلقوا
 بجميع [أهل] ^(٣) العراق أهل الشام لما يتخوّفون أن يكون في ذلك من

٢. تكملة من الطبري (٦: ٣٢٦٤).

١. تكملة من الطبري.

٣. تكملة عن مط.

الإستيصال والهلاك، إلى أن [تقضى شهر ذى] ^(١) الحجة.

فلما دخل المحرم توادع عليّ ومعاوية إلى انقضائه طمعاً في الصلح، وتردّدت الرسل، وطال الكلام بينهما، فما استقام بينهما الصلح. وانقضى المحرم فأمر عليّ مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس:
 - «ألا، إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: إنّى استدمتكم ^(٢) لتراجعوا الحقّ وتنبّيوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله، ودعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حقّ، وإنّى قد نبذت ^(٣) إليكم على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين». ففرع ^(٤) أهل الشام إلى أمرائهم، وخرج معاوية وعمرو في الناس يكتّبان الكتائب، ويعبّتان الناس، وأوقدوا النيران، وبات عليّ ليلته كلّها يعبئ الناس، ويكتب الكتائب، ويدور في الناس، ويحرّضهم.

من وصايا عليّ لأصحابه يوم صفّين

وكان في ما يوصيهم:

- «إذا قاتلتموهم وهزمتموهم، فلا تقتلوا [578] مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقيتل، فإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترأ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهنّ ضعيفات القوى».

كان هذا كلامه في يوم الجمل، وصفّين، ويوم النهروان، وكان يحرض فيقول:
 - «عباد الله، غضّوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلّوا الكلام، ووطنوا

١. مكان «تقضى شهر ذى» بياض في الأصل وما أثبتناه عن مط.

٢. مط: أستبدّ منكم. ٣. مط: نذرت. وفي الطبري أيضاً: نبذت.

٤. فرع إليه. لجأ إليه واستغاثه.

أنفسكم على المنازلة والمبارزة، والمبالطة^(١)، والمعانقة، واثبتوا، واذكروا الله كثيراً، لعلكم تفلحون، ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين^(٢)، اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر.»

اقتتلوا ولكلّ فئة أحد عشر صفّاً

ولما أصبح عليّ في ميمنته وميسرته، ومعاوية في مثل ذلك، وباع رجال من أهل الشام على الموت؛ فعقلوا أنفسهم بالعمائم. فكان المعقلون^(٣) خمسة صفوف، وكانوا يخرجون ويصفون أحد عشر صفّاً، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفّاً. [579]

فخرجوا أول يوم من صفر، واقتتلوا، وعليّ من خرج يومئذ من الكوفة الأشر، وعليّ أهل الشام حبيب بن مسلمة، وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا عامة نهارهم، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض. فلما كان اليوم الثاني، خرج هاشم بن المرقال، وخرج إليه أبو الأعور السلمي في خيلهما ورجالهما، فاقتتلوا عامة نهارهم، وصبر بعضهم لبعض. وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر. وخرج إليه عمرو بن العاص في خيلهما ورجلها، فاقتتلوا كأشدّ ما يكون القتال، وكان مع عمار زياد بن النضر^(٤) على الخيل، فأمره عمار أن يحمل، فحمل في خيله وصبر له الناس، وشدّ عمار في الرجال، فأزال ابن العاص عن موقفه، ثم انصرف كلّ واحد عن صاحبه وتراجع الناس.

وخرج اليوم الرابع محمد بن عليّ، وهو ابن الحنفية، فخرج إليه عبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين، فاقتتلوا كأشدّ القتال:

١. المبالطة: التحارب بالسيوف.

٢. س ٨ الأنفال: ٤٥، ٤٦.

٣. مط: معقلون.

٤. ما في الأصل غير واضح، فأثبتناه كما في مط والطبري (٦: ٣٢٨٤).

فأرسل عبيد الله إلى ابن الحنفية، أن: «أخرج إليّ!»

فقال: «نعم!»

وخرج يمشى. وبصر به عليّ، فقال: «من هذان المتبارزان؟»

فقال له: «ابنك وعبيد الله بن عمر.»

فحرك دابته، [580] ثم نادى محمداً، فوقف له.

فقال: «أمسك دابتي!»

فأمسكها.

ثم مشى إليه عليّ وقال: «أبرز [لك] ^(١)، فهلّم إليّ!»

فقال: «ليست لي في مبارزتك حاجة.»

قال: «بلى، هلم!»

قال: «لا.»

فرجع ابن عمر، وأخذ محمد بن الحنفية يعاتب أباه في منعه، ثم خروجه بنفسه، إلى من ليس [كفواً له] ^(٢) هو ولا أبوه. فجرى بينهما كلام مذكور ^(٣). ثم تحاجز الناس.

فلما كان اليوم الخامس خرج عبدالله بن العباس، وخرج إليه الوليد بن عتبة، فاقتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن العباس من الوليد بن عتبة والوليد يشتم بني عبدالمطلب. فأرسل إليه ابن عباس أن: أبرز لي! فأبى. وقاتل ابن عباس قتالاً

١. تكملة عن الطبرى.

٢. فى الأصل وفى مط: «هناك» فوجدته تحريفاً من: «كفواً له» وهذا مستنبط من المفاضلة الواردة فى رواية الطبرى التى أوردناها فى الحاشية التالية.

٣. قال الطبرى: «... فرجع ابن عمر، فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: يا أبت لِمَ منعتنى من مبارزته؟ فوالله لو تركتنى لرجوت أن أقتله. فقال: لو بارزته لرجوت أن تقتله وما كنت آمن أن يقتلك. فقال: يا أبت، أو تبرز لهذا الفاسق؟ والله، لو أبوه سألك المبارزة لرغبت بك عنه. [أى: لفضلتك عليه] فقال عليّ: يا بنى، لا تقل فى أبيه إلا خيراً. (الطبرى ٦: ٣٢٨٥). أنظر أيضاً ابن الأثير ٣: ٢٩٥.

شديداً، وغشى الناس بنفسه.

وخرج اليوم السادس قيس بن سعد الأنصاري، فخرج إليه ابن ذى الكلاع الحميري، فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم انصرفا، ذلك بعد قتل كثير في الفريقين.

وخرج الأشتر في اليوم السابع، وعاد إليه حبيب بن مسلمة، وذلك يوم الثلاثاء، فاقتتلا كأشد ما يكون من قتال، ثم انصرفا عند الظهر وكل غير غالب.

ثم إن علياً قال: «حتى متى لا نناهض هؤلاء القوم [581] بأجمعنا؟»

فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر، فخطبهم فقال:

- «الحمد لله الذي لا يبرم ما تقض، ولا ينقض ما أبرم، ولو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلقت^(١) بيننا في هذا المكان، فلو شاء عجل النعمة، وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة هي دار القرار، ليجزي الذين أسأوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.^(٢) ألا، إنكم لاقوا^(٣) القوم غداً، فاطلبوا وجه الله بأعمالكم، وأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله الصبر والنصر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين.»

فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها. ومرّ بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

أصبحت الأمة في أمرٍ عَجَبُ والمُلكُ مجموعٌ غداً لمن غَلَبُ
فقلتُ قولاً صادقاً غيرَ كَذِبِ إنَّ غداً يهلكُ أعلامُ العربِ

١. في الأصل ومط: فلف. والصحيح ما أثبتناه كما في الطبري (٦: ٣٢٨٦).

٢. في الأصل: لا قوا.

٣. س ٥٣ النجم: ٣٢.

ولما كان من الليل، خرج عليّ يعبى الناس ليلته كلها حتى إذا أصبح زحف الناس، وخرج إليه معاوية في أهل الشام. فجعل عليّ يقول: «من هذه القبيلة»، و«من هذه الكتيبة؟» [582] فتنسب له، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزهم، قال للأزد: «أكفوني الأزد». وقال لخنثهم: «أكفوني خنثهم». وأمر كل قبيلة أن تكفيه أختها، وإذا لم يجد لقبيلة منهم أختها سمى لها قبيلة أخرى. ثم تناهض الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا نهارهم كله، وانصرفوا عند المساء وكل غير غالب.

حتى إذا كان يوم الخميس، وهو التاسع، صلى عليّ بغلس^(١)، فيقال: إنه لم يغلس أشد من تغليسه يومئذ. ثم خرج بالناس. وكان عليّ - عليه السلام - يبدأ القوم بالمسير إليهم. فاذا رأوه وقد زحف استقبالوه بوجوههم. فلما صلى عليّ، دعا دعاءً كثيراً، وقال في آخر دعائه:

«اللهم إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، وسدّدنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة.»

ثم خرج وعلى ميمنته عبدالله بن بديل، وعلى ميسرته عبدالله بن العباس وقرّاء أهل العراق مع ثلاثة نفر: مع عمار بن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبدالله بن بديل، والناس على راياتهم وعليّ في القلب في أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة وأكثر من معه من أهل المدينة، الأنصار. ثم زحف إليهم بالجمع.

ورفع معاوية قبة [583] عظيمة وقد ألقى عليها الكرايس، وبايعه عظم أهل الشام على الموت، وبعث إلى خيل أهل دمشق، فأحاطت بقبته، وزحف عبدالله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة، فلم يزل يحوزه ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرّهم إلى قبة معاوية عند الظهر، وحضّ عبدالله بن بديل

١. الغلس: ظلام أول الصبح.

أصحابه، وحرّضهم، وذكّرهم بالله، وأثنى عليه، وعرض من معاوية وسبّه، وقاتل قتالاً شديداً، وحضّ عليّ أصحابه.

خطبة في حضّ عليّ حرب ووصايا فيها

فقال:

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تَجَارَةِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ^(١)، وَأَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَانَتْهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوصٍ^(٢) فَسَوُّوا صَفُوفَكُمْ، وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ، وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَىُ لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَالتَّوَوُّوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ، فَإِنَّهُ أُمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ، فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ، وَأَمْسَتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ، وَأُولَى بِالْوَقَارِ رَايَاتُكُمْ، فَلَا تَمِيلُوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ. أَجْزَأُ أَمْرُ [وَقَدْ]^(٣) قَرْنَةٍ وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُلْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَكْسِبَ [584] بِهِ لَائِمَةً وَدَنَاءَةً، وَكَيْفَ لَا، وَهَذَا يِقَاتِلُ اثْنَيْنِ وَهَذَا مُمْسِكٌ يَدَهُ قَائِماً يَنْظُرُ إِلَيْهِ؟ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، يَمُقَّتْهُ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ لِقَوْمٍ: لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ، وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلاً^(٤)، اسْتَعِينُوا بِالصَّدَقِ وَالصَّبْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ بَعْدَ الصَّبْرِ النَّصْرَ».

خطبة يزيد بن قيس الأرحبي

وخطب يزيد بن قيس الأرحبي، فقال بعد حمد الله:

١. س ٦١ الصف: ١١.

٢. س ٦١ الصف: ٤.

٣. ما بين [] تكملة من الطبري ٦: ٣٢٩٠.

٤. س ٣٣ الأحزاب: ١٦.

- «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، وَاللَّهِ، لَا يِقَاتِلُونَا»^(١) عَلَى إِقَامَةِ دِينِ رَأُونَا ضِيْعَنَاهُ، وَإِحْيَاءِ حَقِّ رَأُونَا أَمْتِنَاهُ؛ وَلَنْ يِقَاتِلُونَا»^(٢) إِلَّا عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَكُونُوا جَبَابِرَةً فِيهَا مَلُوكًا. فَلَوْ ظَهَرُوا عَلَيْكُمْ - وَلَا أَرَاهُمْ اللَّهَ ذَلِكَ - لَزَمَكُمْ بِمِثْلِ سَعِيدٍ، وَالْوَلِيدِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ السَّفِيهِ الضَّالِّ، يُجِيزُ أَحَدَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ بِمِثْلِ دَيْتِهِ وَدِيَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «هَذَا لِي، وَلَا لِثَمِّ عَلِيٍّ»! كَأَنَّمَا أُعْطِيَ تَرَاثُهُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ! وَإِنَّمَا هُوَ مَالُ اللَّهِ أَقَاءَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا. فَقَاتِلُوا - عِبَادَ اللَّهِ - الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الْحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ؛ وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي جِهَادِهِمْ لَوْمَةٌ لِأَثَمٍ، فَإِنَّهُمْ مِنْ عَرَفْتُمْ وَخَبِرْتُمْ. وَاللَّهُ مَا أَزْدَادُوا إِلَى يَوْمِهِمْ هَذَا إِلَّا شَرًّا.»

ابن بديل ينتهي إلى قبة معاوية

وقاتلهم عبدالله بن بديل في الميمنة حتى انتهى إلى قبة معاوية. ثم إن الذين تبايعوا [585] على الموت، أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل. وبعث حبيب بن مسلمة في ميسرته، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس، فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم إلا ابن بديل في مائتين إلى الثلاثمائة من القراء قد أسند بعضهم على بعض ظهره، وانجفل الناس. فأمر عليّ سهل بن حنيف؛ فاستقدم في من كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتملتهم حتى ألحقهم بالميمنة إلى موقف عليّ في القلب، فمرّ عليّ ومعه بنوه نحو الميسرة. قال^(٣):

فوالله، إنني لأرى النبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه، وما من بني واحد إلا يقيه بنفسه، فيتقدّم فيحول بين أهل الشام وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين

١. في الأصل: لا يقاتلوننا. ٢. في الأصل: لن يقاتلوننا.

٣. والقول لزيد بن وهب الجهني نقله أبو مخنف. أنظر الطبري (٦: ٣٢٩٣).

يديه أو من ورائه. فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو عثمان، فعرفه.
فقال عليّ: «وربّ الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني.»

كلام بين عليّ والحسن أثناء القتال

فأقبل نحوه، وخرج إليه كيسان مولى عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، وينتهزه عليّ، فتقع يده في جيب درعه، فجبذه، ثم حمله على عاتقه. فكأنني أنظر إلى رجله تخطفان على عنق عليّ، ثم ضرب [586] به الأرض، فكسر منكبه وعضده، وشدّ ابنا عليّ: الحسين ومحمد عليه، فضرباه بأسيا فهما، حتى إذا قتلاه، أقبلا إلى أبيهما والحسن قائم معه.

قال له: «يا بني، ما منعك أن تفعل كما يفعل أخواك؟»

فقال: «كفياني يا أمير المؤمنين!»

ثم إن أهل الشام دنوا منه، فوالله ما يزيده قريهم منه سرعة في مشيه.

فقال له الحسن: «ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من أصحابك؟»

فقال: «يا بني، إن لأبيك يوماً لا يعدوه، ولا يبطئ به السعي، ولا يعجل به إليه المشي، وإنّ أباك لا يبالي: وقع على الموت، أو وقع عليه الموت^(١).»

مركز تحقيق تكامل علوم إسلامي
مالك يحضّ المنهزمين على الصمود

ولما أقبل عليّ نحو الميسرة، مرّ به الأشتر يركض نحو الفرع قبل الميمنة.

فقال له عليّ: «يا مال!»

قال: «لبيك يا أمير المؤمنين!»

قال: «إئت هؤلاء، فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لا تعجزونه، إلى

١. في الطبري (٦: ٣٢٨٤): «أو وقع الموت عليه». والعبارة ساقطة من مط.

الحياة التي لا تبقى لكم؟»

فمضى، واستقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التي أمره علىّ بها.

ثم قال: «إلى، أيها الناس إلى! أنا مالك بن الحارث..»

ثم ظنّ أنه بالأشتر أعرف في الناس، فقال: «أنا الأشتر، إلى، إلى!»

فأقبلت طائفة إليه [587] وذهبت عنه طائفة، فقال:

- «عضضتم بهنّ آبائكم^(١)، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! يا أيها الناس، اخلصوا

إلى مذحجاً.»

فأقبلت مذحج، فقال:

- «عضضتم بصمّ الجندل، ما أرضيتم ربكم، ولا نصحتهم له في عدوكم، وكيف

ذلك وأنتم أبناء الحرب، وأصحاب الغارات وفتيان الصباح، وفرسان الطراد،

وحثوف الأقران، ومذحج الطعان الذين لم يكونوا يسبقون^(٢) بشأركم، ولا تُطلّ

دماؤهم، ولم تُعرفوا في موطن بخسف، فأنتم حدّ أهل مصركم، وما تفعلوا في هذا

اليوم فإنّه ماثور بعد اليوم، فاتقوا ماثور الحديث، واصدقوا عدوكم اللقاء، فإنّ الله

مع الصادقين. فو الذي نفس مالك بيده، ما من هؤلاء - وأشار بيده إلى أهل

الشام - [رجل]^(٣) على مثل جناح بعوضة من محمد - صلى الله عليه - إنكم ما

أحسنتم القراع، فاجلوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي، عليكم بهذا السواد

الأعظم، فإنّ الله لو قد فضّه تبعه من بجائيّه كما تبع مؤخر السيل مقدّمه.»

قالوا: «خذ بنا حيث أحببت.»

فصمد نحو عظمهم مما يلي الميمنة، وأخذ يزحف إليهم ويردّهم، ويستقبله

١. في بعض الأصول: بهن أمّكم. (الطبري ٦: ٣٢٩٤). وفي الحديث: «من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضّوه

بهن أبيه ولا تكنوا». أي، قولوا له: «إعضض بأير أبيك»، ولا تكنوا عن الأير بالهن تنكياً وتأديباً له. (لع

٧: ١٨٨ «عضض»). ٢. في الأصل: يسبقوا.

٣. تكملة عن الطبري (٦: ٣٢٩٥).

شباب من [588] همدان، وكانت همدان يومئذ ثمانمائة مقاتل. فانهزموا آخر الناس، وكانوا صبروا في الميمنة، حتى أصيب منهم مائة وثمانون رجلاً، وقتل منهم أحد عشر رئيساً يتتابعون على الراية. فمروا بالأشتر وهم يقولون: - «ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت، ثم نستقدم نحن وهم، فلا تنصرف حتى نقتل أو نظهر».

فقال لهم الأشتر: «إلى، أنا أخالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتى نظفر أو نهلك».

فأتوه، فوقفوا معه، وزحف الأشتر، وثاب^(١) إليه الناس، وأخذ لا يصمد لكتيبة إلا كشفها، وبيده صفيحة يمانية إذا طأطأها خلت فيها ماءً منصّباً، وإذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، وجعل يضرب بسيفه ويقول: - «الغمرات^(٢) ثم ينجلينا».

فبصر به الحارث بن جهمان والأشتر مقنّع في الحديد، فلم يعرفه. فدنا منه وقال:

- «جزاك الله خيراً منذ اليوم عن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين».

فعرفه الأشتر فقال: «يا بن جهمان، إنّ مثلك لا يتخلف عن مثل مواطني هذا [الذي أنا فيه]^(٣)».

فعرفه ابن جهمان لما تكلم، وكان من أعظم الرجال وأطولهم، فقال له: - «جعلت فداك، لا والله، ما علمت بمكانك إلا الساعة [589] ولا أفارقك حتى الموت».

ورآه منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيّان.

١. مط: وياأت.

٢. «الغمرات» مرفوعة في الطبري (٦: ٣٢٩٧) ومنصوبة في الأصل.

٣. تكملة من الطبري (٦: ٣٢٩٧).

فقال منقذ لحمير: «ما فى العرب مثل هذا إن كان قتاله عن نية.»

فقال له حمير: «وهل النية إلا ما تراه يصنع.»

قال: «إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً.»

وحمل الأشر فى بعض حملاته، فكشف أهل الشام حتى ألحقهم بصفوف معاوية، وذلك بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبدالله بن بديل، وهو فى عصابة من القراء بين المائتين إلى الثلاثمائة، وقد لصقوا بالأرض كأنهم جثى، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا إخوانهم قد دنوا منهم.

فقالوا: «ما فعل أمير المؤمنين؟»

قالوا: «حى صالح يقاتل فى الميسرة، ويقاتل الناس أمامه.»

فقالوا: «والحمد لله، قد كنا ظننا أن قد هلك وهلكتم.»

ابن بديل يعصى مالكا ويقتل

وقال عبدالله بن بديل لأصحابه:

«استقدموا بنا، رحمكم الله!»

فأرسل إليه الأشر أن:

«لا تفعل، أثبت للناس، وقاتل، فإنه خير لهم، وأبقى لك ولأصحابك.»

فعصاه ومضى كما هو نحو معاوية، وحوله كأمثال جبال الحديد، وفى يده سيفان، وقد خرج. فهو أمام أصحابه، فأخذ كلما دنا منه رجل قتله، حتى قتل تسعة، ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس [590] من كل جانب، وأحيط به حتى قتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد خرجوا منهزمين.

فبعث الأشر ابن جهمان، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من كان نجا من أصحاب ابن بديل، حتى نكسوا عنهم، وانتهوا إلى الأشر، فقال لهم:

- «ألم يكن رأى خيراً لكم من رأيكم لأنفسكم؟ ألم أمركم أن تثبتوا مع

الناس؟»

وكان معاوية لما رأى عبدالله بن بديل يضرب قدماً، قال:
- «أترونه كبش القوم!»

فلما قتل أرسل إليه لينظر: من هو؟ فلم يعرفه أحد. فأقبل إليه حتى وقف عليه، فقال:

- «بلى، هذا عبدالله بن بديل، هذا والله كما قال»:

أخو الحرب إن عضت به الحربُ عضَّها وإن شمَّرت يوماً له الحربُ شمَّراً

ثم إنَّ الأشتر حمل حملة أزال أهل الشام عن موقفهم، حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة المعقَّلة بالعمائم حول معاوية، ثم شدَّ عليهم شدةً أخرى، فصرع الصفوف الأربعة المعقلين، حتى انتهوا إلى الخامس حول معاوية. فدعا معاوية بفرسه، فركبه.

وكان يقول:

- «أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الإطنابة: [591]

أبت لي عفتي، وأبى بلاتني^(١) وأخذى الحمد بالثمنِ الربيع^(٢)
وإجشامي^(٣) على المكروهِ نفسي وإقدامي على البطلِ المُشيح^(٤)

١. في الطبري: أبت لي عفتي وحياء نفسي (٦: ٣٣٠٠).

٢. المصراع للبيت الثاني عند الطبري.

٣. في الطبري: وإعطاني على المكروه مالي. وعند الأصمعي: وإقدامي على المكروه نفسي!

٤. عند الأصمعي: وضربي هامة البطل المشيح. والمشيح: المجد. والمصراع للبيت الأول عند الطبري.

وقولي كلما جشأت وجاشت^(١) مكانك، تُحمدى، أو تستريحى^(٢)

فمنعنى من الفرار»^(٣)

[2,1] وإنّ عليّاً لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها، وكشفت من

١. عند الأصمى: جاشت وجاشت. ولعله من أخطاء المطبعة أو الكاتب.

٢. وزاد الأصمى بيتاً آخر هو:

لأدفع عن مكارم صالحات وأحمى، بعد، عن عرض صحيح

٣. وزاد فى الكامل (٣: ٣٠٣): «ونظر إلى عمرو وقال: اليوم صبر، وغداً فخر. فقلت: صدقت.» وهذه

الزيادة ليست لا فى الأصل ولا فى الطبرى.

نهاية الجزء الأول

حسب تجزئة مخطوطة أياصوفيا

إلى هنا (أى إلى نهاية قوله: «فمنعنى من الفرار.» ينتهى الجزء الأول من أجزاء تجارب الأمم الستة، حسب تجزئة مخطوطة أياصوفيا (الأصل). ولما لم تكن التجزئة منطقية، أضفنا إلى الجزء الأول 43 صفحة من صفحات الجزء الثانى، ليكتمل بذلك، هذا الفصل الذى أصبح مبتوراً بتلك التجزئة. وأما عبارات الإتمام والفراغ التى سجلت فى نهاية الجزء الأول من المخطوطة، فنثبتها فى ما يلى، ليكون ما هو بين يدى القارئ مطابقاً تماماً للأصل الذى اعتمدنا عليه:

«تمت المجلدة الأولى من كتاب تعاقب الهمم وتجارب الأمم، والحمد لله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلواته على محمد وآله أجمعين، ويتلوه فى المجلدة الثانية: وإنّ عليّاً لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها، وكشفت من بارزاتها أقبل حتى انتهى إليهم. الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.»

«فرغ من انتساخه محمد بن على بن محمد أبو طاهر البلخى فى الربيع الأول سنة خمس وخمسمائة [٥٠٥ هـ] والحمد لله كثيراً.»

«فرغ من انتساخه محمد بن الحسن بخطه فى ذى الحجة سنة...» [هنا كلمة لا تقرأ].

ونتيجة لهذا، ننقل البسملة وعبارات الحمد والتصلية التى جاءت فى أول الجزء الثانى للمخطوطة، إلى الحاشية لتلا تخلص بالسياق، وهى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، وصلواته على محمد النبی، وآله الطاهرين.» (أنظر تصديرنا لهذه النشرة.)

بإزائها، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال:

- «إني قد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفأة الطغام^(١)، وأعراب الشام، وأنتم لهاميم العرب، والسنام الأعظم، وعُمار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحق إذ ضلّ الخاطئون. فلو لا إقبالكم بعد إدباركم، وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولى يوم الزحف دبره، وكنتم من الهالكين، ولكن هوّن وجدى، وشفى بعض أحاح^(٢) نفسى أنى رأيتكم بأخرة حزتموهم^(٣)، كما حازوكم، وأزلموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحشّونهم^(٤) بالسيوف، يركب أولاهم أخراهم، كالإبل المطرودة إليهم. فالآن، فاصبروا، نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وإنّ الفارّ لا يزيد فى عمره ولا يرضى ربّه، [3] فموت المرء محقاً قبل موجدة^(٥) الله، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واغتصاب الفىء من يده، وفساد العيش، خير من الرضا بالتأنيس^(٦) لهذه الخصال، والإقرار عليها.»

فصبر القوم، وقُتل الفرسان من الجانبين، فقتل ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر، وتنادت ربيعة - حيث انتهى إليها عليّ - بينها:

- «إن أصيب عليّ فيكم، وقد لجأ إليكم، افتضحتم آخر الدهر، وتشاءم بكم المسلمون.»

وقال لهم شقيق بن ثور: علوم رضى

- «يا معشر ربيعة، لا عذر لكم فى العرب إن وصل إلى عليّ فيكم ومنكم

١. فى مط: يحوزكم الجفء الطغام! وفى الطبرى (٦: ٣٣٠١): الطغاة الجفأة. والطغام (للواحد والجمع):

أوغاد الناس. ٢. الأحاح: العطش، الغيظ.

٣. حزتموهم: سقتموهم.

٤. تحشّونهم: تقتلونهم باستئصال رؤوسهم، تبيدونهم. وفى مط: تحشونهم!

٥. الموجدة: الغضب.

٦. التأنيس: مهلة فى الأصل ومط، فأعجمناها حسب الطبرى (٦: ٣٣٠١).

رجل حتى.»

فقاتل القوم قتالاً شديداً حين جاءهم علىّ، لم يكونوا قاتلوا مثلها. ففى ذلك قال علىّ عليه السلام:

لمن رايۃ سوداء يسحق ظلّها إذا قيل: قدّمها حُضين، تقدّمها
يقدمها فى الموت حتى يردّها^(١) حياض المنايا تقطر الموت والدماء
أدقنا ابن هند ضربنا وطعنا بأرماحنا حتى تولّى وأحجمّا
جزى الله قوماً قاتلوا^(٢) فى لقائهم لدى الموت، قوماً ما أعفّ وأكرما^(٣) [4]

مقتل عمار بن ياسر

قال:

وسمعت عماراً يقول:

«والله، إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً يرتاب منه المبطلون، وأيم الله، لو
ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر^(٤)، لعلمنا أنا على الحق، وأنهم على الباطل.»
ثم حمل حتى وصل إلى عمرو بن العاص، فقال له:

١. كذا فى الأصل ومط: يردّها، وفى الطبرى (٦: ٣٣١٦): يزيها.

٢. فى هامش الأصل: «صابروا».

٣. ويضيف الطبرى بيتين، هما:

وأطيب أعباراً وأكرم شيمّة
ربيعة أعنى، إنهم أهل نجدة
إذا كان أصوات الرجال تغمغماً
وبأس، إذا لاقوا جسيماً عرمرماً

تجد الأبيات فى الديوان المنسوب إلى الإمام على (ع) ثلاثة عشر بيتاً («ديوان الإمام على (ع)»
تحقيق وترجمة الدكتور أبو القاسم إمامى، ص ٥٦٦).

٤. هجر: مدينة، وهى قاعدة البحرين، وربما قيل: «الهجر» بالالف واللام، وقيل ناحية البحرين كلها، وهو
الصواب (ياقوت).

- «لقد قاتلتَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله - صَلَّى الله عليه - وهذه الرابعة، ماهي بأبر ولا أبقى.»
قال:

ورأيتَ عماراً جاء إلى هاشم بن عتبة، وهو صاحب راية عليّ، فقال:
- «يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، اليوم، ألقى الأحبة، محمداً وحزبه.»
فحملوا، ولم يرجعوا.

ولما قتل عمار، قال عليّ لربيعة وهمدان:

- «أنتم درعي ورمحي.»

فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدّمهم عليّ على بغلته، فحمل وحملوا معه، حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صفٌ إلّا انتقض، وقتلوا كلَّ من انتهى إليه، حتى بلغوا معاوية.

عليّ يبارز معاوية

ثم نادى عليّ معاوية:

- «يا معاوية، لم تقتل الناس بيننا؟ هلّم أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور.»
فقال له عمرو بن عبد الحميد:
- «أنصفك الرجل.»

فقال معاوية:

- «ما أنصفت، وإنك [5] لتعلم أنه لم يبارزه أحد قطّ إلّا قتله.»

فقال عمرو:

- «ما يجعل بك إلّا مبارزته.»

قال معاوية:

- «طمعت فيها بعدى».

ما دبّره علىّ لإزالة كتيبة

ومرّ علىّ بكتيبة فرءاهم لا يزولون. فحرّض عليهم وقال:
- «إنّ هؤلاء لا يزولون»^(١) إلّا بضرب دراك^(٢) يفلق الهام، ويطيح العظام،
وتسقط منه المعاصم والأكفّ، وحتى تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتثر
حواجبهم على الصدور. أين أهل الصبر وطلاب الأجر؟
فثابت^(٣) إليه عصاة. فدعا ابنه محمداً، فقال:
- «إمش نحو أهل هذه الراية مشياً رويداً على هيبتك»^(٤)، حتى إذا أشرعت في
صدورهم الرماح، فأمسك حتى يأتيك أمرى».

ف فعل، وأعدّ علىّ مثلهم. فلما دنا منهم محمد، فأشرع الرماح في صدورهم،
أمر علىّ الذين أعدّهم، فشذّوا عليهم، فنهض محمد بمن معهم في وجوههم،
فزالوا عن مواقفهم، وأصابوا منهم. ثم اقتتلوا بعد المغرب قتالاً شديداً. فما صلّى
أكثر الناس إلّا إيماءً.

العالى من جعل المعركة خلف ظهره

وقتل عبدالله بن كعب المرادى. فمرّ به الأسود بن قيس المرادى، فقال:
- «يا أسود!»

فقال: «لبيك». وعرفه، وكان بآخر رمق. فقال:

١. في مط: لا يزولون.

٢. والضبط في الطبرى (٦: ٣٣٢٧): بضرب دراك. والدراك: المتلاحق والمتصل.

٣. ثابت: ربما يكون ما في الأصل: ثابت، وما في مط: ثابت؛ وكلاهما بمعنى واحد: رجعت.

٤. كذا في الأصل والطبرى: على هيبتك، وما في مط: هيبتك.

- «عزّ [6] عليّ بمصرعك^(١). أما والله، لو شهدتك لآسيتك، ولدافعت عنك.»

ثم نزل إليه وقال:

- «أما والله، إن كان جارك، ليأمن بوائقك. ولقد^(٢) كنت من الذاكرين الله كثيراً،

أوصني - رحمك الله.»

فقال:

- «أوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وتقاتل معه المحلّين حتى

يظهر أو تلحق بالله. وأبلغه عنى السلام، وقل له: قاتل على المعركة حتى تجعلها

خلف ظهره، فإنّه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره، كان العالى.»

ثم لم يلبث أن مات.

فأقبل الأسود إلى عليّ، فأخبره، فقال:

- «رحمه الله، جاهد فينا عدونا في الحياة، ونصح لنا في الوفاة.»

واقتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح - وهي ليلة الهرير - حتى تقصّفت

الرماح، ونفذ^(٣) النبل، وصار الناس إلى السيوف، وأخذ عليّ يسير في ما بين

الميمنة والميسرة، ويأمر كل كتيبة من القراء^(٤) أن تُقدم على التي تليها، ولم يزل

يفعل ذلك ويقوم بهم، حتى إذا أصبح كانت المعركة كلها خلف ظهره، والأشتر في

ميمنة الناس، وابن عباس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس يقتتلون من كل

جانب، وذلك يوم الجمعة.

١. كذا في الطبري (٦: ٣٣٢٦): بمصرعك؛ وفي هامش الطبري: لمصرعك؛ وفي مط: مصرعك.

٢. في الطبري: وإن كنت. في مط: لقد كنت؛ كما في الأصل.

٣. في الأصل: نفذ، وما ضبطناه من مط والطبري ٦: ٣٣٢٧.

٤. مط: القرى. وما في الأصل يؤيده الطبري.

الظفر يلوح للأشتر ومعاوية يلتمس حيلة

وكان عليّ يرأسل الأشتر ويرفده، وكان الأشتر [7] تولّى القتال عشية الخميس وليلة الجمعة كلّها ويوم الجمعة إلى ارتفاع النهار، وقد كلّ الناس، وأخذ يقول لأصحابه:

- «إزحفوا قيد هذا الرمح.»

وزحف بهم نحو أهل الشام. فإذا فعلوا، قال:

- «إزحفوا قاب^(١) هذا القوس.»

فإذا فعلوا، سألهم مثل ذلك، حتى ملّ الناس الإقدام.

فلما رأى الأشتر ذلك، قال:

- «أعيذكُم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم.»

ثم دعا بفرسه، وترك رايته مع حيّان بن هوزة^(٢)، وخرج يسير في الكتائب ويقول:

- «من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر، حتى يظهر، أو يلحق بالله؟»

فلا يزال^(٣) رجل من^(٤) الناس قد خرج إليه وحيّان بن هوزة واقف بالراية،

فلما اجتمع إليه ناس كثير، أقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان فيه من الميمنة. ثم قال لأصحابه:

- «شدّة - فديّ لكم عمّي وخالي - تُرضون بها الربّ، وتعزّون بها الدين، إذا

شددت، فشددوا.»

١. القاب: المقدار. أو ما بين المقبض والسنة من القوس.

٢. في مط: حبان، وما في الأصل يطابق الطبري (٦: ٣٢٢٨).

٣. فلا يزال: الضبط في الأصل «يزال» بفتح الياء، وما في الطبري مضبوط بضم الياء: يَزَال.

٤. «من» سقطت من مط.

ثم نزل فضرب وجه دابته وقال لصاحب رايته:
- «أقدم بها».

ثم شدّ على القوم شدّة، وشدّ معه أصحابه. فضرب أهل الشام حتى انتهى إلى
عسكرهم. ثم قاتلوه عند العسكر قتالاً شديداً، فقتل صاحب رايته، ولاح له الظفر
بما اضطرب من صفوف [8] معاوية. ونظر عليّ، فرأى الظفر من قبّله، فأخذ يُمده
بالرجال.

فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص، فقال:
- «أما ترى أهل العراق قد استعلوا؟»
فقال عمرو: «هذا الهلاك. فهلّم حيلة.»
قال: «قل، ما عندك.»

ذكر مكيدة عمرو بن العاص

قال: «قد رأيت أمراً إن قبلته لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فرقة.»
قال: «نعم.»

قال: «نرفع المصاحف على الرماح، ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم. فإن
أبى بعضهم إلا القتال، وجدت فيهم من يقول: لا نقاتل حتى ننظر ما يحكم القرآن.
فتقع بينهم الفرقة؛ فإن قالوا بأجمعهم: نقبل حكم القرآن؛ رفعنا هذه الحرب،
ودافعناها^(١) إلى أجل وحين.»

فرفعوا المصاحف بالرماح، وقالوا:

- «عباد الله! هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من لشغور الشام بعد أهل الشام، من
لشغور العراق بعد أهل العراق؟»

١. ما في الأصل ومط: «دافعناه» بتذكير ضمير المفعول، فأثنا الضمير لأنه يرجع إلى «الحرب».

فلما رأى الناس المصاحف، وسمعوا هذا الكلام، رقت قلوبهم، وقد كان مسهم
النصب والملال. فقالوا:

«نجيب إلى كتاب الله.»

فلما رأى عليّ الفتور في أصحابه بعد الجدّ، صاح بهم:

«عباد الله، امضوا على حقكم، وصدقكم، وقاتل عدوكم. فإنه معاوية، [9]

وعمر بن العاص، وابن أبي سرح، والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين
وقرآن. أنا أعرف بهم منكم، وصحبهم أطفالاً ورجالاً. ويحكم! والله^(١)، إنهم ما
رفعوا المصاحف. إنهم لا يعرفونها، ولا يعلمون ما فيها؛ وما رفعوها إلا خديعة
ومكيدة حين علوتموهم.»

فقالوا:

«ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله، فنأبى أن نقبله.»

فقال لهم عليّ:

«ويحكم! فإني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الله، ويعملوا بالقرآن، فإنهم قد

عصوا الله في ما أمرهم، ونبذوا كتابه، ونسوا عهده.»

القرّاء يهدّدون عليّاً ويطالبون ترك القتال

فقال له مسعر بن فذكي^(٢)، وزيد بن حصن الطائي، ثم السنيسي^(٣) في

عصاة معهما من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك:

«يا عليّ، أجب إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، أو

نفعل بك ما فعلنا بابن عقان. والله، لتفعلنّها، أو لنفعلنّها بك.»

١. والله: الواو في «والله» سقطت من مط.

٢. في مط: معر بن فذلي، والضبط في الطبري (٦: ٣٣٣٠) فذكي.

٣. في مط: البنسي.

قال: «فاحفظوا عني مقالتي، فإني آمركم بالقتال، وإن تعصوني، فافعلوا ما بدا لكم».

قالوا له: «فابعث إلى الأشرار إمّا لا^(١)، فليأتك». فأمسك عليّ. فنزل قوم فأحدقوا به.

فبعث إلى الأشرار يزيد بن هانئ السبيعي: أن اتنني. [10] فذهب، فأبلغه. فقال: «إنته، فقل له: ليس هذه، الساعة، التي ينبغي أن تزيلني فيها عن موقفي. إني قد رجوت أن يفتح الله لي، فلا تعجلني». قال:

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ، فأخبره. فما هو إلّا أن انتهى إلينا، فارتفع الرهج^(٢)، وعلت الأصوات من قبل الأشرار. فقال له القوم: «والله ما نراك إلّا أمرته أن يقاتل». فقال عليّ: «من أين ينبغي أن تروا ذلك؟ رأيتموني ساررتة؟ أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟»

قالوا: «فابعث إليه بعزيمتك فليأتك، وإلّا - والله - اعتزلناك». قال: «ويحك يا يزيد! عد إليه فقل له: أقبل^(٣) إلينا، فإنّ الفتنة قد وقعت». فأتاه، فقال له ذلك. فقال الأشرار: «أرفع المصاحف؟»

قال: «نعم، أما الله، لقد ظننت حين رفعت، أنها ستوقع اختلافاً وفرقة. إنّها مشورة ابن العاهرة. ألا ترى أنّ الفتحة قد وقع؟ ألا ترى إلى ما صنع الله لنا؟ أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم؟»

١. كذا في الأصل والطبري؛ وما في مط: أمثالاً! ٢. الرهج: الشغب، الفتنة، الجلبة، الشر.

٣. أقبل: الكلمة مطموسة في الأصل، فأثبتناها كما في مط والطبري.

قال يزيد بن هانئ: «أحبُّ أنك قد ظهرت هاهنا وأمير المؤمنين يقتل بمكانه، أو يسلم إلى عدوّه؟»

فقال: «لا والله، سبحان الله!» [11]

قال: «فإنهم قد قالوا: لترسلنَّ إلى الأشر، فليأتك، أو لنقتلنَّك كما قتلنا ابن عَفَّان.»

مالك يضع القتال ويُقبل، بعد أن رأى النصر

فأقبل معي الأشر حتى انتهى إليهم، فقال:

- «يا أهل العراق، يا أهل الذلِّ والوهن! أحين علوتم القوم ظفراً، وظنُّوا أنكم^(١) لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد - والله - تركوا ما أمر الله به فيها، وسنَّه من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم، يا قوم، أمهلوني عذو الفرس، فإنِّي قد رأيت النصر.»

قالوا: «إذا ندخل معك في خطيئتك.»

قال: «فحدِّثوني عنكم، وقد قتل أمثالكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقِّين؟ أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون؟ فأنتم الآن إذا أمسكتكم عن القتال مبطلون، أم الآن أنتم محقِّون؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم، في النار إذا!»

قالوا: «دعنا منك يا أشر، قاتلناهم في الله، وندع قتالهم لله. إننا لسنا مطيعيك ولا صاحبك^(٢)، فاجتنبنا.»

فقال: «خدعتم والله، وانخدعتم، ودُعيتم إلى وضع الحرب بعد أن غلبتم، فأجبتكم. يا أصحاب الجباه السود، كنَّا نظنَّ صلاتكم زهادة في الدنيا، وشوقاً إلى

١. في الأصل: بكم، وما أثبتناه من الطبري (٦: ٣٣٣).

٢. كذا في الأصل، ولعلَّه: ولا مطيعي صاحبك. في مط: لسنا بطاعتك ولا صاحبك.

لقاء الله! فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت. ألا [12] قبحاً^(١) لكم. يا أشباه النيب^(٢) الجلالة! ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً. فابعدوا كما بعد القوم الظالمون». فسبّوه، وسبّهم، وضربوا وجه دابته بسياطهم، وأقبل يضرب وجوه دوابهم بسوطه، وصاح بهم عليّ، فكفّوا^(٣).

قبول الناس التحكيم، واستعلام معاوية

وتنادى الناس:

«قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبين هؤلاء القوم حكماً».

فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ وقال:

«ما أرى الناس إلا قد رضوا، وسرّهم أن تجيئوا القوم إلى ما دعوهم إليه من

حكم القرآن. فإن شئت أتيت معاوية فاستعلمته ما يريد، فنظرت فيه».

قال: «إنته إن شئت، فسله».

فأتاه وقال: «يا معاوية، لأي شيء رفعت المصاحف؟»

قال: «لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله فيها، تبعثون منكم رجلاً ترضون به،

ونبعث منا رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملأ بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم

تتبع جميعاً ما اتفقا عليه».

فقال له الأشعث: «هذا الحق».

ثم انصرف إلى عليّ بما قال معاوية.

فقال الناس: «قد رضينا وقبلنا».

١. قبحاً: كذا في الأصل والطبري (٦: ٣٣٣٢): في مط: فتحاً وهو خطأ.

٢. النيب: جمع مفردة: الناب: الناقة المسنة. والجلالة: من الماشية: التي تأكل العذرة والجلّة، (أي: البعر والروث).

٣. فكفّوا: ما في الأصل غير واضح، وما أثبتناه يؤيده الطبري ومط.

قال أهل الشام:

«فإننا قد اخترنا عمرو بن العاص».

وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج [13] بعد:

«فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري».

عليّ لا يرضى بأبي موسى والناس يأبون إلا إياه

قال عليّ: «فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن. إنني لا أرى

أن أولى أبا موسى».

قال الأشعث وزيد بن حصن الطائي ومسعر بن فدكى^(١):

«لا نرضى إلا به، فإنه قد كان يحذرنا ما وقعنا فيه».

قال عليّ: «فإنه ليس لي بثقة، قد فارقتي، وخذل الناس عني، ثم هرب مني

حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس، أوليه ذلك».

قالوا: «والله ما نبالي: أنت كنت، أم ابن عباس. ما نريد إلا رجلاً هو منك ومن

معاوية سواء».

قال عليّ: «فإنني أجعله الأشتر».

فقال الأشعث: «وهل سحر الأرض غير الأشتر، وهل نحن إلا في حكم

الأشتر؟»

قال عليّ: «وما حكمه؟»

قال: «أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت».

قال: «فقد أبيتم إلا أبا موسى».

قالوا: «نعم».

قال: «فاصنعوا ما بدا لكم».

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو يعرض^(١). وأقبل الأشر حتى جاء إلى عليّ فقال له:

- «ألزني^(٢) بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لنن ملأت عيني منه لأقتلنه».

وجاء الأحنف بن قيس، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، إنك رميت بحجر الأرض، [14] وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام، وهذا الرجل - يعني أبا موسى - قد عجمته وحلبت^(٣) أشطره، فوجدته كليل^(٤) الشفرة^(٥)، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم، حتى يصير في أكفهم، ويبعد، حتى يصير بمنزلة النجم منهم، فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعلني ثانياً، أو ثالثاً، فإنه لن يعتقد عقدة إلا حللتها، ولن يحل عقدة إلا عقدت لك أخرى أحكم منها».

فأبى الناس إلا أبا موسى.

فقال الأحنف: «فإن أبيتم إلا أبا موسى فادفئوا ظهره بالرجال».

ثم كتبوا: «هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين».

فقال عمرو: «اكتبوا اسمه واسم أبيه. هو أميركم، فأما أميرنا، فلا».

مركز تحقيق تراثنا في علوم الإسلام

١. في الأصل: يعرض؛ وفي مط: يعرض؛ وما في الطبري (٦: ٣٢٣٤): يعرض. وعرض، بضم أوله،

وسكون ثانيه: بلد في بريّة الشام، من أعمال حلب، بين تدمر والرصافة (مع).

٢. ألز الشيء بالشيء: ألصقه، شده، قرنه به. ٣. حلب أشطره: جرب أموره: خيرها وشرها.

٤. كليل: ما في الأصل غير واضح؛ وما أثبتناه يؤيده الطبري ومط.

٥. في مط: الشفر.

ذكر رأى للأحنف

فقال الأحنف: «لا تمح اسم أمانة المؤمنين، فإنني أتخوف إن محوتها، لا ترجع إليك، وإن قتل الناس بعضهم بعضاً.»
فأبى عليّ ملياً من النهار.
ثم إن أشعث بن قيس قال: «امح هذا الاسم، نزحه الله^(١).»
فمحي، فقال عليّ:

- «الله أكبر، سنة بسنة، ومثل بمثل، والله، إنني لكاتب رسول الله يوم الحديبية، إذ قالوا: لا نشهد لك [15] أنك رسول الله، فامح هذا، واكتب اسمك واسم أبيك. فكتبه.»

فقال عمرو بن العاص: «نشبته بالكفار ونحن مؤمنون.»
فقال له عليّ: «يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين ولياً، وللمسلمين عدواً، وهل تشبه إلا أماً دفعت بك؟»

فقام وقال: «لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم.»
فقال عليّ: «وإنني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك.»
فقال الأحنف:

- «أيها الرجل، إنه ما لك ما كان لرسول الله، وإنا - والله - ما حابيناك ببيعتنا، ولو علمنا أحداً من الناس أحق بهذا الأمر منك لباعناه، ثم قاتلناك، وإنني أقسم بالله، لئن محوت هذا الاسم عنك، والذي بايعك الناس عليه وقاتلتهم، لا يعود إليك أبداً.»

قال الحسن البصري:

١. نزحه الله: كذا في الأصل ومط؛ وفي الطبري (٦: ٣٣٣٥): برّحه الله. وفي حواشيه: ترّحه الله! نزحه الله، أي: أبعدته؛ وبرّحه الله: أزاله الله.

وكان والله كما قال، وقل ما وزن رأيه برأى رجل إلا رجح به.

مالك يابى أن يخط اسمه في صحيفة التحكيم

وكتب الكتاب^(١)، وشهد فيه نفر من أصحاب علي ونفر من أصحاب معاوية. ودعى له الأشر، فقال:

«لا صحبتني يميني، ولا نفعتني شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم علي صلح، ولا موادة. [16] أولست علي بيته من أمرى، ومن ضلال عدوى؟ أولستم قد رأيتم الظفر، لو لم تجمعوا علي الجور؟» فقال له الأشعث بن قيس:

«إنك والله ما رأيت ظفراً، ولا جوراً. هلم بك إلينا، فإنه لا رغبة لك عنا.» فقال: «بلى والله، الرغبة لي^(٢) عنك في الدنيا للدنيا، وفي الآخرة للآخرة. ولقد سفك الله بيدي دماء رجال ما أنت عندي خير منهم، ولا أحرم دماً.» قال عمارة:

فنظرت إلى ذلك الرجل، وكأنما قصع على أنفه الحُمم - يعني الأشعث. ثم خرج الأشعث بالكتاب يقرأه على الناس ويعرضه عليهم، حتى مر به عروة بن أذينة^(٣) - وهو أخو بلال^(٤) - فقرأه عليهم.

فقال عروة: «تُحكَمون في أمر الله الرجال؟ لا حكم إلا لله.» وشدّ بسيفه، فضرب عجز دابته ضربة خفيفة، واندفعت الدابة. فصاح به أصحابه: أن املك يديك. فرجع، وغضب للأشعث أصحابه وقومه. فمشى إليه

١. نص الكتاب تجده في الطبري (٦: ٣٣٣٦) تحت عنوان: «رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف.»

٢. في الأصل: غير واضح، ويشبه أن يكون: الرغبة بي؛ وفي مط: الرغبة لي؛ وفي الطبري: لرغبة بي.

٣. عروة بن أذينة: كذا في الأصل ومط. وفي الطبري (٦: ٣٣٣٩): عروة بن أذينة، بالذال المهملة.

٤. وهو أخو بلال: كذا في الأصل ومط؛ وما في الأصل: أخو أبي بلال.

الأحنف بن قيس، ومسعود بن فذكى^(١)، وخلق من بنى تميم، فتنصّلوا إليه واعتذروا، فقبل، وصفح.

ذكر خديعة أجازها معاوية على نفسه وتمّت له

[17] وكان أسر معاوية في أسارى كثيرين، رجلاً من أود، يقال له: عمرو بن أوس، قاتل مع عليّ، فهمّ بقتل الجميع.

فقال له عمرو بن أوس: «إنك خالي، فلا تقتلني.»

وقامت بنو أود، فقالوا: «هب لنا أخانا.»

فقال: «دعوه. لعمرى، لئن كان صادقاً، ليستغني عن شفاعتكم، ولئن كان

كاذباً لتأتين شفاعتكم من ورائه.»

فقال له: «من أين صرت خالك، وما كان بيننا وبين أود مصاهرة؟»

قال: «فإن أخبرتك^(٢)، فهو أمانى عندك؟»

قال: «نعم.»

قال: «ألمست تعلم أن أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبيّ - صلى الله عليه - أمّ

المؤمنين؟»

قال: «بلى.»

قال: «فإني ابنها، وأنت أخوها، فأنت خالي.»

قال معاوية: «ماله لله أبوه، أما كان في هؤلاء، من يظن لها غيره؟»

ثم قال للأوديين:

«استغني عن شفاعتكم، فخلّوا سبيله.»

١. مسعود بن مذكى: كذا في الأصل ومط؛ وما في الطبري مسعر بن فذكى (نفس الصفحة).

٢. فإن أخبرتك فهو أمانى عندك. كذا في الأصل ومط؛ وما في الطبري: فإن أخبرتك، فعرفته، فهو أمانى عندك. (نفس الصفحة).

وتمّت لمعاوية، وخطب: «خال المؤمنين». وكان عمرو بن العاص أسراً أيضاً أسارى كثيرة، فراسله معاوية: - «خلّ سبيل أسرائك، فلو لا الأودى لوقعنا فى قبيح من الأمور.» فما شعر الناس إلّا بأسرائهم قد خلى سبيلهم.

ما قاله عليّ لأصحابه

فأما عليّ بن أبى طالب فإنه قال لأصحابه: - «لقد فعلتم فعلة ضعفت قوة، وأسقطت [18] مُنّة^(١)، وأورثت وهناً وذلة. ولما كنتم الأعلين، وخاب عدوكم، ورأى الإجتياح، واستحرّ بهم القتل، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف، ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤوكم عنها، ويقطعوا الحرب فى ما بينكم وبينهم، ويتربّصوا ريب المنون، خديعة، ومكيده، فأعطيتموهم ما سألوكموه، وأيتم إلّا أن تدهنوا وتجوروا^(٢). وأيم الله، ما أظنكم بعدها توافقون رشداً، ولا تصيبون باب حزم.»^(٣)

ذكر حيلة للمغيرة بن شعبة

ليعلم: أيجتمع الحكمان، أم يفترقان

كان الحكمان - وهما أبو موسى وعمرو بن العاص، اتفقا على أن يجتمعا

١. المُنّة: القوة.

٢. تجوروا: كذا فى الأصل ومط؛ وما فى الطبرى (٦: ٣٣٤٠): تجوزوا. وفى حواشيه عن الأصول الأخرى: «تدهنوا وتجيروا»، «تذهبوا وتجيروا» (مهملة).

٣. ولا بن الأثير زيادة فى أول هذه الرواية. ومن زياداته بيت أنشده عليّ ضمن كلامه قائلاً: وكنت كما قال أخوهوازن:

وهل أنا إلّا من غزيرة إن غوت غويت، وإن ترشد غزيرة أرشد

بأذرح^(١) ويحضر وجوه أصحاب عليّ، ووجوه أصحاب معاوية، ويحضر عليّ ومعاوية في أربعمئة، ومدة الأجل إلى أن يفصلا الحكم، ويرفعا ما رفع القرآن، وأن يختارا لأمة محمد - صلى الله عليه - في ثمانية أشهر، أولها النصف من صفر، وآخرها انقضاء شهر رمضان.

فلما اجتمع الحكماء، وافاهم المغيرة بن شعبة في من حضر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، في رجال كثير [19] ووافى معاوية في العدة المذكورة، وأبى عليّ أن يوافي.

فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوى الرأي من قريش: «هل ترون أحداً من الناس برأى يبتدعه، يستطيع أن يعلم: أيجتمع الحكماء، أم يفترقان؟»

قالوا: «لا نرى أحداً يعلم ذلك.»

قال: «فوالله، إني لأظنّ، [أنى]^(٢) سأعلمه منهما، [حين]^(٣) أخلو بهما، وأراجعهما.»

فدخل على عمرو بن العاص، وبدأ فقال:

- «يا با عبدالله، أخبرني عما أسألك عنه: كيف ترانا معشر المعتزلة؟ فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونثبّت، حتى تجتمع الأمة.»

قال: «أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار في سخط الله.»
فانصرف المغيرة، ولم يسأله عن غير ذلك. حتى دخل على أبي موسى، فقال له مثل ما قال لعمرو.

١. أذرح: بالذال المعجمة والحاء المهملة، اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة (ياقوت).

٢. في الأصل: بل. وما أثبتناه بين المعقوفتين من مط.

٣. في الأصل: حتى. وما أثبتناه بين المعقوفتين من الطبري ٦: ٣٣٤٢.

فقال أبو موسى: «أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية^(١) المسلمين.»
 فانصرف المغيرة، ولم يسأله عن غير ذلك. فلقي الذين قال لهم ما قال، من
 ذوى الرأي من قريش، فقال:
 - «لا يجتمع هذان أبداً على أمر واحد.»
 فلما اجتمع الحكماء وتكلموا [20] قال عمرو بن العاص:
 - «يا با موسى^(٢)، أرايت أول ما تقضى به من الحق أن تقضى لأهل الوفاء
 بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم.»
 قال أبو موسى: «وما ذاك؟»
 قال عمرو: «ألست تعلم أن معاوية وفى، وقدم للموعد الذى واعدناه؟»
 قال: «نعم.»
 قال: «أكتبها.»
 فكتبها أبو موسى.

ذكر الخديعة التى خدع بها عمرو أبا موسى

قال عمرو:
 - «يا با موسى، أنت على أن تسقى رجلاً يلى أمر هذه الأمة، فسم لي، فأنى
 أقدر أن أتابعك، منك، على أن تتابعنى.»^(٣)
 قال أبو موسى:
 - «أسمى لك عبدالله بن عمر.»
 وكان ابن عمر فى من اعتزله.

١. كذا فى الأصل ومط والطبرى (نفس الصفحة): بقية المسلمين؛ وفى حواشى الطبرى عن بعض

الأصول: بقية المسلمين. ٢. كذا: «يا با موسى».

٣. فأنى أقدر... أن تتابعنى: كذا فى الأصل؛ وفى مط: فأنى أقدر أن نابعك، منك على أن تبايعنى. والعبارة
 فى الطبرى (٦: ٣٣٤٢)؛ فإن أقدر على أن أتابعك، فلك على أن أتابعك، وإلا، فلى عليك أن تتابعنى.

فقال عمرو:

«فأنا أسمى لك معاوية بن أبي سفيان.»^(١)

رواية أخرى فى ذلك

وفى رواية أخرى: أن عمرأ قال لأبى موسى:

«أأست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟»

قال: «أشهد.»

قال: «أأست تعلم أن معاوية ولئ دم عثمان؟»

فقال: «بلى.»

قال: «فإن الله قال: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً، فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَاناً.»^(٢) فما يمنعك

من معاوية ولئ دم عثمان، وهو من عرفت بيته فى قريش، وهو الحسن السياسة، الصحيح التدبير، وهو أخو أم حبيبة، أم المؤمنين، وهو أحد الصحابة وكاتب الوحي.

فقال له أبو موسى: «أما ذكرت من شرفه وبيته، فإن [21] هذا الأمر ليس بالشرف يولاه أهله، ولو كان بالشرف، كان لآل أبرهة بن الصباح، إنما هو لأجل الدين والفضل.»

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

١. هنا، زاد فى الطبرى: فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبأ، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: «إني وجدت مثل عمرو، مثل الذين قال الله عز وجل: «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها.» [س ٧ الأعراف، ١٧٤]

فلما سكنت أبو موسى، تكلم عمرو، فقال:

«أيها الناس، إني وجدت مثل أبى موسى، كمثلى الذين قال الله عز وجل: «مثل الذين حملوا التوراة، ثم لم يحملوها، كمثلى الجمار يحمل أسفاراً.» [س ٦٢ الجمعة: ٥]

وكتب كل واحد منهما، مثله الذى ضرب لصاحبه إلى الأمصار. (أنظر الطبرى ٦: ٣٣٤٣).

٢. س ١٧ الإسراء: ٣٣.

قال: «فاخلع صاحبك، حتى أخلع صاحبي، ثم نتفق.»
فاجتمعا على ذلك، وخرجا إلى الناس، وقالوا:
- قد اتفقنا.

فقال أبو موسى لعمره: «تقدم، فاخلع صاحبك بحضور الناس.»
فقال عمره: «سبحان الله! أتقدم عليك وأنت في موضعك وسنك وفضلك؟
تقدم أنت.»

فقدمه، فقال أبو موسى:

- «إنا - والله، أيها الناس - قد اجتهدنا رأينا، ولم نأل^(١) الإسلام وأهله خيراً،
ولم نر أصلح لهذه الأمة من خلع هذين الرجلين، وقد خلعت عليّاً ومعاوية كخلع
خاتمي هذا.»

فقام عمره، فقال:

- «لكنني خلعت صاحبه عليّاً كما خلع، وأثبت معاوية.»
فلم يبرحها حتى استبأ.

ذكر من خالف عليّ بن أبي طالب

في رأيه، وأشار بالحرب عليه، وما كان من جوابه واعتذاره

لما انصرف عليّ بن أبي طالب من صفين، كثر خوض الناس، وخالفه القوم
الذين صاروا خوارج، وكانوا طول طريقهم يتدافعون، ويتضاربون بالسياط. فلما
صاروا إلى النخيلة^(٢) ورأوا سور الكوفة لقيه عبدالله بن وديعة الأنصاري، ودنا
منه، وسلّم عليه، وسأله، فقال له:

- «ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟»

١. لم نأل: لم نعط. وذلك من قولهم: «ألا (يألو، ألوا وألّوا) فلاناً الشيء: أعطاه إياه».

٢. النخيلة (تصغير نخلة): موضع قرب الكوفة على سمت الشام (مع).

قال:

- «منهم المعجب به، ومنهم الكاره له، كما قال الله عز وجل: ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك»^(١).

فقال له: «فما قول ذي الرأي فيه.»

فقال: «أما قول ذي الرأي فيه، فيقولون: إن علياً كان له جمع عظيم فقرّقه، وكان له حصن حصين فهدمه. فحتى متى يبني ما هدم، وحتى متى يجمع ما فرّق. فلو كان مضي بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظهر، أو يهلك، كان ذلك الحزم.»

فقال عليّ:

- «أنا هدمت أم هدموا، أنا فرّقت أم فرّقوا؟ أما قولهم: إنه لو كان مضي بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظهر، أو يهلك كان ذلك الحزم؛ فوالله ما غبى^(٢) ذلك عليّ، وإني كنت سخيّاً بنفسى عن الدنيا طيّب النفس بالموت. ولقد هممت بالإقدام على القوم، فنظرت إلى هذين قد ابتدرانى - يعنى الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدمانى - يعنى محمد بن عليّ وعبد الله بن جعفر - فعلمت أنه إن هلكا انقطع نسل محمد، فكرهت ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكا. وأيم الله، لئن لقيتهم بعد يومى هذا [23] لألقيهم^(٣) وليس معى أحد منهم.»

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

١. س ١١ هود: ١١٨.

٢. غبى: مطموسة النقط في الأصل ومط؛ والإعجام من الطبرى ٦: ٣٣٤٦؛ والعبارة في الطبرى: «فوالله ما غبى عن رأبى ذلك وإن كنت لسخيّاً بنفسى عن الدنيا...» وفى بعض الأصول: «... ما خفى هذا عني.»

٣. فى مط: ألقىهم؛ والعبارة فى الطبرى: «لألقىهم، وليسوا معى فى عسكر، ولا دار.»

بكاء النساء على القتلى

وما قاله عليّ لابن شرحبيل

ثم مضى غير بعيد، فمرّ بالشباميين^(١)، فسمع رجّة شديدة وبكاءاً كثيراً، فوقف، فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي، فقال له عليّ: «أغلبكم^(٢) نساؤكم؟ ألا تنهونهنّ عن هذا الرنين؟» فقال: «يا أمير المؤمنين، لو كانت داراً أو دارين، قدرنا على ذلك، ولكنّه قتل من هذا الحيّ مائة وثمانون قتيلاً، ليس دار إلا فيها بكاء. فأما نحن معاشر الرجال، فإنّا لا نبكي، ولكننا نفرح، أمّا نفرح بالشهادة.» فقال: «رحم الله قتلاكم وموتاكم.»

فأقبل يمشى معه وعليّ راكب. فوقف وقال له: «إرجع، فإنّ مشى مثلك معي فتنة للوالى، ومذلة للمؤمن.»

مروره بالناعطيين، وما قاله فيهم

ثم مضى، حتى مرّ بالناعطيين، فسمع رجلاً منهم يقال له: عبدالرحمان بن مزيد، يقول لآخر:

«والله ما صنع عليّ شيئاً: ذهب، ثمّ انصرف في غير شيء.»

فلما نظروا إلى عليّ أبلسوا^(٣)، فقال: «وجوه ما رأوا الشام.»

ثم أقبل على أصحابه، فقال:

«قوم فارقناهم أنفاً، خير من هؤلاء.»

١. في مط: الشامتين، بدل: الشباميين.

٢. أغلبكم نساؤكم: كذا في الأصل والطبري (٦: ٣٣٤٨)؛ وفي مط: أغلبكم نساؤكم.

٣. أبلس: سكت الحيرة، أو انقطاع حجة.

ثم أنشد:

أخوك الذى إن أجرضتك^(١) مُلَمَّةٌ من الدهر، لم يبرخ لبثك واجماً^(٢)
وليس أخوك بالذى إن تشعبت عليك أمورٌ ظلَّ يلحاك دائماً^(٣)

[24] ثم مضى، فلم يزل يذكر الله، حتى دخل القصر.

تشاتم القوم واضطرابهم بالسياط

ثم إن القوم الذين كانوا معه يتشاتمون طول طريقهم، ويضطربون بالسياط، ويقول بعضهم لبعض:

«أدهنتم فى أمر الله، وحكمتم».

ويقول قوم:

«فرقتم جماعتنا، وفارقتم إمامنا».

مفارقة الخوارج علياً

نزولهم بحرورى وعدم دخولهم الكوفة مع علي

لم يدخلوا معه الكوفة حتى أتوا حرورى^(٤)، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً.

١. كذا فى الأصل والطبرى: أجرضتك؛ وفى مط: أجرصتك. أجرضتك ملمة: جعلتك تجرض بريقك أى تبثع ريقك بالجهد على هم وحزن.

٢. فى مط: لثبات واحماً. وهو خطأ؛ وما فى الأصل غير واضح. فأثبتناه فى ضوء ما فى الطبرى (٦: ٣٣٤٩)؛ والبث: الحزن الشديد.

٣. فى الطبرى: ويلحاك؛ يلومك ويعذلك. تجد البيتين فى ديوانه المنسوب (ص ٥٣٢).

٤. حرورى: كذا فى الأصل ومط. وما فى الطبرى (٦: ٣٣٤٩): حروراء (بالمد)؛ قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها (مع).

فنادى مناديهـم:

- «إنّ أمير القتال شبت بن ربيع، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّاء، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.»

ما دار بين شيعة عليّ والخوارج عند دخوله الكوفة

ولما دخل عليّ الكوفة، وفارقت الخوارج، وثبت إليه شيعته وقالوا:
- «فى أعناقنا لك بيعة ثانية. نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت.»
فقال بقيّة الخوارج:

- «استبقتم أنتم وأهل الشام فى الكفر، كفرسى رهان، بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا، وبايعتم عليّاً [عليّ] ^(١) أنكم أولياء من والى، وأعداء من عادى.»

فقال لهم زياد بن النضر ^(٢):

- «والله يا قوم، ما بسط عليّ يده فبايعناه قطّ، إلّا على كتاب الله وسنة نبيّه، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته، فقالوا: نحن أولياء من واليت، [25] وأعداء من عاديت. ونحن كذلك، وهو هاد، ومن خالفه ضالّ.»

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم إسلامي

ذكر احتجاج الخوارج مع عليّ عليه السلام

أتى عليّ بن أبى طالب رجلان من الخوارج: زرعة بن البُرج الطائى ^(٣)
وحر قوص بن زهير السعدى، فدخلا عليه، فقالا له:

١. عليّ: سقطت من الأصل، وموجودة فى مط والطبرى ٦: ٣٣٥٠.

٢. فى مط: زياد بن النصر (بالصاد المهملة)؛ والأصل يوافق الطبرى.

٣. فى مط: زرعة بن مرج الطائى؟ وهو خطأ. وما فى الطبرى (٦: ٦١ - ٣٣٦٠) يوافق الأصل.

«لا حكم إلا لله».

فقال عليّ: «لا حكم إلا لله».

فقال حرقوص: «فتب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى

عدونا نقاتلهم، حتى نلقى ربنا».

فقال عليّ: «قد أردتكم على ذلك فعصيتموني. وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً

وشروطاً، وأعطينا عليها عهودنا ومواريقنا، وقد قال الله تعالى: وأوفوا بعهد الله إذا

عاهدتهم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله

يعلم ما تفعلون»^(١).

فقال له حرقوص: «ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه».

فقال عليّ: «ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف في العقل، وقد

تقدمت فنهيتكم عنه».

فقال له زرعة: «أما والله، يا عليّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله،

لأقاتلنك».

فقال عليّ: «يوسى^(٢) لك، ما أشقاك [25] كأنني بك قتيلاً تسفى عليك الريح».

قال: «وددت أن قد كان ذاك».

فخرجوا من عنده يحكمان.

مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

صياح أثناء خطبته

ثم إن علياً خطب ذات يوم. فإنه لفي خطبته، إذ صاح صائح من جانب

المسجد:

«يا عليّ، لا حكم إلا لله».

فقال عليّ: «الله أكبر، كلمة حقّ يراد بها باطل. إن سكتوا غممناهم^(١)، وإن تكلموا حجبناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم». فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، فقال:

- «الحمد لله، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيّة في ديننا، يا عليّ، أبا القتل تخوفنا؟ أما والله، إنني لأرجو أن تضربكم بها عما قليل، غير مصفّحات، ثم لنعلم أيننا أولى بها صلياً^(٢)»

فقال عليّ:

- «أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتونا لا نمنعكم»:

□ «لا نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه».

□ «ولا نمنعكم الفقه، مادامت أيديكم فيه مع أيدينا».

□ «ولا نقاتلكم حتى تبدأونا».

ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته.

وخرج الرجلان يحكمّان، واجتمع معهم قوم. فبعث عليّ عبدالله بن العباس، وقال له:

- «لا تعجل إلى جوابهم حتى آتيك».

مركز تحقيق كتاب في ذكر ما جرى بينهم من الجدل

ورجوعهم مع عليّ وهذه الدفعة الأولى من خروجهم

[27] فخرج ابن عباس إليهم، فأقبلوا يكلمونه. فلم يصبر حتى راجعهم، فقال:

- «ما الذي نعتهم من الحكمين؟ وقد قال الله عزّ وجلّ: فابعثوا حكماً من أهله

١. نقطة الحرف الأوّل غير واضحة في الأصل. ابن الأثير (٣: ٢٢٤): غممناهم. في الطبري (٦: ٣٣٦١): عممناهم.

٢. وفي التنزيل: «ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً». س ١٩ مريم: ٧٠.

وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما^(١)؛ فكيف بأُمّه محمد، صلى الله عليه؟»

فقلت الخوارج: «أما ما جعل حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه والإصلاح له، فهو إليكم كما أمر به، وأما ما حكم فأمضاه، فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، وليس لأمثال هذا أن ينظر فيه مخلوق.»

قال ابن عباس: «فإن الله يقول: يحكم به ذوا عدلٍ منكم.»^(٢)
فقالوا له: «أو تجعل الحكم في الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها، كالحكم في دماء المسلمين؟»

وقالت الخوارج: «قلنا له، فهذه الآية بيننا وبينك. أعدل عندك ابن العاص، وهو يقاتلنا، ويسفك دماءنا؟ فإن كان عدلاً فلسنا عدلاً، وقد حكمتكم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا، ثم كتبتم بينكم وبينهم كتاباً جعلتم نهيكم المودعة والاستفاضة، وقد قطع الله تعالى الاستفاضة [28] والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب، إلا من أقرّ بالجزية.»

ثم خرج عليّ حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عباس، فقال:

- «إنته عن كلامهم! ألم أنهك - رحمك الله؟»

ثم تكلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

- «اللهم، إن هذا مقام، من فلج^(٣) فيه، كان أولى بالفلج^(٤) يوم القيامة؛ ومن

٢. س ٥ المائدة: ٩٥.

١. س ٤ النساء: ٣٥.

٣. فلج: نقطة الجيم زائلة في الأصل، فأثبتناها كما في الطبري ٦: ٣٣٥٢، والكامل ٣: ٣٢٨. فلج بحجته: أحسن الإدلاء بها وغلب خصمه. ويقال: فلجت حجته.

٤. أيضاً في الأصل: الفلج، بالحاء المهملة، فاعجمناها كما في مط والطبري والكامل.

نطف (١) فيه، أو وعث (٢)، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً (٣)».

ثم قال: «من زعيمكم؟»

قالوا: «ابن الكواء».

قال علي: «فمن أخرجكم علينا».

قالوا: «حكومتكم يوم صفين».

قال: «أنشدكم الله، هل تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبكم (٤)

إلى كتاب الله؛ قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا

قرآن، صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً. امضوا على حقكم وصدقكم. فلما رفع

القوم لكم المصاحف خديعة ودهناً (٥) ومكيدة، فرددتهم علي رأبي وقلتم: لا بل

نقبل منهم؛ فقلت لكم: اذكروا قولي ومعصيتكم إياي. فلما أبيتم إلا الكتاب

اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحى القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن. فإن

حكما حكم القرآن [29] فليس لنا أن نخالف حكمه، وإن أبينا، فنحن (٦) منه

برءاء».

فقالوا له: «فخبرنا: أترأه (٧) عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟»

فقال: «إنا لسنا الرجال حكمنا، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطأ

مسطور بين دفتين لا ينطق، إنما يتكلم به الرجال».

قالوا: «فخبرنا عن الأجل: لم جعلته في ما بينك وبينهم؟»

١. نطف: كذا في الأصل ومط. نطف: أنهم بريئة. وفي الطبري: نطق. وهو تصحيف.

٢. كذا في الأصل: وعث. وفي مط: أرعث. وعث المتكلم: عجز عن الكلام، خلط.

٣. «فهو... سبيلاً»: اقتباس من س ١٧ الاسراء: ٧٢.

٤. كذا في الأصل: فقلتم نجيبكم. وفي مط والطبري: فقلت نجيبهم.

٥. كذا في الأصل والطبري: دهناً. وما في مط. وابن الأثير: وهناً.

٦. كذا في الأصل: منه. وفي مط: بدون «منه». وما في الطبري (٦: ٣٣٥٣): فنحن من حكمهما برءاء.

٧. في مط: فخيرنا اقراء. وهو خطأ.

قال: «ليعلم الجاهل، ويثبت العالم. ولعلَّ الله يصلح في هذه المدة هذه الأمة، ادخلوا مصركم، رحمكم الله.»
فدخل القوم من عند آخرهم.

ابتداء يوم النهر

ثم اجتمعوا بالكوفة، وتذكروا أمرهم، وكاتبوا إخوانهم بالبصرة، وتواعدوا ليوم يخرجون فيه إلى المدائن، ومنها إلى النهر. ففعلوا ذلك، واستعرضوا الناس، وقتلوا عبدالله بن خبّاب بن الأرت^(١)، وبلغ ذلك عليّاً، فسار إليهم. ثم لما اجتمعوا كلّمهم واستعطفهم. فأبوا إلا قتاله، وجرت بينهم مخاطبات تركت ذكرها.
ثم تنادوا أن:

- «دعوا مخاطبة عليّ وأصحابه، وبادروا إلى الجنة.»

فصاحوا:

- «الروح الروح إلى الجنة!»

عليّ يعبّي ويرفع راية أمان

فعبّي عليّ - عليه السلام - أصحابه، ورفع راية أمان مع أبي أيوب [30]
الأنصاري، فناداهم أبو أيوب فقال:
- «من جاء هذه الراية منكم، ممن لا يقتل ولا يستعرض، فهو آمن؛ ومن
انصرف منكم إلى الكوفة، أو المدائن، وخرج من هذه الجماعة، فهو آمن. إنه لا

١. في مط: حباب بن الأدت (بالتدال المهملة). في الأصل: حباب بن الأرت. وفي الأصول: خبّاب بن الأرت (بتشديد الباء والتاء). ذبحت عصابة من الخوارج على ضفة النهر قرب النهروان، وبقروا بطن امرأته، وهي حبلى، كما قتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أم سنان. (أنظر الطبري ٦: ٣٣٧٤، وابن الأثير ٣: ٣٤٠).

حاجة لنا - بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم - في سفك دمائكم.»

فقال فروة بن نوفل الأشجعي:

- «والله ما أدري: على أي شيء، أقاتل عليّ بن أبي طالب.»

فانصرف في خمسمائة فارس. وخرج إلى عليّ منهم نحو ذلك. وكانوا أربعة

آلاف، ورئيسهم عبدالله بن وهب الراسبي.

وكان عليّ قدّم الخيل دون الرجال، وصفّ الناس وراء الخيل صفّين، وصفّ

المرامية أمام الصفّ الأول، وقال لأصحابه:

- «كفّوا عنهم حتى يبدأوكم، فإنهم لو قد شدّوا عليكم وخلفهم رجال^(١)، لم

ينتهوا إليكم إلّا لاغبين^(٢)، وأنتم له قارّون حامّون^(٣).»

فأقبل الخوارج وهم يتنادون:

- «الروح الروح إلى الجنة.»

وشدّوا، فلم تثبت خيل عليّ لشدّتهم، وافترقت الخيل فرقتين: فرقة نحو

الميمنة، وفرقة نحو الميسرة. وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية [31]

وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم

الرجال بالرماح والسيوف، فما لبّثوهم أن أناموهم عن آخرهم.

قال حكيم بن سعد:

ما هو إلّا أن لقينا أهل النهر، فما لبّثناهم، كأنما قيل لهم: موتوا! فماتوا.

ولم يقتل من أصحاب عليّ إلّا سبعة، واستخرج ذو الشديّة، على الحكاية

المعروفة، وخبره مشهور. وانصرف عليّ إلى معسكره بالنخيلة من ظاهر الكوفة،

وأمر الناس أن يسيروا على تعبثهم إلى الشام.

١. كذا في الأصل ومط: وخلفهم رجال. وفي الطبري (٦: ٣٣٨١): وجلّهم رجال.

٢. كذا في الأصل والطبري: لاغبين. وفي مط: لاعتين.

٣. كذا في الأصل ومط: وأنتم له قارّون حامّون. وما في الطبري: رادّون حامون.

استبدال الشام بالنهر

وقد كان عليّ همّ بالخروج إلى الشام قبل. فلما عظمت الشوكة من الخوارج، وأخذوا في الاستعراض، وقتلوا الصالحين، قال الناس: - «يا أمير المؤمنين، علام تخلف هؤلاء المارقة وراءنا، يخلفوننا في أبنائنا ونساءنا بالقتل، فنبدأ بهم.

ولما انصرف إلى معسكره بالنخيلة، أمرهم أن يوطنوا أنفسهم على الجهاد، وأن يسيروا إلى عدوهم. فتسللوا من معسكرهم، فدخلوا إلا رجلاً قليلاً من وجوه الناس، وترك المعسكر.

فلما رأى ذلك عليّ، دخل الكوفة، وانكسر عليه [32] رأيه في المسير، وذلك في سنة ثمان وثلاثين.

ثم جرت بين عليّ وأصحابه خطوب ومخاطبات يستنهضهم ويأبون^(١)، ويخطب فيهم ويستمدّهم، ويستدعي نصرهم، ويستبطنهم، فيتشاقلون، وخطبه مشهورة معروفة.

إلى أن طمع معاوية في العراق، وبثّ دعائه سرّاً وجهراً إلى البصرة يطلب دم عثمان، وسرّب خيله في أطراف عليّ - عليه السلام - فأنفذ النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمر، وبها مالك بن كعب في ألف رجل من قبل عليّ. فلما سمع القوم به، تسللوا إلى الكوفة حتى بقى مالك في مائة رجل، وكتب إلى عليّ يخبره، واستمدّه.

فخطب عليّ، وأمرهم بالخروج، فتشاقلوا. فواقعهم مالك في من تبعه، وأمر أصحابه أن يجعلوا حيطان المدينة في ظهورهم ويقاتلوا. وكتب إلى محنف بن

١. ويأبون.... ويستبطنهم: سقطت من مط.

سليم أن يمده وهو قريب منه وقاتلهم ابن كعب في العصابة التي معه أشدّ قتال يكون.

اتفاق جيّد

وقع لمالك حتى هزم النعمان ومن معه

[33] ووجّه محنف ابنه إليه، عبدالرحمان^(١)، في خمسين رجلاً. فانتهوا إلى مالك وأصحابه وقد كسروا جفون سيوفهم واستقتلوا. فلما رءاهم أهل الشام، وذلك عند المساء، ظنّوا أنّ لهم مدداً، فانهزموا، واتبعهم مالك، فقتل منهم ثلاثة نفر، ومضوا على وجوههم. فأما غيره من سرايا معاوية، فإنّهم كانوا يظفرون ويقتلون ويغنمون وينصرفون.

وأما من حصل من قبل بالبصرة لأجل التضريب بين الناس، فإنّه بلغ ما أراد، ووقعت الفتنة والعصية، فطمع أهل فارس، وكرمان في عمّال عليّ، فغلب أهل كلّ ناحية على ما يليهم، فأخرجوا عمّالهم.

فاستشار عليّ أصحابه في من يضبط به فارس وكرمان. فقال ابن عباس:

«أدلك على رجل صليب الرأي عالم بالسياسة، كاف، وليّ.»

قال: «من هو؟»

قال: «زياد.»

قال: «هو لها.»

فتوجّه ابن عباس إلى عمله بالبصرة. وكان زياد يخلفه بها. فضمّ إليه أربعة

آلاف رجل، وولّاه فارس، فدوّخها حتى استقاموا. [34]

١. كذا في الأصل ومط: ابنه إليه عبدالرحمان.

ذكر سياسة زياد لهذا الوجه

حدث قوم من أهل فارس قالوا:

ورد زياد نواحي فارس، وهي تضطرم. فلم يزل يبعث إلى رؤسائها، يعد من نصره ويمنيّه، ويخوف من خالفه ويوعده، ويضرب بعضهم ببعض، ويداري من يرى مداراته، حتى دلّ بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، يقتل بعضها بعضاً، حتى صفت له فارس، فلم يلق فيها جمعاً، ولا حرباً، ولم يقف موقفاً واحداً للقتال. وفعل مثل ذلك بكرمان حتى صفت أيضاً له.

فقال الناس:

«ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان، من سيرة هذا العربي، في اللين، والمدارة، والعلم بما يأتي.»

دخول بسر بن أرطاة المدينة ومكة

وهروب عمّال عليّ

ثم كثرت غارات معاوية على أطراف عليّ، ووجه بسر بن أرطاة إلى الحجاز. فدخل المدينة ومكة، وهرب عمال عليّ، وقتل شيعة عليّ. ومضى نحو اليمن، وكان علي [35] اليمن عبيد الله بن العباس، فهرب إلى الكوفة، واستخلف عبد الله بن عبد المدان، فأتاه بسر^(١)، فقتله، ولحق ثقل^(٢) عبد الله وفيه ابنان له صغيران، فقتلهم، وبلغ ذلك عليّاً، فوجه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين.

١. في مط: بشر.

٢. كذا في الأصل: ثقل عبد الله. وفي الطبري (٦: ٣٤٥٢): ثقل عبيد الله. والثقل: المتاع. والشئ النفيس الخطير. وفي مط: قتل عبيد الله. والقفل: القافلة.

فسار جارية حتى أتى نجران، وقتل خلقاً من شيعة عثمان، وهرب بسر منه، وتبعه حتى دخل مكة والمدينة، وأرجف الناس بموت عليّ. فأخذ الناس ببيعة الحسن بن عليّ، فأبوا، ثم خافوه، فبايعوه، فأقام^(١) مدة، ثم انصرف إلى الكوفة.

العراق لعليّ، والشام لمعاوية

ثم جرت مكاتبات كثيرة بين عليّ - عليه السلام - وبين معاوية، استقرّ آخرها على وضع الحرب بينهما، ويكون لعليّ العراق، ولمعاوية الشام، لا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش، [ولا غارة]^(٢) ولا غزوة، وأن يضع السيف، ولا يريقا دماء المسلمين، فتراضيا على ذلك.

تحالف الخوارج

لقتل عليّ، ومعاوية، وعمرو بن العاص

واجتمع بعد ذلك نفر ممن يرى رأي الخوارج، فتذاكروا أصحاب النهر، وترحموا عليهم، وعابوا ولائهم، وقالوا:

«ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فلو قتلنا أئمة الضلال، لرجونا الأجر والثواب.»

فتحالف عبدالرحمان بن ملجم، والبرك بن عبدالله، [36] وعمرو بن بكر التميمي أن يأتي كل واحد منهم واحداً من الأئمة الثلاثة يعنون: عليّاً، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فيغتالونهم.

فأمّا ابن ملجم فقال: «أنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب.» وكان من أهل مصر.

وقال البرك بن عبدالله: «أنا أكفيكم معاوية.»

وقال عمرو بن بكر: «أنا أكفيكم عمرو بن العاص.»

١. في الأصل ومط: فأقاموا. والعبارة في الطبري (٦: ٣٤٥٢): فبايعوه. و«أقام» يومه، ثم خرج منصرفاً إلى الكوفة..
٢. ما في [] تكملة من الطبري ٦: ٣٤٥٣.

فتعاهدوا، وتوائقوا، وأخذوا أسيافهم وسمّوها، وأتعدوا لسبع عشرة من شهر رمضان، أن يشب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجّه له.

ما جرى بين ابن ملجم وقطام في الكوفة
وتعاونهما على قتل عليّ

فأما ابن ملجم، فإنه دخل الكوفة، ورأى امرأة يقال لها: قطام، وكان عليّ قتل أباه وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فالتبست بعقله، ونسى حاجته التي جاء لها، فخطبها، فقالت^(١):

«لا أتزوجك حتى تشترط إليّ.»

فقال: «ما شرطك؟»

قالت: «ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة^(٢)، وقتل عليّ!»

قال: «هو لك، ووالله ما وردت إلّا لقتل عليّ.»

قالت: «فأنا ألتمس لك من يساعدك على أمرك.»

فطلبت له رجلاً من قومها، والتمس عبدالرحمان آخر، فصاروا ثلاثة، وأخذوا أسيافهم في الليلة [37] التي واعد عبدالرحمان بن ملجم أصحابه، وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ للصلاة.

فلما خرج، ضربه ابن ملجم، وأقرنه^(٣)، وهرب، وتصايح الناس، فأخذ ابن ملجم، وحمل إلى عليّ.

فلما رءاه، قال: «أى عدوّ الله! ألم أحسن إليك؟»

١. في الأصل: فقال (بالتذكير) وهو سهو من الكاتب. وفي مط: فقالت.

٢. القينة: الأمة، صانعة أو غير صانعة، وغلب على المعنيّة. والقينة والمقيّنة: الماشطة التي تزيّن النساء.

٣. أقرنه: أقرنه، وقرنه أي: ضربه على قرني رأسه، وقرن الرجل: حدّ رأسه وجانبه. والعبارة في الطبري (٦: ٣٤٥٩): وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف.

قال: «بلى».

قال: «فما حملك على هذا؟»

قال: «شعذته أربعين صباحاً، فسألت الله أن يقتل به شر خلقه».

فقال علي:

«لا أراك إلا مقتولاً به^(١)، ولا أراك إلا شر خلق الله».

ثم مات علي بن أبي طالب - عليه السلام - وذلك في شهر^(٢) رمضان سنة أربعين.

قتل ابن ملجم وحرقه

وأحضر الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - ابن ملجم. فلما دخل عليه، قال:

«هل لك في خصلة^(٣)؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، وكنت أعطيت الله عهداً عند الحطيم^(٤) أن أقتل معاوية وعلياً، أو أموت دونهما، فإن شئت خلّيت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله، أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك».

فقال له الحسن:

«أما والله، حتى تعانين النار فلا!»

ثم قدّمه، فضرب عنقه. ثم أخذه الناس، فأدرجوه في بوارى^(٥)، ثم أحرقوه

١. به: ليست في مط.

٢. في مط: شهر الله رمضان.

٣. الخصلة: خلق في الإنسان يكون فضيلة أو رذيلة.

٤. الحطيم: قال ابن عباس: الحطيم الجدار، بمعنى جدار الكعبة. ابن سيده: الحطيم حجر مكة مما يلي الميزاب، سمى بذلك لانحطام الناس عليه، وقيل: إنهم كانوا يحلقون عنده في الجاهلية فيحطم الكاذب وهو ضعيف. الأزهرى: الحطيم: الذي فيه الميزاب، وإنما سمى حطيماً، لأن البيت رفع، وترك ذلك محطوماً (لح).

٥. البوارى: جمع مفردة البارى. والبارى والبارية والبارياء والبورياء: الحصير. (فارسي معرب).

بالنار.

ما كان من أمر برك ومعاوية

وأما البرك، فإنه قعد لمعاوية، فلما [38] خرج للصلاة، ضربه بالسيف، فوقع في أليته^(١)، فأخذ فقال:

«إنّ عندي خبراً أسرك به، فإن أخبرتك، أينفعني ذلك؟»

قال: «نعم.»

قال: «إنّ عليّاً قتله أخ لي في هذه الليلة.»

وحديثه الحديث.

قال: «فلعلّه لم يقدر على ذلك.»

قال: «بلى، إنّ عليّاً يخرج وحده، وليس معه من يحرسه.»

فأمر به معاوية، فضربت عنقه.

ما كان من أمر عمرو بن بكر، وعمرو بن العاص

وأما عمرو بن بكر، فجلس لعمرو بن العاص، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجه بن أبي حبيبة، وكان على شرطه، ليصلّي بالناس. فخرج، وشدّ عليه ابن بكر، وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله. فأخذته الناس، فانطلقوا به إلى عمرو، وسلّموا عليه بالإمرة، فقال:

«من هذا؟»

قالوا^(٢): «عمرو.»

قال: «فمن قتلته؟»

١. الألية: العجيزة، أو ما ركبها من شحم ولحم. ٢. في الأصل: قال. في مط: قالوا. فأثبتنا ما في مط.

قالوا: «خارجة».

قال: «والله يا فاسق، ما ظننته غيرك».

قال عمرو: «أردتنى، وأراد الله خارجة».

وقدّمه عمرو، وقتله.

ما قالته عائشة في قتل عليّ

ولما انتهت إلى عائشة قتل عليّ، قالت:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

وقالت: «من قتله؟»

قيل: «رجل من مراد».

قالت: [39]

فإن يك نائياً، فلقد نعا نعا ليس في فيها الثراب

أسماء كتاب عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه

كتب له سعيد بن نمران الهمداني، وكان يكتب له عبدالله بن جعفر أيضاً،
وعبيدالله بن أبي رافع.

وحكى عن عبيدالله أنه قال: كتبت بين يدي عليّ عليه السلام - فقال:

- «ألق^(١) دواتك، وأطل سنّي قلمك، وفرّج بين السطور، وقرّمْط^(٢) بين

١. ألق: من قولهم: ألقى الدواة: جعل لها ليقة، وأصلح مدادها. والليقة: صوفة الدواة.

٢. قرمط بين الحروف: جعلها متقاربة.

الحروف.»

وكنا ذكرنا أنه استكتب زياداً على خراج البصرة وديوانها لما استخلف ابن عباس عليها.

ولزياد سياسات يصلح أن تذكر في هذا الكتاب، فإننا إنما نذكر كتاب الخلفاء لأجل ما عزمنا على ذكر سياستهم، ولم يمض إلى هذا الوقت أحد منهم عرف له سياسة غير زياد، ونحن نذكر ذلك في آخر أيام معاوية، إن شاء الله.



مركز تحقيق كتاب تاريخ علوم اسلامی

بيعة الحسن بن عليّ

وبويع الحسن بالخلافة في سنة أربعين^(١)، وأوّل من بايعه قيس بن سعد^(٢)، وكان قيس على مقدّمة أهل العراق، ويقال: إنهم كانوا أربعين ألفاً، بايعوا عليّاً على الموت.»

نزع قيس

وتأمير عبيد الله بن عباس

ولمّا قُتل عليّ، واستخلف [40] أهل العراق الحسن، كان الحسن لا يريد القتال، ولكنّه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثمّ يدخل في

١. أنظر الطبري (٦: ٧)، والسمعودي (٤٢٦: ٢)، وابن الأثير (٤٠٢: ٣).

٢. في الطبري (٦: ٧): وقيل: إنّ أوّل من بايعه قيس بن سعد، قال له:

«ابسط يدك أبايك على كتاب الله، وسنة نبيّه، وقتال المحلّين.»

فقال له الحسن -رضي الله عنه:

«على كتاب الله وسنة نبيّه، فإنّ ذلك يأتي من وراء كلّ شرط.»

فبايعه، وسكت، وبايعه الناس. وفي الطبري أيضاً: فطلق يشترط عليهم الحسن:

«إنكم سامعون، مطيعون، تسالمون من سالمته، وتحاربون من حاربته.»

فارتاب أهل العراق في أمرهم، حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا:

«ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتال...» (٥: ٧).

الجماعة.^(١) وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق على رأيه، فنزعه، وأمر عبيد الله بن عباس، وعلم عبيد الله بالذي يريد الحسن أن يأخذ لنفسه. فكتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي أصاب، فشرط له ذلك معاوية.

ذكر مكيدة لمعاوية

يقال: إن معاوية دس إلى عسكر الحسن بن علي، حين نزل المدائن، وعلى مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً، وذلك قبل أن ينزعه، وكان معاوية أقبل من الشام، فنزل مسكن^(٢)، فدس معاوية من نادى في عسكر الحسن:

«ألا إن قيس بن سعد قد قُتل، فانفروا!»

فنفروا بسرادق الحسن، حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وجرحوه، فخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن.

كتاب كتبه الحسن إلى معاوية في الصلح

وكتب حينئذ الحسن بن علي إلى معاوية يطلب الأمان، فقال الحسن للحسين وعبد الله بن جعفر:

«إني كتبت إلى معاوية في الصلح»

فقال له الحسين:

١. عن الطبري (٧: ١).

٢. مسكن (على وزن: مسجد): أصله: موضع السكنى، وذلك يقال له أيضاً: مسكن، (بفتح الكاف)، قال: وهو موضع من أوانا على نهر دجيل عند دير جاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان، ومصعب بن الزبير، وقتل به مصعب، وقبره هناك. قلت [والقائل صاحب المراسد]: مسكن اسم للطسوج الذي منه أوانا من أعمال دجيل، والموضع الذي به قبر مصعب على جانب به الآن، وجبل به الآن قرية، ودير الجاثليق قريب منه (مع).

«أنشدك الله أن تصدّق [41] أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة عليّ». فقال الحسن:

«اسكت، فإنّي أعلم بالأمر منك».

واشترط الحسن على معاوية:

□ عليّ أن يجعل له ما في بيت ماله.

□ وخراج دارابجرد.

□ وعليّ أن لا يُشتم عليّ وهو يسمع.

وكان الذي في بيت المال بالكوفة خمسة آلاف ألف. [٥,٠٠٠,٠٠٠]

ذكر حيلة واتفاق طريف في هذا الشرط

كان معاوية أرسل قبل أن ترد عليه صحيفة الحسن بالشرط، بصحيفة بيضاء مختوم^(١) على أسفلها، وكتب إليه أن:

«اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك».

ولمّا أتت الحسن هذه الصحيفة، اشترط فيها أضعاف الشروط التي كان سألها قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن التي كان كتبها. فلمّا التقى معاوية والحسن، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي في السجل الذي ختمه معاوية في أسفلها، فأبى معاوية أن يعطيه، وقال:

«ما لك إلّا ما سألتني به بخطك».

فاختلفا، وتنازعا، ولم ينفذ للحسن من تلك الشروط شيئاً.

معاوية يُكايد قيس بن سعد

ثم إنّ الناس اجتمعوا إلى قيس بن سعد، وتعاهدوا [42] على قتال معاوية.

١. كذا في الأصل ومط والطبري (٧: ٥): مختوم. وفي حاشية الطبري: مختومة.

فلما فرغ معاوية من عبيد الله والحسن، خلص إلى مكايده رجل هو أهم إليه، وأبلغ مكيدة، ومعه أربعون ألفاً. فراسله يذكره بالله، ويقول له: «على طاعة من تقاتل؟ قد بايعني الذي أعطيته طاعتك.» وأبى قيس أن يلين له حتى بعث إليه معاوية بسجل ختم في أسفله، وقال: «أكتب ما شئت في هذا السجل، فهو لك.» واشترط قيس له ولشيعته على الأمان، على ما أصابوا من الدماء، والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مალأ، فأعطاه معاوية ذلك.

الدهاة الخمسة

وكان قيس يعد في الدهاة، وكانوا خمسة يومئذ، وهم: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة، وقيس بن سعد، وعبد الله بن بديل. وكان قيس [و] ^(١) عبد الله بن بديل مع علي، والمغيرة بن شعبة معزلاً بالطائف، حتى حُكِمَ الحكمان.

ما قاله الحسن بن علي في خطبته بعد الصلح
وقبل أن يغادر الكوفة إلى المدينة

ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية، قام الحسن في الناس خطيباً بالكوفة ^(٢)، فقال:

«يا أهل العراق! إنه سخى ^(٣) بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إتي،

١. في الأصل: قيس بن عبد الله بن بديل، وهو سهو من الكاتب، وصححناه كما في مط والطبري (٧: ٨).

٢. وأما حسب الطبري (٧: ٩) فإن الخطبة هذه، خطبها الحسن بمسكن، حيث تم الصلح، ثم دخل الكوفة بمن معه، وبراً هناك ثم تحول إلى المدينة.

٣. في مط: نحى بنفسه! وما في الطبري كما في الأصل: سخى بنفسي. سخى نفسه، وبمن نفسه عن كذا:

وانتهائكم متاعى.»

وبرأ الحسن من جراحته، فتحوّل إلى المدينة. وحال أهل البصرة بينه وبين

خراج [43] دارابجرد، وقالوا:

«فيئنا»^(١).

ولمّا دخل المدينة^(٢)، تلقّاه الناس، فصاحوا:

«يا مذلّ العرب!»



مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

→ حملها على تركه. وعدم النزوع إليه.

١. في الأصل ومط: فيئنا. والتصحيح من الطبري (٧: ٩).

٢. في الطبري (٧: ٩): فلمّا خرج إلى المدينة، تلقّاه ناس بالقادسية، فقالوا:

«يا مذلّ لعرب!»



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس العناوین

٥	تصدير التصدير
٧	تصدير عام
	حول مسكويه وتصنيفه تجارب الأمم
٧	مناهل دراسته
١١	الفترة التي عاشها
١٣	مسكويه، لا ابن مسكويه
١٦	مسكويه : مُسكويه
١٩	أوصافه وألقابه الأخرى
١٩	آثاره في حقول المعرفة
٢٧	التاريخ كما يراه مسكويه
٣٠	مصادر مسكويه في كتابة التاريخ
٣٥	تجارب الأمم : اسمه
٣٥	تجزئة تجارب الأمم
٣٦	مخطوطات تجارب الأمم
٤١	تحقيق النص

- ٤٧ مقدّمة المُصنّف
- ٥١ الفيشداذيّة ومن عاصرهم
- ٥١ أوشهّج
- ٥٢ طهومرت
- ٥٣ جمّ شيد
- ٥٥ بيوراسب
- وما جرى بينه وبين كابي الإصبهاني
- ٥٨ ثمّ ملك أفريدون
- ٦٠ منوشهر
- ٦٢ خطبة منوشهر
- ٦٧ منوشهر والرايش بن قيس
- ٦٨ ظهور موسى في أيّام منوشهر
- ٦٩ زو بن طهماسب
- ٧١ الكيّّة ومن عاصرهم
- ٧١ كيقباز بن زو
- ٧٢ كيقابوس وما جرى على ابنه سیاوخش
- ٧٦ ثمّ ملك كيخسرو بن سیاوخش بن كيقابوس
- ٨١ لهراسب وما كان من أمر بُختنصر
- ٨٤ كيرش
- ٨٤ اخشوارس
- ٨٤ كيرش
- ٨٦ وملك كي بشتاسف بن كي لهراسف

- ٨٦ ظهور زردشت
- ٩٠ ياسر أنعم
- ٩١ تبّع
- ٩٢ أردشير بهمن
- ٩٣ خُمای
- ٩٣ دارا بن بهمن
- ٩٤ دارا الأصغر
- ٩٥ مما يحكى عن الإسكندر وحيله
الإسكندر ودارا
- ٩٧ ذكر حيلة للإسكندر
- ٩٧ حيلة أخرى
- ٩٨ حيلة أخرى له
- ٩٩ الإسكندر وأرسطوطالس
- ١٠١ الإسكندر وملك الصين
- ١٠٤ البطالسة
- ١٠٥ الأشغانيّة ومن عاصرتهم علومهم
- ١٠٥ ثمّ ملك جوذر بن أشكان
- ١٠٦ ذكر حيلة لبعض ملوك الروم
- ١٠٨ ذكر سبب طمع العرب فى أطراف الفرس
- ١٠٩ من عاصر الأشغانيّين من ملوك العرب
- ١١٠ عمرو بن ظرب
- ١١١ الزبّاء

- ١١٢ قصير بن سعد
- ١١٤ ذكر حيلة لقصير على الزبَاء تَمَّتْ لَهُ عَلَيْهَا
- ١١٧ عمرو بن عدى
- ١١٨ طُسْمٌ وَجَدِسُ
- ١١٩ حَذَّةُ بَصْرِ الْيَمَامَةِ
- ١٢١ السَّاسَانِيَّةُ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ
- ١٢١ أردشير بن بابك
- ١٢٢ عهد أردشير
- ١٤٤ ثم انتهى المُلْكُ إِلَى سَابُورِ بْنِ أَرْدَشِيرَ
- ١٤٦ تَوَالَى سِتَّةَ مَلُوكٍ
- ١٤٧ سَابُورُ الْمَلَقَّبُ بِذِي الْأَكْتَفِ
- ١٥٠ ذكر حيلة لقسطنطين
- ١٥١ ثم ملك من الروم لليانوس
- ١٥١ عاقبة سرف سابور في القتل
- ١٥٢ تخلَّصه بحسن الاتفاق
- ١٥٣ سوء تحفظ لُليَانُوسَ
- ١٥٤ أردشير بن هرمز
- ١٥٥ سابور بن سابور ذى الأكتاف
- ١٥٥ بهرام بن سابور ذى الأكتاف
- ١٥٥ يزجرد المعروف بالأثيم ابن بهرام بن سابور ذى الأكتاف
- ١٥٦ بهرام جور
- ١٥٨ كِسْرَى

- ۱۶۱ بهرام بتناول التاج والزینة من بین أسدین مشبلین
- ۱۶۳ خاقان یغزو بهرام
- ۱۶۳ حيلة بهرام جور علی خاقان
- ۱۶۵ قصدة الهند والروم والسند والسودان
- ۱۶۶ ارتطام بهرام فی سبخة
- ۱۶۶ یزدجرد بن بهرام جور
- ۱۶۷ حُسن سیاسة من فیروز
- ۱۶۸ حيلة تمت لملك الهياطلة علی فیروز
- ۱۷۰ عاقبة غدره
- ۱۷۱ بلاش بن فیروز بن یزدجرد بن بهرام جور
- ۱۷۲ ثم ملك قباذ بن فیروز أخو بلاش
- ۱۷۲ من آرائه الجيدة
- ۱۷۳ سوء تدبیر قباذ عند ظهور مزدك
- ۱۷۳ وزوال مُلكه
- ۱۷۴ ذكر حيلة تمت لأخت قباذ حتى أخرجته من الحبس
- ۱۷۵ سبب هلاك قباذ
- ۱۷۷ ذكر ما تمّ لتبّع وابن أخیه شمر وابنه
حسان بعد احتوائهم علی مملكة الفرس
- ۱۷۹ وقام بالملك بعد قباذ ابنه كسرى أنوشروان
- ۱۸۱ من ثمره أعماله
- ۱۸۲ فأما تدبیره للمزدكية
ورده المظالم وما دبّر فی أمر النساء المغلوبات علی أنفسهن
وتدابیره الأخرى

- ١٨٣ فتوح أنوشروان
- ١٨٤ تدابير أنوشروان لاستغزار الأموال وتشجيرها
- ١٨٧ عمر يقتدى بوضائع كسرى
- ١٨٨ ذكر قطعة من سيرة أنوشروان وسياساته
كتبتها على ما حكاه أنوشروان نفسه في كتاب عمله في سيرته
وما ساس به مملكته
- ١٨٨ رجل اخترط السيف وأراد الوثوب علينا
- ١٨٩ استحلال قتلى
- ١٩٠ تصدقت على مساكين الروم
- ١٩٠ تخفيف الخراج لعمارة الأراضي
- ١٩١ ما رفع إلينا موبدان موبد
- ١٩٢ ما سأله الترك ومسيرنا إلى باب صول
- ١٩٣ تجديد النظر في أمر المملكة
- ١٩٥ جلوسنا مع أهل الكور للفحص عن الرعيّة وأمناء الخراج
- ١٩٧ ما كتبه إلينا أربعة أصناف من ترك الخزر
- ١٩٩ خاقان الأكبر يعتذر إلى ويسال التجاوز
- ٢٠٠ المقاتلة وأهل العمارة سواء
- ٢٠٢ أقبلنا بعد ذلك على السير والسنن
- ٢٠٤ خطبة أنوشروان
- ٢٠٩ هرمز بن أنوشروان
- ٢١٠ من سيرته المرتضاة
- ٢١٢ ذكر سوء اختياره
- جنده وبهرام جوبين حتى هلك

- ٢١٥ ذكر الحيلة التي تمت لأبرويز
حتى أفلت من بهرام بعد ظفـره به ورجوعه بعد ذلك وقتله إياه ببلاد الترك
واستيلائه على الملك
- ٢١٩ ذكر سوء سياسة
اتفق على أبرويز في جنده حتى ظهر الروم عليه
- ٢٢٤ فمما اتفق في أيام كسرى
من الحوادث التي تستفاد منها تجربة ما كان من
يوم ذي قار وحرب العرب والفرس
- ٢٢٤ قتل النعمان بن المنذر وأسبابه
- ٢٢٧ حيلة لعدى بن أوس على عدى بن زيد
- ٢٣٠ كسرى يكتب في إرسال عدى وعدى يقتل
- ٢٣٢ زيد بن عدى يخلف أباه عند كسرى
- ٢٣٣ فرصة انتـهـزها زيد
- ٢٣٣ صفة جارية أهداها المنذر الأكبر إلى أنوشروان
- ٢٣٦ كسرى يدعو النعمان وهو يحمل السلاح
- ٢٣٧ إياس وما أدى إلى يوم ذي قار
- ٢٣٩ رأى جيداً راه قيس بن مسعود لهانى
- ٢٤٣ ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم
- ٢٤٦ ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله
- ٢٤٨ ذكر عاقبة شيرويه بن أبرويز
- ٢٤٩ ثم ملك أردشير بن شيرويه
- ٢٤٩ ذكر غلظه في ذلك واستهانته بأمره حتى كان سبب هلاكه
- ٢٥٠ ثم ملك شهربراز

- ٢٥٠ وملك بوران بنت كسرى أبرويز
- ٢٥١ ثم ملك بعدها رجل يقال له: جُشْنَبَنْدَه
- ٢٥١ ثم ملكت آزرمي دُخت ابنة كسرى أبرويز
- ٢٥٢ كسرى بن مِهْر جُشْنَس
- ٢٥٢ فيروز
- ٢٥٢ فرّخ باذخسرو
- ٢٥٣ ملك يزدجرد بن شهریار بن أبرويز

- ٢٥٧ ممّا جرى في غزوات الرسول (ص)
- ٢٥٧ من تدابير البشرية في غزوة الخندق
- ٢٥٨ احتيال حُتَيّ بن أخطب لكعب بن أسد
- ٢٥٩ ما كان من نعيم بن مسعود من تخذيل وخداع
- ٢٦١ إتفاق جيد
- ٢٦٣ ومن ذلك ما كان يوم حنين
- وفيه ذكر لدريد بن الصّمة وبعض آرائه
- ٢٦٧ ومن ذلك
- ما كان بعد ظهور الغنسي الكذاب
- ٢٧٣ أسماء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

- ٢٧٧ مما حدث في خلافة أبي بكر
- ٢٧٧ ومن صرامة الرأي وحصافته ما كان من أبي بكر رضي الله عنه
- ٢٨٠ عقد أحد عشر لواء لمجارية أهل الردة
- ٢٨٢ صرامة عمر وحصافته في هذا الوقت

- ٢٨٣ اسلام طليحة بعد ارتداده وأدعائه النبوة
- ٢٨٤ مكيدة للفجاءة تمت عليه
- ٢٨٤ قتل مسيلمة في حديقة الموت ومكيدة لمجاعة على خالد
- ٢٨٨ ومن الآراء السديدة ما كان من خالد بالشام
يوم اليرموك
- ٢٩٠ تدبير حصيف من خالد
- ٢٩٤ من عجيب ما ركبته خالد
- ٢٩٨ المثنى بن الحارثة وشهريار قائد الفرس
- ٣٠١ أسماء كتاب أبي بكر رضى الله عنه
- ٣٠٣ مما حدث في خلافة عمر
- ٣٠٣ عمر يقاسم خالداً ماله
- ٣٠٤ من حديث خالد وفتح دمشق
- ٣٠٥ إتفاق جيد للمسلمين
- ٣٠٧ عمر وانتداب أبي عبيد للخروج إلى فارس
- ٣٠٨ قدوم أبي عبيد مع المثنى
بعد استخراج الفرس يزدجرد وتوقيع بوران رستم
- ٣١٠ السقاطية بكسكر
- ٣١٢ خطأ في الرأي
- ٣١٣ رؤيا رأتها امرأة أبي عبيد
- ٣١٦ يوم البويب ويسمى يوم الأعشار
- ٣٢٠ المثنى يغير على قرية بغداد غارة
- ٣٢٣ القادسية وأيامها

- ٣٢٣ تعليق يزدجرد
- ٣٢٨ تدبير دهره يزدجرد
للاسرار في تسلّم أنباء الحرب
- ٣٢٩ يوم أرمات
- ٣٣٢ يوم أغواث
- ٣٣٦ قصّة أبي محجن مع سلمى وسعد
- ٣٣٨ يوم عماس
- ٣٤٠ اتفاق جرى يوم عماس ويحذر أن يقع مثله
- ٣٤١ ما جرى في يوم عماس أيضاً
- ٣٤٦ درفش الكايبان وغيره من الأسلاب
- ٣٤٩ ومن أنباء الشام
- ٣٤٩ ذكر خديعة عمرو لأرطوبون
- ٣٥٠ سعد بن أبي وقاص يقدم زهرة إلى بهر سير
- ٣٥٢ ذكر استهانة في الحرب عادت بهلكة
- ٣٥٣ بهر سير وأبيض كسرى
- ٣٥٦ مبادرة يزدجرد إلى حلوان
- ٣٥٦ دخول المدائن كتحقيق كتاب أمير علوم بصرى
- ٣٥٧ تاج كسرى وأدراعه
- ٣٦٠ عمر وتاج كسرى
- ٣٦٠ بساط يساوى جريباً
- ٣٦٢ زى كسرى على محلم
- ٣٦٢ وقعة جلولاء
- ٣٦٤ استيذان عمر في الإنسياس

- ٣٦٦ ما عامل به عمر خالد بن الوليد
- ٣٦٨ علاء بن الحضرمي وعاقبة عصيانه
- ٣٧١ إرسال الهرمزان إلى المدينة
- ٣٧٣ ذكر خديعة للهرمزان وحيلة له حتى آمنه عمر
- ٣٧٥ عمر واللغة الفارسية
- ٣٧٥ ذكر رأي صحيح للأحنف بن قيس
- ٣٧٦ يزجرد يمضي إلى إصطخر وسياه يشترط للإسلام
- ٣٧٧ سياه يرى الدخول في الإسلام
- ٣٧٨ ذكر مكيدة في فتح حصن
- ٣٧٩ ذكر حيلة قوم في الحصار خرجوا بها من حصارهم
وسياسة لعمر
- ٣٨٠ يوم نهاوند: فتح الفتوح
- ٣٨٢ ذكر آراء صحّ منها واحد
- ٣٨٤ ابتداء وقعة نهاوند
- ٣٨٥ ذكر خديعة للهرمزان لم تتم له
وما جرى بعد ذلك
- ٣٨٧ إرسال المغيرة بن شعبه إلى الفرس
- ٣٩٠ ذكر آراء صحّ أحدها على طريق المكيدة
- ٣٩٣ دخول نهاوند
- ٣٩٤ سفيان ملوهم اليواقيت واللؤلؤ
- ٣٩٦ فتح الري
- ٣٩٧ توجه بكير إلى آذربيجان
- ٣٩٧ مردانشاه يرسل نعيماً في الصلح

- ٣٩٨ فتح قومس
- ٣٩٨ فتح جرجان وطبرستان وأذربيجان
- ٤٠٠ فتح الباب والفتوح التي كانت بعده
- ٤٠٣ ما جرى بين يزدجرد وآبان جاذويه في الرى
- ٤٠٣ غزو خراسان وهزيمة يزدجرد في بلخ
- ٤٠٤ ذكر رأى صحيح في وقت شدة
- ٤٠٨ حوار بين خاقان ورسول يزدجرد
- ٤١٠ ذكر كتاب عمر وجمل من سياسته
- ٤١١ تدوينه الدواوين
- ٤١٣ وضعه التأريخ
- ٤١٤ أنتم المؤمنون وأنا أميركم
- ٤١٥ كان معجباً بسياسات ملوك العجم

- ٤١٧ خلافة عثمان بن عفان
- ٤١٧ ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب
- ٤٢١ ذكر هذه الخدعة
- ٤٢٢ مقتل يزدجرد وما تم عليه من الاتفاقات الطريفة
- ٤٢٥ يزدجرد والطحان
- ٤٢٦ رواية أخرى في ذلك
- ٤٢٨ ما جرى في خلافة عثمان مما تستفاد منه تجربة
- ٤٣١ أهل الكوفة يردون سعيد بن العاص
- ٤٣٢ كثر الناس على عثمان وكلموا علياً فيه
- ٤٣٥ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

- ٤٣٥ فيها كان ظهور السبائية وخروج أهل مصر إلى المدينة لقتل عثمان
- ٤٤٤ راكب له شأن
- ٤٥١ يوم الدار
- ٤٥٣ أسماء كتاب عثمان
- ٤٥٤ سبب سقوط هذا الكاتب من عين عثمان
- ٤٥٤ ذكر تدبير تم لعثمان بمعاونة علي رضي الله عنه
ورأيه لما حصر عثمان الحصار الأول
- ٤٥٧ خلافة الإمام علي
- ٤٥٧ ذكر بيعة علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٤٦١ ذكر رأي جيد للمغيرة
- ٤٦٢ رأي لابن عباس وما أشار به علي
- ٤٦٤ علي يفرق عماله على الأمصار
- ٤٦٧ علي يدبر لقتال أهل الفرقة بالشام
- ٤٦٨ ابتداء وقعة الجمل
طلحة والزبير يريدان البصرة للاصلاح
- ٤٦٩ عايشة تريد طلحة
- ٤٦٩ من استجاب لعائشة ومن اعتزل
- ٤٧٠ موقف آخر لسعيد بن العاص
- ٤٧٠ سؤال وتنازع حول الإمرة
- ٤٧١ اتفاق في ذلك الوجه
- ٤٧٢ علي يستشير الناس
- والحسن يذكر له ما كان قد أشار به عليه قبل

- ٤٧٤ عثمان بن حنيف
يبعث رسولين إلى عائشة وطلحة والزبير
- ٤٧٦ كيد كاد به عثمان بن حنيف
إنتهاء عائشة ومن معها إلى المربد
- ٤٧٦
قتال وتوابع
- ٤٧٨
ما جرى على عثمان بن حنيف
- ٤٨٠
قتال شديد ضرب فيه رجل ساق حكيم
- ٤٨٢
ماذا جرى في الكوفة؟
- ٤٨٣
عليّ يرسل القعقاع إلى أهل البصرة
- ٤٨٧
ذكر السبب في نقض ما أشرف عليه القوم من الإصلاح
- ٤٨٧
ذكر آراء هؤلاء، وما تقرّر عليه الرأي
-
في ما اجتمعوا عليه، ودبّوا له من الحيلة في نقض الصلح
- ٤٩٠
ذكر فتوى
-
لعلّ بن أبي طالب عليه السلام في تلك الحال
- ٤٩١
عليّ يخطب سائلاً كَفَّ الألسن والأيدى
- ٤٩٤
ما جرى بين عليّ وطلحة والزبير من حديث
- ٤٩٥
ما يُحفظ من كلام الأحنف في الاعتزال
-
وحضّ الناس عليه
- ٤٩٦
ابتداء القتال
- ٤٩٧
أول ما أحدثه عائشة
- ٥٠٣
حمل اليهودج من بين القتلى
- ٥٠٦
سيرة عليّ في من قاتل يوم الجمل
- ٥٠٦
السبائية ترحل بغير إذن عليّ

- تجهیز علی عائشة ۵۰۷
- ما جرى بین معاوية وقيس ۵۰۷
- ذكر مكيدة معاوية لقيس وما تمّ له عليه ۵۰۹
- ابتداء وقعة صفّين ۵۱۱
- قميص عثمان وأصابع نائلة
- خروج علی بن أبی طالب إلى صفّين ۵۱۲
- القتال على الماء ۵۱۵
- من وصايا علی لأصحابه يوم صفّين ۵۱۸
- اقتتلوا ولكلّ فئة أحد عشر صفّاً ۵۱۹
- خطبة فی حضّ علی حرب ووصايا فيها ۵۲۳
- خطبة يزيد بن قيس الأرحبي ۵۲۳
- ابن بدیل ينتهي إلى قبة معاوية ۵۲۴
- كلام بين علی والحسن أثناء القتال ۵۲۵
- مالك يحضّ المنهزمين علی الصمود ۵۲۵
- ابن بدیل يعصى مالكا ويقتل ۵۲۸
- مقتل عمار بن ياسر ۵۳۲
- علی يبارز معاوية ۵۳۳
- ما دبره علی لإزالة كتيبة ۵۳۴
- العالی من جعل المعركة خلف ظهره ۵۳۴
- الظفر يلوح للأشتر ومعاوية يلتبس حيلة ۵۳۶
- ذكر مكيدة عمرو بن العاص ۵۳۷
- القرّاء يهدّدون علیاً ويطالبون ترك القتال ۵۳۸
- مالك يضع القتال ويقبل، بعد أن رأى النصر ۵۴۰

- ٥٤١ قبول الناس التحكيم، واستعلام معاوية
- ٥٤٢ على لا يرضى بأبي موسى والناس يأبون إلا إياه
- ٥٤٤ ذكر رأى للأحنف
- ٥٤٥ مالك يابى أن يخط اسمه فى صحيفة التحكيم
- ٥٤٦ ذكر خديعة أجازها معاوية على نفسه وتمت له
- ٥٤٧ ما قاله على لأصحابه
- ٥٤٧ ذكر حيلة للمغيرة بن شعبة
- ليعلم: أيجتمع الحكماء، أم يفترقان
- ٥٤٩ ذكر الخديعة التى خدع بها عمرو وأبا موسى
- ٥٥٠ رواية أخرى فى ذلك
- ٥٥١ ذكر من خالف على بن أبى طالب
- فى رأيه، وأشار بالحرب عليه، وما كان من جوابه واعتذاره
- ٥٥٢ بكاء النساء على القتلى
- وما قاله على لابن شرحبيل
- ٥٥٢ مروره بالناعطين، وما قاله فيهم
- ٥٥٤ تشاتم القوم واضطربهم بالسياط
- ٥٥٤ مفارقة الخوارج علناً
- نزولهم بحرورى وعدم دخولهم الكوفة مع على
- ٥٥٥ ما دار بين شيعة على والخوارج
- عند دخوله الكوفة
- ٥٥٥ ذكر احتجاج الخوارج مع على عليه السلام
- ٥٥٦ صياح أثناء خطبته
- ٥٥٧ ذكر ما جرى بينهم من الجدل

٥٥٧ ورجوعهم مع علیّ وهذه الدفعة الأولى من خروجهم

٥٦٠ ابتداء يوم النهر

٥٦٠ علیّ یعبّی ویرفع رایة أمان

٥٦٢ استبدال الشام بالنهر

٥٦٣ اتفاق جید

وقع لمالك حتى هزم النعمان ومن معه

٥٦٤ ذكر سياسة زیاد لهذا الوجه

٥٦٤ دخول بسر بن أرطاة المدينة ومكة

وهروب عمّال علیّ

٥٦٥ العراق لعلیّ، والشام لمعاوية

٥٦٥ تحالف الخوارج

لقتل علیّ، ومعاوية، وعمرو بن العاص

٥٦٦ ما جرى بین ابن ملجم وقطام فی الكوفة

وتعاونهما علی قتل علیّ

٥٦٧ قتل ابن ملجم وحرقه

٥٦٨ ما كان من أمر برك ومعاوية

٥٦٨ ما كان من أمر عمرو بن بكر، وعمرو بن العاص

٥٦٩ ما قالته عائشة فی قتل علیّ

٥٦٩ أسماء کتاب علیّ بن أبی طالب صلوات الله علیه

٥٧١ بیعة الحسن بن علیّ

٥٧١ نزع قیس

وتأمیر عبید الله بن عباس

- ٥٧٢ ذكر مكيدة لمعاوية
- ٥٧٢ كتاب كتبه الحسن إلى معاوية في الصلح
- ٥٧٣ ذكر حيلة واتفاق طريف في هذا الشرط
- ٥٧٣ معاوية يُكايد قيس بن سعد
- ٥٧٤ الدهاء الخمسة
- ٥٧٤ ما قاله الحسن بن عليّ في خطبته بعد الصلح
وقبل أن يغادر الكوفة إلى المدينة



مركز تحقیق کتاب پویا علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

مرکز تحقیق کتاب و تاریخ علوم اسلامی
VOL. 1

Soroush Press

Tehran 2001

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

vol.1

Soroush Press
Tehran 2001



شماره : ۳۳۰۰۰ ریال
کالینگور : ۳۸۰۰۰ ریال

شابک : ۹۶۴ - ۴۳۵ - ۵۵۲ - X

شابک : ۹۶۴ - ۴۳۵ - ۳۳۱ - ۵ (دوره ۷ جلدی) (7Vol SET) ISBN:964-435-331-5

سروش
انتشارات